مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

المآسي

تعريب

الدكتور رياض عبود   أ. ر. مشاطي

خليل مطران

إشراف وتقديم

نظير عبود

توزيع

دار الجيل

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

المآسي

٥

تعريب

الدكتور رياض عبود

أ. ر. مشاطي

خليل مطران

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

حقوق هذه الترجمة محفوظة
لدار نظير عبود
بيروت

ص.ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ـ ٩٣٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على

صفحة

مكبث ٩
روميو وجوليت..٨١
مأساة كوريولانوس..١٧٣
سمبلين ٢٩١

مكبث

تعريب

خليل مطران

مقدمة(1)

أما بعد فقد آثرت لمحادثتكم موضوعاً فيه جانب للأدب وجانب للتفكير مما يتناسب مع أدبكم وتفكيركم هو فلسفة شكسبير في اختيار أشخاص رواياته وضرب مثل على ذلك، شكسبير ـــ ولا أتوخى وصف مقدرته الفنية التي لم يُبارِه فيها أحد ـــ كان أصدق الناس بصراً بقلوب الناس، انقسموا في ذهنه إلى سلاسل: كل سلسلة تتشاكل من ناحية المزاج الجسماني، والتكوين العقلي، والأثر الوراثي، والاندفاع بعوامل المكان والزمان ولها مثلها الأعلى. وجَّه مصباح فكره النقَّاد إلى كل ما يشهده من سِيَر المعاصرين أو يطالعه من سِيَر المتقدمين، وتبين به أين تجتمع القوى المحركة لبروز فضيلة ما بأظهر صورها، أو رذيلة ما بأنكر مقدماتها ونتائجها، واتخذ ممن اجتمعت فيه تلك القوى شخصاً يرفعه إلى أخشاب الملعب وينطقه بأخفى ما تجيش النفس، وأجمعه لأشتات النوازع في أجهر ما يكون الصوت، وأفصح ما يكون اللفظ، وأبلغ ما ينساق المعنى وراء المعنى ليقع أشدَّ مواقعه من آذان السامعين، ومن أذهان المطالعين أبد الدهر وأبعد ما تترامى الحدود بطبقات العاملين، لا فرق في الشخص الذي يهيئه بين أن يكون أميراً أو أجيراً، بطلاً مخرباً أو رادعاً أميناً، مطماعاً قديراً أو قنوعاً مستكيناً مشّاءً بنميم مضمراً للكيد، أو مكشوف السريرة سليم النيَّة فيضيفه إلى المئات من الأشخاص الذين خلقهم في رواياته وأعاد بهم خبايا الإنسانية

(1) من محاضرة للمعرب.

مرفوعة عنها الحجب ومحصورة بإيجاز جامع مانع في تلك السلاسل المحدودة المتفرعة عليها أنواعها المنوعة بلا حد ولا نهاية. قوة ذهنية فائقة كان الله سبحانه وتعالى خلا لها سرٌّ إيداعه وتقديره في عباده قد أجملت تبيينها في هذه المقدمة المختصرة كل الاختصار لأتولى من فوري ضرب المثل، فتتضح لكم كلية تلك القوة بجزء يسير أتبسط فيه من أجزائها.

هنا كان محل للتردد في اختيار المثل إذ كل شخص في روايات شكسبير مضرب مثل، ومعظم اولئك الأشخاص يصح أن يكون الأول في نمط من الأنماط المقسمة اليها الإنسانية، غير أني بعد إطالة التأمل رجعت إلى نصيحة صديقي العالم العامل أحمد بك فهمي العمروسي وأقررت اختياري على رواية « مكبث »، وإن كان قد سبق لي التحدث بحديثها في معرض آخر فإن فيها متسعاً لشتى المباحث، وناهيك بها من رواية قد أجمع أهل الأدب والفلسفة على أنها أوقع ما خطَّته الأقلام في النفوس وأبعدها أثراً في الخواطر، ذلك لأنها مع انتقاء المشوِّقات منها بكل ضروبها تمثل الحقائق الجافية على طريقة من تحليل المركبات في الطبع المتجه إلى الإجرام، تملك الحواسَّ على متتبعها بأقوى مما تملكه عليه أقاصيص الانتقام أو الغرام أو سائر الأغراض التي تستفز بها النوازع بلا كبير عناء في اشهاد التمثيل.

في مكبث يقدِّم لنا شكسبير مثلاً أعلى من الأمثلة التي تقوِّم أخلاق الأفراد وتصلح الاسرات وتُقيل الأمم من العثرات، يُرينا بأقوى ما تستطيعه البراعة وسلطان الضمير في كل نفس، ويُرينا بأية الحيَل تحتال الغرائز الدنيئة لإفساد الضمير، فإذا أسكتته حيناً ظنت أنها قتلته، وما قُتل ولن يُقتَل، أعطي مخدراً ففارق حسَّه وهو يغضب ويهذي كفعل المريض الذي ينوَّم للمبضع الجراحي حتى إذا اقترفت الخطيئة استيقظ الضمير وعاتب ثم اشتدَّ الصراع بينه وبين الرذيلة فظفرت أولاً ثم فاز في النهاية ضميره. وهذا الضمير الزوجي الذي لم ترد له تسمية في رواية مكبث، ولم تعين له صفات خاصة، هو مع ذلك المحور الذي تدور عليه أجلُّ وقائع تلك المأساة الفريدة بين نظائرها في كل اللغات والتي لها من العبرة لكل طبقات الناس ما لا تلد القرائح أبلغ منه.

ما هي قصة مكبث؟

مكبث قائد شجاع وسيد غطريف نبيل الأصل تابع لملك عادل رحيم محبوب يُدعَى دنكان. ودنكان هذا ملك اسكتلندة له ولدان في مقتبل الشباب.

كانت لمكبث زوج شاهقة عاتية لم يرزق منها ولداً.

ومكبث أقرب قومه إلى العرش الاسكتلندي بعد ولدي الملك وبعد نبيل آخر من أقربائه وأصدقائه يدعى بنكو له ولد يدعى فلانيس.

عاد مكبث هذا من حرب ضروس لقي بها جيشاً نروجياً عظيماً فاستظهر عليه وأنجى بلاده منه فصادف في أرض قفر نسوة ساحرات وكان معه بنكو فعرفن مكبث وعرفن أنه سيد ولاية جليمس وتنبأن له أنه سيصيرُ سيداً لولاية كودر مع أن سيدها حي ثم أخبرنه أنه سيصير ملكاً لاسكتلندة. وتنبأن لبنكو بعد ذلك أنه لن يبلغ العرش بذاته لكن سلسلة طويلة من ولده ستستوي عليه وتتوارثه. سمع الفارسان ما فاهت به الساحرات فكان ذلك مبدأ الحوادث التي جرت خلال تلك المأساة الأليمة.

أثرت النبوءة في نفس مكبث وكان أول أثرها ما ستسمعون:

ــ **مكبث:** أبيني أيتها النواطق بغير إفصاح عما في ضمير المقادير وزيديني بياناً. أعلم أنني بموت أبي (سينل) قد أصبحت غطريف جليمس ولكن كيف أستطيع أن أكون غطريف كودر في حين أن صاحب هذا المنصب والملقب به ما زال في إقبال من دهره فأما أن أصير ملكاً فذلك أبعد احتمالاً وليس مما تنتهي اليه عقيدتي. أبيني إذن من أين استنزلت تلك الأقوال المستغربة ولماذا عرضت لي في هذه الأرض التي تطرقها الرياح تحيطني بأمثال هذه النبوءات أني لأتقدم اليك أن تجيبي.

لم يجبه أحد. توارت الساحرات. واستمر الفارسان في سيرهما حتى إذا لقي مكبث الملك هنَّأه دنكان بنصره ومنحه لقب غطريف كودر بعد أن نزع هذا اللقب من غطريفها لخيانة اقترفها فتحقق لمكبث أول النبوّة وأخذت أمنية الإستيلاء عل الصولجان تخامر قلبه. قال في هذا المعنى مكبث: أمنية يقف لهولها شعر رأسي ويخفق من وجلها قلبي خفوقاً يقلق الضلوع.

لمشهد الشيء المخوف أقل إرهاباً مما يخلق الوهم. وإن فكري الذي لم تزل نية القتل فيه خيالاً رقيقاً ليشل مني عرش النهي ويزعزع في نفسي مملكة القوى حتى ليفل العزيمة ويغلب الآمال على النشاط للأعمال فإذا أنا والحاضر عدم والمستقبل وحده هو الوجود.

أعقب ذلك علم امرأته بأمر النبؤة وأخذها إياه من جانبه الضعيف لتقوي فيه الطمع وتدفعه إلى الفتك بضيفه وابن عمه لتبوء العرش مكانه. قالت فيما قالت لإغرائه:

ليدي مكبث: « لا آمن عليك طبعك فإن به من الشفقة ما يصدك عن طلب غايتك من أقوم طريق. تتمنى العلياء وفيك مطمع، غير أنك فاقد المكر الذي يوصل إلى العلياء. مرمى نظرك بعيد، إلا أنك تبغي إدراكه من أطهر المسالك. تأنف أن تستبيح ما حرم من وسائل الالتماس ولكن لا تأنف من كسب غير المحلل. قلبك مولع بالحصول على تلك النعمة التي تناديك (هذا مأخذي فخذني) بيد أنك تخشى مباشرة الفعل الذي يؤدي إلى ذلك الربح. ولو فعله غيرك لما ساءتك. فتعال لأفرغ في أذنك الحماسة والشجاعة. تعال لأزيل بيأس لساني ضعف نفسك وأبدد الوساوس الدنيئة التي تعوق يدك عن غضب الأكليل الذهبي الذي تريد المقادير إرادة ظاهرة أن تضعه على جبهتك:

لقد زايلك ثباتك وصدق عزمك.

كان من المقضي أن تعقب الجناية الأولى جناية ثانية فثالثة وهكذا جرائم الطمع لا تقع الواحدة منهن حتى تكون الأولى سلسلة. اتهم مكبث ابني دنكان بقتل أبيهما تطلعاً منهما إلى ارتقاء الأريكة ففرًّا من وجهه شاردين، ولما تمَّت هذه الجريمة الثانية واستتبَّ له العرش تذكَّر بنكو وهو ابن عمه الآخر، هو ذلك الذي تنبَّأت الساحرات بأن الملك يكون من أولاده، فنوى الفتك به وبابنه في مكيدة واحدة فيخلو باله من أمرهما. اللجة في قول نبي من بني إسرائيل تدعو اللجة والمعصية فيما اثبت الاختبار تدعو المعصية.

يقول مكبث: سينتقل الصولجان غصباً من يدي وليس لي ولد من صلبي،

فلئن تمّ ذلك وبه بشّرت الساحرات بنكو فلأجل أبناء بنكو وأعقابه أكون قد دنّست نفسي ولأجلهم قتلت دنكان الرحيم ولأجلهم مزجت بسمّ الحقد راح راحتي. ثم أكون لجعل أبناء بنكو ملوكاً قد دفعت بنفسي الخالدة بين يدي عدو الله. أأبناء بنكو يكونون ملوكاً؟ لأسهل من تحقق ذلك أن تنزل أيها القدر وتقاتلني إلى الاستبسال.

وقعت الجناية الثالثة ولكن على بنكو وحده. قتل بنكو أما ابنه ففرّ. على أن ابنه ـ وإليه مآل الملك ـ هو الذي كان المقصود بدسيسة مكبث، فانظروا العبرة بما صار اليه مكبث من الذعر والتطيُّر.

مكبث: ليست العبرة في أن تكون ملكاً بل في أن تكون آمناً... جرحنا الثعبان ولم نقتله فهو سيشفى ويستعيد قواه وسنبقى عرضة لنكزاته، إلا أنه لا يسرّ أن يختلّ نظام العالم وأن يتلاشى الخافقان من استمرارنا على أكل خبزنا في المخاوف والتماس رقادنا بين تباريح الأحلام الرائعة كل ليلة. إلا أنه لخير لنا أن تثور ثائرته في القلب بتحضيض شريك جسور أن يتغلب عليه.

قالت تلك المرأة المتمادية في غرورها: لقد وضعت وأرضعت فعرفت كيف تحنو الأم على ابنها العالق بثديها. فوحقك لو عاهدت نفسي على مثل ما عاهدت عليه نفسك لانتزعت رضيعي عن نهدي إذ هو باسم يرنو إليّ وهشمت رأسه قبل أن أحنث.

مكبث: لكن ما حالنا إذا لم نفلح ؟.

ليدي مكبث: كيف لا نفلح ؟ شدد عزمك إلى الشأو المطلوب ندرك يقيناً ما نشاء متى ران الكرى على عيني دنكان وأماله الأعياء من السفر سأسقي حاجبيه من النبيذ الممزوج بالعقاقير فوق ما يطيقان فيسكران سكراً يفقدان معه الذاكرة حارسة العقل فتتصاعد كالدخان. ويصبح رأس كل منهما كالأنبيق فإذا ناما غريقين بالخمر نوماً شبيهاً بالموت كان أيسر شيء علينا ودنكان في عزلته أن نقضي عليه كما نهوى ثم أن نترك على ضابطيه علقاً من الدم يثبت بلا ريب أنهما هما القاتلان (مكبث وقد أخذه الروع والإعجاب).

مكبث: لا تلدي إلا صبية ذكوراً لأن الفطرة الجافية التي فطرت عليها لا ينبغي أن تنتج إلا الفحول.

تأصلت في قلب مكبث فكرة الإجرام فزاده الضمير وخزاً وأوسعه إرهاباً من سوء المغبة فذهل وساورته الوساوس مساورة أفضت به إلى مثل هذيان المحموم. وهذا منظر اشتهر في العالم التمثيلي كله باسم منظر الخنجر والخنجر أداة الجناية المنوية قال مكبث وهو يرنو إلى الفضاء وقد سلب لبه وتوهم أنه يرى خنجراً معلقاً في الجو.

مكبث: أهذا خنجر يلوح لي، متجه المقبضة نحو يدي، أنلني منك ما تنضم عليه الأنامل. تفر ولكنني ما أنفك أراك. الا يقع عليك اللمس وهذه المرأة الداعية إلى الإجرام المتبجحة به أيضاً سيقتلها الضمير ولكن الطمع غالب عليها باديء بدء فهي لا ترى إلا الفوز بالتاج وتستفر له نفسها وزوجها. فمن ذلك قولها:

ليدي مكبث: أيتها الأرواح التي توحي نيات القتل. جرديني من أنوثتي أفعميني جفوة وقسوة من رأسي إلى قدمي. أقفلي في ضميري كل منفذ تنفذ منه الشفقة. لا تأخذني للرحمة أن تلطف شرتي أو تكف يدي. حولي من ثديي لبن المرضع إلى سم نقيع اسعديني يا جنيات الهلاك وافدات من كل مكان تشهدن فيه بلاءً وشراً. وأنت أيتها الليلة الليلاء أرخي علي من سدولك، واتزري بكسف من دخان السعير حتى لا يرى خنجري المسنون موقعه من الطعين وحتى لا تدعي لمتطلع من الشعاع مسلكاً ينظر منه ما تحت غطاء السماء فيرى أسرار جريرتي ويصيح بي: مكانك. مكانك راجع لضمير مكبث قبل إقدامه على الإجرام واشتد عليه في تحذيره عقبى أمره ففي ذلك قوله:

مكبث: لو كانت ضربة القاتل لا تعقب أمراً في هذه الحياة الأولى لما أغليت قيمة الحياة الأخرى ولكن إزهاق الروح إنما هو من الجرائم التي يماشيها عقابها في الدنيا. فمن سفك دم غيره عرض دمه للسفك ومن دس سماً في كأس قضى العدل عليه لا مرد له بأن يعيد الكأس إلى شفتيه، الرجل ههنا، يعصمه مني عاصمان. قرباه لي وتبعيتي له ثم هو

ضيفي: وله على أن أقفل بابي في وجه من يبغيه بسوء فكيف بي وأنا أطعنه بخنجري. ولكن زوجه كانت تستفزه للإجرام بأعلى من صوت الضمير لأن خوف العقاب إذا تأتى من الخلق لا من النفس لم يصعب على الطمع حين نلحقه بالذين أرسلناهم إلى سكينة الأبد تمهيداً لوصولنا إلى هذه العلياء من أن يظل نهباً مقسماً بين آلام النفس. استقر دنكان في ضريحه وزالت عنه حمى الحياة فهو في سبات وقد أمن الغدر والخيانة؟ أمن الخنجر والسم؟ أمن المؤامرات الداخلية وغارات الأجانب. فلا شيء بعد كل أولئك يقدر على إزعاجه بعد الآن.

انتهينا إلى فصل المائدة. ما فصل المائدة؟ قد أخذ الضمير يفضي بمكبث من العتاب إلى العقاب. ولم يكن برابط الجأش ولا مطمئن على ما أقام حوله من سياج التمكين واستكثر من وسائل الاطمئنان. أصبح همُّه فوق كل شيء أن يغتال بنكو ونجله. ولإخفاء هذه الجناية الجديدة أمر بوليمة عشاء دعا لها كبراء دولته ومنهم بنكو ونجله ثم استخلص من أتباعه وغدين فتاكين وأرسلهما إلى مكان يكمنان فيه لبنكو ونجله في الطريق الذي يأتيان منه إلى القصر لحضور الوليمة. فلما اجتمع المدعوون وليدي مكبث تؤانسهم والملك منفرد عنهم يرقب الباب وفَد أحد الوغدين وأبلغ الملك أنهما قتلا بنكو ولكن ابنه نجا منهما فازداد ذعره ورجع إلى القوم أشد ما كان اضطراباً وارتياعاً إلا أنه صامت ومتجنب محادثة أحد منهم. حتى إذا كان الموعد وأمرت الملكة بالتوجه إلى المائدة انتظم اولئك العظماء حولها وقوفاً ينتظرون الملك، ومكبث بمعزل عنهم مشتغل أيما اشتغال بخيبة أمله. ثم التفت إلى المائدة وخُيِّل اليه من شدة الخيال الذي حلّق به ان بنكو بجانب كرسيه وما كان الذي رآه إلا خيال بنكو، فصاح تلك الصيحة النكراء التي عدَّها أهل البيان من أبلغ مواقف التمثيل.

المائدة مكتملة العدد عدّوها كذلك لأنها جاءت مصداقاً فعلياً للقول الحكيم المأثور: « كاد الريب أن يقول خذوني ». واسمعوا بعد هذه النصيحة تلك الكلم التي لا يوحي الخوف أوقع منها من كلام مكبث إلى طيف بنكو.

مكبث (للطيف): ليس لك أن تزعم انني أنا الذي فعل هذه الفعلة. أجل

الحياة اليومية. حَمام المشقات الأليمة. بلسم القلوب الجريحة. أحد الينبوعين اللذين تصدر عنهما الطبيعة الكبرى، أول غذاء في وليمة الحياة.
ما أعجب هذه الوصف للنوم وما أعرف الذي يفقده بلذاته زوجة مصرَّة على تشجيعه.

ليدي مكبث: « ما مرادك من هذا الكلام؟ »

مكبث مستطرداً: ثم استمر ذلك الصوت الذي ملأ البيت بأصدائه يصيح بي: « لن تنام يا قاتل، جليمس، كودر، مكبث، لن تنام ».

ليدي مكبث: إذهب والتمس شيئاً من الماء تغسل به عنك آثار التهمة. لماذا لم تدع هذين الخنجرين في مكانهما؟ لا بد من بقائهما فيه فأعدهما اليه، ولا تنسَ أن تشوب الحارسين النائمين بأعلاق من الدم. ذلك الشجاع ساوره الخوف من أثر جرمه.

مكبث: « لن أرجع إلى ذلك المكان وإني لأصطك فرقاً من غدرتي بالرجل، فما أجسر أن أراه بعد ». ثم أخذ يعاني الأفانين الخبيثة من آلام الجبن.

مكبث: لماذا يقرع الباب؟ ممَّ يتأتى أن أدنى جلبة تخيفني؟ (ينظر يديه) « ما هاتان اليدان؟ » اسمعوا آية الضمير المعاتب: « آه ليس في وسع البحار كلها أن تطهر كفي من هذا الدم، بل هما اللتان تخضبان بحمرة ما على تلك الخضمّات الشاسعة من مسحة الخضرة ». (تعود ليدي مكبث وقد ذهبت هي إلى غرفة القتيل وفعلت ما أشارت به).

ليدي مكبث: هاتان يداي بلون يديك، لكنني أخجل أن يكون لي قلب هيابة كقلبك. (يقرع الباب). أسمع قرعاً على الباب الجنوبي. لنعد إلى حجرتنا وحسبنا شيء من الماء فنغسل ما كان منا. أتبينت ما أسهل الأمر؟
كما يقع عليك البصر أم لست غير نصل مخيل من وضع فكر ذاهل مخبل. تمش أمامي لتهديني سبيلي وتتمثل بين يدي أشبه بالخنجر الذي كنت عازماً على الطعن به. لعيناي بانفرادهما خير من جميع حواسي الاخر أو شد ما هما مخدوعتان: انك لنصب مقلتي، لم تبرح. وإني لأتبين منك على الشفرة والمقبض قطرات دم لم تكن عليهما منذ حين... لا وجود لشيء من كل هذا. ولكن نيّة القتل هي التي تغشي نظري بآية من سحرها.

في هذه الساعة تهدأ الطبيعة هدوء الموت في شطر من شطري هذه الكرة ويخدع النيام بأحلام سيئة تخامرهم في مضاجعهم. في هذه الساعة ينهض الاغتيال عاري الأشاجع ضامر التجاليد سامعاً عواء الذئب والذئب حارسه الذي يعين له بصوته الميقات ويعطيه الشعار فيزحف منساباً صامت الخطى زحف السلاب ويسطو على فريسته.

أنت أيتها الأرض الوطيدة لا تسمعي وقع قدمي واجهلي الطريق التي تسلكانه مخافة أن تدلك أحجارك على المكان الذي أذهب اليه بقعقعة ينفر منها السكوت المرهوب الذي هو أصلح شيء لمثل هذه الساعة.

قال الشاعر الكبير حافظ ابراهيم بك مترجماً هذه القطعة بشعره الشائق:

كأني أرى في الليل نصلاً مجرَّداً ... يطير بكلتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية ... ففيه خفوق تارة وقرار
يماثل نصلي في صفاء فرنده ... ويحكيه منه رونق وغرار
أراه فتدنيني اليه شراستي ... فينأى وفي نفسي اليه أوار
وأهوي بزندي طامعاً في التقاطه ... فيدركه عند الدنو نفار
تخبّطني مسّ من الجن أم سرت ... بأجزاء نفسي نشوة وخمار
أراني في ليل من الشك مظلم ... فيا ليت شعري هل يليه نهار
سأقتل ضيفي وابن عمي ومالكي ... ولو أن عقبى القاتلين خسار
وأرضي هوى نفسي وإن صح قولهم ... هوى النفس ذلّ والخيانة عار
فيا أيها النصل الذي لاح في الدجى ... وفي طيّ نفسي للشرور مثار
ترى خدعتني العين أم كنت مبصراً ... وهذا دم أم في ثباتك نار
وهل أنت تمثال لكيد نويته ... وذاك الدم الجاري عليك شعار
فإن لم تكن وهماً فكن خير مسعد ... فإني وحيد والخطوب كثار
وكن لي دليلاً في الظلام وهادياً ... فليلي بهيم والطريق عثار
على الفتك يا دنكان صحَّت عزيمتي ... وإن لم يكن بيني وبينك ثار
فإن يكُ حب التاج أعمى بصيرتي ... فما لي على هذا القضاء خيار
أعرني فؤاداً منك يا دهر قاسياً ... لو أنّ القلوب القاسيات تُعار
ويا حلم قاطعني ويا رشد لا تثب ... ويا شر ما لي من يديك فرار

ويا ليل أنزلني بجوفك منـزلاً يضلُّ به سرب القطـا ويحـار
ويا قدمي سيري حذاراً وخافتي من المشي لو ينجي الأثيم حذار
وقفت بجوف الليل وقفة ساحر لـه الجـن أهـل والمكايـد دار

على أثر القتل كانت يقظة الضمير عتاباً وفيه ما فيه من الشجي: فارق مكبث مقتوله وفي أذنيه طنين النوم فنطق يقول:

مكبث (ناظراً يديه والدم يقطر منهما): « هذا شيء قبيح الرؤية ».

ثم قال والوقت لم يكد يسع إلا وقوع الجريمة وفراره من مكانها: « خيّل إليَّ أن صارخاً كان يصرخ بي: لن تذوق المنام. إن مكبث قد قتل الرقاد، الرقاد البريء محلل عقد الهموم ».

الوصيفة: من عادتها أن تفعل فعل من يغسل يديه. واتفق لي أن شهدتها تستمر على ذلك ربع ساعة بلا انقطاع.

ليدي مكبث: أفلا تفارقني هذه اللطخة الدامية. زولي أيتها اللطخة القبيحة، الظلام دامس في جهنم. عار عليك يا زوجي وشنار. هل البطل المجرب يداخله الخوف؟ ماذا يهمنا أن يعلم الناس ما يعلمون حين نصبح من القدرة والسلطان بحيث لا نناقش الحساب. لكن من كان يظن أن يوجد الدم بهذه الغزارة في ذلك الشيخ.

ظلت تلك المرأة الأثيمة في هذا العذاب إلى أن لفظت آخر أنفاسها، وزوجها الشرير محاصر في قصره لم يمنحها دمعة واحدة لاشتغاله بآخر وسائل الدفاع عن ملكه المغصوب وحياته التي انحطت إلى أدنى الذلة والمهانة بعد أن ظن أنه بارتكاب الجريمة يبلغ أوج السيادة والسعادة.

ظفر به أعداؤه وقتلوه أشنع قتلة وعاد التاج إلى البكر من ولديْ دنكان وفاز في النهاية العدل. وقد تبينتم أن القصاص النهائي الذي لقيه لم يكن شيئاً في جنب كل ميتة كان يموتها بتعذيب ضميره.

ولو أن مكبث رجع إلى نصيحة الضمير لما أصبح سُبّة في الأساطير ولعُدَّ في التاريخ بين كبار القادة وخيار السادة.

هذا مثل من فلسفة شكسبير في اختيار أشخاص رواياته تبينتم منه كيف

يجيء بالصور المتعددة من الحياة العاقلة فيحركها ببواعثها الطبيعية ظاهرة للعيان وينطقها بروائع الفكر قولاً ويصدقها بنتائج الحوادث فعلاً ويمشيها على الملاعب بين الهزل والجد والسعادة والشقاء والحياة والموت عِبَراً وعِظات ومُثلاً زاجرات تفعل في النفوس ما لا تفعله الحِكَم الباردة والكلم الجامدة.

فهل يتيح الزمان للغتنا العربية الشريفة أن تنضاف إلى كنوزها مؤلفات من هذا النوع تتم آيات إجلالها وتنشر في الآفاق أشعة جديدة من محاسنها الطريفة العتيدة؟!.

خليل مطران

أشخاص الرواية

دنكان	ملك اسكتلندة
ملكولم، دونلبان	ابنا الملك
مكبث، بنكو	قائدان في جيش الملك
مكدف، لينوكس، رس، منتث، أنجوس، كاتنس	من أشراف اسكتلندة
فليانس	ابن بنكو
سيورد	قائد القوات الإنجليزية
الفتى سيورد	ابن قائد القوات الإنجليزية
سيتن	ضابط في خدمة مكبث
لادي مكبث	زوج مكبث
لادي مكدف	زوج مكدف

ابن مكدف، أطباء، أشراف، لوردات، ضباط، جنود، قتلة، خدم، رسل، طيف بنكو

* * *

تجري حوادث الرواية في اسكتلندة وإنجلترة.

الفصل الأول

المشهد الأول

أرض معشوشبة بقرب فوريس. ابراق وارعاد
(تدخل ثلاث ساحرات)

الأولى: من أين مجيئك يا أختي؟
الثانية: كنت أُقتِّلُ خنازير.
الثالثة: وأنت يا أختي؟
الأولى: كانت امرأته ملاح تحمل في حِضنها كستناء وتَقضِم، تَقضِم، تَقضِم، فسألتها شيئاً منه فطردتني قائلة: « اعزبي يا ساحرة ». إن زوجها قد سافر إلى « حلب » ليكون رُبّاناً بدجلة، سأركب الغِربال مُقلعةً اليه، وسأعمِلُ سحري كما يُعمل الفأر نابه، قرضاً، قرضاً قرضاً.
الثانية: وهبتك ريحاً عاتية.
الأولى: لك الشكر.
الثالثة: وأنا أمنحك ريحاً ثانية.
الأولى: أما سائر الرياح فهن لي، كما أن لي مراسيَ السفن وسائر الأماكن المرسومة في خرائط البحار. سأدعه جافاً كالتبن، لا يعلق النوم ليلاً ولا نهاراً بأهداب جفنيه، حياته حياة الطريد المحروم يظل يضعف، وينحُف،

ويذوب تسعة أسابيعَ مكررة. تسع مرات يأبى القدر أن تغرق سفينته ولكنها تستمر عُرضة للأمواج بلا انقطاع، انظري ما بيدي؟

الثانية: أرينا، أرينا.

الأولى: إبهام ملاح قد غَرق في يوم وصوله إلى وطنه.

(تسمع الطبول)

الثالثة: الطبول الطبول، مكبث يقترب.

(الثلاث الساحرات متماسكات وراقصات)
(يدخل مكبث وبنكو)

مكبث: لم يمر بي يوم أروع من هذا اليوم هولاً وجمالاً.

بنكو: كم المسافة بين هذا المكان وبين فوريس؟ ما هذه الخلائق الغِثَاث العِجاف، باليات الجلود والأطمار، غريبات الحركات والأطوار، إنها ليست بإنسيَّات وإن مشت على الأرض، ألك حياة؟ أتجيبين السائلين، كأنني بك وقد وضعت أصابعكِ الجافياتِ على شفاهك الجافاتِ تدركين ما أقول، ما أشبَهَك بالنسوة، لولا هذي اللّحى.

مكبث: تكلمي إن تستطيعي الكلام. من تكونين؟

الساحرة الأولى: سلام أي مكبث. سلام يا غطريف ولاية « جلاميس » وسيدها.

الثانية: سلام أي مكبث. سلام يا غطريف ولاية « كودور » وسيدها.

الثالثة: سلام أي مكبث، ستكون ذات يوم ملكاً.

بنكو: (مخاطباً مكبث) أيها الهمام مالك تَجِف؟ وعلام ترتجف؟ أتخيفك أمثال هذه الكلمات، على عذوبة موقعها من المسامع (مخاطباً الساحرات) باسم الحقيقة ألَستُنَّ أوهاماً أم أنتن ما نرى؟ لقد لقبتنَّ رفيقي الشريف « السيد الغطريف » بألقاب الفخر وتنبأتنَّ له من آمال الملك، بما أفاض على قلبه السرور والدهشة، أما أنا فلم تخاطبنني، فلئن كنتن تستشرفن ما يحجُبُه الغيب، وتَعلمن البِذْر الذي ينمو من البذر الذي لا ينمو، فأجبنَ

على سؤال رجل لا يرجو منكن الإحسان، ولا يخشى منكن الإساءة.
الأولى: سلام.
الثانية: سلام.
الثالثة: سلام.
الأولى: دون مكبث وأعلى منه قدراً.
الثانية: أقل منه تلفيقاً، وأعظم منه توفيقاً.
الثالثة: ستلد ملوكاً ولن تكون أنت ملكاً. فيا مكبث وبنكو سلام عليكما.
مكبث: أبيني أيتها النواطق بغير إفصاح عما في ضمير المقادير، وزيديني بياناً. أعلم أنني بموت أبي قد أصبحت غطريف « جلاميس »، ولكن كيف أستطيع أن أكون غطريف « كودور » في حين أن صاحب هذا المنصب والملقب به ما زال حياً، في إقبال من دهره. فأما أن أصير ملكاً فذلك أبعد احتمالاً، وليس مما تنتهي اليه عقيدتي. أبيني إذن، من أين استنزلت تلك الأقوالَ المستغربة؟ ولماذا عرَضتِ لي في هذه الأرض التي تطرقها الرياح، تحييننى بأمثال هذه النبوآت؟ إني لأتقدم إليك أن تجيبي (تتوارى الساحرات).
بنكو: للأرض نُفاخاتٌ كحبَبَ الماء. وما تلك الأشباحُ التي رأيناها إلا من أمثال ذلك الحَبَبِ بدَتْ ثم بادَتْ. إلى أين تُراها عادت؟
مكبث: إلى الهواء، وبينما كنا نحبسها أجساماً إذ رأيناها ذابت، كما تذوب الأنفاس في النسمات، ألا ليتهن أطلن الوقوف.
بنكو: أكانت تلك المخلوقات ههنا، كما شهدناها، أم نحن أكلنا جِذْعاً من ذلك النبات المخدِّر الذي يحبس الأحلام ويطلق الأوهام.
مكبث: سيكون أبناؤك ملوكاً.
بنكو: ستكون أنت ملكاً.
مكبث: وقبلاً غطريف كودور. ألم يقلن هذا؟
بنكو: بالحرف. من القادم الينا؟

(يجيء رس وأنجوس)

رس: مكبث. لقد سر الملك بما جاءه من أنباء نَصَراتك، فما وقف على

تفصيل فعالك بجيش العصاة حتى تنافَسَ في نفسه العجَبُ من بأسك، والإعجاب بحسن بلائك، وحتى أخذته الدهشة فألقى السمع شهيداً، صامتاً، وتبين من أحوال ذلك اليوم، وقوفك في صفوف النروجيين الشجعان تنظر بلا وجل، إلى صنوف المنايا التي أطلقتها عليهم يدك، كما تعاقبت به البُرُد، تترى كالبَرَد، تذكره عنك في الحضْرَةِ السَّنِيَّةِ وتعرض معه آيات ذلك الدفاع عن الوطن.

أنجوس: إنا موفدون اليك بما جاشَ في صدر مليكنا الجليل من الشكران، ومبشروكَ بأنّه بالَغٌ في إعلاء قدرك، فأزمعَ من غدٍ زيارة قصرك.

رس: ثم أمرني بأن ألقبك بلقب غطريف « كودور »، فأذن أيها البطل المغوار أن أحييك بتحية هذا المنصب الجديد.

بنكو: عجباً أيصدق الشيطان؟!

مكبث: إن غطريف « كودور » لحيّ فلماذا تلبسونني كساء غيري؟

أنجوس: كان حياً ولكن جاء الساعة نبأ قتله، فأضاع لقبه، وحياته كليهما، بحكم أوقعه عليه الملك لممالأته الأعداء على بلاده، وثبوت الخيانة الكبرى عليه.

مكبث: (منفرداً) بالأمس غطريف « جلاميس » واليوم غطريف « كودور » والآتي في الغد أعظم (مخاطباً رس وأنجلوس) أحمد المليك اليكما حمداً سواء لتنزله إلى زيارتي، وتفضله بالإنعام عليّ (مخاطباً بنكو) ألا تأمل أن يغدو بنوك ملوكاً وقد وعدهم بالتاج من تنبا لي بمنصب « كودور »؟!

بنكو: قد تحملك المغالاةُ في تصديق هذه النبوءات إلى ما وراء ولاية « كودور »، بل إلى التاج، ومن غريب ما تجيء به الأيام أحياناً، أنها تجعل كلمة الصدق على ألسنة الأرواح المدلهمة، فإذا أظفرتنا ببعض المآرب الجائزة الصغرى دفعتنا من جرائها إلى الجوائز الكبرى (مخاطباً رس وأنجوس) يا بني عمّي أسر اليكما بكلمة...

(يختلون).

مكبث: (منفرداً) نبوءتان تحققتا، فكانتا فاتحتين سارتين لمأساة جعلت خاتمتها أريكة الملك (مخاطباً رس وأنجوس) شكراً لكما أيها السيدان

(منفرداً) هذا النبأ الغيبي ليس بطالح، ولا هو بصالح، إذ لو كان صالحاً لما جاء صدقه في الأولى شبه ضمانٍ على أنه سيصدُقُ في الأخرى — أما أنا الآن غطريف « كودور » ؟ — ولو كان صالحاً فما بالي تخالجني أمنية يقف لهولها شعر رأسي، ويخفق من وَجَلِها قلبي خفوقاً يُقلِقُ الضلوع، لمشهد الشيء أقل إرهاباً مما يخلق الوهم، وإن فكري الذي لم تزل نية القتل فيه خيالاً مخيَّلاً ليثل مني عرش النُّهي ويزعزع في نفسي مملكة القوى حتى ليفل العزيمة، ويغلب الآمال على النشاط للأعمال، فإذا أنا والحاضر عدم، والمستقبل هو الوجود.

بنكو: أنظر ما عرا صاحبنا من الدهشة.

مكبث: إذا أراد الاتفاق أن يجعلني ملكاً ففي وُسْعِه أن يتوجني بلا مَسعاةٍ مني.

بنكو: إنه ليلبس هذه المفاخر الحديثة كما تلبس الحلة الجديدة، ولا بد من كرور أيام حتى تستقيم الحلة على قَوام لابسها.

مكبث: ليكن ما هو كائن. مهما تكفهر وجوه الليالي العصيبة، فإن الساعة لتجيء وإن الميقات لهو آت.

بنكو: سمعت من هذين النبيلين أن ملكنا « دنكان » لما عظُم اغتباطه ببلائك في أعدائه، واجتمع أركان الدولة حوله يهنئونه، قد منح كبير أنجاله « ملكولم » ولايةَ عهده، فأصبح « دوقاً لكمبرلن » فإليك أزف هذه البشرى.

مكبث: (منفرداً) سرعان ما قام هذا الحائل الجديد، دون وصولي إلى العرش (مخاطباً بنكو) أي فرح بهذا الخبر العظيم، ولنعم الفتى هذا الذي أصبح الأدنى إلى الأريكة، لا ينبغي لازدياد المصاعب أن تزيدني إلا مضاء عزيمة، أيتها الكواكب واري أنوارك، لئلا تنفُذَ أشعتهن إلى خفايا مقاصدي، ولئلا ترى العين ما تصنعه اليد. ثم لا يحل حائل دون إنزال ذلك الخطب، الذي تختلج العين فرقاً من رؤيته، سأكتب منذ هذه اللحظة إلى قرينتي بما كان من هذه النبوءة، فهي خير معوانٍ في الرأي والعمل.

بنكو: أي مكبث الشريف، نحن رهن إذنك.

مكبث: مثلكم من عذر. كنت أنقب في دماغي المضطرب عن بعض المنسيات. يا سيدَيَّ سأنقش ذكرى جميلكما في سجل أعيد عليه نظري

كل يوم. هلموا نَلق الملك. (إلى بنكو) تفكر فيما جرى حتى إذا نَضِجَ الرأي وجمعتنا فرصة سانحة تكاشفنا بما تُكنُّه القلوب.

بنكو: ذلك اليك.

مكبث: والآن حسبنا ما كان، تعالوْا يا أصدقائي.

(يتمدون)

المشهد الثاني

قصر أنفرس — لادي مكبث (تقرأ كتاباً)

لادي مكبث: لا أسأم قراءة هذا الكتاب: « لقيتُهن وأيقنت بعد اختبار أنهن صادقات، وأنهن يعلمن ما لا يعلم الناس، فلما استزدتهن بياناً توارين في الهواء، نبأنني أنني أكون غطريفاً « لكودور » فتمَّ لي ذلك على أثر اجتماعي بهن، إذ جاءني رسل الملك ببشرى هذا المنصب، وتنبأن أيضاً عن المستقبل فقلن لي: سلام يا من سيكون ملكاً، فلم أجد بُدّاً من إبلاغ هذين الأمرين إلى حليلتي المحبوبة قَسيمَة مجدي مخافة التباطؤ عنها بما لها من الحصة في المسرَّة العتيدة، وفي المنصَّة السنيَّة الموعودة، فإذا عرفتِ ذلك فاطويه في السريرة، وعليك السلام ». أنت غطريف « جلاميس وغطريف كودور »، وستكون ما ذكرت المتنبئات. غير أنني لا آمَن عليك طبعك، فإن فيه من لَبن الشفقة، ما يردك عن طلب غايتك. من أقوم طريق، تتمنى العلياء، وفيك مطمع، غير أنك فاقد المكر الذي يوصل إلى العلياء، مرمى نظرك بعيد إلا أنك تبغي إدراكه من أطهر المسالك، تأنف أن تستبيح ما حُرِّم من وسائل الالتماس، ولكن لا تأنف من كسب غير المحلل، قلبك مولع بالحصول على تلك النعمة التي تناديك: « هذا مأخذي فخذني ». بيد أنك تخشى مباشرة الفعل الذي يؤدي إلى ذلك الربح، ولو فعله غيرك

لما ساءك، فتعال لأفرغ في أذنك الحماسة، والشجاعة، تعال لأزيل بيأس لساني ضعف نفسك، وأبدِّد الوساوس الدنيئة، التي تعوق يدك عن غصب الإكليل الذهبي، الذي تريد المقادير إرادة ظاهرة أن تضعه على جبهتك.

(يدخل الخادم)

الخادم: مولاي مكبث.
لادي مكبث: أليس في موكب الملك؟
الخادم: قَدِمَ قبل الموكب ليكون في لقاء الملك حين وصوله، وقد جاء بهذا البلاغ غلام من أتباع مولاي. قتل دابته ركضاً ووصل لاهثاً منقطع النفس مبحوح الصوت.
لادي مكبث: انصرف وأحسن علاج الغلام، فإنه آت ببشرى.

(يخرج الخادم)

لادي مكبث: (مستمرة على انفراد) وهذا الغراب الذي يَنعبُ وينعقُ إيذاناً بحلول « دنكان » في فناء قصري، هو أيضاً مبحوح الصوت كذلك الغلام. إليَّ أيتها الأرواح التي توحي نيات القتل، جرِّديني من أنوثتي، أفعميني جفوة وقسوة من رأسي إلى قدمي، أقفلي في ضميري كل منفذ تنفذ منه الشفقة لا تأذني للرحمة أن تلطِّفَ شِرَّتي، أو تكفَّ يدي، حوِّلي في ثديي لبن المرضع إلى سم نقيع، أسعديني يا جنيات الهلاك، وافداتٍ من كل مكان تشهدن فيه بلاء وشراً. وأنت أيتها الليلة الليلاء، أرخي عليَّ من سدولك، وائتزري بكسفٍ من دخان السعير، حتى لا يرى خنجري المسنون موقعة من الطَّعين، وحتى لا تدعي لمتَطلِّع من الشعاع مسلكاً ينظر منه ما تحت غطاء السماء، فيرى أسرار جريمتي، ويصيح بي: مكانك مكانك.

(يدخل مكبث)

لادي مكبث: (مستمرة) أي جلاميس العظيم. أي « كودور النبيل »، أي صاحب اللقب الذي سيكون أكبر منهما، إن كتابك قد نقلني على أجنحة الآمال، إلى ما وراء الحاضر، ومحا الزمان إلا المستقبل.

مكبث: يا حبيبتي إن « دنكان » لآت.

لادي مكبث: ومتى يبرح؟

مكبث: يبرح غداً... هذا إزعامه.

لادي مكبث: لن ترى الشمس طلعة ذلك الغد، إن محياك يا مولاي لصحيفة نقرأ فيها بعض عظائم الأمور، غير أنه لا بد من مخادعة الناس بالتشبه بهم، فليصحب لحظك ولفظك وإيماءك إقبالٌ على الناس بالبشر، وإكرام الوفادة، ومتى ظهرت للناظرين بمنظر الزهرة الطاهرة، فكن الحيةَ المختبئة دونها، لنلق ضيفنا بنهاية الإجلال، ودع لي ما ينبغي فعله في هذه الليلة التي ستكون إلى آخر ليالي الدهر مبدأ تفردنا بالسيادة، والسعادة.

مكبث: أسمع البوق المؤذن بدنو المركب، سنعود إلى هذا الحديث، تحققي من حسن الاستعداد في البيت.

لادي مكبث: (وهي خارجة): من الخطر أن يتكلم الوجه. فليكتم جبينُك ما في قلبك، وأنا الكفيلة بالباقي.

مكبث: (منفرداً) لو أن العمل إذا تم مضى، ولم يعقب شيئاً لكان الخير في الإسراع، والخيرة في الواقع. لو أن جريمة القتل إذا اقترفت، لم يكن لنتائجها لفتة سوء إلى مقترفها، لكان الإفلاح في الإنفاذ. لو كانت ضربة القاتل لا تُعقِب أمراً في هذه الحياة الأولى، لما أغليت قيمة الحياة الأخرى. ولكن إزهاق الروح إنما هو من الجرائم التي يماشيها عقابها في الدنيا. فمن سفك دم غيره، عرض دمه للسفك، ومن دس سماً في كأس، قضى العدل عليه قضاء لا مرد له بأن يعيد الكأس إلى شفتيه. الرجل هنا يعصمه مني عاصمان، قرباه لي، وتبعيتي له، ثم هو ضيفي، ويتعين له عليَّ أن أقفل بابي في وجه من يبغيه بسوء، فكيف بي وأنا أطعنه بخنجري؟ على أن « دنكان » هذا قد قد تلطَّف في حكومته، واعتدل في سياسته، واستقام في سيرته، حتى أصبح لو امتدت اليه يد بأذى لوثَبتْ فضائله من مكانها، وثبة الأرواح العلوية من موطنها، تُنوِّه بذكره، وترتل بشكره وتثير نفوس القساة، والرحماء على قتلته الرجماء، بل لهبَّت الشفقة أشبه شيء بروح الطفل ساعة مولده، أو بأحد الملائك الممتطين جياداً غير منظورة وأبدت

للناظرين شناعة تلك الفعلة، فاستمطرت عيونهم من الدموع ما لو صادف ريحاً عاتية، لأهبطها تحت وابله، على أنه ليس لي من باعث على قضاء أمنيتي سوى مطمع وثب إلى السرج فجاوَزَه بقوة اندفاعه وهوى في الجانب الآخر.

(تعود لادي مكبث)

مكبث: (متمماً) أكل شيء على المرام؟

لادي مكبث: على ما يرام، ولم تبق إلا دقائق معدودات، حتى تحل تلك الركاب في هذه الرّحاب.

مكبث: يبدو لي أن نقف من هذه الرسالة عند هذا الحد، فلقد جاد الرجل عليَّ بمفاخر جديدة، لبستُها لبسةً بهيجة، أمام العالمين. ولا يهون على نفسي أن تعرى وشيكاً منها، بل يجدر بي أن أستمر على لبسها زمناً وهي في ونقها.

لادي مكبث: أكان سكران ذلك الأمل الذي داخلك حيناً، أم نام بعد ذلك، حتى إذا صحا بدا شاحباً كَمِداً، كأنه يشعر بصغره، دون عظم القصد الذي أقدم عليه؟ إن عقيدتي بعد الآن في حبك لا تزيد شيئاً عما اعتقدته في مضائك. أتخشى أن تسمو أفعالك إلى رتبة آمالك... أتريد أن تملك ما تعده زينة الحياة الدنيا، من غير أن ترقى في خاصة نفسك من مكانة الجبان، الذي يدفعه الأمل، ويمنعه الوجل، كذلك السنور الذي قيل إنه يحب الماء، ويكره البلل؟

مكبث: أرجو ألا تزيدي، أنا أجرأ على ما يليق بالرجل أن يعمله. فمن جرؤ على أكثر فليس برجل.

لادي مكبث: إن كان هذا كل أمرك، فما البلاهة التي حدتك على إبلاغي هذه النية؟ تلك نية حين عقدتها كنت رجلاً، فلو أنفذتها، وسما قدرك إلى أوج العلياء، لما ازددت إلا رجولية... منذ هنيهة لم تكن الفرصة، ولا الساعة بمُسعدتين لك على ما ابتغيت فأُقدمت على إيجادهما، لتحقيق إرْبتك، أما الآن وقد سنحتا بلا إبطاء فإن مشيئتك لَتهِي. لقد وضعت

فأوضعت، فعرفت كيف تحنو الأم على الطفل العالق بثديها. فوحقكَ لو عاهدتُ نفسي، على مثل ما عاهدت عليه نفسك، لانتزعت رضيعي عن نهدي إذ هو باسم يرنو إليّ، وهشمت رأسه قبل أن أحنث.
مكبث: لكن ما حالنا إذا لم نفلح.
لادي مكبث: كيف لا نفلح، شدّدْ عزمك إلى الشأو المطلوب ندرك يقيناً ما نشاء. متى ران الكرى على عيون « دنكان » أماله الإعياء من السفر فسأسقي حاجبيه من النبيذ الممزوج بالعقاقير فوق ما يطيقان، فيسكران سكراً يفقدان معه الذاكرة، حارسة العقل، فتتصاعد كالدخان، ويصبح رأس كل منهما كالإنبيق، فإذا ناما غريقين بالخمر نوماً شبيهاً بالموت، كان أيسر شيء علينا و « دنكان » في عزلته، وانفراده، أن نقضي عليه كما نهوى، ثم أن نترك على ضابطيه علَقاً من الدم يُثبت بلا ريب أنهما هما القاتلان.

مكبث: لا تلدي إلا صِبية ذكوراً، لأن الفطرة الجافية التي فُطرتِ عليها، لا ينبغي أن تنتج غير الفحول. إنا إذا فرغنا من تلطيخ ذينك الحاجبين بالدم واستخدمنا لمأربنا خنجريهما، فمن ذا يشك في أن تلك الجناية إنما هي من صنع أيديهما؟!
لادي مكبث: ومن ذا الذي يخطر على باله غير ذلك، حينما نجهر بالإعوال، ونجهش بالبكاء أسفاً على موت ذلك الفقيد؟!

(يسمع معزف)

مكبث: هذا هو المعزف المؤذن بوصول الملك. هلمَّ نتلقه بوجه صافٍ فإن خدع الظواهر هي خير ما تُخْبأ به مفاسد الضمائر، أما أنا فقد نويت فأمضيت، وسأعمل كل قوى جسدي، وقلبي، لتحقيق هذه الأمنية الرائعة.

(يتجه نحو الباب فإذا الملك يدخل)
(الملك. بنكو. لينوكس. دونلبان. ملكولم. رس. أنجوس. حشم).

الملك: لا تعجب من مفاجأتي، فقد نسيت شيخوختي، أو تناسيتها حيناً،

وأسرعت لأدرك اللادي مكبث وقرينها النبيل قبل أن يحملا مشقة السعي للترحيب بنا.

لادي مكبث: لقد تفضلتم يا مولاي نهاية التفضل، وما من مشقة نحملها في السعي لخدمة جلالتكم إلا نعدها راحة لنا، وغبطة. وحسبنا شرفاً وتيهاً على الزمان وأهله تشريفكم هذه الدار، بزيارتكم المنيفة.

الملك: كل إكرام يسيرٌ في جنب ما قام به « مكبث » من جلائل الأعمال لخدمتي وخدمة بلادي، بالصدق والأمانة (مخاطباً مكبث) يا ابن عم النبيل لقد عددت إبطائي عن مكافأتك تفريطاً شديداً مني في حقك، على أن ذلك الإبطاء إنما جاء من فرط إسراعك في متابعة النصر بالنصر فلم يتسنَّ للجزاء الجميل أن يلحق بك. ليكفك مني ان اقول: إن مالك علي من الدَّين الآن، لا يفي به كل ما على الأرض.

مكبث: الخدمة المؤداة بالولاء المحتوم، إنما تكون مكافأتها معها وما على جلالتكم إلا أن تسمحوا بقبول ما نقوم به من الواجب المقضي لعرشكم، وللحكومة. ومهما تعظم الأعمال التي تصدر منا، فإن هي إلا أدنى ما يجب إخلاصاً لكم، وتأييداً لمجدكم.

دنكان: حباً لك وكرامةً لقد غرستك، وسأتعهدك حتى تبلغ الغاية من النمو، أما أنت أيها الشريف « بنكو » ولا تقلُّ قدراً عن « مكبث » فإني أنوِّه بعالي صفاتك وأقبلك من قلبي.

بنكو: إن كانت لي محامد فهي من بذار فضلكم، واليكم حصادها.

دنكان: إن فرْطَ السرور ليوشك أن يبكينا. أيها الأبناء، والأهلون، والغطاريف الأقربون الينا، اعلموا أننا جعلنا منذ أمس كبير أنجالنا « ملكولم » ولياً لعهدنا، وإن آلاءنا عليه، وعلى كل من يستحقها منكم، ستملأ صدوركم بالكواكب، وآفاقكم بالأنوار (مخاطباً لادي مكبث) أيتها المضيفة الشريفة، إن الغرام ليكون في أكثر أمره عذاباً ولكننا نستعذبه لأنه هو الغرام، وإنما أذكر لك هذا، لأعلمك كيف تحمدين الله الينا على ما حمَّلناك من العناء والكلفة.

لادي مكبث: لو جعلنا خدمتنا لجلالتكم أضعافاً مضاعفة، لما كانت أدنى شيء بجانب الشرف العظيم، الذي أوقرتم به كواهل بيتنا، فإذا أضفنا إلى

هذا الفخر ما استجد من إحسانكم الينا بالألقاب الجديدة، لم تكف الأدعية كلها، لوفاء بعض ما لكم علينا.

الملك: ايتها السيدة النبيلة، إني لمليء بالسرور. إيذني بانصرافنا عنك هنيهة حتى لا يكون مني ومن هؤلاء السادة إسراف في وقتك النفيس.

(ينصرفون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

فناء داخلي في القصر

بنكو: أين نحن من الليل يا ولدي؟
فليانس: القمر غائب، ولم أسمع الواقتة.
بنكو: يغيب القمر في انتصاف الليل؟
فليانس: أظن أننا جاوزنا النصف.
بنكو: خذ. هذا سيفي ــ السماء تقتصد الليلة، فقد أطفأت مصابيحها ــ ران الكرى على عيني، كأنه الرصاص بثقله، على أنني غير راغب في الرقاد. أيتها القوى الرحيمية صدّي عني الوساوس السيئة التي تأذن بها الطبيعة فتمرُّ في خلال النوم.

(يدخل مكبث وخادم بيده مشعل)

بنكو: (متمماً) أعد إلي سيفي (مخاطباً مكبث) من هنا؟
مكبث: صديق.
بنكو: عجباً يا مولاي، أإلي الآن لم تضطجع؟! لقد هجعَ الملك وكان سروره فوق المألوف، أغدق النعم على رجالك جزاء ما أتقنوا من الخدمة،

وبعث بهذه الألماسة الى امرأتك ملقّباً إياها بأرقّ ألقاب ربات المنازل، ثم اختلى وبه من الابتهاج ما لا يُحد.

مكبث: لو لم نفاجأ بهذه الزيارة مفاجأةً رجحت التفريط على الإفراط فيما تدعونا اليه النفس، لما وقفنا عند حدّ دون القيام بالواجب.

بنكو: كل شيء جرى على أحسن ما يبتغي، أتوهم انني سأرى الأخوات المتنبئات في أحلام هذه الليلة. لقد صدَقتكَ بعضَ الخبر.

مكبث: صرفتهن من فكري لغير معاد، غير انها إذا عرضت ساعةٌ للتكلم في هذا الشأن وطاب لك ذلك فعلنا.

بنكو: الأمر اليك.

مكبث: فإذا توافقت مرامي نظرَينا عند سنوح الفرصة، كان ممن ذلك لك جاهٌ وتشريف.

بنكو: ما لم أنتقصْ شرفي من حيث أحسبني طالباً له المزيد، وما لم تَشُبْ شائبة عفافي وإيماني، فعندئذ أنتصح بنصحك.

مكبث: ليطب ليلك على هذا الرجاء.

بنكو: حمداً يا سيدي وليطب ليلك.

(يتوارى بنكو وفليانس وأحد الخادمين)

مكبث: (مخاطباً الخادم الآخر) اذهب فقل لسيدتك ان تقرع الجرس متى أعدّتْ لي شرابي، ثم اذهب إلى مرقدك (يخرج الخادم) أهذا خنجر يلوح لي متّجه المقبض نحو يدي. أنلني منك ما تنضم عليه الأنامل. تفر، ولكنني ما أنفك أراك، ألا يقع عليك اللمس كما يقع النظر، أم لست غير خنجر مخيَّل من وضع فكر ذاهل مخبَّل؟! على أنني أجدك ـــ ومنالك من كفي منال هذا الخنجر الذي أجرده الآن من قِرابه ـــ تمشى أمامي لتهديني سبيلي وتتمثل بين يدي أشبه بالخنجر الذي كنت عازماً على الطعن به. لعيناي بانفرادهما خير من جميع حواسي الأُخر. أو شدَّ ما هما مخدوعتان! إنك لنصب مقلتي لم تبرح، وإني لأتبين منك على الشفرة

والمقبض، قطرات دم، لم تكن عليهما منذ حين لا وجود لشيء من كل هذا، ولكن نية القتل هي التي تغشى نظري، بآية من سحرها. في هذه الساعة تهدأ الطبيعة في شطر من شطري هذه الكرة هدوء الموت، وينخدع النيام بأحلام سيئة، تخامرهم في مضاجعهم. في هذه الساعة تقدم الساحرات للهرة الصفراء الجنية هيكات قربان الظلام في هذه الساعة ينهض الاغتيال عاريَ الأشاجع، ضامر التجاليد، سامعاً عواء الذئب، والذئب حارسه، الذي يعين له صوته الميقات، ويعطيه الشّعار فيزحف منساباً صامت الخطى، زحف السلاب، ويسطو بفريسته ــ أنت أيتها الأرض الصلبة الوطيدة، لا تسمعي وقع قدمي، واجهلي الطريق التي يسلكانها مخافة ان تدل أحجارك على المكان الذي أذهب اليه بقعقعة ينفر منها السكوت الرهيب الذي هو أصلح شيء لمثل هذه الساعة. إلا أني أهدده، وإنه لحي لم يزل. لا شيء يبرد حرارة الفعال، كالإكثار من الأقوال (يسمع قرع الجرس) لنمض فيما نويناه. الجرس يدعوني. لا تسمعه يا « دنكان ». إنه للصوت المشيع الذي يصحبك، إما إلى النعيم، وإما إلى الجحيم.

(يتوارى).

المشهد الثاني

المكان نفسه ــ تدخل لادي مكبث

لادي مكبث: الذي أسكرهم شجعني، والذي أقعدهم أنهضني. أصغوا، أصغوا، هذا نعيب البوم. هذا نعيق الساحر المشؤوم، يُمسِّي نوام هذا الليل بالثُّبور والويل (تشير إلى مكبث) هو الآن يعمل عمله. الأبواب مفتحة. والعسس يغطون في سبات مكتظين إلى الحلوق بخمرة ثقُلَ ما مزجتها به من المذهل، فهم أحياء، وليسوا بأحياء.

مكبث: (من الداخل) هيا ــ من هنا.

لادي مكبث: ويحي! أخشى أن يفيقوا قبل أن يقضي الأمر، فنهلك لا محالة ــ سمعاً ــ جعلت خناجرهم بحيث يراها. لو لم أجده وهو نائم شبيهاً بأبي لطعنته بيدي.

(يحضر مكبث)

لادي مكبث: (متممة) زوجي؟

مكبث: قضي الأمر. ألم تسمعي صوتاً؟

لادي مكبث: سمعت البوم والصُرصُر. ألم تتكلم؟

مكبث: متى

لادي مكبث: منذ هنيهة.

مكبث: حين كنت نازلاً؟

لادي مكبث: نعم.

مكبث: أنصتي. من النائم في الغرفة الثانية؟

لادي مكبث: دونكان.

مكبث: (ناظراً يديه) هذا شيء قبيح الرؤية.

لادي مكبث: من الجنون ان تسمي هذا قبيحاً.

مكبث: ضحك أحد الحارسين في نومه وصاح الآخر يا للقتيل، فأيقظ كل منهما صاحبه، ثم غمغما دعاء واستغرقتهما سِنةُ النوم.

لادي مكبث: هما اثنان في الغرفة الواحدة.

مكبث: صاح أحدهما ليبارك الله فيك. وأجاب الآخر « آمين » كأنهما رأياني بهاتين الكفين الأثيمتين. أما أنا فقد سمعت ما أوحاه اليهما الخوف من الدعاء لي، ولم أجسر ان أجيب « آمين ».

لادي مكبث: لا تنظر الى المسألة من هذا الوجه السيء.

مكبث: لماذا لم أستطع ان اجيب « آمين » أحوج ما كنت الى البركة؟ أوشكت ان أفوه بها، فذابت بين شفتي قبل ان أتلفظ.

لادي مكبث: هذه الأمور ليست مما يُتوسَّم على هذه الصورة، وإلا أضيع فيها الرشد.

مكبث: خيِّل إليَّ أن صارخاً كان يصرخ بي: « لن تذوق المنام » إن مكبث قد قتل الرقاد... الرقاد البريء. محلل عقد الهموم، أجل الحياة اليومية، حمام المشقات الأليمة، بلسم القلوب الجريحة، أحد الينبوعين اللذين تصدر عنهما الطبيعة الكبرى أول غذاء في وليمة الحياة!

لادي مكبث: ما مرادك من هذا؟

مكبث: ثم استمر ذلك الصوت الذي ملأ البيت بأصدائه يصيح بي: « لن تنام يا قاتل الرقاد. جلاميس. كودور. مكبث لن تنام ».

لادي مكبث: من كان يصخب هذا الصخب أيها الغطريف الشريف؟ لم تكن حقيقاً بأن يصدُرَ عنك مثل هذه التخاريف الدالة على إصابة بالعقل. اذهب والتمس شيئاً من الماء تغسل به عنك آثار التهمة... لماذا لم تدع هذين الخنجرين في مكانهما؟ لا بد من بقائهما فيه فأعدْهما اليه، ولا تنسَ ان تشوب الحارسين النائمين بأعلاق من الدم.

مكبث: لن أرجع الى ذلك المكان. وإني لأصطك فرَقاً من غدرتي بالرجل، فما أجسر أن أراه بعد.

لادي مكبث: يا أيها الرجل الرعديد، أعطني الخنجرين. إن النائمين والموتى لأشبه بالصور المصورة. والشيطان المرسوم لا سلطان له إلا على عقول الأطفال. إذا كان دمه لا يزال ينزف لطخت به وجه الحارسين... إذ لا بد أن يظهر أن الجرم جرمهما

(تذهب ويسمع قرع بالباب الخارجي).

مكبث: لماذا يقرع الباب؟ ممَّ يتأتى؟ إن أدنى جلبة تخيفني (ينظر يديه) ما هاتان اليدان. آه إنهما لتُرهباني. ليس في وُسع البحار كلها ان تطهر كفي من هذا الدم، بل هما اللتان تخضبان بحمرة ما على تلك الخضمَّات الشاسعة من مسحة الخضرة

(تعود لادي مكبث).

لادي مكبث: هاتان يداي بلون يديك، لكنني أخجل ان يكون لي قلب هيَّاب كقلبك(يقرع الباب) أسمع قرْعاً بالباب الجنوبي. لنعدْ الى حجرتنا

وحسبنا شيء من الماء، لنغسل ما كان منا. أتبينت؟ ما أسهل الأمر، لقد زايلك ثباتك، وصدق عزمك (يقرع الباب) اسمع. مازال الباب يطرق، اذهب، والبس قميص النوم، فربما اضطررنا للظهور، وما ينبغي ان يلمح أحد أننا لشيء ما سهرنا آخر الليل. تحرَّك من جمودك ولا تستغرق هكذا في الكآبة والتفكير.

مكبث: أما من وسيلة لأنسى نفسي، وأنسى ذنبي (يطرق الباب) نبّه دنكان بقرعك المتوالي، ليته يستيقظ.

(يخرجان)

المشهد الثالث

المكان عينه

(يجيء البواب)

البواب: هكذا الطرْق وإلا فلا... أيُّما رجل وكِّلَ به باب جهنم، فإنه لكثير العمل بتقليب المفتاح، (يقرع الباب) دق. دق. دق. من الطارق باسم الشيطان « بعلزبول »؟ أمن المزارعين؟. حسن مجيئك، وإن ساء محصولك، هيىء ما استطعت من المناديل، فإنك ستعرق ههنا (يقرع الباب) دق. دق. دق. من أنت؟ باسم أيما إبليس آخر؟ أكزوستي من الأطهار الورعين المرائين بالدين؟ يتعلقون بإحدى الكفتين من ميزان الله لإعلاء الكفة الأخرى؟ وطالما ارتكبوا الخيانات، زاعمين أنها في سبيل الله. يخادعون ربهم، وإنما أنفسهم يخدعون، واها! ادخل يا سيدي أكزوستي (يقرع الباب) وذمتي إن هذا إلا خياط إنكليزي جاوَز الحدّ في الاقتصاص، فجيء به للقصاص، ادخل يا أيها الخياط وضع بطنك على النار (قرع) دق. دق. لا راحة البتة. من انت؟ هذا الفناء أبرد من ان يسمى بجهنم.

أبى الله بعد الآن أن أمكث ههنا. أبوّابُ الشيطان أنا؟ بل اريد ان أكون بحيث ألقى اناساً من كل جيل، وصناعة، ماشين بين المروج النضيرة، الى الزينة النارية السرمدية (قرع) أنا قادم. أنا قادم (يفتح الباب) متى بلغتم تلك الزينة فلا تنسوا هذا البواب.

(يدخل مكدف ولينوكس)

مكدف: كأني بك يا صاحبي قد أطلت السهر فلست بمبكر.

البواب: الحق يا مولاي أننا مكثنا نتعاطى الكؤوس إلى أن صاح الديك صياحه الثاني. والشرب يا مولاي له — كما لا يخفى عليكم — ثلاث آفات كبيرة.

مكدف: ما تلك الآفات الثلاث؟

البواب: سهل بيانها يا سيدي: حمرة المعطس، وغلبة النعاس، والحاجة إلى تصويب الرأي بكلام أحلى من إخراج الماء الملح من الجسم.

مكدف: أأفاق مولاك؟ أراه مقبلاً، وأحسب ان مطارقنا هي التي أيقظته.

(يدخل مكبث)

لينوكس: عم صباحاً أيها السيد الشريف.

مكبث: سلام أيها الصاحبان.

مكدف: أنهض الملك ايها السيد؟

مكبث: لم ينهض بعد.

مكدف: أمره ان ألقاه مبكراً، وأخشى أن أكون متأخراً.

مكبث: سأصحبك إلى مكانه.

مكدف: هذه مشقة تتحملها عن رضى لخدمة الملك. ولكنها مشقة.

مكبث: لا تعب فيما يسر، هذا هو الباب.

مكدف: سأتسامح في الدخول، دونك قضاء لواجبي

(يتوارى مكدف)

لينوكس: أيسافر الملك اليوم؟

مكبث: هذا ما ينوي (يصحح) ما نواه بالأمس.

لينوكس: الليلة كانت عصيبة، وقد قلبت العاصفة مواقد الغرف التي بتنا فيها، ويقال: إنه سمعت في الجو صيحات ألم، وصرخات موت، وجلبة مخيفة، اختلفت فيها الأصوات، وأنذرت بكوارث هائلة، وحوادث شديدة ملتبسة، ومستقبل حفيل بالفوادح، فما انقطع نعيب البوم مدة الظلام، وزعم بعضهم ان الأرض أخذتْ بِهزة حمى فزُلزلتْ.

مكبث: لشد ما ساءت هذه الليلة.

لينوكس: لا أذكر ــ وإن كنت في اقتبال الشباب ــ انني رأيت كأهوالها.

(يعود مكدف)

مكدف: يا للفظاعة! الفظاعة الفظاعة! يقصر الفكر عن تصورك، ويضيف الوصف عن الإحاطة بك.

مكبث ولينوكس: ماذا حدث؟

مكدف: هنا أتى شيطان الدماء بأشنع ما يقدر عليه. هنا استبيح أحرم الدماء، وحطمت أبواب الهيكل المقدس، فأُخرجت منه حياة السيد.

مكبث: أية حياة؟

لينوكس: أتتكلم عن جلالة الملك؟

مكدف: ادخلا الغرفة، واعميا بما تريان من الخطب الجلل، ثم لا تسألاني ان أنبس بلفظة، بل انظرا وتكلما أنتما.

(يذهب مكبث ولينوكس)

مكدف: (متمماً) قياماً. قياماً، ليقرع جرس الاستصراخ. اغتيال. خيانة. بنكو. دونلبان. ملكولم. هبوا من مضاجعكم. ألقوا عنكم ذلك الرقاد الهادىء الذي لا يحسن التشبه بالموت... وتعالوا انظروا الموت بعينه. نهوضاً. نهوضاً. اشهدوا يوماً يريكم كيف تكون خاتمة الدنيا ؟ ملكولم. بنكو. انبعثا من قبريكما، وادنوا دنوَّ الطيفين، لتتم بكما روعة هذه الرؤية.

(تجيء لادي مكبث)

لادي مكبث: ماذا جرى؟ لم هذا الاستصراخ الذي أيقظ كل نائم في البيت. تكلم. تكلم.

مكدف: أيتها السيدة الرقيقة، الذي أقوله لا ينبغي ان يصل إلى أذنك، لأنه نبأ لو سمعته امرأة لأودى بها.

(يدخل بنكو)

مكدف: (متمماً) أي بنكو. بنكو — قتل مولانا. ملكنا.

لادي مكبث: يا ويلتي. أفي دارنا؟

بنكو: هذا مصاب فادح أياً كان منزله، يا صديقي مكدف. أتوسل اليك ان تراجع نفسك، وتنفي ما ذكرت.

(يعود مكبث ولينوكس)

مكبث: ليتني مت قبل هذه الفاجعة، فأكون أسعدَ حالاً. إذ لم يبق بعد الآن شيء يعز في هذه الدنيا. بل كل ما فيها هزء، وسخرية. أودى المجد. أودت الفضيلة. ولم يمكث في كأس الحياة إلا ثُمالةٌ من صاب.

(يجيء ملكولم ودونلبان)

دونلبان: ما خطبكم؟

مكبث: ذلك خطبك خاصة وتجهله. ان الينبوع المستمدّ منه دمك قد جفّ، ولن يجري ماؤه أبد الآبدين.

مكدف: قتل أبوك الملك.

ملكولم: بيد من؟

لينوكس: الخادمان اللذان باتا في غرفته، هما قاتلاه على ما يظهر، فإن وجهيهما وأيديهما كانت ملطخة بالدماء، وكذلك خنجراهما اللذان وجدا بجانبهما، ولم يمسح العلق عنهما. وكانت عيونهما جاحظة، ولونهما شاحباً، ولا جرَم أنهما لم يكونا من الأناسيّ الذين يؤتمنون على حياة أيما إنسان.

مكبث: أوه إني نادم على بداري بقتلهما.

مكدف: ولمَ فعلت؟

مكبث: في مثل تلك اللحظة أيستطيع أحد أن يكون في آن حليماً ومستشاطاً، هادئاً وثائراً، مخلصاً وغير مكترث؟! كلا. غلب الحب على الرأي، فسبق العذل. نظرت ودنكان صريعٌ بجانبي يتدفق الدم ارجوانياً زاهراً من صدره، كأن جروحه النجلاء ثغور فتحت في معقل الحياة، فنفذ اليه منها التلف، والموت. ثم نظرت فإذا القاتلان في الجانب الآخر وخنجراهما نَدِيَّان بالدم الى قرابيهما. فمن الرجل الذي كان يستطيع التجلُّد وفي جسمه قلب يحب، وفي قلبه شجاعة تمكنه من تلبية ما يدعوها اليه الولاء؟

لادي مكبث: (متظاهرة بالإغماء) أقصوني عن هذا الموضع.

مكدف: أدركوها بالعناية.

ملكولم: علام نجمُ صامتين ونحن أولياء هذا الدم؟

دونلبان: ماذا عسانا ان نقول ههنا والموت كامن لنا، متهيء للوثوب بنا، بين اللحظة واللحظة؟ لنرحل. فإن دموعنا لم تنضجْ، فتتساقط.

ملكولم: أجل. ولم يحن تظاهرنا بشدة ما حاق بنا من الآلام.

بنكو: لتحمل لادي مكبث الى حيث تداوى.

(تحمل).

بنكو: (متمماً) متى لبسنا ملابسنا فاتقينا تأثير الجو فلنجتمع باحثين ونسبر غور هذه المكيدة السيئة. نحن بين المخاوف والريب، ولكنني فيما يعنيني أجعل نفسي تحت يد الله الواسعة القوية مستمداً عونها لمتابعة الخونة، أية كانت النيات التي تخالج ضمائرهم.

مكبث: أعاهدك على هذا.

الجميع: وإنا لمعاهدون (يخرجون إلا ملكولم ودونلبان).

ملكولم: علام انت عازم؟ نحن لا ينبغي لنا الاشتراك مع هؤلاء لأن المداجاة بالحزن مشقة على النفس، سأمضي إلى إنجلترة.

دونلبان: وأنا إلى أرلندة، على ان افتراقنا أصونُ لنا. هنا تسطع الخناجر تحت البسمات... هنا أقرب الناس الينا بصلة الرحم هم أشد الناس علينا خطراً.

ملكولم: السهم المصمى لا يزال منطلقاً في الجو، فلا نستهدف لوقعه

لنركب جوادينا من غير توديع. ولنفرّ بلا مهل. فإن الهزيمة حيثما امتنعت الرحمة رأي وغنيمة.

(يخرجان)

(يدخل رس)

رس: لقد تواريا كأنهما مريبان، أصدق المرتابون فيهما! يا للعجب! لم ير أطعن الشيوخ في السن ليلة عصيبة كهذه الليلة فكأن الطبيعة تنتقم من الأرض التي حدثت فوقها تلك الجريمة. رأيت بعيني جياد ذلك الملك المسكين وهي خيرة الجياد تستوحش، وتتناهش، كأنها جزعة، حزينة، غاضبة على الناس.

(يدخل مكدف)

رس: إيهاً مولاي. هل عرف الذي جنى تلك الجناية؟

مكدف: أتسأل عن الذين قتلهم مكبث؟

رس: ويح القاتلين! ماذا كانوا يرجون؟

مكدف: غرتهم الرشوة. لقد توارى ملكولم ودونلبان، نجلا الملك فوقعت التهمة عليهما.

رس: أليس مما ينفر الفطرة ان يعتدي الإنسان على مصدر حياته وإلى من يقع التاج إذن يا مولاي؟

مكدف: لقد وقع إلى « مكبث » منذ الساعة، وعين يوم تتويجه في « سكونا » قبل ان يعين الوقت لدفن الملك الفقيد.

رس: أتشهد يوم التتويج في « سكونا »؟

مكدف: بل سأذهب إلى قصري بفايف. وزعمي بل خشيتي ان تكون الثياب الجديدة، أقل ملاءمة لأجسامنا من الثياب العتيقة.

(يذهبان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

فوريس ــ قسم من القصر

(يدخل بنكو)

بنكو: لقد أصبحت الآن ملكاً بعد ظفرك بمنصبَيْ « كودور » و « جلاميس » فتمّ لك كل ما ذكرته الأخوات المتنبئات، بيد أنني أخشى ان تكون قد بلغت الى هذا المقام على يد الكيد والإجرام. على أنهن ذكرن أن التاج لا ينتقل الى ذريتك. بل الى سلسلة طويلة من نسلي. فأما وقد صدقن في جانبك ــ على ما رأينا ــ فكيف لا يصدقن في جانبي؟ ولِمَ لا يسوغ لي ان أرجوَ خير ما يرجى؟
(يسمع بوق) صه إنه آت.

(يدخل مكبث ملكاً. لادي مكبث ملكة. لينوكس. رس. نسوة. أعيان. حشم)

مكبث: هذا أجلُّ ضيوفنا الليلة.
لادي مكبث: لو نسيناه لأصيب اجتماعنا بنقص يؤسف له.
مكبث: الليلة أيها السيد نَأدِبُ مأدبةً حفيلة، ونبتغي لها حضورك.

بنكو: لك الأمر يا مولاي. وعليَّ لك الطاعة الدائمة لما بيننا من الرابطة التي لا تنحلّ مدى الدهر.

مكبث: أعازم على ركوب الخيل في هذا الأصيل؟

بنكو: أجل يا مولاي.

مكبث: لو لم يكن هذا عزمك، لسألناك ان تشهد مجلساً سنعقده بعد الظهر، وتسعدنا فيه بصائب رأيك، غير اننا سنعود الى هذا الشأن غداً، أتطيل المدة خارجاً؟

بنكو: سأبقى الى العشاء.

مكبث: لا تتغيب عن وليمتنا.

بنكو: معاذ الله.

مكبث: نمى الينا ان ابني عمنا الفتاكين قد لجأ أحدهما الى انجلترة والآخر الى إرلندة، وأنهما ينكران ما جنيناه على أبيهما، ويزعمان في الاتهام مزاعم غريبة، مما سأبسطه لك غداً. وأبسط غيره من الشؤون الخطيرة التي توجب اهتمامي، واهتمامنا جميعاً. امتطِ جوادك. أستودعك الله. الى هذا المساء. أيصحبك فلينيس؟

بنكو: أجل يا مولاي. هذه ساعة مسيرنا.

مكبث: أدعو لمهريكما بالخفّة، وسلامة الخطى.. فاذهبا مؤكولَين لسرعتهما، ودماثتهما

(يخرج بنكو).

مكبث: (متمماً) لكل منكم ان يتصرف في وقته كما يشاء الى الساعة السابعة مساء، حتى إذا ما لقيناكم بعد خلوة نخلوها، الى تلك الساعة، تضاعف ائتناسنا. الله معكم.

(يخرجون إلا مكبث وخادماً)

مكبث: (للخادم) هزأة. أين الرجلان؟

الخادم: ينتظران بباب القصر.

مكبث: جئني بهما.

(يخرج الخادم).

مكبث: (مستمراً) ليست العبرة في ان تكون ملكاً، بل العبرة في ان تكون آمناً. أخشى بنكو أشد خشية، فإن به من شارة الإمارة ما يجعله مهيباً رهيباً. عنده جرأة لا تقف لدى حد، مع حكمة تهدي سبيله، وتُنجح مساعيه وهو الرجل الفرد الذي أتقي بقاءه، وأشعر أن عقلي يتضاءل لدى عبقريته. كما كان قديماً « مارك انطوان » يتضاءل تجاه « قيصر ». فاجأ الساحرات بأسئلته حين بشرنني بالملك، وأمرهن بالإجابة. فعندئذٍ بشّرنه بمصير الملك الى سلسلة طويلة من أعقابه. وهكذا جعل التاج الذي على رأسي عقيماً، والصولجان الذي بيدي هشيماً، ستنتقل الصولة غصباً من مقبضي، ولن يخلفني ولد من صلبي، فلئن صحَّ ذلك فلأجل أبناء « بنكو » أكون قد دنست نفسي، ولأجلهم قتلت « دنكان » الرحيم، ولأجلهم خاصة سممت بالحقد كأس راحتي. أجل، ولأجل أن أجعل اولئك ملوكاً الآن قد دفعت نفسي الخالدة الى عدو الله.. أأبناء بنكو يكونون ملوكاً؟! لأسهلُ من تحقق ذلك ان تتنزل أيها القدر فتواقفني في ميدان النزال، وتقاتلني الى الاستبسال...

(يعود الخادم لاحقاً به قاتلان)

مكبث: (مستمراً) من هنا. الزم الباب حتى أدعوك.

(يخرج الخادم)

مكبث: (مستمراً) أليس أمس اليوم الذي التقينا فيه.

الأول منهما: بلى يا مولاي.

مكبث: هـ. هـ. أفكرتما فيما قلته لكما؟ اعلما انه هو السبب لشقائكما، لا أنا، كما كنتما تدّعيان... وأظنني بيَّنت لكما في حديثنا الآنف كيف خدعتما، وما العقبات التي أُقيمت في سبيلكما، والوسائل التي توسل بها لإيذائكما، وأية يد هي اليد التي مدّت تلك الحبائل لإيقاعكما فيها... والخلاصة انني أبلغتكما كل ما كان ينبغي ان تعلماه ليقول الواحد منكما

ـــ ولو كان قصير النظر أو بنصف عقل ـــ: ذلك صنيع بنكو.

الأول: أبلغتنا كل ذلك.

مكبث: لا جرَم. ثم فعلت ما هو أعظم: نظرت الى المسألة من وجه آخر، هو الوجه الذي سيدور عليه حديثنا هذا، هل تريان أن عندكما من الجلَد ما يفوق جميع تلك البلايا؟ هل انتما إنجيليان الى حد ان تدعوَا بالخير لذلك التقي الورع ونسله من بعده؟ عنيت ذلك الرجل الذي ثقلت يده الجافية عليكما وعلى أولادكما، فأمالت رؤوسكم نحو القبر وقضت عليكم بالتعس الأبيد؟

الأول: مولاي، إنما نحن بشر.

مكبث: أجل. انتم معدودون بشراً في الجدول العام للانسانية. إن للكلاب على اختلاف فصائلها، وأسمائها، جدولاً عاماً هي مدرجةٌ فيه. ولكن لما كان منها ما هو للصيد، ومنها ما هو للسباحة، ومنها ما هو للحراسة، ومنها ما هو للزينة، كان لكل منها نعت خاص بجانب اسمه للدلالة على مزيّته، فتتفرق به أقدارها، وتختلف أثمانها، وهكذا البشر. فإذا كنتما من جدول الإنسانية في غير المكان الأخير فأبلغاني ذلك، فأكلَ بكما تحقيق عزمٍ إذا أنفذتماه أنجاكما من عدو، وأولاكما منزلة في مودّتنا، ورعايتنا.. ذلك أننا نحن أيضاً نبغضه، كما تبغضانه. ونعدّ حياته لنا علة، ووفاته لنا صحة.

الثاني: مولاي إن هذا الماثل بين يديك (يشير إلى نفسه) لَرجلٌ استفزته سخريات الناس، وأحفظته إساءاتهم، فإذا تسنى له الانتقام منهم ، لم يعقه عائق.

الأول: وأنا قد أخنت عليَّ الرزايا، وأضنتني متاعب الكفاح والفشل.. فأصبحت راضياً بهذْر دمي هدر المقامرة أو أصيب مغنماً كبيراً.

مكبث: تعلمان كلاكما أن « بنكو » جهر بعداوتكما.

الثاني: نعم يا مولاي.

مكبث: وقد جهر بعداوتي أيضاً، فالتقاطع بيننا في الحد الذي أرى معه أن كل دقيقة يعيشها. كطعنة خنجر في قلب حياتي.. نعم إنني لو شهرت عليه السلاح لأزلته مصارحة، ولا جناح علي، لكنني أرعى فريقاً من أصدقائه، هم كذلك أصدقائي، وأرغب في استبقاء مودتهم، فلهذا أجدني مضطراً

إلى إزهاق روحه بصورة أخرى، مع التظاهر بأنني عليه أسيف، ولهذا أجدني مضطراً إلى ابتغاء مساعدتكما، حتى لا يبدو للجمهور من غرضي ما تقضي بإخفائه أسباب أيّدات.

الثاني: مولاي إنا لممتثلان.

الأول: ولو جازفنا بعمرينا.

مكبث: أرى الحماسة بادية على وجهيكما. وبعد قليل سأعين لكما المكان والميقات. إذ لا بد أن يقضي هذه الأمر الليلة، وعلى مسافة قريبة من القصر. وأذكر خصوصاً أنه لا ينبغي للشبهة أن تحوم حول اسمي في هذه الواقعة. ثم لأجل أن تعملا عملكما بتمامه، لا تنسيا أن تغتالا نجله « فلينيس » المرافق له، إذ أن هلاكه يُهمني كما يهمني هلاك أبيه. اذهبا وتشاوَرا قليلاً، حتى ألحق بكما.

القاتلان: إنا رهن إشارتك يا مولانا.

مكبث: تقدماني هنيهة وسأسِرُّ اليكما أمري ــ عقد أمضيناه ــ بنكو إذا كانت روحك ذاهبةً إلى السماء، ففي هذه الليلة مطارُها

(يخرجان ويدخل الخادم).

الخادم: مولاتي الملكة تبتغي لقاء جلالتكم.

مكبث: إني في انتظارها (يخرج الخادم) لست وحدي المضطرب، إن قرينتي مع تظاهرها لي بالشجاعة لا تفتأ تقول: إن من أضيع العناء حصولَ المرء على مطلوبه إذا نغص دون التمتع به، ففي مثل هذه الحال يكون حظ القتيل خيراً من حظ القاتلين.

(تدخل لادي مكبث).

لادي مكبث: إيهاً يا زوجي، ما بالك منفرداً، مقطباً، لا تصحبك إلا الوساوس السوداء، التي كانت أجدر بأن تزول لزوال مسببها؟ كل شيء عصى الدواء، غير حقيق بأن يفكر فيه. وما كان فقد كان.

مكبث: جرحنا الثعبان ولم نقتله، فهو سيشفى، ويستعيد قواه، وسنبقى متعرضين للسعاته! ألا إنه لأيسر أن يختل نظام العالم وأن يتلاشى الخافقان

من استمرارنا على أكل خبزنا في المخاوف والتماس رقادنا بين تباريح الأحلام المخيفة تقلقنا كل ليلة! ألا إنه لخير لنا أن نلحق بالذين أرسلناهم إلى سكينة الأبد تمهيداً لوصولنا إلى هذه العلياء، من أن نظل نَهْباً مقسماً بين آلام النفس!! استقر دنكان في ضريحه، وزالت عنه حمى الحياة، فهو في سبات. وقد أمن الغدر والخيانة، أمِن الخنجر، والسم، والمؤامرات الداخلية، وغارات الأجانب، فلا شيء من كل أولئك يقدر على إزعاجه بعد الآن...

لادي مكبث: دع يا صديقي هذه الهموم. واقشع عن جبينك هذه الغيوم، لتتلقى ضيوفك بعد حين بما يسرهم ويُقرُّهم.

مكبث: سأفعل يا غرامي. وأنت كوني كذلك. أضرع اليك ثم بالغي في إكرام « بنكو » لفظاً ولحظاً. إننا لن نبلغ الطمأنينة ما دمنا في حاجة الى غسل فعلينا بمياه العبودية، والى كتمان سرائرنا حتى لنغدو وما وجوهنا الا صور مستعارة لقلوبنا.

لادي مكبث: اصرف هذه الأوهام.

مكبث: أي قرينتي المحبوبة، ان نفسي لملأى بالعقارب، وتعلمين أن بنكو وابنه فلينيس لا يزالان حيين.

لادي مكبث: لكنهما ليسا بخالدين.

مكبث: لا، وهو ما أتسلى به في بُرَحائي، ليسا بمنجاة من الموت، فابتهجي غاية الابتهاج. ليحدثن أمر عظيم، قبل أن يطير الخفاش، وقبل أن تموء الهرة السوداء فيبسط الجُعَلُ أجنحته الصدفية ويدوي دويه المؤذن بحلول الظلام.

لادي مكبث: ما الذي سيكون؟

مكبث: أيتها العزيزة لا ينبغي أن تعلم طهارتك بما هو منوى الى أن تصفقي سروراً بما قد جرى. هلم أيها الليل المدلهم، أرخ سدولك على النهار الشفيق، وأغمض نظراته المتلطفة. ثم تناول بيدك الخفية الدامية، ذلك الصك الذي طبع الاصفرار على جبهتي، ومزقه تمزيقاً. لقد كمد النور، وهب الغراب ناحياً نحو القبة السماوية الممتدة فوق الغابات سكن النهرون الأبرياء يميد برؤوسهم النعاس، ونهض الأثمة من حلفاء الدجى، يلتمسون فرائسهم.

ان كلامي ليدهشك فلماذا أبطيء عليك في البلاغ. سيقتل الليلة بنكو وابنه. ذلك كان أمراً مقضياً. ولا يؤيد الشر مثلُ الشر. هلمي من هذا المكان فقد أوشك الضيوف أن يسبقونا.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(ردهة من السراي. مائدة معدّة. يدخل مكبث.
لادي مكبث. رس. لينوكس. أشراف آخرون. خدم)

مكبث: تعرفون المقاعد التي تعينها لكم رُتبكم فاجلسوا على السعة.
الأشراف: شكراً لجلالتكم.
مكبث: سنختلط بالجمع كواحد منهم، أما ربة الدار فتلزم كرسيها الأعلى حتى يحين الوقت الملائم، فنلتمس منها الترحيب بنا.
لادي مكبث: كن نائباً عني في إبلاغ أصدقائنا أنني قائلة لهم من قلبي: أهلاً وسهلاً

(يظهر القاتل الأول من باب الردهة).

مكبث: يبدو على وجوههم الوضيئة أنهم يشكرون لكِ هذه المكرُمة من قلوبهم. إن العدد متساوٍ في الجانبين. سأجعل مجلسي في الوسط. امنعوا الكلفة وانطلقوا في الابتهاج. بعد هنيهة سنشرب نخبنا دفعة واحدة (متقدماً نحو الباب) على وجهك دم.
القاتل: فلا جرم انه دم بنكو.
مكبث: اوثر ان يكون على وجهك من ان يكون في عروقه. أَمَضى لسبيله؟
القاتل: نُحر نحراً يا مولاي. وأنا الذي قضى له أمره.
مكبث: انت نابغة الناحرين. ولكن لا يقلّ عنك نبوغاً ذلك الذي دقّ

رقبة فلينيس. آأنت هو؟
القاتل: مولاي، فلينيس قد فرّ.
مكبث: عاودتني النوبة، ولولاها لكان كل شيء على مرامي، وكنت مليئاً كالرخام.. متيناً كالجلمود.. طليقاً كالهواء الذي يحيط بالعالم. أما الآن فإنني منضغط، مغلّل، سجين، مصبور. تتداولني الوساوس والمخاوف التي لا ترحم. ولكن بنكو في موضع أمين؟!
القاتل: أجل يا سيدي الجواد، في قعر حفيرة، وبهامته المعلقة عشرون من الطعنات، التي أيسرها مميت.
مكبث: شكراً عن هذا.. هلك الصِّلُّ الكبير. أما الصغير فقد انهزم، وبه من الرمق ما يخرج السم فيما بعد. لكنه الآن لا أسنان له. اذهب، سنستأنف الكلام غداً.

(يخرج القاتل)

لادي مكبث: مولاي الملك، لم تُبدِ لضيوفك علامة البِشر فيبشروا. وإن مأدبةً لا يجامل فيها المدعوون مجاملة مكررة يستشفون منها سماحةَ أهل البيت وطيبَ أنفسهم عما قدموا، لمأدبةٌ يتقاضى ثمنها، وخيرٌ منها إذن ان يأكل كل امرىءٍ في بيته. بَلْهَ أن لطف المحاضرة أشهى ما يصلح به الطعام. وإن كل اجتماع بلا مؤانسة، موحش كالقفر.
مكبث: أيتها المشيرة الرقيقة، هنيئاً مريئاً للآكلين، والشاربين.
لينوكس: يحسن لدى جلالتكم ان تجلسوا.
مكبث: لولا غياب ضيفنا الرقيق « بنكو » لأظلت دارنا الآن جميع مفاخر الوطن، فعساي ان أعتب عليه التقصير، وألا أساء فيه بمكروه

(يحضر طيف بنكو ويجلس).

رس: في غيابه يا مولاي تفنيد لميعاده. أيتفضل جلالتكم بمجالستنا؟
مكبث: المائدة مكتملة.
لينوكس: هذا مقعد معد لجلالتكم.

مكبث: أين؟

لينوكس: هنا يا سيدي الكريم. ما الشيء الذي يشغل جلالتكم؟

مكبث: من منكم فعل هذا؟

الأشراف: أي شيء أيها السيد الجواد؟

مكبث: (للطيف) ليس لك ان تزعم انني انا الذي فعل هذه الفعلة لا تهزُزْ إلي ضفائرك الدامية.

رس: وقوفاً يا سادتي. ان جلالته لموعوك.

لادي مكبث: البثوا قعوداً ايها الأصدقاء النبلاء.. يغلب لمولاي ان يكون هكذا، وهي آفته منذ نعومة أظفاره. ارجو ان تلزموا أمكنتكم، عرَض قريب الزوال وما يكون الا كلمح الطرف، حتى يتنبه، فإذا حدجتموه بأبصاركم، فقد تستفزونه وقد تزيدونه ألماً. كلوا ولا تنظروا اليه... انت رجل؟

مكبث: نعم رجل شجاع يجرؤ على التحديق فيما قد يخيف الشيطان.

لادي مكبث: طفولة ـــ هذا ايضاً وهم من مولِّدات خشيتك، وما أشبهه بالخنجر الهوائي الذي زعمت انه كان يهديك الى مكان دنكان. أُفّ لهذه الإرتعادات والاهتزازات التي تتشبه سخرية بالمخاوف الصحيحة، والتي هي أليق بحديث العجائز المستدفئات في ليالي الشتاء. ذلك هو الخجل بعينه، علام هذه الحركات الهزئية، وما تقع عليه عيناك انما هو كرسي؟!

مكبث: أبتهل اليك ان تلتفتي الى هذه الجهة... انظري... حدّقي... كيف تقولين؟ ماذا يهمني في نهاية الأمر؟ (للطيف) إذا كنت قادراً على تحريك رأسك فعلامَ لا تتكلم. أوه، لئن كانت المدافن والأضرحة تطلق الذين نودعهم في بطونها هكذا فحبذا لو أودعناهم في بطون الرَّخم والشواهين

(يتوارى الشبح).

لادي مكبث: أفجرَّدك الجنون من كل رشدك؟

مكبث: بحق ما أنا هنا: رأيته.

لادي مكبث: واخجلتا.

مكبث: ليست هذه أول مرة سفك فيها الدم... بل سلف هدْره في الأزمنة المتقدمة قبل ان توضع القوانين الشديدة، فتدفع بعض النّاس عن بعض.

واتفق بعد ذلك ان أُريقت المهج في حوادث جمّة هي أفظع من ان تفصل، ثم وافى حين من الدهر كانت الجمجمة، إذا خلت من الدماغ فقد ماتت، وانتهى كل شيء، أما اليوم فيقع الصريع وفي هامته عشرون جرحاً ثخيناً، ثم يبعث ميتاً ويتهجم على كرسينا، فيطردنا منه. غرابة، وأية غرابة! ليس القتل بأعجب منها.

لادي مكبث: يا زوجي الجليل، إن أصدقاءك الأمجاد لفي انتظارك.

مكبث: كنت ناسياً. لا تعجبوا يا أصفيائي، إني مصاب بآفة مزمنة ليست بشيء لدى الذين يعرفونني، صحةً وصفاء لكم. سأجلس. أعطوني خمراً... املأوا كأسي الى حافاتها. أشرب سروراً بالضيوف الكرام

(يبدو الشبح).

مكبث: (متمماً) وخصوصاً حبيبنا بنكو الذي نأسى لتغيبه. ليته حضر. هذا نخبه ونخبكم، هناء وسروراً للجميع.

المدعوون: بالتبجيل والتعظيم نشارك جلالتكم في الدعاء.

مكبث: (وقد رأى الشبح) وراءك. تحجب عن نظري. لتخفك الأرض. أعوادك لا ماء فيها. دمك بارد. لا حياة في العينين الزجاجيتين اللتين ترميني بهما.

لادي مكبث: أيها الأعيان الأشراف. لا يخامركم من هذا سوى أنه وعك مألوف يصيب الملك.. لا شيء غير الوعك. إنما يثير شجني طروء ذلك العرَض في خلال المأدبة، وتكديره لصفائها.

مكبث: كل ما يجرؤ عليه أجرؤ عليه. ادنُ مني. وكن دُبّاً هائلاً، أو تمساحاً غائلاً، أو نمراً وثاباً، بل تشكل بأي شكل آخر، وبالغ في الروع، لا تضطرب قدماي لرؤيتك، بل انبعثْ حياً، وادعُني الى البراز في قفر، فلئن اتقيتك وتجنّبتك فلا تعتد بي بعد ذلك بأكثر مما يعتد بألعوبة الطفلة الصغيرة، وراء أيها الشبح الرائع، وراء أيها الطيف المخيل

(يتوارى الشبح)

مكبث: (متمماً) نفس كربي منذ يفارق هذا المكان. أيرجع رجلاً؟ (إلى

الضيوف) أرجو ان تجلسوا.
لادي مكبث: نفرتَ الأنس عنا، وشوّشت تشويشاً غريباً على هذا الاجتماع.
مكبث: أفي الوسع ان تظهر أمثال هذه الأشياء فلا نرمق كما يرمق السحاب المتقشع؟ إني لأستريب في شجاعتي، حين أراكم قادرين على رؤية مناظر كهذه، من غير أن تمتقع وجوهكم، كما امتقع وجهي.
رس: أيّ المناظر تعني جلالتك؟
لادي مكبث: أضرع اليكم ألا تخاطبوه، لئلا تشتد عليه وطأة العلة. الأسئلة تهتاجه الى ما وراء الظن. أستودعكم الله. اخرجوا جماعةً وبلا نظام.
لينوكس: طاب ليلكم وعافى الله الملك.

(يخرجون عدا مكبث ولادي مكبث)

مكبث: يطلب دماً، ويقال: إن الدم يتقاضى الدم. شوهدت حجارةٌ تتحرك، وأشجار تتكلم. سمعت إلهامات مبنية على الأسباب والمسببات تنطق على ألسنة الغربان والحدآت والهامات، بائحةً بسرّ القاتل أياً كان موئله أو معقله.. في أي هزيع نحن من الليل؟
لادي مكبث: في معترك الظلام والفجر.
مكبث: ماذا تقولين في امتناع « مكدف » من تلبية دعوتنا؟
لادي مكبث: أسيَّرْتَ اليه رسولاً؟
مكبث: لا. ولكنني سمعت من غير مُزود. فما من بيت بين بيوتاتهم إلا ولي فيه عين ومسمع. سأذهب من بكرة للقاء الأخوات المتنبئات وأستخيرهن. فلا بد لي من الاطلاع على أسوأ شيء يجوز ان أتوقعه. لقد تماديت في غمر الدماء المهراقة حتى لو أردت النكوص على أعقابي، لكانت مشقة العود الى الشاطىء الذي شخصت منه كمشقة السير الى الشاطىء الثاني. تجول في رأسي أمانٍ، سيناط تحقيقها بيدي. فلأمضينها وشيكاً قبل عرْضها على الرأي. لا مندوحة من قتل « مكدف » وإعداد العدة لإرهاب ملك إنجلترة منعاً له من تسيير جيش الينا كما يزعمون، تحت قيادة « نورثمبرلن »، و « سيورد »، لإمداد العصاة وغصب الصولجان منا. قال مكدف حين جاءته

دعوتي: « أما أنا فلا » فلأخرسنَّه أبدَ الدهر بعد هذا الجواب. بل لأدفن كلَّ حقود مكابر.

لادي مكبث: ما أحوجك الى الرقاد، الى ذلك البلسم الذي تُستعاض به مفقودات القوى.

مكبث: لنلتمس الراحة. ليس الاضطراب الغريب الذي استحوذ عليّ، وهتَكَ مستودع سرّي، إلا نتيجةً من حداثة عهدنا بالشر وعدَم تصلُّبنا في مراسه. إنا لم نزل فتيّين في الإجرام.

الفصل الرابع

المشهد الأول

مغارة مظلمة فيها مرجل يغلي

الثانية: لنُبردْ ما غلى مغموساً في دم قرْد يتمكن السحر.

(تدخل الجنية هيكات ومعها ثلاث ساحرات أُخريات)

هيكات: هذا عملٌ صالح يوجب لكُنَّ المديح، ويقضي لكل منكن بحظ من الربح. بقي ان نرقص دورة الجان، والسعالى ليستوفي السحر تأثيره في جميع الأشياء التي بالمرجل.

(الساحرات ينشدن)

أيها الأرواح من بيض وحمرِ   أيها الأرواح من سود وسمرِ
مازجي ما يصطلى في شر قِدْرِ   واملأي أجزاءه آياتِ سحرِ

الثانية: يُشعرني حُكاكُ إصبعي بإنسان لعين يدنو. ايتها الأبواب انفتحي لأول طارق

(يدخل مكبث).

مكبث: ايتها المدلجاتُ المدلهماتُ، ماذا أنتن فاعلات؟

الساحرات: ما لا يسمَّى.
مكبث: ناشدتكن علمكن ايّاً كان مصدره إلا ما رددتن على أسئلتي. أجبنني ولا تكترثن. لو ان الرياحَ انطلقت فمضت هدارة، تزعزع الكنائس، او البحر طغى مزبداً فوق جميع السفن التي تمخُر عبابه، او الإعصار اندفع يحطم السنابل، ويقصف الأشجار، أو الصروح تهدمت على رؤوس حراسها، او القصور المشيدة، والأهرامِ الوطيدة تقوضت، وأصبح عاليها سافلها.. او الجراثيم التي تصدر عنها كلُّ مولدات الطبيعة، اختلطت في مكمنها، فعمَّ البوار، وانتشر التخريب إلى ان ينفذَ مجهود الدمار، فيسقط هو نفسه من الإعياء... فأجبنني.
الأولى: تكلم.
الثانية: سل.
الثالثة: سنجيب.
الأولى: او تريد ان تسمع الجواب منا، ام من أفواه سادتنا.
مكبث: استدعينهم فأراهم.
الأولى: لتفرغْ في النار دم خنزيرة افترست صغارها التسعة، ولتُضفْ اليه شحماً مما دُهن به صليب قاتل.

(ينشدان جميعاً):

أيهـــا الطيـــف الــــذي بالــــ ـــحـــجب الســـود استتـــر
إن تكـــــن ذا قـــــدرة أو لا تصعَّــــد مــــن سقــــرْ

(يسمع رعد ويبدو رأس بخوذة)

مكبث: أيتها القدرة الخفية تكلمي.
الساحرة الأولى: إنها تعلم نجوى ضميرك فأصغ اليها صامتاً.
الرؤيا: مكبث. مكبث. اتقِ مكدف. اخشَ سيد فايف. دعني أنصرف. كفى...

(تختفي الرؤيا في جوف الأرض)

مكبث: أياً كنت فاني لأشكر لك ما محضتني من النصيحة، فقد لمست بها موضع خوفي ولكن سأستزيدك كلمة.
الأولى: لن يستمع لك.. هذا طائف غيره وهو أقدر منه.

(يسمع الرعد ويبدو طيف طفل دام).

الطائف: مكبث. مكبث. مكبث.
مكبث: ليت لي ثلاثة مسامع فأصغي بهن جميعاً.
الطائف: كن جريئاً رابط الجأش، فاقد الرحمة، فلن يستطيع حيّ وضعته أنثى ان يضرّ بمكبث.

(يعود الطائف إلى جوف الأرض).

مكبث: لك ان تعيش يا مكدف، فلن أتقيك، غير انني لا أجد مندوحة من التشدد في التماس الأمن، والمغالاة في أخذ الضمان لنفسي على الأقدار، فأنت لا محالة قتيل، وبعد الإجهاز عليك يسوغ لي عندئذ ان أقول للخوف ذي الجبهة الصفراء « إنه كذب » ثم أنام ملء جفوني ولا أبالي الرعود..

(يسمع الرعد ويبدو شبح طفل متوج بيده غصن نضير).

مكبث: (متمماً) من هذا الشبيه بأبناء الملوك وعلى رأسه تاج؟
جميعهن: أنصت ولا تخاطب.
الخيال: كن كالأسد بطشاً وكبرياء، لا تحسب حساباً لمتظلم، او ثائر، او متآمر، لن يغلب مكبث حتى تزحف غابة « برنم » على الجبل الرفيع، وتهاجم قصر « دنسينان » المنيع.

(يدخل الخيال في الأرض).

مكبث: لن يكون ذلك أبداً. من ذا الذي يستطيع ان يأمر الغابة فتمشي؟ ويشير إلى الشجرة فتقتلع جذعها من الأرض؟ يا للنبوءة السارة! يا للسعادة! ايها العِصيان ترقب غابة « برنم »، حتى تسير، وانتظر « مكبث » حتى يستوفي

وهو في أوج العلى ما بينه وبين الطبيعة من العقد المبرم، وحتى يؤدي الجزية التي تقتضيها الشيخوخة، وتوجبها السنة العامة، إلا ان قلبي مشوق إلى شيء آخر، فقل أيها الخيال: إن كان علمك يبلغ إلى الحد الذي أذكره، أيتولى نسل « بنكو » أريكة هذا الملك يوماً من الأيام؟

جميعهن: لا تستزد عما سمعت.

مكبث: بل أستزيد فإن أبيتن فلعنة الله عليكن خالدة. نبئنني: ما بال هذا المرجل قد توراى تحت الثرى؟ وما يراد بهذه الموسيقى؟

(يسمع مزمار أسكوتلاندي).

الأولى: اظهروا.

الثانية: اظهروا.

الثالثة: اظهروا.

الجميع: تجلوا لعينيه وأحزنوا قلبه، تعالوا كالأشباح وتواروا كالأشباح

(يظهر ثمانية ملوك متسلسلين يمسك آخرهم مرآة ويتبعهم بنكو).

مكبث: ما أشبهك بطيف بنكو. اذهب. رؤية تاجك تُحرق عيني، وأنت يا مكلَّلا من الشعر المسدول على جبينك بمثل إكليله الذهبي، ما أشبهك به. وهذا ثالث يشاكل اللذين تقدما. أيتها الساحرات النجسات، فيم تريننى هذه الصور؟ رابع ــ اندفعا من وقبيكما يا عينيّ. أستطول هذه السلسلة الى آخر الدهر؟ آخر، سابع ــ حسبي ما نظرت، الا اريد مزيداً ــ ثامن ــ بيده مرآة تريني صوراً متعددة الى شأو بعيد فيها أفراد يتقلدون الكرتين، ويهشُّون بالصولجان المثلث. قبحاً لهذا المنظر، الآن تبينت أن كل هذا حقيقة، فان بنكو المخضب بدمه يَبَشُّ إليّ مشيراً باصبعه الى ذرّيته (إلى الساحرات) أهكذا سيكون؟

الأولى: نعم هكذا سيكون، ولكن ما بال « مكبث » مستغرقاً في الدهشة؟ هلمي يا أختي نبهجْ قلبه ونشهده ملاهينا الجميلة، سأرقي الهواء، فيسمعنا نغماً شجيّاً، نرقص عليه دورة، يجب ان يتفضل الملك الجليل، ويقول:

إننا قبلنا تشريفه بما يسرّه من الإعظام

(يسمع نغم وتوارى الساحرات).

مكبث: أين هنَّ؟ تغيبنَ، لعنت هذه الساعة في ساعات الزمن (منادياً) هيَّا من هنا

(يدخل لينوكس).

لينوكس: ماذا تبتغي جلالتكم؟
مكبث: أرأيت الأخوات المتنبئات؟
لينوكس: لا يا مولاي.
مكبث: ألم يمررن بجانبك؟
لينوكس: لا يا مولاي.
مكبث: ليسمم الهواء الذي يحملهن طائرات. وليهلك كل من يؤمن بهن. سمعت عَدْو جواد. من الذي قدم ؟
لينوكس: ثلاثة فرسان جاؤوا منبئين بفرار « مكدف » الى إنجلترة.
مكبث: أفرَّ الى إنجلترة؟
لينوكس: أجل يا مولاي.
مكبث: أيها الدهر إنك لتحول دون ما كنت أنويه من عظائم الفعال. والإرادة إن لم تقترن بالمضاء، لم تكن إلا فكرة فارقة. إني منذ هذه الساعة لمعقبٌ بعزمي، على ما يوحيه حزمي. فأيّما خاطر صدَر عن قلبي صدَر من يدي. سأفاجيء قصر « مكدف » مستولياً على ولايته. وسأعمل السيف في رقاب امرأته، وأبنائه، وكل منكود ينتمي الى عشيرته. وعيد ليس بالقول الطائش. لكنه عزيمة من فورها نافذة. حسبي رُؤًى. أين أولئك الرجال؟ دلني على مكانهم

(يخرجان)

المشهد الثاني
انجلترة. قسم في قصر الملك

(يدخل ملكولم ومكدف)

ملكولم: لنلتمس خلوة مجهولة نطلق فيه العنان لدموعنا.
مكدف: بل لنسلُلْ سيوفنا الماضية ونُحام على حقيقتنا محاماة الشجعان. كلما طلع فجر شكت أيامي، وبكت يتامى، وعلت صرخات المتألمين، حتى لإدخال السماء قد أخذت تستمع لدعاء « إسكتلندة » وترثي لإعوالها، ونحيبها.

ملكولم: يجوز ان ما تقوله صحيح ولكن هذا المستبد الذي يجرح اسمه لسان الناطق به، كان فيما سلف رجلاً نزيهاً، وكنت تحبه، ولم أعلم انه نالك او أصاب آلك ببعض مكروه، فلئن رضيت بي شفيع صلح بينكما، فإني سأشفع لك عنده، وما من بأس عليك او على أحد ان يذهب فتى مثلي في مقتبل الشباب قرباناً في سبيل استعطاف ذلك الإله الحنِق.
مكدف: انا لست بخائن.

ملكولم: أما « مكبث » فخائن. غير ان أنزه التابعين قد يخطىء إذا امتثل أمراً لمتبوعه. أستغفرك عن ظنَّةِ غدر أظنها بك، فإن كنت بريئاً منها فهي لا تنتقص براءتك. أليست الملائك إلى الآن لامعة، غير ان أسطعها نوراً هو الذي تكبر فتهور. مهما تستعر الرذيلة من شكل الفضيلة فلن يمس الفضيلة هذا التشبه، بل تظل آخر الدهر هي الفضيلة.
مكدف: يا خيبة آمالي!

ملكولم: لعلك أضعت آمالك، حيث أضعت انا شكوكي. لماذا نزحت بغتة عن امرأتك وبنيك مع انهم أثمن أشياء الدنيا لديك. ومع ان الأسباب التي تربطك بهم، هي أمتن أسباب الحب أرجو الا تحمل ارتيابي محمل الاتهام فإن هو إلا ما يوجبه عليّ الحذر، ولعلك بلا عيب وبلا ذم مهما

يكن من رأيي فيك.

مكدف: انزف دمك إلى النضوب يا وطني المسكين. وأنت أيها الاستبداد توطَّد غير منازع بعد اليوم، فإن البررة الأخيار لا يجرؤن على مكافحتك، وداعاً أيها السيد... أبى الله لي أن أكون من ظننت، ولو أضيف الشرق بكنوزه إلى المساحة الشاسعة التي تحت حكم الظالم.

ملكولم: ... لا يغضبنَّك مقالي، ولا تجد فيه غضاضة عليك. فلئن خاطبتك هكذا فالأمر دونه ارتيابي في نزاهتك. إن بلادنا لرازحة تحت النير باكية دامية لا يزيدها كرور الأيام إلا جراحاً على جراحها، واعلم أن في أهل الخير أعواناً لها لا يرقبون إلا الدعوة لتأييد حقوقها، وأن ملك الإنجليز قد تبرَّع بجعل آلاف من البسلاء تحت إمرتي لإنقاذها، غير أنه لو تسنى لي ان أمشي على هامة الظالم، او ان أحمل رأسه على طرف حسامي، لما كان حظ وطني على أثر ذلك إلا ان يعتاض من عيوب فاضحة بعيوب أفضح منها، ومن آلام فادحة بآلام أفدح منها، في عهد الرجل الذي سيخلف ذلك المستبد.

مكدف: أي رجل تعني؟

ملكولم: إياي أعني... فإن بي رذائل متأصلة، ومذامّ متمكنة، لا يجيء سواد مكبث في جانبها إلا بياضاً كالثلج، او أنقى، وإن « اسكتلندة » التاعسة لسوف تجده كالحَمل الوديع إذا قيس الى بطشي وبغيي.

مكدف: ليس في أهل جهنم شيطان أفظع من « مكبث ». سفاح، شره، بخيل.

ملكولم: بلى، إنه لفتاك كذوب، سفاح، بخيل، خبيث، حقود، مسيء، مبتلى بكل المعايب التي لا يستطاع حصرها، او تسميتها. غير أنني لو ملكت، وبي من الظمأ الى الشهوات ما لا يُنقع ولا يُحدّ بحدّ، لأصبحت نساؤكم وبناتكم بغيات، بل لما كفت عذاراكم لإشباع تلك النهمة فيَّ. بل لاندفع الهوى بي اندفاعاً مجتاحاً للعقبات، لا يقف في وجهه عدل، ولا يلطف منه اعتدال. ثم أن بي شرهاً الى المال، والجاه، وحرصاً على الحطام أشد مما أسلفت وصفه، وبي من المعايب الجلابة للدمار، الجرارة

للحروب، ما لم يسبق اجتماعه في سواي. « فمكبث » على علاته أولى من هذا الرجل بولاية الأريكة.

مكدف: أي اسكتلندة الشقية. واوطناه.

ملكولم: أمثل هذا الإنسان جدير بالملك؟ تكلم. أنا ذلك الإنسان.

مكدف: جدير بالملك؟ كلا. ولا بالحياة. يا للأمة المصابة التي يتهضمها غشومٌ فتاك. متى تعود اليك أيام سلامتك، وإقبالك؟! ويحك إن الوارث الشرعي لعرشك بإقراره، بين يديك، ليس إلا خلقاً شاذاً، وسُبةً لقومه (إلى ملكولم) كان أبوك الشريف ملكاً صالحاً، وكانت الملكة التي حملتك بين جنبيها لا تُلفى جاثمة، بل جاثية تستمد لك الحياة من ربك، وتموت من أجلك كل يوم ميتة.. أستودعك الله. إن المثالب التي تذكرها عن نفسك، لتقضي عليّ بالانتفاء السرمدي من اسكتلندة... وا فؤاداه، الآن قد قضي آخر أمل فيك.

ملكولم: « مكدف » إن هذا الألم الصادق الذي لا تلده إلا النزاهة قد أزال من نفسي الشكوك السوداء في طهارتك، واستقامتك. حاول « مكبث » الجهنمي ان يستدرجني بمثل هذه الوسيلة للدخول في حيز سلطانه، فشاورت الحذر قبل التصديق الوشيك. أما بينك وبيني، فلا يكن إلا الله منذ الآن. إني لمسترشد بإرشادك، ونافٍ كل ما ذكرته عن نفسي من المثالب، والمعايب التي لا عهد لي بها. انا لم أباشر المرأة، ولم أحنث بيمين ولم أكد ألتمس ما يحق لي من مالي، ولم أمِنْ بقولي، بل أحب الحقيقة كما أحب حياتي، وما سمعته آنفاً مني عن نفسي هو أول كذبي. فليكن لك ولبلادي الشقية كل التصرف في حقيقة ما أنا، وها قد سار الشيخ الجليل « سيورد » على رأس عشرة آلاف من الشجعان إلى أسكتلندة، فلننضم اليه، وليجيء النجاح بعون الله وفقاً لحقنا. علام انت صامت؟

مكدف: صعب عليّ التوفيق فوراً بين قولين مختلفين كل هذا الاختلاف. لكنني أسمع خطى.

ملكولم: سنعود إلى هذا الحديث

(يدخل رس).

مكدف: يا « ابن عمي » حياك الله.
ملكولم: لم أكد أعرفه بادىء بدء. متى يزول السبب المفرق بين الأحياء؟
مكدف: ألا تزال أسكتلندة في موضعها من الدنيا؟
رس: لهفي على بلادنا الأسيفة تكاد لا تجرؤ ان تعيد نظرها على نفسها. غير جدير بنا بعد الآن ان ندعو تلك التربة بأمنا، إن هي إلا مقبرتنا... لم يبق فيها، عدا الأطفال، والبلهاء، حي يبتسم، ولا إنسان يرثي لأنه شاك، او جأرة بائس، او صرخة صارخ. بل أصبح كل مخلوق فيها يرى أشد الأوجاع فيحسبها من ألينها، او يسمع جرساً ناعياً فلا يسأل عمن مات، بل أصبح الرجل الصالح يقضي نحبه قبل وفاة الزهرة التي يحلي بها قبعته.
مكدف: بالغت في التمثيل، ولكن ما أشبهه بالحقيقة.
ملكولم: ما هو أحدث الخطوب عهداً؟
رس: خطب يوشك الذي يخبر به بعد ساعة من وقوعه ان يجلب على نفسه سخرية الناس، كأنهم يحدثهم بأمر تاريخي قديم، وذلك لأن كل دقيقة تلد خطباً جديداً.
مكدف: كيف حال امرأتي؟
رس: حالها... جيدة.
مكدف: وأولادي.
رس: ... كذلك.
مكدف: ألم يزعجهم الظالم؟
رس: لا، كانوا بخير حين فارقتهم.
مكدف: لا تبخل بالكلام فتوجز إلى هذا الحد. كيف الأمور؟
رس: عندما شخصت من البلاد حاملاً اليكم من الأنباء ما كان وقراً على قلبي. شاع ان جماهير من أهل الخير خرجوا للقتال. ثم صدق عندي هذا النبأ، انني رأيت للغشوم جيشاً يتأهب. لقد حان وقت النجاة. ومتى جئتم اسكتلندة نبت الجند وراء كل لحظة من لحاظكم، وهب للقتال كل حي حتى النسوة، على رجاء ان يوضع حد لذلك الشقاء.
ملكولم: ليفرحوا، إنا صائرون اليهم وقد أقرضتنا إنجلترا الكريمة عشرة

آلاف مقاتل تحت إمرة « سيورد » الشجاع، الذي لا يماثله شجاع في الخافقين.

رس: كان بودي في مقابلة هذه البشرى ان أتحفكم ببشرى مثلها، ولكن الكلمات التي يجب ان أقولها كان خليقاً بها ان تلقي صراخاً في عُرض الخلاء، بحيث لا يسمعها أحد.

مكدف: من الذي تهمه هذه الأخبار؟ أفيها ما يمس قضية الأمة، أم ما يسوء إنساناً معيناً؟

رس: كل ذي نفس كريمة شريك في هذا المصاب، ولكن السهم الأكبر يفضي اليك.

مكدف: إذن أفض في البيان وأسرع.

رس:أخشى ان يسوءك أبد الدهر، فلن تطرق مسامعك بأنكر مما تسمع الساعة.

مكدف: أكاد أعرف ما ستقول.

رس: هُجم على صرحك، وذبحت امرأتك، وأطفالك. ولو استزدت بياناً لخفت ان يعاجلك الموت فتنضاف الى ذلك الكوْم المكدَّس من القتلى.

ملكولم: وارحمتاه ــ أيها الصديق لا تشددْ قبعتك هكذا نزولاً. صعد كربك في كلمات. إن الشجا الصامت يظل يدوّي في الفؤاد حتى يفطِّره.

مكدف: وأولادي أيضاً.

رس: امرأتك، وأولادك، وخدمك، وكل من وجدوا.

مكدف: جرى ولم أكن ــ أو كذلك امرأتي ذبحت.

ملكولم: عزاؤك. ليسعدنا الانتقام على هذا الألم القاتل.

مكدف: آه ليس له أولاد. كل أطفالي الأبرياء. ألم تقل كلهم؟ يا للرحمة الجهنمية! كلهم. وا ولداه. كل أطفالي المساكين، وأمهم في حصدة واحدة.

ملكولم: تجلَّدْ لهذا المصاب تجلُّد الرجل.

مكدف: نعم بلا ريب. ولكنه لا يسعني الامتناع من الشعور به، كما يشعر الرجل. كيف أنسى أنه كان لي في الدنيا أحباء، أيها الأثيم... إنما نكبوا

بسببي. يا ويلتي! جنى عليهم لا لذنوبهم، بل لذنوبي، أما الآن فعليهم رحمة الله.

ملكولم: ليكن هذا هو الحجر الذي يشحذُ عليه سيفك. حوِّلْ عزمك الى غضب، وليُهجْ بأسك ما ألان قلبك.

مكدف: ما كان أجدرني أن أبكي بكاء الثكلى، وأن أكثر من الوعيد على غير جدوى. لكن أسألك اللهمَّ يا ذا المراحم ألاَّ تطيل المهلة، وأن تجعلني بحيث ينال سيفي ذلك الشيطان طاغية « اسكتلندة » فإذا نجا مني يومئذٍ فليغفر له الله.

ملكولم: هكذا يتكلم الرجال، فلنذهب للقاء الملك. إن الجيش لمتأهب. ولم يبق علينا إلا التوديع. فقد نضج « مكبث » للسقوط وأعدَّت له قوى السماء ما يدفعه فينحدر... تقبل التسلية حيث تعرض، فإن الليل الذي لا يعقبه فجر لَليلٌ طويل.

(يخرجون).

الفصل الخامس

المشهد الأول

دنستيان ــ قسم من القصر

(يدخل طبيب ووصيفته)

الطبيب: من اي وقت بدأت تتمشى في نومها؟ أتذكرين؟

الوصيفة: منذ شبت هذه الحرب طفقت مولاتي تنهض في كل ليلة من سريرها، فتلقي عليها رداءها، فتفتح حجرتها، فتتناول ورقاً تكتب عليه شيئاً ثم تختمه، وتعود إلى مرقدها، وكل ذلك في سبات من النوم.

الطبيب: من أدلة الاختلال الشديد في الوظائف الحيوية ان تكون غافلة وهي تسعى سعي المستيقظين. ألم تسمعيها تتكلم؟

الوصيفة: سمعتها قائلة أشياء لا أستطيع إعادتها يا سيدي.

الطبيب: لك، بل عليك، ان تذكري ذلك للطبيب.

الوصيفة: لن أبوح به للطبيب ولا لغيره، إذ ما من شاهد يستطيع تأييد قولي

(تدخل لادي مكبث وبيدها مشعل تضعه على المنضدة متمتمة)

الوصيفة: (متممة) انظرها. ها هي ذي آتية ــ شأنها، شأنها، إذ تتمشى حالمة، إنها لمستغرقة في الرقاد.
الطبيب: من اين جاءت بهذا المشعل؟
الوصيفة: كان بجانبها، وليست ترقد بلا نور. كذا هي آمرة.
الطبيب: عيناها مفتوحتان.
الوصيفة: أجل، ولكن حاسة النظر مفقودة.
الطبيب: ماذا تصنع الآن؟ تأملي كيف تفرك يديها.
الوصيفة: من عادتها ان تفعل فعل من يغسل يديه، واتفق لي ان شهدتها تستمر على ذلك ربع ساعة بلا انقطاع.
لادي مكبث: افلا تفارقني هذه اللطخة الدامية.
الطبيب: سمعاً، تتكلم. سأكتب ما تقول مخافة ان أنسى.
لادي مكبث: زولي ايتها اللطخة الملعونة، واحد، اثنان، لقد حان، الظلام دامسٌ في جهنم، عار عليك يا زوجي، وشنار. هل البطل المجْرَبُ يداخله الخوف؟ ماذا يهمنا ان يعلم الناس ما يعلمون حين نصبح من القدرة والسلطان، بحيث لا نناقش الحساب. ولكن من كان يظن أنّه يوجد الدم بهذه الغزارة في ذلك الشيخ.

(تدخل).

الطبيب: أتسمعين؟
لادي مكبث: كان لصاحب فايف امرأة. أين هي الآن؟ ألا يتسنى لي بَتَّةً تنظيف هاتين اليدين؟ كفى أيها السيد كفى. تفسد كل شيء بمخاوفك.
الطبيب: يظهر أنها تدري أكثر مما ينبغي لها.
الوصيفة: بيقيني انها تبوح بما لا يباح به، مما يعلمه الله.
لادي مكبث: إيه! رائحة الدم. هذه يد على صِغَرها لا تطهرها جميع الأعطار العربية. أوه، أوه، أوه!
الطبيب: يا له من تنهد. إن على قلبها لوِقراً كبيراً.
الوصيفة: أبى الله ان أرضى بقلب كهذا في صدري، ولو أُوتيت كل عظائم الملك.

الطبيب: حسن. حسن. حسن.

الوصيفة: أسأل الله يا سيدي ان يكون كل شيء حسناً.

الطبيب: هذه العلة تفوق طبي، ولقد عرفت أناساً ماتوا بها مِيتةَ صلاح في أسِرَّتهم. أما هذه فكيف تموت؟ لا أدري. ولكن أجلها غير بعيد، بل أقرب اليها من حبل الوريد.

لادي مكبث: اغسل يديك، البَس ثياب النوم. أعيد على سمعك ان « بنكو » قد دفِن فلن يخرج من لحده.

الطبيب: آه، آه.

لادي مكبث: إلى السرير إلى السرير. الباب يقرع. تعال، تعال، تعال اعطني يدك. ما مضى فقد انقضى. إلى السرير، إلى السرير، إلى السرير.

(تحمل المشعل وتخرج)

الطبيب: أتعود الآن إلى سريرها؟

الوصيفة: توّاً.

الطبيب: باحت بمنكرات مخالفة للطبيعة، مؤيدة للإشاعات التي تدور سرّاً. الضمائر العلية تبثّ خباياها، في حشايا وسائدها، وإنها لأحوج إلى الكاهن منها إلى الطبيب. ليغفرْ لنا الله. تيقَّظي لها فإن ساعتها دانية. البثي بقربها. مسّاك الله بخير. لقد أذهلت عقلي، وأرهبت ناظريّ. افكر، ولكنني لا أجرؤ على الكلام.

الوصيفة: طاب ليلك أيها الطبيب

(يخرجان).

المشهد الثاني

نفس المكان. بدء الفجر

(مكبث وأتباعه)

مكبث: قَدِي من هذه الأنباء لينهزم رجالي جميعاً، فما انا بخائف ضَيراً. ما دامت غابة « برنم » لا تدنو من دنسنيان. او أخشى الفتى الناعم الأظفار ملكولم؟ ألم تلده امرأة؟ ألم تقل لي الأرواح العليمة بالغيب « لا تخف يا مكبث شيئاً، ما من رجل ولدته امرأة يستطيع إيذاءك ». اهربوا إذاً يا أتباعي الخائنين وانضموا إلى أعدائي الإنجليز. لن ينحرف فكري. ولن يضعف قلبي بعامل من الريب، او باعث من الخوف

(يدخل الخادم)

مكبث: (مواصلاً) هبَلك الشيطان، وسوَّد وجهك. ما الذي نقع لونك بهذا الاصفرار، وصيرك أبله كالإوزة.

مكبث: امن أفراخ الطير؟

الخادم: من الجنود يا مولاي.

مكبث: اذهب فافرك وجهك. واستعد حمرتك التي هربتها يا رعديد. اي الجنود يا صعلوك؟ هلكت نفسك، إن رؤية خديك الممتقعين لتجلب الرعب. اي الجنود يا وجهَ اللبن المعصفر؟!

الخادم: الجيش الإنجليزي يا مولاي.

مكبث: اليك عني. توار من أمامي — ويك سيتن! — اليوم سرور أم ثبور؟ لقد طالت حياتي. حل الخريف محل الربيع وقدر لي ان أحرم كل ما كان جديراً بمرافقة الشيخوخة من الإجلال، والإعزاز، والطاعة، وكثرة المحبين فأعاض من ذلك: إما باللعنات المكتومة، او بالتكرمات التي يمنحها الفم، ويمنعها القلب — سيتن.

(يدخل سيتن)

سيتن: ما أمر جلالتكم؟
مكبث: أوردت أخبار أُخرى؟
سيتن: ثبتت الأنباء الأولى.
مكبث: سأقاتل حتى لا تبقى على عظامي قطعة من الجلد. ارفعوا الرايات على القصر، فهو منيع يسخر من الحصار إلى ان يموت الأعداء مجاعة وحمى. ولولا الخونة من رجالي ومطلعوهم على أسرارنا، وأحوالنا، لما حلَّ بنا ضيمٌ منهم، ما هذه الصيحات؟
سيتن: مولاي إعوالات نسوة.
مكبث: عجبت لي كيف نسيت إحساس الفزع... فقد مرَّ بي وقت لو علا من الظلمة صوت لجمدْتُ من التهيب، ولو سمعت سيرة محزنة لتصلَّب شعري على رأسي، كأنما الأشباح أحياء بأرواح، لكنني الآن شبعت من الروع، وقد ألفت فكرتي القاتلة أفظع الأشياء فلن أجزع من شيء. علامَ هذا النحيب؟
سيتن: مولاي. الملكة.. ماتت.
مكبث: كان خيراً لها ان تؤجل أجلها، وتنتظر ريثما يتسنى لي الاهتمام بخبرها. هكذا تتصرّم الأيام من حيث لا نشعر بها، متوالية الى آخر هجاء من أهجية الكتاب، الذي يُحرّر فيه الدهر أحداثه وسيَره. كل ليلة تنقضي تمهد لبعض الأناسي الضعاف طريق القبر. انطفىء انطفىء أيها النور المستعار هنيهة. ما الحياة؟ إن هي إلا ظل عابر إن هي إلا الساعة التي يقضيها الممثل على ملعبه، متخبطاً، تعباً، ثم يتوارى ولن يُرى. إن هي إلا اقصوصة يقصها أبله بصيحة عظيمة، وكلمات ضخمة، على حين أنها خالية من كل معنى.

(يدخل رسول)

مكبث: (مستمراً) وراءك نبأ؟ تكلم أسرع.
الرسول: أمولاي الرحيم. أودّ لو أجرؤ على إخبارك بما شهدت، لكنني ما أدري كيف أقول.

مكبث: هات ما عندك. تفوّه.
الرسول: بينما كنت في نوبتي من الحراسة على قمة الهضبة موجّهاً نظري الى جهة « برنم » لاح لي فجأة أن الغابة تمشي.
مكبث: ويلك من كذوب بغيض

(يضربه).

الرسول: صرف غضبك فيّ كما تشاء إن لم يكن صدقاً ما أذكر، وهو أن الذي يستشرف من هنا الى امتداد ثلاثة أميال، يرى بعينيه غابةً تمشي.
مكبث: إذا كنتَ مفترياً أمرتُ بك فعُلِّقتَ على أول شجرة تُرى، وغادرتك عليها تموت جوعاً، أما إذا كنت صادقاً فلك إن أردت ان تفعل بي مثل ذلك. فما أنا عندئذ.. بالذي يكترث لشيء.. لأستجمع أفكاري. أخذ يدور في خلدي ان الشيطان خدعني بالألفاظ الملتبسة، وكذب عليّ بما قاله، على كونه إنما قال صدقاً. « لا تخش شيئاً حتى تزحف غابة برنم على دنستيان » وها هي ذي الغابة تدنو من « دنستيان »، بل هذه الطلائع قد دنت من سور القصر على ما أرى (ناظراً من النافذة) كأنه ليس حوله حرس. سلاحكم. سلاحكم. سلاحكم ايها البقية الأوفياء، لنخرج اليهم. لم تبق لي نجاة أقمت ام رحلت، لقد طفقت أتعب من ضوء الشمس، وبودي لو أرى فناء العالمين. اقرعوا جرس الاستصراخ، انطلقي يا رياح، هجوماً ايها الدمار، إن كان القضاء قد حم فلا متنا إلا أبطالاً.

(يخرجون إلا سيتن)

سيتن: توالت الآفات على الملك في يوم واحد، ميتة امرأته، ومشية الغابة، ومفاجأة الطلائع لقصره قبل ان يتسنى له الفرار، لا بد ان يكون مولاي مديناً لله بكفارة كبيرة، عن خطايا جسيمة كثيرة، لقد أفلحت حيلة أعدائه إفلاحاً عجيباً. فإنهم تقلدوا الأغصان من غابة برنم ليخفي عددهم، ويشتغل الرقباء بمواجهتهم عن الطلائع التي تقدمت، بانحراف من جانب آخر، فها هي ذي الطلائع قد جاءت وكل جندي في القصر مضمر لها التسليم.

(يعود مكبث)

مكبث: قيدوني. شدوني إلى سارية كما يشد الدب، لا أستطيع الفرار، ولا بد من الكفاح إلى النهاية، اين ذاك الذي لم تضعه امرأة. هو دون سواه من أهابه الآن وأخشاه؟

(يدخل سيورد الفتى)

الفتى سيورد: ما اسمك؟
مكبث: ترتعد إذا سمعته.
الفتى سيورد: لا أرتعد ولو كان اسمك أشد إحراقاً من جميع أسماء سقر.
مكبث: انا مكبث.
الفتى سيورد: ليس في وسع الشيطان نفسه، ان ينطق باسم أقبح من هذا في سمعي.
مكبث: ولا أعظم هولاً.
الفتى سيورد: كذبت ايها الطاغية، وعلى سيفي البرهان.

(يتضاربان ويقتل سيورد)

مكبث: جئت من وضع امرأة، وانا اسخر من النصال، بل أهزأ من كل الأسلحة في أيدي الرجال الذين ولدتهم النساء.

(يسمع ضجيج قتال)
(يدخل مكدف)

مكدف: أنت. لو قتلك غيري لطاردتني أرواح امرأتي وأطفالي الى يوم الحشر، إياك أبغي، ولا أمسّ بسيفي أحداً من رجالك، على أنهم قد سلموا على الأمان وعن رضاً منهم، أرِني ظهرك يا كلب جهنم، أرِني ظهرك.
مكبث: أأنت الذي اجتنبته دون سائر القوم؟ وإياك أجد ههنا؟ توارَ من أمامي وحسبي ما أرقت من الدماء...
مكدف: أعييت عن الكلام؟! لكن سيفي أفصح مني يا أضرى الكائنات.

(يقتتلان).

مكبث: محال ما تحاول: ليس في طاقتك ان تسفك دمي، أكثر مما في قدرتك ان تطبع في الهواء أثر حسامك. اذهب وحارب غيري ممن تمس جسومهم، أما جسمي ففي حماية رُقية سحرية، لا يحلّها إلا رجل لم تضعه امرأة.

مكدف: أنا ذلك الرجل. دع وهم رُقيتك السحرية، واعلم ان مكدف نُزع من بطن أمه نزعاً، ولم تضعه أمه وضعاً.

مكبث: لُعن الفم الذي يقول لي هكذا، فقد شَلَّ ذراعي، وكسر شرّتي، لا يحسنُ بعاقل منذ اليوم ان يصدق الشياطين الخداعين، الذين يغروننا بألفاظ ذات معنيين، فيسرون آذاننا بالمواعيد، ثم يخيبون آمالنا — لن أُقاتلك.

مكدف: إذن سلم ايها الجبان، وعش لتُعْرض على الجمهور، فيستشرفك العامة في مكان معلوم ترسم على أعلى بابه الكلمات التالية:

(هنا ظالم معروض للناظرين).

مكبث: أأسلم انا فأقبل التراب تحت قدمي الفتى ملكولم؟ وأعرض لإهانات السوقة، واستطالات حقدها؟! لئن كان حقاً ان غابة « برنم » قد زحفت على دنستيان وانك انت لم تلدك امرأة فلأكافحنك إلى النهاية. هذه درعي تقلدتها. اضرب مكدف، واللعنة على من لا يصيح اولاً.

(يتضاربان متجهين نحو باب للخروج ويسمع مكبث قائلاً):

مكبث: (متمماً) كفى. كفى

(يتوازن وتسمع موسيقى — يدخل ملكولم وسيورد العجوز ورس ولينوكس وأنجوس وكاتنس ومنتث).

ملكولم: لا سمح الله بأن نسمع سوءاً عن أصدقائنا المتغيبين الآن.

سيورد: لا بد اننا فقدنا بعضهم، وأياً يكونوا فليسوا بالثمن الغالي لهذه النصرة العظيمة.

ملكولم: ترى اين مكدف واين نجلك النبيل.

رس: نجلك يا سيدي قد أوفى الدين المفروض على كل بطل محارب، فلم تكن حياته إلا مسيرة ما أدرك من الرجولة، فأثبتها بحسن بلائه وصلابة موقفه، ثم مات ميتة رجل.

سيورد: هو إذن قد مات.

رس: أجل ونقلت جثته إلى مكان أمين. لا تجعل حزنك عليه بقدر ما يستحق، فيكون حزنك بلا نهاية.

سيورد: أكانت إصاباته في صدره؟

رس: نعم.

سيورد: فليكن إذن جنديَّ الله. إني لو رزقت أولاداً عددَ الشعر الذي في رأسي، لما تمنيت لهم ميتة أجمل من هذه. لقد قضيناه حقه من التأبين.

ملكولم: بل بقيت له ديون من الدموع والأحزان سأوفيه إياها بنفسي.

سيورد: حسبه ما أصاب قيل إنه مات أجمل ميتة او أدى ما عليه فلله درُّه، وليكن الله معه، هؤلاء رسل يوافوننا بتعزيات جديدة.

(يعود مكدف حاملاً رأس مكبث على سنان رمح)

مكدف: سلام أيها الملك، فلقد أصبحته. انظر، هذا رأس الغاصب الغشوم. نجت اسكتلندة فهي حُرَّة، وهؤلاء نُخَب رجالها يحيُّونك من صميم قلوبهم معي، بتحية التاج وينادون: « سلام يا ملك اسكتلندة ».

الجميع: سلام يا ملك اسكتلندة.

(موسيقى)

(تمت)

رُومْيُو وجُولِيتْ

تعريب

الدكتور رياض عبود

أشخاص المسرحية

اسكالوس	:	أمير فيرونا
بارس	:	فتى شريف من أقارب الأمير
مونتاغو كابوليت	}	شيخان لأسرتين متعاديتين
		شيخ من اسرة كابوليت
روميو	:	ابن مونتاغو
مركوشيو	:	من أقارب الأمير، صديق روميو
بنفوليو	:	ابن أخي مونتاغو وصديق روميو
تيبالت	:	من أقارب السيدة كابوليت
الأخ لورنس	:	راهب فرنسيسكاني
الأخ جون	:	راهب فرنسيسكاني
بلتازار	:	خادم روميو
سمبسون غوريغوري	}	خادما كابوليت
بيتر	:	خادم مرضع جولييت
إبراهام:	:	خادم مونتاغو

صيدلي ــ ثلاثة من الموسيقيين ــ ضابط

السيدة مونتاغو : زوج مونتاغو

السيدة كابوليت : زوج كابوليت
جولييت : ابنة كابوليت
مرضع جولييت
مواطنون من فيرونا ـــ اشراف ونساؤهم ـــ أقارب للأسرتين ـــ مقنعون ـــ
حرس – خدم–
المنظر: فيرونا ومانتوا

الفصل الاول

المشهد الأول

فيرونا – ساحة عامة

(يدخل سمبسون وغريغوري متقلدين سيفيهما وترسيهما)

سمبسون : قسما بشرفي! يا غريغوري اننا لن نتحمل تهكم القوم بعد!

غريغوري : لا! لا! لن نتحمل الغمز واللمز.

سمبسون : اما اذا اهينت كرامتنا، فلترين ً خناجرنا في ايدينا.

غريغوري : حذار! حذار! ان يحزوّا عنقك!

سمبسون : اني لأضربنَّ بخفة ورشاقة اذا ما أُثِرت.

غريغوري : لكنك قلّما تثور لتضرب.

سمبسون : ان منظر كلبٍ من كلاب أسرة مونتاغو ليثيرني.

غريغوري : ان من يُثار يضيع، اما الشجاع فيصمد! اما انت فاذا ما أثرت هربت.

سمبسون : لينبَحْني كلب من هذه الاسرة كي اصمد، فلقد قررت ان اتعالى فوق عائلة مونتاغو، رجالا ونساء.

غريغوري : هذا هو الضعف بعينه، والغباء ذاته، والجبن نفسه، اذ يجعلك تستند الى الجدران!

سمبسون : نعم! لذا، نرى النساء، مع ضعفهن، يستندن الى الجدران لتستقيم أمورهن، اما انا، فسأبعد الرجال عن الجدران لأسندَ اليها النساء.

غريغوري : إن العراك قائم بين أسيادنا، وما نحن سوى بعض رجالهم.

سمبسون : مهما كان الامر، سأكونن جلادا للرجال وعطوفا على النساء اذ أعاقبهن بقطع الرأس!

غريغوري : رؤوس النساء!!

سمبسون : او بكارتهن، فلتكن على اي معنى شئت.

غريغوري : سيفهمنه هنَّ آجلا ام عاجلا، لانهن سيشعرن به.

سمبسون : سأجعلهن يشعرن به، اذا ما استطعت ذلك، وهنّ يعلمن جيدا، انني على جانب من الجمال الاخّاذ.

غريغوري : من حسن الاقدار انك لم تكن سمكة، هيا! استل سيفك، هناك اثنان من عائلة مونتاغو!

(يدخل ابرهام وبلتازار)

سمبسون : ها قد جردت سيفي! هيّا تصدى لهم، وانا من ورائك، أرد عنك الغائلة.

غريغوري : أجل ستكون ورائي، ليتسنّى لك الفرار.

سمبسون : لا تخف من جانبي

غريغوري : جانبك! يا للشيطان!!

سمبسون : لنجعل الحق بجانبنا. وندعهما يبدآن.

غريغوري : سأمر بهما وانا مقطب حاجبي، وليفسرا ما يروق لهما التفسير.

سمبسون : تعني، كما يجرؤون، سأنظر اليهما وانا عاض ابهامي، فستكون هذه مذلةٍ لهما، ان تقبّلاها.

ابراهام : (الى سمبسون) هل تعضّ لنا ابهامك ايها السيد؟

سمبسون : اني اعض ابهامي يا سيد.

ابراهام : اوَ تقصد بذلك الاساءة الينا ايها السيد؟

سمبسون : (الى غريغوري على حدة) كلا!

سمبسون : (لابراهام) كلا يا سيد، انما اعضه لنفسي.

غريغوري : اتسعى الى مشاجرة ايها السيد؟

ابراهام : مشاجرة ايها السيد؟! كلا يا سيد!

سمبسون : ان اردت شجارا، ايها السيد، فانا مستعد، فاني اخدم سيدا له من القدر ما لسيدك.

ابراهام : لا تقل افضل منه.

سمبسون : لم اقل أفضل.

غريغوي : (لسمبسون) قل افضل (يدخل بنفوليو وعلى مسافة منه تيبالت)، فهذا من اقارب سيدنا.

سمبسون : (لابراهام) ها انا اقول، انه لافضل منه ايها السيد.

ابراهام : قد كذبت!

سمبسون: هيا جردا حساميكما، ان كنتما رجلين، (متجها الى غريغوري) تذكر يا غريغوري ضربتك القاضية.

(يتقاتلون).

بنفوليو : انفصلوا ايها الاوغاد! وأغمدوا سيوفكم انكم لا تدرون ما تفعلون؟

تيبالت : (راكضا وراء بنفوليو حاملا سيفه) ماذا؟ اتشهر السيف على اولئك الاوغاد؟ انتبه يا بنفوليو واستقبل الموت باسلا!

بنفوليو : (لتيبالت) ان قصدي هو احلال السلام، اغمد سيفك او اشرعه مثلي لتفرقهم.

تيبالت : ماذا؟ اتحمل السيف وتتكلم عن السلام؟ اني لابغض هذه الكلمة، كما ابغض جهنم، وكذا كل أسرة مونتاغو، وانت ايضا ايها القذر!

(يتقاتلون ويشترك اناس آخرون بالقتال واخيرا يصل ضباط ومواطنون ومعهم هراوات)

مواطن : اضربوهم بالهراوات والحراب، حطموا عائلة مونتاغو، حطموا عائلة كابوليت.

(يدخل شيخ أسرة كابوليت بلا سلاح برفقة زوجه)

كابوليت : ما هذه الغوغاء؟... آه ايتوني بسيفي الكبير!

السيدة كابوليت : كلا! عكازه! عكازه! لماذا السيف؟

كابوليت : قلت سيفي! لان مونتاغو العجوز قد اقبل شاهرا سيفه ليثيرني.

مونتاغو : عليك يا كابوليت البائس... لا يستهنْ احد بي.

السيدة مونتاغو : (ممسكة به) لن تخطو خطوة واحدة نحو عدوك.

(يدخل الامير اسكالوس مع اتباعه)

الامير : ايها المتمردون! يا اعداء السلام! ايها الانجاس القتلة!... الا تسمعونني انتم! انتم ايها الرجال او البهائم! انتم الذين تطفئون سعير غضبكم المؤذي، بشلالات من دفق اموالكم، لتروا انهر الدماء القانية والارجوانية اللون، الغائصة في النحور اطيعوا! ارموا هذه السيوف، واستمعوا الى اميركم الغاضب (يتوقف المتقاتلون) ثلاث حروب مدنية نتجت عن كلمة طارت في الهواء، فعكّرت صفو شوارعنا، بفضلك انت يا كابوليت العجوز، وانت ايضا يا مونتاغو، ثلاث حروب افسدت سلام المدينة، وجعلت من المواطنين احزابا وشيعا، تسعى كلها الى الخراب، اذا عدتم ثانية الى تعكير هدوء شوارعنا، ستدفعون حياتكم ثمنا. اما الآن فانسحبوا جميعا، وانت يا كابوليت تعال معي، وانت يا مونتاغو تأتي الي بعد الظهر، لتعرف قرارنا النهائي في قصر القضاء. وعلى الباقين الانسحاب ومن لم يفعل كان الموت عقابه.

(يخرجون)

مونتاغو : من ترى قد اثار هذه الفتنة من جديد؟ قل لي يا ابن اخي، هل كنت هنا حين بدأ الشجار؟

بنفوليو : حين وصلت، رأيت رجال خصمنا مشتبكين مع رجالنا، فجردت سيفي لافرقهم واذا بتيبالت الثائر، يظهر ورائي شاهرا سيفه وهو يفرغ من جعبته سهامَ كلامه الرديء، في حين كان حسامه يلمع فوق رأسه ويشق الهواء محدثا صفيرا مزعجاً، يدل على ضعفه وجبنه. ونحن، اذ كنا نتبادل

الضربات، رأينا المحازبين يتوافدون من كل حدب وصوب، ويشاركون في القتال، وظلوا هكذا الى ان وصل الامير وفصلهم.

السيدة مونتاغو : واحسرتاه! اين روميو اذن؟ هل رأيتموه اليوم؟ اني لسعيدة جدا، اذ لم يحضر هذه المشاجرة.

بنفوليو: قبل ان تطل الشمس المقدسة من نافذتها الذهبية الشرقية، قادتني نفسي القلقة الى الخارج، فرحت اتنزه فوق الاكمة الممتدة غربي المدينة، وهناك رأيت ولدك يتنزه، فتوجهت اليه وعندما شعر بحضوري على ما اظن، انسحب وابتلعته اغوار الغابة، فتركته على سجيته لاني اعرف انه يميل كثيرا الى الوحدة كما انه بحاجة اليها.

مونتاغو : كم من الايام قد مرت، ونحن نراه هنا، يبلل بدموعه ندى الصباح البارد، وعلى كثرة ما تأوّه، اضاف غيوما الى الغيوم وحين تأخذ الشمس المنعشة بازاحةِ البرقع القاتم عن وجه القمر، ينسل، ولدي الحزين، هاربا من الضوء، فيدخل، ويسجن نفسه داخل غرفته، يغلق النوافذ ويرخي المزالج ليكُوِّن ليلا اصطناعيا لنفسه. آه! يا لهذه النفس الكئيبة التي قد ترميه في المهالك، ان لم يبح بما وراءها من اسرار.

بنفوليو : او تعرف اسباب هذه الكآبة يا عمي الكريم؟

مونتاغو : لا! لا! اعرفها ولا مجال لمعرفتها منه!

بنفوليو : هل ألححت عليه بالسؤال؟

مونتاغو : قد ألححت بنفسي كما ألحّ الكثيرون من الاصدقاء، لكنه رفض إلا ان يكون مرشدا لنفسه. ويا له من مرشد كتوم. حبذا لو باستطاعتنا معرفة منبع آلامه لكنا سعينا الى ازالتها، اكثر من التحرق الى معرفتها.

بنفوليو : هه! ها هو يقترب، ابتعدوا ودعوني اخلو به، واكشف خبايا صدره.

مونتاغو : ارجو لك النجاح، هيا يا سيدتي لنرحل.

(يخرج مونتاغو وزوجه)

بنفوليو : طاب صباحك يا ابن العم!

روميو : اما زال النهار في أوله؟

بنفوليو : ها قد دقت الساعة التاسعة.
روميو : آه! كم تبدو طويلة، هذه الساعات الحزينة. أليس والدي هو الذي خرج من هنا مسرعا؟
بنفوليو : هو نفسه. ما هي اذن هذه الاحزان التي تطيل ساعات روميو؟
روميو : ان هذه الاحزان متأتية لعدم معرفة ما يبددها.
بنفوليو : اعاشق انت؟
روميو : حائر...
بنفوليو : بالحب؟
روميو : بازدراء من احب.
بنفوليو : اه! كتب على الحب ان يكون ناعم المظهر، خشن الملمس، مظلما وقاتما في الاعماق.
روميو : اه! كتب عن الحب، أن يسير معصوب العينين، لذلك نراه دائما على الطريق الذي يوصله الى هدفه!.... اين نتناول غذاءنا اليوم!... رباه! ما كان ذاك الضجيج!... لا تقل، لاني اعرف كل شيء! الحياة هنا ملأى بالصعوبات، وبالحب اكثر. الحب! اه! ايتها الصعوبة المحببة! اه من كل ما ينتج من لا شيء! آه ايتها الخفة الثقيلة! السخرية الجادة! يا لجبال الحديد في خفة الدينار، ايها الدخان المنير، النار الباردة، الصحة السقيمة! النوم اليقظ، هوذا الحب الذي اشعر به، حين لا اشعر بالحب. انك تهزأ، اليس كذلك.
بنفوليو : كلا يا ابن عمي، بل اكاد ابكي.
روميو : يا صاحب القلب الطيب؟... مم تبكي؟
بنفوليو : لرؤيتي نفسك الطيبة معذبة.
روميو : ان هذا البكاء، لهو نابع عن حبك لي! ولكن ما هي فائدتك، ان انت شاطرتني، هذا الالم، وهذا الحمل؟ فالعطف الذي تبديه لي، ليزيدني اوجاعا مضافة الى اوجاعي، اه! ان الحب كله تأوهات، هو شرارة تستعر في قلوب المحبين، ولمعة برق تضيء في عيون العاشقين. الحب بحر متماوج من دموع المحبين. ماذا بعد؟ هو الحنون العاقل، الحزن القاتل، الضراوة المنعشة!... الى اللقاء يا ابن عمي الى اللقاء.

(يهم بالخروج)

بنفوليو : **مهلا سارافقك، لانك تسيء الي ّ ان تركتني هكذا وحدي!**
روميو : اه! لقد فقدت رشدي، انا لم اعد هنا، انا لست بروميو، اني... اني في مكان اخر.
بنفوليو : قل لي بربك! من تحب؟
روميو : لا يستطيع روميو البوح، الا وهو يشرق بدمعه!
بنفوليو : باكيا؟ كلا! قل لي بربك!
روميو : كيف لمن اضناه السقم، ان يكتب وصيته بجدية اذن! اه! امر يصعب حصوله، ممن خسر صحته!... بصراحة يا ابن عمي، اني احب امرأة.
بنفوليو : لقد حزرت ذلك.
روميو : رائع...! وانها لذات جمال أخّاذ باهر.
بنفوليو : الهدف الواضح، يفترض الرمية المحكمة يا ابن العم العزيز.
روميو : ان اردت، لكن كوبيد مع عظمته، وحدة سهامه، لا يستطيع ان يصيبها، لها حكمة ديانا، وقد تدرعت بكل واق منيع، لتبقى بمنأى عن الحب العابث، لا يغريها الكلام المعسول، ولا انواع المغريات... انها لغنية بالجمال الرائع الاخاذ، ولكن كل تلك الجمالات ستزول وتفنى بزوالها.
بنفوليو : او هل قررت ان تعيش بكرا نقية؟
روميو : اجل لقد قررت، وهنا الخسارة التي لا تعوض، لانها ستدفن جمالا كهذا، وتحرم منه كل الاجيال المتعاقبة، انها لجميلة جدا، ولها من الحكمة بقدر ما لها من الجمال، انها لتستحق الفردوس، مع انها خيبت املي، اذ قد اغلقت ابواب قلبها دون كل حب، وهذا ما ارداني وانا على قيد الحياة.
بنفوليو : خذ بنصيحتي ولا تفكر بها بعد.
روميو : اذن علمني الا افكر على الاطلاق.
بنفوليو : ارجع الى عينيك حريتها، واجعلها تسبح في بحر جمال آخر.
روميو : هذا ما يجعلني ازداد يقينا، بان لا جمال، يضاهي جمالها، فالبراقع السعيدة، التي تستر وجوه الجميلات هي بسوادها، تذكرنا بالجمال الذي تحجبه، وما جمالهن الا كتلك الاقنعة، تجاه جمالها، فالاعمى لا ينسى كنز جمال البصر الثمين الذي فقده، ارني اجمل فاتنة، فلن أرى فيها سوى

جمالها، او أرني كتابا أقرأ، فلا اقرأ فيه الا صفحة من ذلك الجمال، فالى اللقاء. فلن تستطيع ان تحملني على النسيان.

بنفوليو : اراهن على ان اجعلك تنسى، او اموت عاجزا عن الوفاء.

(يخرجان)

المشهد الثاني
شارع

(يدخل كابوليت وبارس وخادم)

كابوليت : مونتاغو وانا كلانا مسؤول، وعلينا ان نتحمل العقاب، ولكن لن يصعب، على عجوزين مثلنا، الاخلاد الى الهدوء على ما اظن.

بارس : كلاكما عظيم الشأن، وله قدره، انما ما يشين، هو انكما عشتما حقبة كبيرة من الدهر متخاصمين!... والآن، احب ان اسمع رأيك في خطبتك من ابنتي يا سيدي؟

كابوليت : اردد ما قلنا سابقا، فوحدة ابنتي أبقتها غريبة عن هذا العالم، فهي لم تكمل الرابعة عشرة من عمرها بعد، فأرى من الصواب، ان ننتظر صيفين آخرين...

بارس : هناك من هن اصغر منها، وقد اصبحن امهات.

كابوليت : ولكن، سرعان ما ذبُلت نضارة اللواتي نضجن قبل الاوان... الارض كلها ملأى بآمالي، وجولييت، وحدها، هي سيدة واحة امالي المنتظرة. لاطفها يا بارس الطيب، كل ما ابغيه هو رضاها وسرورها، اذا رضيت يكون رضاي وفرحي واجابتي الى ما تريد... سأقيم هذا المساء حفلة أدعو اليها من أحب، ستكون انت اول المدعويين، طبعا ان اردت. هذه الليلة،

فسترى النجوم، تضيء لي منزلي الوضيع هذا المساء، وفي غمرة الجمال الرفيع، استمع اليهن جميعا، انظر اليهن جميعا، اعط الافضلية التي تستحق. ابنتي ستكون من بين اللواتي سترى، فهي وان كانت في العد واحدة، فلها المقام الرفيع المميَّز. هلم معي... (الى الخادم) هيا يا غلام! جب شوارع فيرونا الجميلة، وادعُ الاشخاص المدونة اسماؤهم هنا، وقل لهم ان داري ومسكني ينتظران تشريفهم.

(يعطي الخادم ورقة ويخرج مع بارس)

الخادم : (لنفسه) وهو يحملق بالورقة اذهب الى الاشخاص المدونة اسماؤهم هنا؟ اوَ قد كُتب شيء ما هنا... انه لوضع مقلوب، فما على الاسكاف الا ان يعمل بمقياس الخياط، والخياط بقالب الاسكاف، والصياد بريشة الفنان، والفنان بشبكة الصياد، وانت تطلب الي، ان اذهب الى الاشخاص المدونة اسماؤهم هنا، في حين لا اعرف اسم من كتب هنا فما علي الا استشارة العارفين... اه بئس هذا اللقاء.

(يدخل بنفوليو وروميو)

بنفوليو : ايا رجل! لا تطفي حدة النار، الا نار اشد ضراوة، ولا يخفف الالم، الا الم اشد منه، وان انت درت على نفسك، واصبت بالدوار فدر دورة عسكرية يزول معها الدوار، والحزن العميق لا يشفيه الا حزن اعمق. فلتبحث عيناك عن اسم جديد، ليتلاشى القديم ويموت...

روميو : (ساخرا) اني لأحْسِبُ ان ورقة عشب الجمل، افضل دواء لذلك.

بنفوليو : لماذا؟ ارجوك؟

روميو : لساقك المكسورة.

بنفوليو : هكذا يا روميو، أمجنون انت.

روميو : لست مجنونا مطلقا، انما مأخوذ بالجنون، انا سجين مهمَل بلا طعام، مضروب بالسياط، معذب و... (للخادم) مساء الخير يا صاح.

الخادم : جعل الله مساءك سعيدا... عفوك يا سيدي، أتحسن القراءة؟

روميو : اجل اني أقرأ، وهو ما لي من ثروة.

الخادم : اتراك تعلمت هذا بغير كتاب. لكن، قل لي بربك، أتقرأ كل ما تراه؟

روميو : اجل ان كنت اعرف اللغة وحروفها.

الخادم : رائع ان كنت جادا... طمأن الله قلبك (يهم بالعودة).

روميو : توقف يا صاح، اني أُحسِنُ القراءة (يأخذ الورقة من يد الخادم ويقرأ) السيد مارتينو، عقيلته وكريماته، الكونت انسلم وشقيقاته، ارملة السيد فيتروفيو السيد بلاسونتيو وبنات شقيقه الحسناوات، ميركوشيو واخوه فالنتينو، عمي كابوليت، عقيلته وكريماته، ابنة شقيقي الجميلة روزالين، ليفيا السيد فالنتينو وابن عمه تيبالت، لاوتشيو، وهيلينه (اللعوب)، (يعيد الورقة) هذا شمل رائع اين سيجتمع؟

الخادم : فوق.

روميو : اين؟

الخادم : عندنا على العشاء.

روميو : دار مَن؟

الخادم : دار سيدي.

روميو : كان علي ان ابدأ بهذا السؤال.

الخادم : سأخبرك دون ان تسأل، ان سيدي هو كابوليت الغني. ان لم تكن انت من آل مونتاغو، فانا ادعوك الى قليل من النبيذ معنا... وادامك الله سعيدا.

(يخرج)

بنفوليو : هذا عيد آل كابولي، روزالين الجميلة، ستحضر الحفل، كما سيحضره حسناوات فيرونا كلها، اذهب الى العشاء، وبعين ساذجة، قارِن بين وجه مَن تحب والحسناوات الاخريات، وستقتنع ان طائرك ليس الا غرابا.

روميو : لديهن، اذا رأت عيناي ما قلته، فلتنقلب دموعي الى لهيب ــ محرق ولتحترق العين، كما يحترق الكافر الضال، ان كان هناك امرأة اجمل من فتاتي، ان

الشمس المشرقة فوق كل شيء، لم ترَ مثيلا لمَن احب، منذ ان خُلِق العالم.
بنفوليو : انك رأيتها جميلة حين كانت وحيدة لا حسناء بجانبها امام عينيك لتقارن، اما في هذا الميزان الدقيق، ضع فتاتك على كفة واحدى الاخريات على الكفة الثانية، فسترى ايها الراجحة، وبعدها لن يكون، سيزول من نفسك ذلك الوهم كما هو اليوم.
روميو : فليكن! ساذهب. لا لأرى صحة ما تقول بل لأوكد لك جمال مَن احب.

(يخرجان)

المشهد الثالث
غرفة في منزل كابوليت

(تدخل السيدة كابوليت والمرضع)

السيدة كابوليت : أيتها المرضع! اين ابنتي! ناديها الى هنا.
المرضع : اقسم بعذريتي ذات الاثني عشر ربيعا وبالله قد ناديتها (منادية) هيا يا نعجتي يا عصفورتي، غفر الله هفوتي... اين هي تلك الفتاة؟ هيا يا جولييت.

(تدخل جولييت)

جولييت : نعم! من يناديني؟
المرضع : امك.
جولييت : ها انذا يا اماه! ماذا تريدين؟
السيدة كابوليت : اليك ما اريد... (للمرضع) اتركينا قليلا ايتها المرضع اريد ان نتحدث منفردتين (تهم المرضع بالخروج) كلا عودي ايتها المرضع قد

غيَّرت رأيي ستحضرين نقاشا! لا شك انك تعرفين ان ابنتي قد اصبحت في سن النضوج.

المرضع : اقسم باني اعرف عمرها بالساعات فضلا عن الدقائق.

السيدة كابوليت : انها لم تبلغ الرابعة عشرة بعد.

المرضع : اراهن على اربع عشرة من اسناني، آه! لم يبقَ لي سوى اربعة، على انها لم تبلغ الرابعة عشرة بعد... كم بقي لعيد القديس بطرس.

السيدة كابوليت : خمسة عشر يوماً على الاقل.

المرضع : اقل او اكثر، لا يهم انها لم تبلغ الرابعة عشرة الا قبيل ليلة هذا العيد. سوزان وهي، حفظ الله ارواح المسيحيين جميعا، كانتا في نفس السن... اجل، الآن، سوزان، في ذمة الله، لقد كانت لطيفة معي، نعم كما قلت عشية ليلة العيد ستبلغ الرابعة عشرة. انني لجد متذكرة. ولقد مر على الزلزال احد عشر عاما، وكانت قد فُطِمَت آنذاك لن أنسى ذلك قط، من بين كل ايام السنة، لاني وضعت شيئا من الافسنتين حول ثَديي فنفرت من طعمها المر ما كان احسن رؤيتها وهي تبتعد عن صدري كالمجنونة... قد مر على هذا احد عشر عاما، وقد كانت تستطيع الوقوف دون مساعدة احد. اجل كانت تركض فرحة، في تلك الليلة من حين وقعت وخدشت جبهتها، فاسرع اليها زوجي، اراح الله نفسه، وحملها وهو يقول لها: انت الآن تقعين على وجهك، وغدا حين تكبرين ستقعين على ظهرك، أليس كذلك يا جوجو؟ اقسم، دون مغالاة فكفت الطفلة عن البكاء واجابت (نعم) اجزم اني لن انسى هذا لو عشت الف عام؟

السيدة كابوليت : يكفي هذا، احمني من فضلك.

المرضع : اجل يا سيدتي لكني لا استطيع الامتناع عن الضحك حين اتذكر كيف قالت (نعم) وكفت عن البكاء، رغم بروز الرضة في جبهتها وكانت غارقة في البكاء حين قال لها زوجي: انت الآن تقعين على وجهك، وحين تكبرين ستقعين على ظهرك، اليس كذلك يا جوجو؟ فتوقفت وقالت نعم.

جولييت : كفى اذن، ارجوك ايتها المربية!

المرضع : كنت، ليحفظك الله بنعمته، لقد كنت طفلة ارضعتها ولطالما حلمت ان احيا لاراك عروسا التقر بك عيني.

السيدة كابوليت : هذا هو الموضوع الذي اردت ان احدثها به... قولي يا ابنتي جولييت ما رأيك بالزواج؟

جولييت : هو شرف انما لم افكر به قط.

المرضع : هو شرف! لو لم اكن مرضعتك الوحيدة لقلت انك رضعت التعقل مع الحليب.

السيدة كابوليت : حسنا! فكري بالزواج منذ الآن، هناك امهات اصغر منك يؤخذن بعين الاعتبار، وهنا في فيرونا نفسها وحسبما اذكر اني كنت اما قبل السن الذي انت فيه فتاة. وبايجاز ان الشجاع بارس يريد ان يخطبك.

المرضع : هوذا رجل يا سيدتي الصغيرة! وليس كباقي الرجال... انه العالم بأسره وسيماً وجميلا كتمثال من الشمع.

السيدة كابوليت : شاب لا أظن ان فيرونا تربي او تنبت أبهى منه!

المربية : اجل والله، انه خيرة شبان البلد انه الاجمل بلا منازع.

السيدة كابوليت : ما رأيك فيه؟ أيمكن ان تحبي هذا الرجل؟ سترينه في عيدنا هذا المساء تأملي وجهه جيدا واقرأي فيه أسطر النعمة التي خطتها انامل الجمال. تأملي هذه الخطوط المتماثلة التي لا يفترق احدها عن الاخر جمالاً، وان بقي ثَمَّة اشياء مبهمة في هذه الصفحة فهي تنجلي على هامش عينيه. كتاب الجمال هذا والعاشق البعيد عنك لا ينقصه الا غلافك انت لتكتمل روعته... السمك يلمع تحت الامواج وكذلك الجمال الخارجي الخارق يبشِّر بجمال الباطن وهذا الكتاب المغلف بالذهب الوهاج، الذي يجذب عيون الكثيرين خُطَّتْ كلماته باحرف من ذهب. وبالزواج منه تشاركينه في كل ما يملك دون ان ينقصك شيء.

المرضع : ينقصها بالعكس ستنمو وتزيد فالنساء يكبرن قرب الرجال.

السيدة كابوليت : باختصار هل تتجاوبين مع حب بارس.

جولييت : ان كان النظر يكفي للحب فسأنظر اليه ولكن نظرتي هذه لا يتعدى ما يشجعه على ما تحبين.

الخادم : ها قد حضر المدعوون يا سيدتي، والعشاء قد تهيأ، والجميع بانتظارك، وكلهم يطلبون الانسة، فيما يلعنون المرضع في المطبخ وكل شيء جاهز، وعلي ان اقوم بالخدمة، استحلفك بالاسراع.
السيدة كابوليت : سنتبعك ان الكونت ينتظرنا يا جولييت.
المرضع : اذهبي يا صغيرتي واضيفي على هذه الليلة مزيدا من الفرح والسرور.

(يخرجون جميعا)

المشهد الرابع
شارع

(يدخل روميو، مركوشيو، بنفوليو مع خمسة او ستة مقنعين وحملة مشاعل وموسيقيين)

روميو : ماذا ترون، هل نتقدم القوم بكلمة اعتذار ام ندخل دون كلام؟
بنفوليو : تبدلت الايام فلم يعد ثمة ما يدعو للاعتذار. لن يكون لنا الا «كيوبيد» معصوب العينين يحمل قوسا ملونا كالتتر يروع النساء كالخيل. ولن نتلو مقدمات حفظناها عن ظهر قلب لنبرر دخولنا فليأخذوا علينا ما يشاؤون من المآخذ.
روميو : اعطوني مشعلا فلست انا في موقف الراقص اني قاتم كنفسي، اريد ان احمل مشعلا منيرا.
مركوشيو : آه! ايها الحبيب روميو، اننا نريدك ان ترقص.
روميو : صدقوني ان للاقدام خفتها، وللنعال رنتها، اما انا فنفسي ثقيلة كالرصاص تسمرني في الارض، فلا استطيع معها حراكا.
مركوشيو : انك لعاشق ولهان. هيا استعر من كيوبيد اجنحته واقطع بطيرانك سماء انطلاقتنا في المجهول.

روميو : ان سهامه قد اصمتني، وجعلتني انطلق مع اجنحته في كل منطلق، مكبل كما انا لا استطيع حراكا ولا ارتفاعا عما انا فيه وعليه، وقد وقعت تحت كلكل الحب الذي ناء علي وسحقني.

مركوشيو : قد تسحقه ان أتيته من فوق، انك لعبء ثقيل على شيء رقيق كالحب.

روميو : اوَ هل الحبُّ رقيق؟ انه لأخشن شيء عرفت.

مركوشيو : ان يكن الحب خشنا فكن خشنا معه...

بنفوليو : هيا فلنطرق الباب وندخل.

روميو : الي بمشعل فالحفل في اوج جماله، لكني لن اشارك فيه.

مركوشيو : لماذا هل لنا أن نسأل؟

روميو : لقد حلمت الليلة حلما!

مركوشيو : وانا ايضا.

روميو : حسنا! وماذا حلمت؟

مركوشيو : غالبا ما يكذب الحالمون.

روميو : نعم، انهم يحلمون، وهم على فراشهم، بالحقيقة.

مركوشيو : اني لأرى الملكة « ماب » قد زارتك، انها الجنية التي تأتي لزيارة النائمين في هدوء الليل، والناس نيام، فوق عربة عجلاتها من جزوع الحشيش، وغطاؤها من اجنحة الجراد، وعنانها من نسيج العنكبوت الرقيق ولجامها من أشعة القمر الساطعة صوتها صنع من عظام الصرصار، وسائقها بعوضة صغيرة ارتدت معطفاً رمادي اللون لا يزيد حجمها عن نصف درّة او اقل. مركبتها قشرة بندق يجرها سنجاب او حشرة مسنة، اولئك صانعو عربات الجن منذ القدم ففي هذا الموكب تجول ليلة بعد ليلة تغزو بصائر العاشقين فيحلمون بالحب او تأتي رجال الحاشية فيحلمون بالسجود امام المحامين فيحلمون بجني المال لقاء اتعابهم، ويحلمون بشفاه النساء فيحلمن بالقبل هذه هي الجنية التي تهتم بالعذارى حين يستلقين على ظهورهن وتحتضنهن لتعودهن على الصبر لتجعل منهن نساء حسناوات انها هي...

روميو : يكفي، يكفي يا مركوشيو، انت تحدثنا عن لا شيء!

مركوشيو : أجل، فانا اتكلم عن الاحلام، لِذات ذوي العقول الفارغة، فهي تقوم على الاوهام والتخيلات الارق من النسيم وهي اكثر تقلبا من الرياح التي تداعب الآن تلال الشمال المثلجة...

بنفوليو : رياحك هذه ستفقدنا الصبر، انتهى العشاء وسنصل بعد فوات الاوان.

روميو : بل اخشى ان نصل مبكرين! تحدثني نفسي بمصيبة مؤلمة تحصل ليلة العيد هذا، ويقضي فيها على قلبي التعيس بميتة مبكرة. لكن، يا من تدير قدري وجّه شراعي الى ما فيه الصواب!... هيا بنا ايها الرفاق.

بنفوليو : اقرعي ايتها الطبول.

(يخرجون)

المشهد الخامس
(قاعة في دار كابوليت)

(يدخل خدم يحملون مناديل)

الخادم الاول : اين لاترين؟ ما له يساعدني في الخدمة؟ ارفع له صحنا، امسح له طاولة اه.

الخادم الثاني : حين يوكل الاعتناء بالمنزل الى أيدي رجل او اثنين وتكون تلك الايدي غير نظيفة فهنا تكمن البشاعة والقبح.

الخادم الاول : اخرجوا المقاعد!... ارفعوا الخزانة... انتبهوا الى آنية الفضة (الى زميله) يا صاحبي قف جانب المعجنة. وان احببتني قل للبواب ان يدخل سوزان لامول ونيلي يا لاترين يا انطون...

الخادم الثالث : حاضر يا ولدي.

الخادم الاول : انهم ينتظرونك، انهم ينادونك، انهم يطلبونك، انهم يبحثون عنك في القاعة الكبرى.

الخادم الثالث : لا نستطيع ان نكون هنا وهناك... هيا يا اولادي، هيا اسرعوا ومن يبقى في الاخر سيحمل كل شيء.

(يخرجون)

(يدخل كابوليت وتيبالت وجولييت والمدعوون وبينهم روميو برفقة اصحابه مقنعين والخدم ذهابا وايابا)

كابوليت : اهلا بكم ايها السادة! والنساء اللاتي لسن مغمومات سيعلمنكم بعض التمارين في الرقص. هـا! يا سيداتي الجميلات من منكن ترفض الرقص الآن؟ لن ترفض الرقص الآن، الا من اصابها كسر في اصبع رجلها. ها! اني ادق على الوتر الحساس، أليس كذلك (مخاطبا من يدخل) اهلا بكم يا سادتي... لقد مررت في فترة وضعت فيها القناع، حينها عرفت كيف اهمس في آذان الجميلات تلك الكلمات التي تروقهن، لقد مضى ذلك الزمان، مضى مضى! (مخاطبا من يدخل) اهلا بكم يا سادتي... هيا ايها الموسيقيون اسمعونا، الصالة جاهزة للرقص، اخلوا المكان ارقصن ايتها الفتيات (موسيقى، يبدأ الرقص) اضيئوا المكان اكثر، ايها الغلمان! مدوا الطاولة واخمدوا النار لقد اشتد الحر هنا (الى ابن عمه) آه يا عزيزي ما اجمل عيدنا هذا غير المنتظر !... تفضل اجلس يا ابن عمي العزيز كابوليت، اجلس لقد مضت ايامنا الراقصة قدما، كم مضى على آخر حفلة كنا فيها سوية مقنعين.

ابن عمه : والله لقد مضى على آخر حفلة ثلاثون سنة وكأنها ليلة.

كابوليت : كلا يا عزيزي! اقل من ذلك! كان ذلك في زواج لوسنتيو، اي لخمس وعشرين سنة خلت، حينما كنا مقنعين.

ابن عمه : اكثر من ذلك! اكثر من ذلك! ان عمر ابنه اكثر من ذلك، لقد بلغ الثلاثين!

كابوليت : اتقول ذلك؟ وابنه كان قاصرا منذ سنتين؟

روميو : (مخاطبا خادما ومشيرا الى جولييت) من هي تلك الفتاة التي تمسك بيد ذاك الفارس؟

الخادم : لست ادري يا سيدي.

روميو: نورها يبز نور المشاعل ! لان جمالها يتدلى من بين جدران هذا الليل كلؤلؤة في اذن حبشية! جمال ثمين في حوزة هذه الأرض الطيبة! كالحمامة البيضاء بين سرب من الغربان هكذا، هذه السيدة هي بين صحبها. وبعد انتهاء هذه الرقصة سأقتفي أثرها وسأمنح يدي هذه شرف ملامسة يدها... او هل احب قلبي قبل الآن؟ كلا! قولي يا عيني! لاني ما شهدت الجمال الحقيقي قبل الليلة.

تيباليت : هذا الصوت ليس بغريب عني، ارجح ان صاحبه من عائلة مونتاغو! آه! يا له من وقح، فهو يأتي مقنعا ليهزأ بعيدنا الجميل! والله انه لا يستحق سوى الموت عقابا!

كوباليت : ما بك يا تيبالت فيمَ هذا الصخب؟

تيبالت : هذا فتى من اسرة مونتاغو يا عمي. انه من اعدائنا، شاب وقح قد جاءنا قاصدا الاساءة الى عيدنا الجليل.

كابوليت : اليس هو الفتى روميو؟

تيبالت : انه هو روميو الوقح!

كابوليت : اهدأ يا بني! دعه بسلام، تصرفاته غاية في النبل والتهذيب، والحقيقة ان فيرونا لفخورة به، وباخلاقه الحسنة. انا لن ارضى بأي تصرف يهينه في داري، ولو مقابل ثراء المدينة كلها. تذرع بالصبر ولا تأبه له، هذه ارادتي، فان كنت تحترمها تصنَّع المودة ودع عنك مظهر الكراهية الذي لا يتناسب والعيد البهيج.

تيبالت : بل انه يتناسب والعيد الذي يدعى اليه مثل هذا الدنيء! لن اتحمله!

كابوليت : ستتحمله! مفهوم! اريدك ان تتحمله، من هو السيد هنا انت ام انا؟! هيا هيا، ستتحمله! افتثير فتنة بين الضيوف لتسمى رجلا.

تيبالت : يا له من عار يا عماه!

كابوليت : هيا! هيا! انما انت شاب جاهل. وهذا العمل قد يكلفك الكثير. وانا اعني ما اقول.. او تريد عصياني!... هل هو وقت عصيان!... (الى الراقصين) هيا افرحوا يا اعزائي (لتيبالت) يا لك من معتوه... اهدأ والا...

(الى الخدم)! انيروا انيروا اكثر! (لتيبالت) سأجعلك تهدأ (للراقصين) تحركوا يا اعزائي.

تيبالت : الصبر الذي يطلبون لن يجتمع والغضب المستقر في داخلي، سأنسحب من هنا لكن غضبي لن تخمد نيرانه وان خف لهيبه.

(يخرج)

روميو : (آخذا بيد جولييت) ان كنت دنست بيدي الرديئة هذه اليد المقدسة فشفتاي، وهما كحاجّين خجولين مستعدان لتأدية عقوبة ناعمه بقبلة ملؤها الحنان لمحو ذلك الدنس.

جولييت : ايها الحاج الكريم ان يدك التي لم تظهر سوى التقوى والخشوع لتظلمني فللقديسات أيدٍ يصافحن بها ايدي الحجاجِ وهذه المعانقة ليست سوى قبلة حاج طاهرة.

روميو : أليس للقديسات شفاه وللحجاج ايضا؟

جولييت : اجل ايها الحاج شفاه مكرسة للصلاة.

روميو : اه! ايتها القديسة، لتحل الشفاه مكان الايدي، فشفتي تصليان فاستجيبي الى صلاتهما قبل ان يستحيل ايمانهما الى كفر.

جولييت : القديسات لا يتحركن وهن يستجبن الى الصلوات.

روميو : ابقي اذن بلا حراك ريثما اجني ثمرة صلاتي (يقبلها) وبذلك تمحو شفتاك خطيئة شفتي.

جولييت : او تحتفظ شفتي بما محته من خطيئة.

روميو : اضمحلت خطيئة شفتي! آه! اعيديها لي اذن.

(يقبلها ايضا).

جولييت : انك تحترف التقبيل.

المرضع : (لجولييت) آنستي والدتك تريد محادثتك.

(جولييت تتجه نحو السيدة كابلو كابوليت)

روميو : (للمرضع) مَن تكون أمها يا ترى؟

المرضع : سيدة المنزل ايها النبيل، سيدة طيبة، حكيمة، فاضلة، لقد ارضعت ابنتها التي كنت تحادثها واريد ان اقول لك ان من يستطيع ملامستها يسمع رنين الدراهم.

روميو : آه! انها من أسرة كابوليت! يا لسخرية القدر، بت مدينا بحياتي لعدوي.

بنفوليو : (لروميو) هيا لنذهب، لم يبقَ من العيد الا القليل.

روميو : (على حدة) آه، وقلقي قد طفح كيله.

كابوليت : (الى الخارجين)، اهكذا يا سادة، ستتركونا الآن! فالعشاء الصغير بانتظارنا... لقد قررتم؟... اذن اشكر لكم حضوركم... طاب ليلكم... هيا الى النوم!

(لابن عمه) والله تأخرنا كثيرا سأذهب لاخذ بعض الراحة.

(يخرجون جميعا عدا جولييت والمرضع).

جولييت : تعالي ايتها المرضع، من هو ذاك الشاب الواقف هناك.

المرضع : انه نجل تيبيريو العجوز ووريثه.

جولييت : من ذا الذي يخرج الآن.

المرضع : اعتقد انه بيتروشيو.

جولييت : (مشيرة الى روميو) من هو ذا الآخر الذي لم يرد ان يرقص؟

المرضع : لست ادري!

جولييت : اذهبي واسألي عن اسمه (تبتعد المرضع) لئن كان متزوجا فسيتحتم علي الموت قهرا وعذابا.

المرضع : (التي عادت) اسمه روميو، وهو من عائلة مونتاغو الولد الوحيد لعدوكم اللدود.

جولييت : حبي الوحيد هو وليد حقدي الوحيد، رأيته منذ هنيهة دون ان اعرفه وعرفته ولكن بعد فوات الاوان، ها قد وُلِدَ فيَّ الحب باعجوبة، وفرض عليَّ ان احب عدواً اكرهه.

المربية : ماذا تقولين؟ ماذا تقولين؟
جولييت : لحن تعلمته الآن مِن بعض مَن راقصت.

(صوت ينادي جولييت).

المرضع : حالا! حالا! هيا بنا، فقد خرج الجميع.

(تخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الاول

(طريق بجانب حديقة كابوليت)

(يدخل روميو)

روميو : او يسعني الابتعاد حين يكون قلبي هنا؟ عد بي الى الوراء يا كوكب الارض...

(يتسلق الحائط ويختفي)
(يدخل بنفوليو ومركوشيو)

بنفوليو : روميو يا ابن عمي، روميو!
مركوشيو : لقد تصرف بحكمة. اقسم، انه فرَّ ليندسّ في فراشه.
بنفوليو : لقد اسرع في هذا الاتجاه وتسلق سوار هذه الحديقة نادِه ايها العزيز مركوشيو!
مركوشيو : سأقول اكثر من ذلك، سأستحلفه بأن يعود... ايا روميو، ايها الهوى، ايها المجنون، ايتها العاطفة، ايها الحب، اطل علينا، في اية صورة اردت ! اسمعنا لحناً واحدا ونكتفي ! يا ويلتاه ! قل كلمة محببة اهدل ولو

هديل اليمام قل ولو كلمة واحدة لصديقتنا «فينوس» كلمة رائعة تنقلها لابنها « كيوبيد » وريشها الاعمى ذاك الذي رمى فأُصاب استحلفك يا روميو بعيني « روزالين » اللاصقتين، بجبهتها العالية وبشفتيها القرمزيتين وبقدمها الناعمة، وبساقها المرتجفة: اطل علينا!

بنفوليو : لو سمعك روميو لغضب.

مركوشيو : هذا لن يغضبه، انما سيغضب، وله الحق في ذلك، فيما لو ادخلت روحا غريبة الى روح حبيبته وان لم تكن لها طبائعها وحسنها فاذا ما رآها امامه تعود اليه سكينته بيد ان دعائي بريء ومقبول اذ باسم حبيبته، انادي لاوقظ عاطفته.

بنفوليو : يا له من حبيب اعمى، فها هو قد توغل بين الاشجار بحثا عن ليلة مظلمة تتناسب في ظلمتها مع مزاجه.

مركوشيو : ان كان الحب اعمى فلن يتمكن من اصابة الهدف... روميو، دون شك قد أوى الى جذع شجرة، وراح يحلم في ان تكون حبيبته على مقربة منه كثمار تلك الشجرة!... اما انا فسآوي الى فراشي اذ لا استطيع نوما في فراش الطبيعة. طابت ليلتك يا روميو، فأنا ذاهب.

بنفوليو : أجل فلنذهب، لانه عبثا نبحث عمَّن يريد ان يبقى هائما على وجهه وضائعا.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(حديقة كابوليت)

روميو : (لنفسه): ان من لم تثخنه الجراح يهزأ بالخدوش! (تظهر جولييت من نافذتها) رويدا رويدا...! ما هذا النور الساطع الذي يتألق ويتدفق من

النافذة؟ انه المَشْرِق، وجولييت شمسه! انبثق ايها الفجر الرائع واخفِ ببهائك نور القمر الغيور فيختفي حياء، ويُخسَف حزنا لانك اجمل منه وابهى... آه انها لسيدتي!... انها لهي!... ليتها تدري! ماذا تقول!... لا شيء... انها صامتة... لا! التفاتتها تتكلم وانا سأخاطبها... انها لا تخاطبني. اثنان من اجمل نجوم السماء طلبا اليها ان تحل مكانهما وتشرق بدلهما ان اشراقة خديها لتكسف النجوم كما يفعل ضوء النهار بالمصابيح ولو ان شعاع عينيها يرسل في الفضاء لغردت الطيور متوهمة ان النهار قد اشرق وبدد ظلام الليل. انظر كيف تسند خدها بيدها! آه! لو كُنتُ قفازا لهذه اليد للامست خدها.

جولييت : ايا ويحي!...

روميو : (لنفسه): انها تتلكم: آه تكلمي بعد، ايها الملاك البهي اذ انك تسطعين في هذا الليل الدامس وتحومين فوق رأسي كرسول ذي جناح آت من السماء، يرمق البشر بنظراته العطوفة من فوق السحب التي تسير الهوينا في السماء.

جولييت : (لنفسها): آه روميو! روميو! لماذا انت روميو؟ انكر اباك واترك اسمك والا اقسم على حبك لي وانا لن انتمي الى عائلة كابوليت.

روميو : (لنفسه): أأستمع اليها بعد ام اجيبها الآن؟

جولييت : (لنفسها): اسمك خصمي. انت لست مونتاغو، انت نفسك؟ ما هو مونتاغو؟ ليس يدا، ولا قدما، ولا ذراعا، ولا وجها ولا اي عضو في الانسان... آه! ليتغير اسمك! ماذا هناك في الاسم اذن. ما نسميه وردا فانه يعطر الاجواء حتى لو حمل اسما آخر هكذا ايضا، حتى ولو حمل روميو اسما غير اسم روميو فتبقى له فضائله... تنكَّر لاسمك الذي ليس هو جزءا منك. وخذني بكليتي لك عوضا عنه.

روميو : (لجولييت): كما تريدين، سمني « الحب » واكون قد تعمدت ثانية، ومن ثم لن اعود روميو.

جولييت : من انت متسترا بالليل مُسْترقاً لاسراري ؟

روميو : لا ادري كيف احدد لك مَن انا فقد كرهت اسمي لاني اجد فيه عدوا لك.

جوليت : ان اذني لم تسمع بعد كل ما قاله هذا الصوت، ومع ذلك فاني اعرف جيدا هذه النبرة. الست أنت روميو من آل مونتاغو.

روميو : ان كنت تكرهين هذا أو ذاك فأنا لست هذا ولا ذاك يا جميلتي.

جوليت : قل لي كيف اتيت الى هنا؟ قل لي ما هو قصدك؟ ان جدران الحديقة لعالية جدا وصعبة المنال وايا كنت ستلقي حتفك ان رآك احد من اهلي.

روميو : لقد تسلقت الجدار فوق اجنحة الحب الخفيفة ففواصل الجمر لا تستطيع ان تقف حاجزا دون الحب، لان الحب يفعل العجائب، لذلك لا اجد احدا من اهلك حجر عثرة لي.

جوليت : ان رأوك لقتلوك.

روميو : آه اني لارى خطرا في نظراتك اكثر مما اجد في عشرين من سيوفهم مجتمعة فلترأف بي عيناك وسترينني صامدا في وجه ضغينتهم.

جوليت : لا اريدهم ان يروك هنا حتى ولو فني العالم كله.

روميو: لقد اتخذت الليل رداء يقيني نظراتهم، وان كنتِ لا تحبينني فاني افضل ان يقضوا علي في الحال على ان احيا دون حبك.

جوليت : اي شيء قادك الي؟

روميو : هو الحب الذي كان اول من امرني بالمجيء، وقد منحني روحه فقدمت له عيني. لست بحارا، ولكنك لو كنت بعيدة بعد ذلك الشاطىء المغطى بمياه البحر لما توانيت عن المخاطرة في الوصول اليك..

جوليت : ان لوجهي في الليل قناعا يغطيه والا لكنت رأيت حمرة الخجل تصبغه بلونه الارجواني، عندما كنتَ تسمعني اقول ما قلته هذه الليلة كم وددت لو انسى ما قلت، لكن لا!! اتحبني؟ اني اعرف مسبقا انك ستجيب بـ « نعم » وسأصدقك، فلا تقسم، قد تنكث عهدك، لان اكاذيب الحب كما يقال تضحك «جوبيتر»... ايا روميو النبيل ان كنت تحبني اعترف بصراحة، وان كنت تعتقد انني سهلة المنال فبئس الاعتقاد اعتقادُك اذ سأكون نافرة جافة قاسية، واظهر لك الاباء والشمم... انما الحقيقة ايها المونتاغو الطيب. اني متيمة كثيرا وستنعت تصرفاتي البريئة بالطيش، لكن تأكد من صدق نيتي

اذ كان علي ان اكون اكثر رصانة، لكن لا بد من الاعتراف، حتى ولو لم تعزف على وتر قلبي الحساس. فاعذرني ولا تنعت هذا الضعف الذي رأيت بالحب الطائش.

روميو : آنستي اقسم بهذا القمر المقدس الذي ينير قممنا هذه...

جولييت: آه لا تقسم بالقمر غير الثابت، فشكله يتغير كل شهر، خوفا من ان يصبح حبك مثله متقلبا.

روميو : بماذا اقسم اذن؟

جولييت : لا تقسم ابدا اما وان اردت القسم فبشرفك الذي هو معبودي واصدقك.

روميو : ان كان الحب العميق القائم في قلبي...

جولييت : آه لا تقسم فمهما تكون سعادتي كبيرة فاني لا استطيع ان اتذوق حلاوة لقائنا هذه الليلة فانه مفاجىء، انه كالبرق الذي يومض ثم يختفي وقبل ان ننهي قولنا: «انها تبرق» طابت ليلتك ايها الصديق العزيز ان برعم الحب هذا ليتفتح مع نسمات الصيف وسيصبح زهرة رائعة، الى اللقاء القريب. طابت ليلتك.

روميو : ستتركينني آه، يا ويحي ستتركينني هكذا؟ ولم ارتوِ بعد!

جولييت : كيف تريد ان ترتوي هذه الليلة؟

روميو : هلم نتبادل العهود بالوفاء.

جولييت : عهدي قد اعطيتك اياه قبل ان تطلبه. مع ذلك فاني اعطيك اياه مرة اخرى.

روميو : اتريدين استرجاعه؟ ولمَ يا حبي.

جولييت : ولاكون اكثر كرما فاني اعطيك عهدي مرة اخرى، لكن ما دهاني؟ فانا اطلب شيئا املكه، فكرمي لا حدود له انه كالبحر وحبي عميق مثله، مهما اعطيتك يبقى لي المزيد لان لا نهاية لهما (تسمع صوت المرضع وراء الكواليس) اسمع صوتا في الداخل. الى اللقاء يا حبي الغالي! اني آتية ايتها المُرضع الطيبة!... ايها المونتاغو الرقيق كن امينا. انتظر قليلا سأعود

(تنسحب من النافذة).

روميو : آه ايها الليل! اخشى، بما انه ليل، اخشى ان يكون ذلك محض حلم لا يمت الى الواقع بصلة.

(تعود جولييت)

جولييت : ثلاث كلمات يا روميو العزيز وأودعك هذه المرة!... ان كان قصد حبك شريفا وهدفه الزواج دعني اعرف ذلك غدا بواسطة الشخص الذي ارسله اليك، اين ومتى تريد ان يتم الاحتفال، وسأضع اذ ذاك ثروتي على اقدامك وسأتبعك الى اقصى حدود العالم الآخر!

المرضع : سيدتي!

جولييت : حالا! حالا! وان لم تكن نيتك حسنة فأستحلفك...

المرضع : (من الداخل) سيدتي!

جولييت : حالا، اني آتية!... بأن تدعني وشأني اعاني من آلامي... سنرى غدا.

روميو : اقسم بنقاء سريري.

جولييت : الف مرة طابت ليلتك.

(تنسحب من النافذة).

روميو : الليل لا يلبث ان يزداد ظلامه اذ ما تتخلى عنه اضواؤك. (ينسحب بخطى بطيئة) الحب يسعى وراء الحب كما يركض الطالب خارج الصف: لكنه يبتعد كالولد الداخل الى الصف.

(تظهر جولييت على النافذة مجددا).

جولييت : روميو... روميو! صوتي يخونني: لكن لا يمكن ان ارفع صوتي اكثر والا لزلزلت الكهف الذي يأوي اليه الصدى لكثرة ترداد اسم روميو!

روميو : (عائدا) ها ان نفسي تدعوني باسمي! آه كم هي جميلة رنة صوت الحبيبة في الليل! يا له من لحن عذب، للاذن المرهفة.

جولييت : روميو!

روميو : عزيزتي!

المرضع : (من الداخل): سيدتي!

جولييت : اية ساعة ارسل فيها الشخص اليك؟

روميو: التاسعة.

جولييت : لن اتأخر. آه نسيت لماذا دعوتك!

روميو : اسمحي لي ان ابقى حتى تتذكري.

جولييت : فأنساه كي تبقى هنا ابدا مذكرا اياي بمدى حبي لك.

روميو : وابقى هنا كي تنسي ابدا، واتا انسى ان مسكني ليس هنا.

جولييت : قد اقترب النهار! وددت لو تكون خارجا، لكن دون ان تبتعد اكثر من العصفور عن الطفلة. فهي لا تدعه يطير ابعد من مدى يدها، يا له من سجين مسكين مغمور فهي تغار من حريته!

روميو : اريد ان اكون عصفورك.

جولييت : آه! اريد ذلك انا ايضا، انما قد اقتلك من كثرة التدليل، طابت ليلتك، طابت ليلتك! كم هو هادىء وداعنا، سأظل اقول لك طابت ليلتك الى ان يطلع النهار.

(تنسحب جولييت).

روميو : (وحده) فليستمر النعاس في عينيك ويستقر السلام في قلبك! اريد ان اكون النعاس وذلك السلام لاستريح بلذة! اريد الذهاب الى ابي الروحي (لاستشيره واطلب مساعدته....

(يخرج)

المشهد الثالث
(حجرة الاخ لورنس)

(يدخل الاخ لورنس وهو يحمل سلة)

لورنس : ان هذا الفجر بعينيه الرمادية اللون ليغمر بابتسامته الليل المظلم ماسحا غيوم الشرق بدفق من النور. والظلمة تجلو سكري، كما الثمل في الطريق، فقبل ان تصل عين الشمس اللاهبة لتملأ النهار بهاء، عليّ ان أملأ سلتي هذه بالاعشاب المفيدة. فالارض ام المخلوقات، ومثواها، وما القبر الا احشاؤها. وكل المواليد تخرج وكلها ترضع من ثدييها! فما من شيء على وجهها الا وله منافعه ولكنه يصير الى الشر ان استعمل في غير ما حدد له. فالفضيلة ايضا قد تصبح رذيلة ان زرعت في غير ارضها.

(يدخل روميو)

(يأخذ لورنس زهرة من السلة). ان كأس هذه الزهرة الصغيرة قد يستحيل سما قاتلا، رائحته تنعش وطعمه يردي، والتناقض هذا نجده عند الانسان ايضا، فان النزاع بين الخير والشر قائم في الانسان كما في الزهرة والويل لمن يقضي على الخير في نفسه فنفسه الى الهلاك صائرة دون محالة.

روميو : صباح الخير يا أبتِ.

لورنس : يا للبركة: اي صوت هو هذا الذي يناديني بهذه الرقة! ايها الشاب الفتي هذا دليل فوضى تعم في نفسك، منذ متى نودع الفراش هكذا باكرا. الهم يعكر اعين المسنين والنعاس لا يدخل مساكن الهم. اما هنا، حيث يرقد نشاط الشباب، فيسود النعاس الذهبي. استخلص من زيارتك الصباحية هذه ان بعض الاضطرابات المقلقة قد ايقظتك. وان لم يكن، فاعتقد ان روميو لم ينم الليلة.

روميو : الافتراض الثاني هو الاصح، لان راحتي هذه لا احلى ولا ارق.

لورنس : ربنا رحيم! كنت مع روزالين اذن؟

روميو : مع روزالين! آه! لا يا ابتِ: لقد نسيت هذا الاسم، وكل ما يلحق به.

لورنس : يا لك من فتى... اين كنت اذن؟

روميو : سأقوله لك، وسأزعجك بأسئلة جديدة: صدف ان حضرت حفلة عدوي فجأة جرحني ذلك العدو، وجرحته بدوري: وشفاؤنا رهن لعدوي كما ادعو لنفسي.

لورنس : تكلم بوضوح يا بني واشرح لي دون مواربة: اعتراف مماثل لا يلقى الا حلولا مماثلة.

روميو : اذن اعلم كل شيء وبوضوح تام، اني احب من كل جوارحي ابنة الثري كابولي. فلقد اثرت على قلبي كما اثرت على قلبها وليكن اتحادنا كاملا لا ينقصنا الا ان نتحد بواسطتك في الزواج المقدس. متى واين وكيف لقد اتفقنا واحببنا بعضنا وسأقول لك كل شيء: لكن قبل كل شيء ارجوك ان توافق على ان تزفنا الى بعضنا اليوم بالذات.

لورنس : بحق القديس فرنسيس! اي تغيير هذا الذي طرأ! وروزالين التي كنت تحب هكذا هجرتها: آه انّ حب الشباب لا يكمن في القلب حقيقة فهو لا يستقر الا في الاعين. بحق السماء! كم من الدموع، ذرفت عيناك من اجل روزالين! لم تبدد الشمس بعد تنهيداتك في السماء: صدى انينك لا يزال يرن في اذني الهرمتين. هه! وعلى خدك أثر لوقعة قديمة لم تُمْسَح بعد! وان كنت انت نفسك وكانت تلك الآلام آلامك حقا فانت نفسك والآمك كنت لروزالين، وها انت قد تغيرت ردد معي هذه العبارة: النساء قد يخطئن حين لا يكون للرجال سوى بعض قوة.

روميو : طالما شككت في حبي لروزالين.

لورنس : بحبك؟ كلا، يا بني بل بعبادتك.

روميو : وكنت تقول لي ان اطمر هذا الحب.

لورنس : لم اقل ان تدفن حبا لتبحث عن آخر.

روميو : ارجوك لا توبخني، ان مَن أُحِب الآن تبادلني الاحسان بالاحسان والحب بالحب، فالاولى لم تكن تتصرف هكذا.
لورنس : آه، لقد قرأت كتاب حبك من عنوانه. هلم ايها الشاب. تعال معي برأيي يجب ان اجالسك قليلا، وهذه الجلسة قد تغير عاصفة الحقد التي تكنها عائلتاكما.
روميو : آه فلنذهب: علينا ان نسرع.
لورنس : هيا بحكمة وبهدوء: ان من يسرع في مشيه قد يتعثر.

(يخرجان)

المشهد الرابع
(شارع)

(يدخل بنفوليو ومركوشيو)

مركوشيو : اين هو هذا الروميو الشيطان؟ لعله لم يعد الليلة؟
بنفوليو : كلا لم يعد الى ابيه! لقد سألت خادمه.
مركوشيو : آه لتلك الفتاة صاحبة القلب المتحجر، تلك الروزالين، تقلقه، بنوع انها قد تفقده عقله.
بنفوليو : تيبالت، قريب كابوليت العجوز، ارسل برسالة الى والد روميو.
مركوشيو : طلب مبارزة على الارجح.
بنفوليو : روميو سيجاوب.
مركوشيو : كل من يعرف الكتابة يستطيع ان يجيب على رسالة.
بنفوليو : انه سيرد على كاتب الرسالة: استفزاز لقاء استفزاز.
مركوشيو : آه! روميو المسكين: احسبه في عداد الموتى، مطعونا بعين

سوداء لصبية بيضاء، مضروبا على اذنه بأنشودة حب، مصابا في الصميم بسهام الحب... اهو من الرجال الذين يستطيعون ان ينازلوا تيبالت؟

بنفوليو : أيه! من هو تيبالت؟

مركوشيو : انما هو امير النمور لا الهررة، اقولها بقوة وجرأة. آه! انه القائد الأشجع، هو يقاتل كما انت تصلح لحنا على البيانو، ويعد واحد اثنين ثلاثة ويصيبك في اعماق صدرك انه مقاتل من الدرجة الاولى مع انه رجل لطيف ورزين من خيرة الرجال.

بنفوليو : ماذا. اذن؟

مركوشيو : يا للشيطان تلك الحركات المضحكة المؤثرة! يا للنبرة الجديدة (يغير صوته) يا الهي! يا لحد السيف، يا للرجل القوي!... آه!.. اليس من المؤسف ان تزعجنا هذه الحشرات الغريبة...

بنفوليو : هوذا روميو! هوذا روميو!

مركوشيو : لم يبقَ منه سوى عظام هزيلة وعروق كادت تجف فيها الدماء، آه!.. هات اسمعنا قليلا من شعر بيترارك، الذي اهداه الى فتاته لورا، التي لم تكن سوى خادمة رغم ان منشدها كان يتقن قوافيه اكثر منك... عم صباحا ايها السيد روميو، لقد لاعيتنا بطريقة لذيذة محببة في الليلة الماضية.

(يدخل روميو)

سنيور روميو : بون جور! هذا سلام بالافرنسي يتناسب مع طاقمك الفرنسي لقد ابهرتنا ليلة امس.

روميو : سلام عليكما!...ماذا تقصدان؟

مركوشيو : آه! انك لا تفهم؟ لقد تواريت بخفة.

روميو : سامحني ايها العزيز مركوشيو كان لدي عمل يقتضي السرعة، وفي وضع كوضعي يسمح للرجال ان يخرقوا مبادىء التهذيب.

مركوشيو : بمعنى آخر، في حال كحالك، نرى ان الرجل مجبر على خرق الجدران ليستعيد احترامه.

مركوشيو : شكرا لقد اصبت.

روميو : هوذا التفسير الانسب.
مركوشيو : اعلم اني وردة تفوح بالحشمة والادب.
روميو : دعني اشعر بذلك.
مركوشيو : بالوردة نفسها.
روميو: (مشيرا الى المغطى بالشريط) ان حذائي ليهديك نقوشا على شكل الورد!
مركوشيو: تمادَ في هذا المزاح الى ان تكحف حذاءك الى الداخل: وحين تصبح بلا عقب عندها يمكنك على الاقل، ان تدوس على ما تبقّى منه.
روميو : مزاح!
مركوشيو : النجدة بنفوليو العزيز انفاسي تهرب مني.
روميو : اضربها بالسوط والكزها بالمهماز والا صرخت: النصر!
مركوشيو : فان كنت تدعوني الى صيد الاوز فانا ارفض: فهنالك اوز في واحدة من انفاسك اكثر مما في كل انفاسي... اوَ كنت تعتبرني أوزة؟
روميو : لم اعتبرك قط كشيء آخر.
مركوشيو : سأفرك لك أذنك لهذا المزاح.
روميو : كلا ايتها الأوزة الطيبة انك لا تصنعين ذلك ان نفسك هي كتفاحة لذيذة الحموضة ذات نكهة لاذعة.
روميو : اليس هذا ما يلزم للاوزة الدسمة؟ آه منك يا نفس الجدي لقد صنعنا من الحبة قبة.
روميو : يكفي ان اسأل الاوزة هذه عن تلك القبة ها انت تجيبين ايتها الأوزة الضخمة.

(يضحكان مليا)

مركوشيو : اليس من الافضل ان نضحك عوضا عن الأنين من ثقل نير الحب؟ ها انت طيب المعشر الآن، فقد عدت روميو ها انت كما يجب ان تكون صدقني، هذا الحب الصاخب ليس الا كابوسا ثقيلا قد يذهب خاسئا الى غير رجعة.

بنفوليو : توقف هنا! توقف هنا!

مركوشيو : تريدني ان اكف عن سرد قصتي هكذا وبكل بساطة.

بنفوليو : خشيت ان تكون طويلة جدا.

مركوشيو : آه! انت مخطىء انها لقصيرة جدا، لانه ليس في نيتي ان استمر في المناظرة اكثر من هذا.

روميو : كم انها تامة وكاملة.

(تدخل المرضع ووراءها بيتر).

مركوشيو : شراع! شراع! شراع!

بنفوليو : شراعان! شراعان! سروال وتنورة.

المرضع : يا بيتر!

بيتر : ها انذا.

المرضع : هات مروحتي يا بيتر.

مركوشيو : اعطها اياها يا بيتر الطيب، نستر وجهها، فمروحتها اقل قباحة.

المرضع : حياكم الله! صباح الخير ايها السادة الافاضل.

مركوشيو : اعطاكِ اللهُ المساءَ الخيِّر ايتها السيدة الكريمة.

المرضع : اوَ حلَّ المساء اذن؟

مركوشيو : اجل؟ واستطيع ان اقول لك لان ابرة الساعة تشير الى الظهر.

المرضع : يا لكم من ساخرين اي الرجال انتم؟

روميو : امرأة لطيفة خلقها الله لتجر اللوم على نفسها.

المرضع : هكذا اذن، لتجر اللوم على نفسها! قال؟... ايها السادة هل يستطيع احدكم ان يقول لي اين اجد روميو الشاب؟

روميو : استطيع ان ارشدك لكنك حين تجدين روميو الشاب فسترينه اكثر كهولة منذ ان بدأت بالبحث عنه. فها اناذا روميو الشاب.

المرضع : حسنا جدا! ان كنت روميو يا سيدي، فعندي لك كلمة اقولها.

بنفوليو : انها ستدعوه الى عشاء ما.

مركوشيو : فاسقة! فاسقة! فاسقة!

روميو : (الى مركوشيو): بأي صيد ظفرت.
مركوشيو : لم يكن صيدي ارنبا بالتحديد انما كان حيوانا ذا وبر زنخ كلحم الايل.

(يغني)

ما احلى لحم الارنب
يا للارنب الطيب
ما احلى لحم الارنب

يا روميو افلا تذهب الى ابيك، لتتناول طعام الغداء.
روميو : سأتبعكما.
مركوشيو : (مودعا المربية مغنيا): الى اللقاء ايتها السيدة الهرمة، الى اللقاء ايتها السيدة، الى اللقاء ايتها السيدة.

(يخرج بنفوليو ومركوشيو)

المرضع : نعم الى اللقاء! قل لي اذن من هو هذا الوقح السفيه الذي فعل كل هذه الرذائل؟
روميو : انه رجل لطيف، ايتها المرضع فهو يحب ان يستمع اليه ويقول من الكلمات، في الدقيقة الواحدة، ما لا يستطيع ان يسمعه في شهر كامل.
المرضع : ان كان قصده الاساءة فاني اعرف كيف اضع حدا لتصرفاته، والا بعثت بأشخاص يعرفون الوغد الوقح انا لست باضحوكة له. (الى بيتر) وانت ايضا يجب ان تبقى واقفا الى جانبي كلما اعترضني احد!
بيتر : لم اعثر على احد يعترضك: والا، لكنت استليت خنجري بسرعة. اني اؤكد لك هذا. انا ثابت كغيري اذ اجرِّد حسامي حين ارى مجالا لعراك كبير وحتما حين يكون الحق بجانبي.
المرضع : ليتمجد الله، انا مكدرة لدرجة ان كل اعضائي ترتجف. الوغد!... الحقير!... ارجوك يا سيدي كلمة كما قلت لك: فسيدتي الصغيرة ارسلتني وراءك... وما اوكلتني بقوله به لنفسي... انما دعني اقول لك

اولا، ان كان في نيتك – كما يقولون – ان تنقلها الى جنة المجانين فسيكون ذلك تصرفا غير لائق لانه – كما يقولون – الآنسة ما زالت صغيرة وان رأيت ان تتلاعب بعواطفها فسيكون ذلك شنيعا وحقيرا بحقها.

روميو : ايتها المرضع توسلي لي لدى سيدتك، اني استحلفك...

المرضع : يا للقلب الرائع! اجل بحق الله! سأقوله لها! سيدي سيدي فستكون هي جد مسرورة.

روميو : ماذا ستقولين لها ايتها المرضع؟ انك لم تصغي الي.

المرضع : سأقول لها يا سيدي انك تقسم، وهذا، في رأيي، لدليل تصرف لطيف وانساني.

روميو : قولي لها ان تجد طريقة وتعترف اليوم بعد الظهر! وفي حجرة الاخ لورنس ستعترف وتتزوج. وهذا بدل اتعابك.

(يعطيها صرة).

المرضع : كلا يا سيدي، ولا درهم واحد.

روميو : هيا يجب أن تأخذيه كما قلت لك.

المرضع : (تأخذ الصرة): حسنا ستكون هنا يا سيدي اليوم بعد الظهر.

روميو : وانت ايتها المرضع الطيبة ستنتظرين وراء حائط الدير. وقبل ساعة سيوافيك خادمي حاملا سلما من الحبال: وسيوصلني هذا السلم، وفي هذه الليلة السرية، الى ذروة سعادتي الى اللقاء!... توسلي لي لدى سيدتك.

المرضع : ليحفظك الله اسمعني يا سيدي.

روميو : ما عندك لتقوليه لي ايتها المرضع العزيزة.

المرضع : هل خادمك يا سيدي رزين؟ انت تعرف، ولا شك المثل القائل كل سر جاوز الاثنين شاع.

روميو : اطمئني: فخادمي رصين كالفولاذ.

المرضع : حسنا يا سيدي! سيدتي هي من اروع النساء... سيدي! حين كانت صغيرة ثرثارة!.... كان هناك في الحي سيد كبير يدعى «بارس» كان يريد منها شيئا. انما هي، ذات النفس الطيبة، كانت تفضل ان ترى ضفدعا، ضفدعا حقيقيا، على ان تراه هو. كنت اغضبها احيانا حين اقول لها

ان بارس هو الرجل المناسب. آه! انا اؤكد لك حين اقول لها هذا يمتقع لونها ويضحي باهتا.
روميو : اجل ايتها المرضع. آه! توسلي لي لدى سيدتك.

(يخرج)

المرضع : اجل الف مرة!.. يا بيتر.
هيا لنسر الى الامام وبسرعة.

(يخرجان).

المشهد الخامس
(حديقة كابولي)

(تدخل جولييت)

جولييت : كانت الساعة التاسعة حين ارسلت المرضع ووعدتني بالعودة بعد نصف ساعة... الم تعثر عليه يا ترى!... لكن لا... آه! انها متعثرة الخطى! رسول الهوى يجب ان يكون اسرع فكرا بعشر مرات من شعاع الشمس الذي يبدد الظلمات في الأزقة الخفية. الحب تشده اليمامات السريعة وكوبيدون ايضا هل له اجنحة سريعة كالريح الآن بلغت الشمس ذروة مسيرتها اليوم من الساعة التاسعة الى الظهر مرت ثلاث ساعات طويلة وهي لم تعد بعد! ان كانت تملك انفعالات الشباب ودمه المحرق فعليها ان تكون بخفة النسيم وسرعته.. لقد حملت كلماتي الى من احب وستحمل كلماته الي ولكن هؤلاء العجز الذين نظنهم امواتا قد نحتاج اليهم احيانا (تدخل المرضع وبيتر)
جولييت : رباه! ها هي اخيرا... ايتها المرضع الطيبة ما وراءك؟ هل وجدته؟ اصرفي هذا الرجل.

المرضع : هيا يا بيتر ابق خارجا.

جولييت : حسنا ايتها المرضع الطيبة!... رباه! لماذا تبدين هكذا حزينة؟ حين تكون انباؤك حزينة قوليها لي بمرح. ان كانت مفرحة فانت تسيئين الى عذوبة موسيقاها وانت تعزفينها في هذا اللحن المحزن.

المرضع : لقد هلكت، دعيني اتنفس قليلا، آه! كم تؤلمني عظامي! اي مسافة قطعت؟

جولييت: اريد لو تتمالكني عظامي عند سماعي انباءك... هيا ارجوكِ تكلمي ايتها المرضع الطيبة تكلمي.

المرضع : يا الهي! اية عجلة هذه! الا تستطيعين الانتظار هنيهة؟ ان انفاسي تكاد تخمد.

جولييت : كيف يمكن ان تخمد انفاسك حين يبقى عندكِ انفاس تسمح لك ان تقولي لي انك فاقدة انفاسك، ان العذر الذي تبدينه لهو اطول من الخبر الذي تعتذرين عن قوله. امحزنة انباؤك ام مفرحة؟ اجيبي. اجيبي فقط بكلمة وسأستمع الى التفاصيل. قولي لي هل هي محزنة ام مفرحة؟

المرضع : حسنا؟ خيرتني اختيارا سهلا: انت لا تعرفين اختيار رجل؟ روميو، رجل؟ كلا مع ان وجهه اجمل من اي رجل آخر ورجله صبت بأجمل قالب اما اليد والقدم والطول فلا شيء يقال كل هذا لا مثيل له... انه ليس بزهرة اللطف مع انني اراهن على انه اكثر وداعة من حمل... سيري في طريقك يا بنيتي، اخدمي الرب... آه هذا! أترعيني هنا اذن ؟

جولييت : كلا كلا... لكنني كنت اعرف كل هذا. ماذا يقول عن زواجنا؟ ماذا يقول؟

المرضع : يا الهي كم يؤلمني رأسي! اي رأس هذا! فهو يتخبط كما لو سيتقطع الى عشرين قطعة... وايضا من الجهة الاخرى، ظهري... آه يا ظهري! يا ظهري انت يا قاسية القلب ترسليني لاجري وراء الموت في جميع الانحاء.

جولييت : الحقيقة، اني حزينة لانك لست على ما يرام: ايتها المرضع العزيزة العزيزة العزيزة العزيزة اخبريني ماذا يقول حبيبي!

المرضع : حبيبك يتكلم بلهجة اللطفاء المجاملين والبشوشين واقدر ان اقول الشجعان... اين هي والدتك؟

جولييت : اين هي والدتي؟ هي في الداخل: اين تريدينها ان تكون؟ ما هذه الاجوبة الشاذة؟ « حبيبك يتكلم بلهجة اللطفاء، اين هي والدتك؟

المرضع : آه يا ام الرب: هل انت متشوقة الى هذا الحد؟ هل تتدفئين ايضا اهذا هو دواؤك لعظامي؟ من الآن وصاعدا قومي انت بمهمتك.

جولييت : كم من العوائق!... هيا ماذا يقول روميو؟

المرضع : هل تستطيعين الذهاب للاعتراف اليوم؟

جولييت : اجل!

المرضع : اذن اسرعي الى حجرة الاخ لورانس: هناك زوج ينتظرك ليجعل منك زوجا له. آه حسنا: ها هو ذا دم الحياء يتصاعد الى وجنتيك ستصبحان ارجوانيتين عند اول نبأ. اسرعي الى الكنيسة! انا سأذهب من الناحية الاخرى لآتي بالسلم الذي سيتسلقه حبيبك ليصل الى عش العصفور حين تظلم الدنيا انا هي الضحية اذ اهلك نفسي من اجل سعادتك لكن من هذا المساء ستحملين العبء انت بنفسك، هيا اريد ان اتغدى. اسرعي الى الحجرة.

جولييت : هيا بسرعة الى ذروة السعادة!... ايتها المرضع الامينة، الى اللقاء.

(تخرجان في اتجاهين مختلفين).

المشهد السادس

(حجرة الاخ لورنس)

(يدخل الاخ لورنس وروميو)

لورنس : فلترسل السماء بركاتها على عملنا هذا وليبتعد الشر والمكروه عنهما الى الابد.

روميو : آمين، آمين، لئن اتت جميع الاحزان الممكنة ، لن تستطيع ان تساوي السعادة التي أتنعم بها في دقيقة قصيرة اقضيها معها. اقرن فقط ايدينا بالكلمات المقدسة وليفعل الموت هامة الحب كل ما يستطيع فعله: فيكفي ان تكون جولييت لي.

لورنس : هذه الافراح القوية نهايتها قوية وذلك في غمرة الانتصار مثلما تغني النار والغبار بقبلة. اشهى العسل يصبح مضجرا بعذوبة نفسها، ويفقد الشهية بطعمه كما بالتمهل. ان الاذن تعشق السماع ولكن باعتدال وكذا الحب المتين يكون معتدلا اذ بالعجلة لا يبلغ احد الهدف. (تدخل جولييت).

لورنس : ها هي السيدة! آه! لن تطأ قدم كهذه الارض الابدية ابدا: العشاق يستطيعون ركوب غشاء الشمس حين يصفو الجو في الصيف دون ان يقعوا:

جولييت : سلام على مُعَرِّفي الجليل.

لورنس : روميو سيشكرك عنا نحن الاثنين يا ابنتي.

جولييت : اني ارسل له نفس السلام، والا كان شكره غير مستحق.

روميو : آه! يا جولييت، اذا كان فرحك في اوجه مثلي او اكثر ويمكنك ان ترسميه ان تعطري بانفاسك الهواء الذي يحيط بنا ولتعبِّر موسيقى صوتك الجميلة عن السعادة التي يشعرنا بها نحن الاثنين لقاء حميم كهذا.

جولييت : الاحساس الاغنى بالانطباعات منه بالكلمات يفتخر بجوهره لا بظواهره! محتاجون هم الذين يستطيعون عد غناهم: لكن حبي الصادق نما على درجة لا استطيع فيها تقدير نصف كنوزي.

لورنس : هيا، تعالا معي سنقوم بعمل بسيط لا يجب ان تبقيا وحيدين قبل ان تجمعكما الكنيسة المقدسة الى بعضكما.

(يخرجون).

الفصل الثالث

المشهد الاول

(ساحة عامة)

(يدخل مركوشيو، بنفوليو، وصيف وخدم)

بنفوليو : ارجوك، يا مركوشيو هيا، لننسحب، ان اليوم حار، وآل كابوليت خارج منازلهم، واذا التقينا بهم، لا يسعنا تجنب المشاجرة! اذ في هذه الايام الحارة، يزداد تدفق الدم.

مركوشيو : تبدو لي كواحد من اولئك الاقوياء الذين يدخلون الى الخمارة، ويرمون بسيوفهم على الطاولة قائلين « ارجو الا نلجأ الى استعماله » وبعد الكأس الثانية يجرد سيفه في وجه الخمّار دونما سبب.

بنفوليو : أوَ أبدو وكأني واحد من أولئك الاقوياء؟

مركوشيو : هيا! هيا! يا لرأسك المماثل لرأس كل ايطالي لا يهتم الا للقتال والشجار.

بنفوليو : وكيف ذلك؟

مركوشيو : أجل، ان وُجد اثنان مثلك، لن يبقى لنا واحد منهما، لان الواحد سيقتل الاخر، انت! قد تتشاجر مع رجل قد يضاهيك او يزيدك قليلا! انت قد

تتشاجر مع اي رجل يأكل الجوز لسبب بسيط وهو ان عينيك جوزيتان لوناً ! رأسك مليء بالمشاجرات، مثلما البيضة بالصوص، وهذا لا يمنع ان يكون فارغا، مثل البيضة المكسورة، لكثرة الضرب. تشاجرت مع رجل كان يسير في الشارع، لانه افاق كلبك النائم في الشمس. ألم تسع ، ذات يوم، الى الخصام مع خياط كان يرتدي صدرية جديدة قبل عيد الفصح، ومع رجل آخر لانه يربط حذاءه الجديد بشريط قديم ؟ وانت الان تردعني عن المشاجرات !

بنفوليو : لو كنت مشاغبا مثلك لبعت حياتي رخيصا لاول شارٍ يضمنها لساعة وربع الساعة.

مركوشيو : رخيصا! يا للبساطة!

(يدخل تيبالت ومعه آخرون)

بنفوليو : على رأسي! ها هم الكابوليت.

مركوشيو : اقسم بقدمي اني لا آبه لهم ولا اعبأ بهم.

تيبالت : (لرفاقه) اتبعوني عن قرب لاني اريد مخاطبتهم... (الى مركوشيو، وبنفوليو) مساء الخير ايها السادة، هل استطيع محادثة احدكم بكلمة؟

مركوشيو : فقط كلمة، ارفقها بشيء آخر، كلمة، ولكمة معا.

تيبالت : ستجد اني مستعدا على الاقل حين تتيحون لي الفرصة.

مركوشيو : الا تستطيع ايجاد الفرصة دون ان نقيمها لك؟

تيبالت : انك متواطيء مع روميو يا مركوشيو.

مركوشيو : متواطيء! وكيف ذلك؟ اراك تنظر الينا باحتقار! ان كانت هذه نظرتك الينا فهيء نفسك للشجار. (يضع يده على سيفه) فهذه هي قيثارتي التي سترقصك.

بنفوليو : ها ان الاعين ترصدنا ونحن نتجادل، فهيا اما لنبتعد من هنا ونكمل حساباتنا، واما نفترق.

مركوشيو : دع الاعين ترصدنا ، فانها انما خلقت لتراقب، اما انا فما من قوة في العالم بقادرة على زحزحتي من هنا.

(يدخل روميو)

تيبالت : (الى ميركيتو) اذهبا، ولترافقكما السلامة (مشيرا الى روميو) ها هو الرجل الذي اريد.
مركوشيو : اني لاراهن على رأسي، فيما اذا كان هذا سيخدمك، وغدا عندما تراه في حلبة المبارزة فلسوف تناديه بالبطل.
تيبالت : ان بقية الحب التي احملها لك تجعلني اتصرف هكذا، ومع ذلك فانت رجل حقير.
روميو : انها ثورة الغضب التي تتفجر من خلال السلام الذي يتدفق بحبي لك ويجعلني اصفح عن هذه الهفوات، ولكن وداعا فلن تراني بعد اليوم. فها قد تنكرت لي.

(يهم بالخروج)

تيبالت : يا لك من طفل غر! ولكن هذا لا يجعلني اغتفر لك اهانتك! استدر وخذ الحذر.
روميو : ان تصرفك هذا ليس له مبرر، مع اني اكنّ لك عاطفة لا تعرف قوتها الا بعد ان تعرف اسبابها، وهكذا يا عزيزي كابوليت - كم هو محبب لي هذا الاسم، كاسمي - اوَ يرضيك هذا؟
مركوشيو : ايتها البرودة الدنيئة والطاعة الخسيسة ليس لك الا طعنة في الصميم (يستل سيفه) يا تيباليت ايها الجبان انك لاجبن من تقتل فأرا. هيا للبراز.
تيبالت : ماذا تطلب مني؟
مركوشيو : لا شيء، يا زعيم الهررة ومالك عرشها، لا اريد سوى روحا واحدة من ارواحك السبعة، تلك التي سأتمتع بها واحتفظ بما تبقى من ارواحك لمآربي الاخرى... هيا استل سيفك وحركه، قبل ان يحرك سيفي عنقك.
تيبالت : (يستل السيف): ها انا ذا!
روميو : اعد سيفك يا مركوشيو الى غمده.
مركوشيو : (لتيبالت) هيا ايها السيد! هات ما عندك:

(يتضاربان)

روميو : هيا يا بنفوليو وجرد سيفك وفرق بينهما...! تراجعوا ايها السادة واخجلوا في انفسكم! فالامير منع البراز في شوارع فيرونا، حفاظا على كرامة الاشراف! هيا توقفوا! تيبالت! وانت يا مركوشيو الحبيب!

(يمد سيفه بين المتبارزين، تيبالت يلمس مركوشيو برأس سيفه من تحت ذراع روميو ويهرب مع مناصريه)

مركوشيو : يا للعنة تنصب على البيتين! لقد جرحت...! لقد قتلت بينما فرَّ هو! اوَ لم يصبه شيء؟

(يترنح ويتهاوى).

بنفوليو : (يسند مركوشيو) أوَ جرحت!

مركوشيو : انه لخدش بسيط من يد وغد لئيم، ولكنه بليغ... اين خادمي؟ ايها الغلام هيا اليَّ بجرَّاح...

(يخرج الخادم).

روميو : تشجع يا صديقي! قد لا يكون الجرح عميقاً!

مركوشيو : انه ليس عميقاً كالبئر، ولا واسعا كباب قصر، ولكنه مؤلم. اطلب ان تراني غدا وانا على ما يرام، لان الاهانة كانت اعمق واخطر من الجرح، الا لعن الله بيتيكما!... اوَيجرح رجل! رجل مثلي جرحاً كهذا من يد جرذ حقير؟ اما لو انه نازلني وجها لوجه لما عاش..! (الى روميو) لماذا وقفت بيننا قل لي؟ فاني تلقيت ضربة الجبان من تحت ذراعك.

روميو : ظننت انني احسنت عملا.

مركوشيو : ساعدني للوصول الى اقرب بيت والا انهرت... لتنصب اللعنة على بيتيكما اذ جعلا لحمي مأكلا لحشرات حقيرة... قضي الامر لقد طعنت في الصميم.

(يخرج مركوشيو مستنداً الى بنفوليو)

روميو : (وحده): يا الهي! لقد كان ذلك بسببي، اذ تلقى صديقي الحبيب وقريب الامير الادنى طعنة نجلاء بعد ان وجّه الي تيبالت، الذي أضحى ابن عمي منذ ساعة، اهانة... آه يا جولييت لقد اسرني جمالك! اذاب بصلابتي الفولاذية كلا شيء.

(يدخل بنفوليو)

بنفوليو : آه يا روميو! لقد مات مركوشيو، واخترقت روحه الحجب بعد ان غادرت هذه الارض الفانية.

روميو : ها قد بدأت النكبات تتوالى منذ اليوم ولا نعلم متى تنتهي.

(يدخل تيبالت)

بنفوليو : ها هوذا تيبالت الثائر يعود.

روميو : يا لسخرية القدر، تيباليت ذاك الحقير يمشي حيا منتصرا ومركوشيو لم يمض على فراقه الابدي الا برهة وجيزة... ان لقب دنيء يعود اليك يا تيبالت، فما عليك الا ان تلحقه انت او كلانا معا.

تيبالت : لله ابوك ايها الطفل، لقد كنت صديقه في هذه الدنيا، ولسوف تكونه هناك.

روميو : (يستل سيفه) هذا هو الذي سيحكم بيننا ويقرر.

(يتبارزان يقع تيبالت).

بنفوليو : هيا يا روميو اهرب! اذهب من هنا! ان الاهلين على مرمى حجر من هنا، وتيبالت قتيل! لا تبقَ هنا هكذا مكتوفا، فالامير سيحكم عليك بالموت فيما لو القي القبض عليك... هيا اهرب... اخرج من هنا!

روميو : يا لحظي المجنون!

بنفوليو : ماذا تنتظر اذن؟ هيا اهرب!

(يهرب روميو)
(يدخل جمع من المواطنين المسلحين)

مواطن اول : من أي طريق هرب ذاك الذي قتل مركوشيو ! تيبالت ذاك القاتل من اين، ومن أي طريق هرب ؟

بنفوليو : انظروا ! ان تيبالت هنا هو مرمي على الأرض.

مواطن اول : انهض يا سيدي واتبعني، فإني آمرك بطاعتي باسم الأمير.

(يدخل الأمير وحاشيته، مونتاغو، كابوليت والسيدة مونتاغو والسيدة كابوليت وآخرون غيرهم).

الأمير : اين هم الذين سببوا هذا الحادث؟

بنفوليو : عفوا ايها الأمير الشريف، اني استطيع ان اطلعك على كل اسباب هذه المعركة الأليمة. (يشير الى جثة تيبالت) هوذا الرجل الذي قتله روميو الشاب، بعد ان قتل هذا قريبك مركوشيو الشاب!

السيدة كابوليت : (تنحني على الجثة) اي تيبالت ابن اخي.. واها ايها الأمير! آه يا ابن اخي ! انه دم اقاربنا الاشراف الذي هدر ... ايها الأمير ان اردت العدل ان يسيطر فمر بسفك دم آل مونتاغو فقد تثأر لدمنا ... آه يا ابن اخي.

الأمير : من بدأ الشجار يا بنفوليو ؟

بنفوليو : ان تيبالت هذا الذي تراه هنا قتيلا، هو الذي بدأ، وكان روميو قد نصحه كثيراً بألا يقحم نفسه بشجار لا يجر سوى الخيبة، وقد ذكّره بأمركم الكريم، بعدم المبارزة في الشوارع، فلم يرتدع تيبالت ولم يسمع لكلمات السلام، بل ركب رأسه، فتصدى له مركوشيو، الشاب المتحمس، الحديد بالحديد، فما كان من روميو الا ان صرخ في وجهيهما : ان كفا عن القتال، وقد رمى نفسه بينهما وعندها غدر تيبالت هذا مركوشيو وطعنه بالسيف، ثم هرب لبرهة وعاد ليكمل شوطه بقتل روميو، ولكن روميو عاجله بضربة قاتلة بعد مبارزة عنيفة، ثم اركن الى الفرار... يشهد الله ان هذه هي الحقيقة !

السيدة كابوليت : (تشير الى بنفوليو): ان هذا لمن اقارب آل مونتاغو، وهذه القرابة تحمله على الكذب ... فإني اراه لا يقول الحقيقة ! اذ ان عشرين منهم قد تدخلوا في هذا العمل الاجرامي وقتلوا رجلاً منا، لذا اطلب العدل والاستقامة ... العدل العدل ايها الأمير، ان روميو قتل تيبالت، فيجب أن يموت روميو.

الأمير : روميو قتل تيبالت حسناً ! ولكن، تيبالت قتل مركوشيو، فمن سيعوضني الدم الكريم.
مونتاغو : قد لا يجوز ان يكون روميو ايها الأمير، انا صديق لمركوشيو وهذه غلطته الوحيدة وهي أنه طبّق القانون بقتل تيبالت ...
الأمير : لله من احقادكم، فها أنا ذا ضحية احقادكم، فدمي لا يزال جارياً من أجل نزاعكم الشرس. ولكني سأفرض عليكم غرامة قاسية تجعلكم تندمون على ما فعلتم، وما قاسيته انا من احزان وآلام. ومن الآن وصاعداً سأصم اذني عن سماع المرافعات والدعاوى والاعتذارات، فلا دموع، ولا صلوات، ولا اي شيء آخر قد يقف بوجه المرافعات ولا تشفع بكم الشفاعات. ليسرع روميو في الهرب، لأننا عندما نراه هنا سنضع حداً لحياته ! ليُنْقَل هذا الجثمان ولتنفذ الأوامر. ان مسامحة القتلة يجعلهم يتمادون في إجرامهم.

المشهد الثاني
حديقة كابوليت

(تدخل جولييت)

جولييت : عد مسرعا ايها الفرس يا ذا الأرجل النارية، بالله عد نحو منزل « فيبوس » ! الا ايها الليل ! اسدل استارك الحنونة فإنك ستار المحبين، ولتنم الاعين المتطلعة ولتنم معها الضوضاء، وليسد الهدوء ... أما روميو فليثبت بين ذراعي، وليكن مخفيا الا عن عيني ... تعالي ! هلمي ! اسرعي ! ايتها الليلة المباركة المتجلببة بسواد مُحَبَب! هلمي ايتها السيدة الفاضلة. وعلميني ان طهارتين لا شائبة فيهما لافضل بكثير من ربح العالم بأسره، هلم اخفِ ذاك الدم الشريف الحائر في عروقي تحت قبعتك السوداء واتركه هكذا حتى يتفتح الحب ويستيقظ ... هلم ايها الليل، وأنت يا روميو تعال مع هدأة الليل وحوِّل

فحمته الى اشراقة دائمة، واجعله ناصعا افضل من الثلج ... هلم ايها الليل يا ذا الجبهة الدكناء وهات معك روميو، وحين يموت اجعل جثته نجوما صغيرة ورصع بها وجه السماء ليضحي رائعاً بها فيفتتن الكون بأسره بسواد الليل ودكنته ويرتد عن عبادة الشمس التي تعمي الأبصار بنورها ... لقد اشتريت ارضاً لا بل ملكاً مليئاً بالحب ولكني لم احصل على صك ملكيته، ومَن باعها مني لم يفرح بي ... ايها النهار الممل الطويل كليلة الملسوع ولا مؤاس له ... ها هي ذي مرضعتي.

(تدخل المرضع ومعها سلم من حبال)

انها لتأتيني بأخبار حلوة، وكل فم يحدثني عن روميو، لكأنه يتكلم بلغة السماء ... ايه يا مرضعتي هاتِ ما عندكِ، وما وراءكِ! اهو سلم الحبال الذي طلب اليك روميو احضاره ؟

المرضع : نعم انه هو.

(تتركه يسقط بحركة يأس).

جولييت : رباه ! ماذا هناك ؟ ماذا دهاك ؟ لماذا تلوين يديك هكذا.

المرضع : يا للرحمة ! لقد مات ! لقد مات ! لقد مات ! لقد مات ! دنت نهايتنا يا سيدتي ! لقد انتهينا ! واحسرتاه ! اي نهار هو هذا ؟ لقد قتل ! لقد مات :

جولييت : او تكون السماء اشد قساوة من البشر ؟

المرضع : ان لم تكن السماء قاسية فروميو هو ذاك ! ... آه يا روميو آواه يا روميو : من يصدق !؟

جولييت : اي شيطان انتِ ؟ أوَ هل أتيتِ من أعماق الجحيم لتعذبيني ؟ هذا هو العذاب بعينه ! قولي هل قتل روميو نفسه. اجيبي بنعم فقط وهذه « النعم » البسيطة تقتلني بسرعة اكثر مما يقتلني كوب مليء بالسم، فيما لو حتم علي أن اسمع هذه « النعم » والا كلمة واحدة تقرر اما سعادتي واما شقائي.

المرضع : اقسم بأني رأيت الجرح، رأيته بعينيَّ هاتين ... على صدره يا

للجثة المحزنة جثة تجللها الدماء ... جثة نحيلة صفراء مغطاة بالدماء الخاثرة لدى رؤيته غبت عن الوعي.

جولييت : لا يا قلب ! لا تصدق ما يقال ... يا قلب تنكر لهذه الحياة انها لا شيء ! ايتها الأرض توقفي عن الدوران وانت يا روميو انضم الى ذات الأرض وذات التابوت.

المرضع : واها يا تيبالت ! لقد كنت لي خير صديق ! واها يا تيبالت اللطيف المخلص ! ايجوز ان ابقى في الحياة لأراك ميتا.

جولييت : ما هذه الأنواء ؟ وما هذه العواصف المولولة ؟ وما هذه الامواج المتلاطمة ؟ ماذا دهانا ؟ روميو قُتِل وتيبالت مات: ابن خالي الحبيب وزوجي الاعز ! فلينفخ بالصور العظيم بصوته الرهيب فقد جاء يوم البعث والنشور ... مات الجميع فمن بقي حيا ؟

المرضع : تيبالت مات ! أما روميو فمنفي ! روميو القاتل منفي.

جولييت : يا الهي ماذا اسمع ؟ يد روميو هي التي اراقت دم تيبالت ؟

المرضع : نعم ! نعم ! ويا للأسف ! نعم.

جولييت : ايه يا قلب ! ايها اللص المختفي بين جمال الأزهار. ما كنت لاصدق ان تنينا هائلاً يسكن كهفاً مظلماً كهذا ! ايها الظالم ايها الشيطان الملاك. ايها الغراب المكتسي بريش الحمام ! ايها الذئب بجلد الحمل ! ايتها المادة الحقيرة ذات الشكل الالهي ان حقيقتك عكس ما تبدو قديس متشيطن، شريف حقير ! آه ايتها الطبيعة ! مَن تدخرين في جهنم حين ترسلين روح شيطان في جسم لطيف كهذا ؟ ما أُنزِلت في كتاب هذه المتناقضات ...

المرضع : اننا في زمن فُقِدَت الثقة بالرجال، اذ فقدوا هم الايمان والشرف، كلهم اصبحوا كاذبين ! خونة ! ادنياء خبثاء ! ... اين خادمي ؟ اعطوني بسرعة ماء الحياة لقد هرمتني هذه الآلام والاحزان هذه الأمراض ... عيب وايما عيب يا روميو !

جولييت : قطع لسانك على هذا الدعاء. ان روميو لم يولد للعيب انما العيب سيستقر، ان كان هناك عيب، فعلي العرش اما على جبهته فسيوضع اكليل البراءة والمسامحة واكليل الشرف.

المرضع : اتستطيعين مدح من قتل ابن خالك ؟

جولييت : هل علي ان اهين او اشتم زوجي ؟ اواه ! يا سيدي المسكين ! أيُّ لسان يلوك سمعتك ؟ فيما انا، التي منذ ثلاث ساعات اصبحت زوجتك قد لكتها. لماذا ايها الشرير قتلت ابن خالي ؟ ولكن لو لم يكن هكذا لكان ابن خالي قتل زوجي. تكفكفي ايتها الدموع وعودي من حيث خرجت ! ... زوجي الذي أراد تيبالت قتله لا يزال حيا ؟ وتيبالت الذي أراد قتل زوجي مات ! يا لسخرية الأيام، لمَ البكاء اذن ؟ لو لم يقال لي أن روميو منفي لاكتفيت، ولكن كلمة « منفي » كافية وحدها لتقتل عشرة آلاف انسان. لو قيل لي : ان والدك ووالدتك كلاهما ماتا مع تيبالت لسبَّب لي هذا النبأ ألماً لم يلبث أن يزول. أما النفي فهو تجديد آلام وامال بعيدة ... ايتها المرضع ! اين ابي وامي ؟

المرضع : انهما يبكيان فوق جثمان تيبالت ! اتريدين اللحاق بهما، لأقودك اليهما ؟

جولييت : انهما يغسلان بدموعهما جروحه ! اما دموعي فادخرها حتى تنضب مآقيها لابعاد روميو ونفيه، اجمعي هذه الحبال ! ... ايها السلم ! لقد خابت آمالك كما خابت آمالي لأن روميو منفي ! لقد جعل منك طريقاً الى سريري، ولكنه لم يصل، فها اناذا ابقى بتولا الى ان أموت ببتوليتي شيخة قد شبعت من الايام، ايه ايتها الحبال ! ايه ايتها المرضع ! انا ذاهبة الى سريري الزوجي ولكن ستكون عذريتي للقبر !

المرضع : هيا الى غرفتك ! أما انا فسأبحث عن روميو وآتي به ليعزيك ... اني اعرف اين هو ... اتسمعين ! روميو سيكون هنا الليلة، انا ذاهبة اليه، انه في حجرة الاخ لورنس.

جولييت : تخلع الخاتم من اصبعها): آه! اعثري عليه، واعطيه هذا الخاتم، اعطيه الى فارس احلامي واطلبي اليه أن يأتي ويودعني الوداع الأخير ...

ستار

المشهد الثالث

(حجرة الاخ لورنس)

(يدخل الأخ لورنس ثم روميو)

لورنس : تعال يا روميو ! تعال ايها الخائف الملهوف، الذي خطبت اليك المصيبة ! ماذا هناك من جديد ؟ ما هو قرار الأمير ؟ اية كارثة ستحل بي ؟

روميو : اي قرار يمكن ان يصدره غير قرار الحكم عليَّ بالموت.

لورنس : لا، لم يصدر حكم بالموت، انما صدر الحكم بنفي الجسم !

روميو : النفي ! بالله رحمة بي قبل الموت ! فالنفي لهو أشد ضراوة واكثر رهبة من الموت ! لا تقل النفي.

لورنس : ها قد أضحيت منفياً من فيرونا فتشجع يا بني فالعالم رحب وواسع.

روميو : ليس للعالم من وجود خارج جدران فيرونا، ليس هناك سوى مطهر ! سوى عذاب ! سوى جهنم ! النفي يعني الموت باسم آخر لأن النفي موت بقطع الرأس بفأس من ذهب ...

لورنس : يا للخطيئة المميتة ! يا للكفر ! انك لتستحق الموت ! بيد ان اميرنا قد خرق القانون وحول الموت الى نفي فهذه نعمة حزتها.

روميو : هو عذاب رهيب وليس نعمة. ان السماء هي حيث جولييت. ان الهررة والكلاب وحتى الفئران لا بل جميع الكائنات القذرة التي ترى جولييت انها احسن حالا من روميو المنفي هنا. الجميع في فيرونا افضل من روميو لأنهم يستطيعون رؤية جولييت وانتزاع البسمة من شفتيها ... الذبابة الحقيرة التي تنعم بالوقوف على يدي جولييت افضل مني لأنها حرة طليقة وانا جدجد ! وها انت تهوّن علي النفي، ليتك كنت تملك سماً قاتلاً أو خنجراً قاطعاً أو أية آلة اخرى تميت لكان افضل بكثير من كلمة منفي ... كيف تجرؤ على هذه اللفظة، منفي ...

لورنس : دعني، يا مجنون الحب، اقول لك كلمة.

روميو : اواه ! اوَتريد ايضاً ان تكلمني عن النفي.

لورنس : لألقنك درسا يكون لك كدرع واقٍ يدرأ عنك مرارة النفي لأن الفلسفة هي الحليب المغذي في المحن والالم.

روميو : المنفي ايضاً ! لله منك ايتها الفلسفة ! ان لم تستطع الفلسفة صنع جولييت فلا تصلح لشيء ! ولا تكلمني بعدها ابداً.

لورنس : لقد عرفت الآن ان المجانين لا آذان لهم.

روميو : انّى يكون للمجنون آذان في حين ان لا عيون للعقلاء ؟!

لورنس : تعال نتناقش في موقفك.

روميو : انك لتستطيع التحدث بما لا تشعر به. آه لو كنت شاباً مثلي وجولييت كانت حبيبتك وتزوجت منها منذ ساعة وقتلت تيبالت واضحيت خائفاً ومنفياً مثلي، هل كان باستطاعتك الكلام ؟ لا ولا كان باستطاعتك ان تشد بشعرك وترميه ارضاً كما افعل أنا لأكون مهيئاً للموت.

(يهبط ارضاً ويسمع طرقاً على الباب).

لورنس : هيا انهض ! هناك من يطرق الباب ... اختبيء يا روميو !

روميو : كلا لن اختبيء ! وارجو الا تنسج تأوهاتي حولي حجاباً يخفيني عن الأنظار.

(الطرق على الباب مستمر).

لورنس : اتسمع كيف يطرقون الباب ! مَن هناك ؟ ... روميو انهض، قد يقبضون عليك ... انتظروا قليلاً : هيا انهض ! ... اسرع الى مختبري ... (الطرق مستمر). ها أنا آت حالاً... يا الهي ما هذا الجنون!... (الطرق مستمر) انا آت ! انا آت ! (يذهب الى الباب) من يطرق هكذا بعنف ! من اين انت آت ؟ وماذا تريد ؟

المرضع : (في الخارج) دعني ادخل اولا وستعرف مطلبي. انني آتية من قبل السيدة جولييت !

لورنس : (يفتح الباب) اهلا بك اذن! اهلا بك!

المرضع : (تدخل) ايها الراهب القديس! قل لي بربك أين هو سيد سيدتي؟ اين روميو ؟

لورنس : انه منطرح ارضاً يشرق بدموعه ويسكر بها.

المرضع : ان حالته هي حالة سيدتي تماماً.

لورنس : يا للعواطف الحزينة ... ! ويا للوضع المؤثر.

المرضع: ان سيدتي تبكي وتنهار وتنهار هيا ! قف على رجليك ان كنت رجلاً. فبآسم جولييت ! قم انهض لماذا انت هكذا ؟

روميو : (ينهض كالمجنون) المرضع!!

المرضع : آه يا سيدي ! آه يا سيدي ! ان الموت قد اقترب من الجميع.

روميو : هل تكلمت عن جولييت ! كيف حالها ؟ الا تراني في عينيها مجرماً قاسياً قد لطخت طفولة سعادتنا بدم قريب لها ؟ اين هي ؟ كيف حالها ؟ وكيف هي ؟ ماذا تقول سيدتي عن حبنا الذي أضحى في خبر كان ؟

المرضع : انها لا تقول شيئاً يا سيدي، ولكنها تبكي وتبكي، ثم ترتمي على فراشها فتعود وتنتصب وتنادي تيبالت ثم تصرخ روميو وتقع من جديد.

روميو : يبدو أن هذا الاسم قد يقتلها كما قتلت يده المنبوذة ابن خالها ... قل لي يا ابتِ... في اي مسكن وفي اي هيكل عظمي يجب أن أضع اسمي ؟...

(يستل خنجره كمن يحاول أن ينتحر فتنتزعه المربية من يده).

لورنس : ارتدع واردد يدك ! أأنت رجل ؟ ان شكلك يدل على انك رجل بينما دموعك تدل على انك امرأة وتصرفك غير الموزون يجعلك شبيهاً بالضواري. يا للمرأة البشعة التي كنا نظنها رجلاً، لقد ادهشتني لأنك تبدو رجلاً وامرأة في وقت واحد. لقد قتلت تيبالت وتريد الآن ان تقتل نفسك، وبذلك تقتل المرأة التي وضعت آمالها عليك لماذا تشتم الحياة ؟ السماء والأرض؟ ان الحياة والسماء والأرض هذه الثلاثة قد اجتمعت لتصنع وجودك، وانت تريد ان تتخلى عنها كلها، انك تسيء الى جمالك، الى حبك، الى روحك، انك تنحر كل ما تملك في حين لا تستعمل العقل انظر جمالك

وحبك وروحك ... انك في عملك هذا تسيء الى الحب والجمال والى العهد الذي قطعت انت واياها على نفسيكما ... انهض انها لم تزل حية ... جولييت حية، تلك التي من أجلها كنت تنتحب منذ هنيهة. أوَلستَ سعيداً ؟ تيبالت اراد ذبحك فقتلته، الست سعيداً ؟ القانون الذي يهددك بالموت اصبح صديقك وحوّل الحكم من الموت الى النفي ... النعم تنهمر عليك كالمطر ولكنك انت تتهرب من السعادة. احترس وانتبه لنفسك انه هكذا يموت الانسان التعيس، هيا اذهب الى حبيبتك كما كان منتظراً هيا اصعد الى غرفتها، وعزها لكن غادرها قبل انقضاء الليل ... وعندما يحين الوقت يعلن زواجكما ويصار الى مصالحة اهلكما ثم يصار الى طلب العفو، وهكذا تعودون اكثر فرحا من ذي قبل. هيا ايتها المرضع واذكريني عند سيدتك واطلبي اليها أن تخلد الى السكينة والراحة. هيا اذهبي وسيتبعك روميو.

المرضع : يا الهي : وددت لو استطيع قضاء الليل هنا استمع الى نصائحك القيمة، هذا هو العلم الصحيح (الى روميو) سأقول لسيدتي انك آت.

روميو : اذهبي وقولي لمحبوبتي ان تتهيأ لتوبيخي.

المرضع : (تعطيه الخاتم): خذ يا سيدي هذا الخاتم التي اعطتنيه لآتي اليك واعطيكه، هيا يا سيدي اسرع فقد تأخرت.

(تخرج المرضع)

روميو : (يضع الخاتم في اصبعه) انه ليوقظ شجاعتي.

لورنس : هيا اسرع طابت ليلتك اترك فيرونا قبل انقضاء الليل أو ابتعد عنها عند تباشير الصباح وانت مقنع، ابقَ في مانتوا وخادمك، الذي سأتصل به سيخبرك بالأحداث السعيدة التي تحدث هنا ... هات يدك هيا سر، قد تأخرت، تصبح على خير ...

روميو : لو لم تكن الفرحة اكبر بكثير من اية فرحة اخرى لعانيت من الآلام اشدها وانا افترق عنك بهذه السرعة. الى اللقاء.

(يخرجون)

المشهد الرابع
(في منزل كابولي)

(يدخل السيد كابوليت والسيدة كابوليت وبارس)

كابوليت : لقد جرت رياحنا بما لا تشتهيه سفننا يا سيدي، فلم نتمكن من مفاتحة ابنتنا الحديث، فإنها تحب ابن خالها تيبالت جداً، وانا ايضاً احبه، لكن ما الحيلة، وقد خلقنا للموت. ولقد تأخر الوقت فلن تنزل هذه المرة، واقسم لك انه لولا شرف رفقتك لكنت الآن في الفراش.

بارس : حين يتكلم الموت يخرس الحرب وكل شيء تصبحين على خير يا سيدتي وارجو أن تقدمي احترامي لكريمتك.

السيدة كابوليت : نعم يا سيدي، انما الليلة اراها منطوية على نفسها، فغداً، ان شاء الله، سأكتشف افكارها.

كابوليت : لي الشرف يا سيد بارس ان اعلن لك حب ابنتي لك واظن انها ستنقاد لارادتي في كل شيء، وهذا مما لا اشك به ... يا امرأة اذهبي وقابليها قبل أن تأوي الى فراشها واعلني لها حب ولدي بارس، وقولي لها، انتبهي جيداً انه الاربعاء القادم ... ولكن مهلاً في أي يوم نحن ؟

بارس : الاثنين يا صاحب السيادة.

كابوليت : الاثنين ؟ حسناً ! حسناً ! فالأربعاء هو يوم قريب جداً فليكن الخميس ... قولي لها اذن : انه يوم الخميس ستزف الى هذا السيد الشريف ... هل تكون حاضرة ؟ وبالطبع ان هذه السرعة قد تناسبك لأنها لن تحدث اية ضجة هناك صديق او اثنان، لأنه كما تعلم ان دم تيبالت لم ينشف بعد، وقد يظن الناس بنا الظنون، واننا لا نأبه لموت قريبنا ان اقمنا افراحاً صاخبة، ولكننا سندعو ستة من الاصدقاء الخُلَّص، وهذا، على ما اظن، يكفي، إنما ما رأيك في يوم الخميس.

بارس : وددت لو أن الخميس يكون غداً، فما أحلى لقاء الأحبة في غد.

كابوليت : حسناً يمكنك الانصراف ... فإلى يوم الخميس. اذهبي يا زوجتي وقابلي جولييت قبل أن تأوي الى الفراش وهيئيها الى يوم العرس. الى اللقاء يا سيدي ... اني ارى النور يتألق في غرفتي، مع أنه قد تأخر الوقت. تصبحون على خير.

(يخرجان).

المشهد الخامس
(مخدع جولييت)

(روميو وجولييت يدخلان)

جولييت : لم يطلع النهار بعد، وما الأصوات التي سمعتها، سوى صوت العندليب، وليس القبرة، تلك التي خرقت اذنيك الخائفتين، اتريد الذهاب اذن ؟ فهذه العنادل تبقى طول الليل على صفيرها فوق اغصان الرمانة هناك، صدقني يا حبيبي ان ذاك كان العندليب.

روميو : انها القبرة رسولة الصباح وليس العندليب، انظري يا حبيبتي ذاك الوميض الغيور الذي يزركش حواشي الغيوم في المشرق، ومشاعل الليل قد انطفأت، والنهار البهيج راح يمد رواقه فوق قمم الجبال وعلى الشطآن، لذا عليّ ان اذهب، والا سأبقى واموت.

جولييت : ان تلك الأشعة التي تراها في البعيد ليس بأشعة النهار إنما هي شهب ترسلها الشمس لتضيء ظلمة الليل وتنير لك الطريق في رجوعك نحو مانتوا، فابقَ اذن ولا حاجة لك بالذهاب بعد.

روميو : ليكن وليقبضوا عليّ ! ليقتلوني ! ان كان في ذلك رضاكِ، فليس هذا الوميض سوى انعكاسات وجه « سينتيا » وليست هي القبرة التي كانت

ترفرف فوق رؤوسنا لذا اراك ترغبين في بقائي، فسأبقى ولنتسامر، واهلا ومرحبا بالموت، ان كان فيه رضاكِ.

جولييت : يا ويلتاه انه النهار، هيا اهرب بسرعة ! هيا ارحل فهذا الصوت هو صوت القبرة التي لا تزال تطلق هذه الألحان الناشزة، سمعت اسطورة تقول ان القبرة تمدد بهدوء الصلات بين المحبين، ولكن هذا من الخطأ بمكان، فها هي قطعت صلتنا. ويقولون ايضاً ان القبرة والضفدع القبيح قد تبادلا الأعين، حبذا لو تبادلا الأصوات لأن هذا الصوت قد ينتزع احدنا عن الآخر، والنهار يتوضح شيئاً فشيئاً.

روميو : بقدر ما يتوضح النهار بقدر ما تكون تعاستنا وشقاؤنا.

(تدخل المرضع).

المرضع : يا سيدتي !

جولييت : ايتها المرضع !

المرضع : يا سيدتي ان امك ستأتي الى غرفتك عند امتداد النهار، فكوني ذكية وانتبهي.

(تخرج المرضع).

جولييت : ايتها النافذة دعي نور النهار يدخل ولتخرج منك حياتي.

روميو : الى اللقاء، الى اللقاء، قبلة وانزل !

(يتعانقان وروميو ينزل)

جولييت : (تخرج الى الشرفة) ها قد ذهب حبي ! سيدي ! زوجي : من لي بأخبارك كل ساعة من ساعات النهار، وكم من أيام تمر في الدقيقة ! يا للتعاسة ان كان هذا هو حسابي فسأمسي كهلة قبل ان ارى روميو.

روميو : الى اللقاء! فلن ادع فرصة تمر الا واغتنمها وارسل اليك تذكارا ما.

جولييت : اواه، أَوتظن ان سنلتقي بعد ؟

روميو : لا اشك في ذلك، واعلم أن تلك الآلام ومرارتها ستنقلب إلى حلاوة وعذوبة.

جولييت : يا الهي ! في نفسي شيء من التشاؤم، لا ادري ما هو لقد أحسست به وأنت تنزل، فلقد تمثلتك مائتا في قعر قبر، حبذا لو تكذب عيناي.

روميو : صدقيني ايتها الحبيبة، انك لتبدين لي شاحبة، ولقد يمتص منا الجزع دماءنا فإلى اللقاء الى اللقاء.

(يخرج روميو).

جولييت : ايها الحظ ! ايها الحظ !؟ الجميع يقولون انك سجين ! فلئن كنت سجيناً فما لك ورجلاً شهيراً مثابراً، فلتكن ايها الحظ سجيناً وهكذا لن تستمر طويلاً في توقيفه بل سترجعه اليّ.

السيدة كابوليت : (من الخارج) هل استيقظت يا ابنتي ؟

جولييت : من يناديني ؟ هل هي السيدة والدتي ؟ هل نامت متأخرة او استيقظت باكراً ؟ اي امر دعا حتى أتت في مثل هذا الوقت ؟

(تدخل السيدة كابوليت).

السيدة كابوليت : كيف أنت يا جولييت.

جولييت : لست على ما يرام يا سيدتي.

السيدة كابوليت : اراك على ما يظهر تكثرين من البكاء على ابن خالك؟ او تقدرين على تخليصه من غبار القبور بدموعك ؟ ولئن استطعت فلن تحييه ابداً. ففي اذن فالحزن المعقول يثبت العاطفة الجامحة اما الحزن اللا معقول فيثبت العكس.

جولييت : دعيني ابكي اكثر فأكثر خسارتي الفادحة.

السيدة كابوليت : انك لن تشعري بهذه الخسارة بل بمزيد من الحزن، دون أن تشعري ان من تبكين هو قريب منك.

جولييت : اني لأشعر بافتقادي وخسارتي هذا الصديق بنوع اني لا اقدر الا ان ابكيه دائماً.

السيدة كابوليت : انك تبكين لعلمك بموته، لكن ستبكين اكثر اذ علمت ببقاء القاتل الدنيء حياً.

جولييت : اي دنيء يا سيدتي تعنين ؟

السيدة كابوليت : هو ذاك الدنيء روميو !

جولييت : لشتان ما بين الدنيء وبينه، فهناك مسافات قد لا تحصى ولا تعد، فليسامحه الله ! ومن جهتي اني اسامحه من كل قلبي، ومع ذلك فما من احد جرح قلبي الّاه.

السيدة كابوليت : لأنه لا يزال حياً، ذلك الخائن !

جولييت : اجل يا سيدتي انه لبعيد عن ذراعي أو لست ملزمة بأخذ الثأر لابن خالي ؟

السيدة كابوليت : سنثأر، اطمئني ! فكفي اذن عن البكاء، فسأرسل واحداً الى مانتوا، حيث يعيش ذاك المتشرد المنفي، وسنداويه بما يداوى به امثاله، بحيث نجعله يلتحق بتيبالت : وعندها سترضين.

جولييت : لن تقر عيني الا حين ارى روميو ... معذباً مهاناً، هو قلبي الكئيب اذ مذ فقدت قريباً كهذا، فأرجو ان تجدي لي رجلاً يحمل السم وانا سأهيئه حتى بعد أن يأخذه، سينام روميو بسرعة مطمئناً. ما اهول ذاك العذاب لقلبي، الذي لم يسعه ان يسمع اسمه دون ان يتحسس للذهاب اليه لأروي غليل الحب الذي اكنه لابن خالي في شخص قاتله.

السيدة كابوليت : ابحثي عن الوسيلة انت، بينما انا سأجد الرجل، والآن يا ابنتي لي شيء مفرح اقوله لك.

جولييت : يا اهلاً بالفرح وسهلاً اذا كان نافعاً. اية كانت هذه الأخبار فإني لأنتظر رضاكِ.

السيدة كابوليت : يا ابنتي ان الله قد اعطاك ابا منقطع النظير : لكي يخرجك من عزلتك قد قرر ان يقيم يوم فرح، قد لا تحلمين به.

جولييت : اي نهار سعيد سيكون هذا يا سيدتي ؟

السيدة كابوليت : انه الخميس المقبل يا ابنتي، حيث ستزفين الى شاب شريف ظريف هو الكونت بارس الذي سيتشرف بأن تكوني له زوجة.

جولييت : في اي مكان عقد هذا الزواج وبأية واسطة كان، فلن يجعل مني الزوجة السعيدة، اني لاستغرب هذه العجلة : يحدد موعد زواجي دون ان

اعرف من سيكون ذلك الزوج او ان ابدي رأيي فيه. ارجوك يا سيدتي، قولي لسيدي وابي أني لا اريد الزواج حتى الآن، ولئن تزوجت فيكون من روميو الذي ترونه مكروهاً لدي، وليس من الكونت بارس، واني اقسم على ذلك، وهذه كلمتي بكل صراحة.
السيدة كابوليت : هوذا ابوك قادم، فأطلعيه رأيك وسنرى كيف سيتلقى ذلك.

(يدخل كابوليت والمرضع)

كابوليت : (ينظر الى جولييت الباكية) عندما تختفي الشمس ينسكب على الأرض الندي، ولكن بعد غياب ابن اخي هبطت علينا الخيرات وانت اما اصبحت تلتقطين تلك الخيرات فكفي عن البكاء وكفكفي الدموع، فإن في ذاتيتك يتجسد المركب والبحر والرياح. عيناك اشبههما بالبحر في مده وجزره، وجسدك هو المركب الذي يسبح في هذا الخضم المالح، وانفاسك المتصاعدة هي الرياح الصاخبة المتقاتلة مع دموعك التي ستنتهي وتهدأ مع عواطفك ... اما قلت بصراحة عن قراري يا زوجتي ؟
السيدة كابوليت : نعم يا سيدي، ولكنها رفضت وهي تشكرك، هذه المجنونة ! كم أود لو انها تتزوج في قبرها.
كابوليت : مهلا، مهلا ! ليس هكذا، يا امرأة، كيف ! انها ترفض انها تشكرنا ! ليست هي فخورة ولا تعتبر نفسها سعيدة، فأرى انها ليست جديرة بزوج لطيف كبارس.
جولييت : لست فخورة انما اشكر لكم اهتمامكم، أما أن أكون فخورة مع من ابغض، فلا. ولكن قد اشكر الألم الذي يصيبني مع الحب وبالحب.
كابوليت : ماذا يعني هذا ايتها الحكيمة ؟ اشكرك ولا اشكرك، فخورة ولست فخورة ... ايتها الفاجرة دعيني من شكرك ومن فخرك وهيا ليوم الخميس المقبل حيث ستزفين الى بارس والا سأرغمك على ذلك، يا للفاجرة. ويا للحقيرة.
السيدةُ كابوليت : اف لك ! هل فقدتِ صوابكِ ؟
جولييت : ارجوك يا ابي الحبيب تفهَّم وَضعي، وَاصبر اخبرك بكلمة ...

كابوليت : لتذهبي الى الجحيم ايتها الفاجرة والثائرة المسكينة ! الخميس القادم سترفين افهمتِ ؟ والا تجنبي مواجهتي. لا تتكلمي ولا تشرحي ولا تردي ان كفي يتوق الى الصفع. يا امرأة كم وددت أن تكون حياتنا سعيدة مع هذه الابنة التي لم ينعم الله علينا بسواها ولكن بئس الأمل هذا ! ليتها لم تولد.

المرضع : ليباركها رب السماء ! انك لمخطىء يا سيدي اذ تعاملها هكذا.

كابوليت : لمَ ايتها المرأة الحكيمة ؟..؟. الجمي لسانك ايتها المعلمة واذهبي الى رفاقك وثرثري معهم.

المرضع : ليس في ما قلته جريمة !

كابوليت : تصبحين على خير، يرحمك الله !

المرضع : الا نستطيع ان نقول كلمة.

كابوليت : اريحينا منك، ايتها الثرثارة الغبية، واذهبي لتقدمي حكمتك لدى ثرثارة مثلك، فلسنا بحاجة اليها ...

السيدة كابوليت : يا لك من رجل فظ !

كابوليت : سأصبح يوماً ما مجنوناً، حتى وفي اي لحظة، لأن همي الوحيد هو أن ازوجها، وبعد ان وجدت الرجل المناسب ومن سلالة شريفة، له املاك واسعة، كله حسنات لا سيئات فيه، تتمناه كل بنت، فنراها عندما يتقدم احدهم لخطبتها ترفض وتقول : « لا اريد الزواج »، ولا اعرف الحب، ما زلت صغيرة ارجو مسامحتي ... سترين كيف اسامحك اذهبي حيثما شئت فلن تسكني معي ليكن هذا بعلمك، اني لا امزح، الخميس يقترب ! ضعي يدك على قلبك وفكري، ان كنت ابنتي فسأعطيك الى صديقي، والا فمع الشيطان فلا اعرفك بعد.

(يخرج).

جوليت : لقد فُقِدَتِ الرحمة حتى في طيات الغيوم، تلك التي ترى في عمق أعماق آلامي، امي الحبيبة لا تتركيني أخرِّي هذا الزواج ولو شهراً أو اسبوعاً والا ضعوا لي فراش الزواج في جوار ضريح تيبالت.

السيدة كابوليت : لا تكلميني بعد لأني ليس لي ما اقوله ... افعل ما يحلو لك، ها قد انتهى كل شيء بيننا.

جولييت : يا الهي ... ما العمل لنوقف هذا الزواج ايتها المرضع ؟ ان زوجي لا يزال على الأرض حياً وإيماني هو في السماء وكيف يمكنني ان اخون هذا العهد، ما دام زوجي ... انصحيني ... او قد تنصب السماء افخاخاً لمخلوق ضعيف مثلي ؟ ماذا تقولين أليس لديك كلمة تخفف عني ؟ عزّيني ايتها المرضع.

المرضع : اقسم بأن روميو المنفي لا يستطيع المجيء ليطلبك، وان فعل ففي الخفية فلذلك ارى من الحكمة أن تتزوجي من الكونت ... انه رجل لطيف ومحبوب وما روميو الا عصفور صغير بجانب النسر يا سيدتي فإن ليس له نضارة عيني بارس ولا لمعانها ... ليغضب الله علي ان لم تكوني فرحة بهذا الزواج الثاني لأنه على ما ارى افضل من الأول وبالتالي زوجك الأول قد مات فما عليك الا ان تنهجي نهجاً يصلح لك في هذه الحياة.

جولييت : اتقولين هذا من صميم القلب ؟

المرضع : من عمق أعماق نفسي والا فاللعنة تنصب علينا نحن الاثنين.

جولييت : آمين !

المرضع : ماذا !

جولييت : فعلاً لقد ارحتني اذهبي وقولي لوالدتي اني اذا اغضبت والدي فأنا ذاهبة الى حجرة الأخ لورنس لأعترف وانال الحلة.

المرضع : بالطبع انك تحسنين العمل وها أنا ذاهبة.

جولييت : (تبتعد عن المرضع) آه ايها الشيطان اللعين! لا ادري اي شيء يفرحك ؟ ان أحنث بيميني، أو أخون سيدي، ومن فم واحد تخرج اللعنة والبركة ... اذهبي يا مرشدتي، ها قد وقع بينك وبين قلبي الاتفاق ... سألاقي الراهب لأسأله دواء ضد كل خطأ ... لأني سأموت.

(تخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

(حجرة الأخ لورنس)

(يدخل لورنس وبارس)

لورنس : ارى ان الوقت ضيق الى نهار الخميس ايها السيد !

بارس : والدي كابوليت يريده هكذا، ولن أكون عقبة في طريقه.

لورنس : ارى انك تجهل شعور السيدة نحوك ! لذلك ارى انها لا تروق لي وغير محببة.

بارس : انها لا تكف عن بكاء تيبالت، لذا رأيت ان اقلل كلمات الحب ففينوس قد لا يتبسم مع الدموع. ان والدها يرى ان هي دامت على ذلك فالخطر يحيطها، فرأى ان يسرع في زواجنا ليضع حداً لدموعها، وبذلك تتبدد الأحزان بالاختلاط بالناس. فها قد جعلتك على بينة من أمر هذه العجلة.

لورنس : (على حدة) ارى اني على بينة لهذا التأخير (وبصوت عال) حسناً يا سيدي ها هي ذي السيدة آتية الى حجرتي.

(تدخل جولييت).

بارس : كم أنا سعيد بلقياك يا سيدتي ويا زوجتي.

جولييت : زوجتك ! قد اكون انما عندما أتزوج.
بارس : قد تكونين. وستكونين الخميس القادم يا حبيبتي !
جولييت : ما قد كُتِب هذا سيكون.
لورنس : هذه هي الحقيقة بعينها.
بارس : (الى جولييت) وأُتيتِ لتعترفي لدى هذا الأب الفاضل؟
جولييت : جواباً على ذلك، سيكون اعترافي لك.
بارس : لا تخفي عنه حبك لي.
جولييت : اعترف لك بأني احبه.
بارس : يا الهي ! ها انك تعترفين، واني لواثق من حبك لي.
جولييت : ان اقراري هذا سيكون اثمن واغلى في غيابك اكثر منه في حضورك.
بارس : يا للنفس الطاهرة، كم فعلت فيك الدموع فعلها !
جولييت : لم يكن لوجهي من النضارة ما له الآن بعد الدموع.
بارس : قد تسيء اليه كلماتك اكثر مما تسيء دموعك.
جولييت : ليست شائعة هذه، ان هي الا الحقيقة، وهذه الحقيقة قد اقولها بلا وجل.
بارس : ان جمالك هو لي انا وتذيعينه.
جولييت : قد يكون ملكك،، ما املكه، انما ليس لي ما املك ... اتسمع اعترافي يا ابتِ ام آتيك بين الغروبَين ؟
لورنس : هذه هي امنيتي يا ابنتي التقية ... اسمح لنا ايها السيد بالانفراد.
بارس : ليحمني الله من الشكوك ! ايه ! يا جولييت ! غداً يوم الخميس سأوقظك ويكون لنا لقاء وقبلة مقدسة.

(يصافحها بحرارة ويذهب)

جولييت : يا الهي ! اغلق الباب وتعال ابك معي الأمل الضائع الذي لا رجاء معه، واسرا لا خلاص منه، ومرضاً لا دواء له.
لورنس : ايه يا جولييت ! ان آلامك واحزانك لمتجسدة الآن امامي، وقلبي يتفطر حزناً، لعلمي بما ستؤول حالك يوم الخميس المقبل، في هذا الزواج.

جولييت : يا ابت لا ! لا تقل لي انك تعرف ذلك ! ولا تقل لي كيف أتقي ذلك، ولكن ان لم تجد لي دواء من حكمتك، فأقله، قل لي هل في عملي، بهذه السكين، حكمة (تريه خنجراً) ان الله جمع قلبي وقلب روميو وانت الذي جمعت يدي الى يدي روميو، انت نفسك ستوقع على عهد آخر، وقبل أن يتأرجح قلبي نحو الخيانة ... اطلب اليك النصيحة العاجلة والفعالة وانظر بين ما انا فيه وبين ما اعاني ... والا، سيكون هذا الخنجر الحد الفاصل لآلامي.

لورنس : تمهلي يا ابنتي تمهلي ! هناك بارقة امل، اذ بدلاً من ان تثيري فضيحة انت بغنى عنها اذ لا وجود لها، فلك عندي دواء يدفع عنك غائلة الموت وما انت فيه ايضاً.

جولييت : آه ؟ هل القي بنفسي من على اسوار ذلك البرج، أو اسير في دروب التشرد كالمجرمين : او اعيش في اوكار الأفاعي، او تناتشني الذئاب الجائعة في دروب هذا الكون أو ضعني ليلاً في مدافن الأموات وفوق العظام النخرة والجماجم المكشرة، أو ارمني في حفرة ملأى بالماء تحت كفن ميت... وابقى وفية امينة وزوجة مخلصة لزوجي الحبيب دون ان اتزوج بارس.

لورنس : اسمعي يا ابنتي ! عودي الى البيت واظهري الفرح، واشيعي بين الجمع انك راضية بالزواج من بارس. غداً ! غداً ! الأربعاء ! غداً مساء نامي وحدك في غرفتك ولتخرج المرضع وتبقين وحدك. وخذي هذه الزجاجة وابتلعي ما فيها وحالاً تسري في جسدك قشعريرة تتوقف معها كل حركة في جسمك مع بقاء كل شيء على طبيعته، فلا يشكنّ احد بموتك، حتى ان كل من يراك ويرى ذبول النضارة في شفتيك وخديك، وانطباقة عينيك، وتصلب اعضاءك، لا يشك في انك ميتة. ستبقين هكذا مبنجة مدة اثنتين واربعين ساعة تستفيقين بعدها وكأنك في نوم هادىء. وعندما يأتي الخطيب في الصباح ويجدك هكذا ميتة، فحسب عادات بلدنا سينقلوك في اجمل ثيابك، في تابوت مفتوح، الى مدفن عائلة كابوليت القديم، وقبل ان تستفيقي سيأتي روميو، الذي اكون قد اعلمته بخطتنا وننشلك من نومك، وفي الليلة نفسها

ينقلك روميو معه الى مانتوا. وهكذا تتخلصين من فضيحة مشينة. ارجو الا تخونك الشجاعة.

جولييت : هات ! بربك هات ! ولا تتكلم عن الشجاعة والخوف.

لورنس : (يعطيها الزجاجة) خذي واذهبي وكوني قوية فرحة. وانا سأرسل بالعجل رسالة مع راهب الى زوجك في مانتوا.

جولييت : ايها الحب هبني قوة من قوتك تجعلني اتخلص مما انا فيه. الى اللقاء يا ابت.

(يفترقان)

المشهد الثاني
(في بيت آل كابوليت)

(يدخل كابوليت ـــ السيدة كابوليت ـــ المرضع ـــ خدم)

كابوليت : (يعطي ورقة لأحد الخدم) هيا ادعُ جميع من كتبت لك اسماءهم هنا (يخرج الخادم) (ثم يقول لخادم آخر) ايها الخادم هيا استأجر لي عشرين من امهر الطباخين.

الخادم الثاني : لن آتيك الا بالطباخين المهرة الذين يجعلون الناس يلحسون اصابعهم بعد الطعام لحساً.

كابوليت : كيف تتأكد من ذلك وأنت لم ترهم يعملون.

الخادم الثاني : عفواً يا سيدي ان رائحة الطعام تدل على مهارة الطباخ.

كابوليت : حسناً هيا اذهب (يخرج الخادم) سيدهمنا الوقت ان لم نسرع. **هل** ذهبت ابنتي الى الاخ لورنس ؟

المرضع : نعم وبالتأكيد.

كابوليت : خيراً فعلت لأن سيكون لهذا الراهب تأثير كبير عليها. لأنها جِدُّ عنيدة لا تسمع كلام احد.

(تدخل جولييت).

المرضع : انظروا ! انظروا ! بأية نفس فرحة أتت ! وبأي غبطة عادت !

كابوليت : اين كنت ! ايتها المتعجرفة ؟

جولييت : كنت عند من علمني بأن اندم على مقاومتي لك ولأوامرك، عند الأخ الفاضل لورنس وقد نصحني بأن اجثو لدى قدميك واطلب اليك المعذرة (تركع) المعذرة ارجوك ! واعلم انه من الآن وصاعداً سأسير بحسب ارادتك ...

كابوليت : اذهبوا الى الكونت وانقلوا اليه هذا الخبر. اريد ان احل هذه العقدة غداً.

(ان شاء الله).

جولييت : لقد التقيت بالكونت الشاب في حجرة الأخ لورنس، واعترفت له بحبي دون ان اتخطى حدود التهذيب.

كابوليت : يا الهي انا مسرور، ما أحلى ما اسمع ... هيا انهضي (تنهض) يجب أن تسير الامور كما هي ... يجب أن ارى الكونت ... ايها الخادم اذهب وناده. كم أنه قديس هذا الراهب الفاضل، لذلك ارى الجميع في مدينتنا يحترمونه، ويدينون له بالكثير.

جولييت : ايتها المرضع أتأتين معي الى غرفتي ؟ حيث تساعدينني في ترتيب الأثواب التي تناسب هندامي غداً.

السيدة كابوليت : لا ! لا ! لا لزوم لذلك قبل الخميس اذ لدينا متسع من الوقت.

كابوليت : اذهبي ايتها المرضع معها (جولييت تخرج مع المرضع) (الى السيدة كابوليت) سنذهب الى الكنيسة غداً.

السيدة كابوليت : سيدهمنا الوقت في تحضير الأشياء وها قد هبط الليل.

كابوليت : سأعجل الامور اكثر وأنا كفيل بذلك اما أنت فأذهبي الى جولييت وساعديها فلن أنام الليلة ... ها قد ذهب الجميع. أما أنا فأذهب الى الكونت بارس لأعلمه بشأن الغد لأن قلبي امتلأ بالفرح منذ ان عادت تلك الشيطانة فرحة مسرورة. وأعلنت توبتها.

(يخرج الجميع)

المشهد الثالث
(غرفة النوم لجولييت)

(تدخل جولييت والمرضع)

جولييت : ان المظهر هو المهم، انما أيتها المرضع أرجو أن تتركيني وحدي هذه الليلة، لأني بحاجة ماسة الى الصلاة وفحص الضمير، عسى أن تبسم لي السماء وتهبني الحظ والسعادة في دنياي الملأى بالمتاعب والخطايا

(تدخل السيدة كابوليت).

السيدة كابوليت : اما زلتما منهمكين في العمل ؟ هل اساعدكما ؟
جولييت : كلا يا سيدتي ! لقد اخترنا كل ما هو ضروري ولائق لحفلة الغد. ارجو ان تتركيني وحدي فالمرضع تبقى معك هذه الليلة. واني لواثقة بأن لديك الكثير من الأعمال، ولا سيما في هذه الأحوال الطارئة.
السيدة كابوليت : تصبحين على خير ! اذهبي الى فراشك واستريحي لأنك بحاجة الى الراحة.

(تخرج المربية)

جولييت : وداعاً ... الله يعلم متى نلتقي، ان موجة من القلق والخوف تسري

في عروقي وتحول تلك الحرارة الى برودة ... سأناديهم لأتأكد من بعدهم ... ايتها المرضع !... ما عليها ان تعمل هنا ! لأقوم بهذا العمل وحدي اليّ ايتها الزجاجة !... وان لم يفعل هذا السائل فعله سأتزوج غداً ؟ لا! لا هوذا ما يمنعه... استريحي انتِ هنا. (تضع سكيناً بقرب سريرها) لربما يكون ما اعطانيه الأخ سماً قاتلاً لكي لا تحصل فضيحة اذ انه هو الذي زوجني بروميو ؟ ولكن لا ! هذا مستحيل: انه مشهور بالقداسة... اما وان استيقظت قبل موعد مجيء روميو ويخلصني، وانا في التابوت فيا لهول الموقف !... الا اختنق في ذلك الكهف المظلم الذي لا منفس فيه ولا يدخل منه الهواء النقي، بل النتانة والعفونة، او الا اموت قبل ان يصل روميو ؟ وايضاً الا يسيطر انطباع الموت ويتحد مع هول الليل ورهبة المكان وروعة الزمان مع عظام اجدادي يضاف اليها جثة تيبالت المهترئة، حيث، كما يقال : انه في ساعة محدودة من الليل تجتمع الأرواح ببعضها ! ولكن هذا ليس من المعقول ان استفيق قبل الوقت المحدد وانا محاطة بهذه الروائح النتنة والأنين الخافت الشبيه بصراخ الهامة الذي ان سمعها العاقل يضحى مجنوناً ... ولئِن استيقظت افلا افقد العقل ؟ خيالات كثيرة تتراءى امامي كما ارى شبح ابن خالي يلاحق روميو ليثأر منه... قف يا تيبالت قف!.. (تضع الزجاجة على شفتيها) روميو! روميو! روميو! هوذا الشراب اشربه لأجلك.

المشهد الرابع

(غرفة في منزل آل كابوليت ــ النهار قد طلع)

(تدخل السيدة كابوليت . المرضع)

السيدة كابوليت : (السيدة كابوليت تعطي المرضع حاملة مفاتيح): خذي هذه المفاتيح وأتينا بشيء من التوابل ايضاً.

المرضع : يطلبون تمراً وسفرجلا لصنع الحلوى.
كابوليت : هيا استيقظوا ! استيقظوا ! استيقظوا ! لقد صاح الديك مرتين، واطفئت الأضواء، هي الساعة الثالثة. (الى السيدة كابوليت) حولي انتباهك الى الفرن يا انجليل لئلا يحترق شيء.
المرضع : (الى كابوليت) اذهب واتركنا ايها الشرطي وعد الى فراشك، قد تصبح مريضاً لأنك سهرت الليل كله.
كابوليت : كم قد سهرت من الليالي ولم اصب بأذى ... !
السيدة كابوليت : كم طاردت الفئران في عهدك، اما اليوم فسأحرص على الا ادعك تسهر ابداً.

(السيدة كابوليت والمربية تخرجان)

كابوليت : يا للغيرة! يا للغيرة! (يمر خدم وهم يحملون المشاعل والحطب والسلال) (الى الخادم الأول) ايه! يا صديقي ماذا ارى وما كل هذا؟
الخادم الأول : كل هذا للطباخ لكن لا أعلم ما هو.
كابوليت : اسرع! اسرع! (الخادم الأول يخرج) (للثاني) هيا اجلب حطباً ناشفاً نادِ بيتر فهو يدلك حيث يوجد الحطب اليابس.
الخادم الثاني : اني اعرف جيداً اين يوجد يا سيدي دون أن نزعج بيتر.

(يخرج).

كابوليت : كم انك خادم تحب المزاح، فسأعلنك ملكاً للحطب ... يا الهي ها قد طلع النهار! والكون سيكون هنا مع الموسيقى كما وعدني (يسمع اصوات موسيقى تقترب) اني اسمعها انها تقترب.. ايتها المرضع! يا امرأة! هيه ! ايتها المرضع هيا اذن.

(تدخل المرضع)

هيا ايقظي جولييت البسيها ثيابها وانا ذاهب لأتكلم مع بارس هيا اسرعي ! اسرعي الخطيب قد حضر، اسرعي ! هيا اسرعي !

(يخرج الجميع)

المشهد الخامس
(غرفة نوم جولييت)

(تدخل المرضع ــ السيدة كابوليت ــ كابوليت ــ الأخ لورنس ــ بارس ــ بيتر ــ موسيقيون)
(تدخل المرضع)

المرضع : (تنادي) سيدتي! هيا! سيدتي!... جولييت! انها مستغرقة في نوم عميق لتكون محروسة ... هيا ايتها النعجة الوديعة ! يا سيدتي ... ايه ايتها الكسولة !... هيا ايتها الحبيبة. يا سيدتي ! يا قطعة من قلبي ... هيا ايتها الزوجة. ماذا ! انها لا تنبس ببنت شفة ... سيكون لك ما تريدين هذه المرة، انك تدخرين النوم لمدة اسبوع لأن الكونت قد آلى على نفسه الا يدعك ترتاحين الا قليلاً ... يا الهي اغفر لي، رباه كم تنام ! يجب أن اوقظها ... سيدتي! سيدتي! سيدتي! نعم فليأت الكونت ويجدك في الفراش... (تزيح الستار وتجد جولييت ممدة بلا حراك) أمن الممكن؟! ماذا! بكل ثيابها وزينتها ونائمة ! لاوقظها اذن ... سيدتي سيدتي ! سيدتي ! يا للهول ! النجدة ! النجدة ! لقد ماتت سيدتي ! يا للتعاسة !... ليتني لم اولد ... الحيّ بالمنعشات ... يا سيدي يا سيدتي.

(تدخل السيدة كابوليت)

السيدة كابوليت : ما هذه الضجة ؟

المرضع : انه ليوم قاتم !

السيدة كابوليت : ماذا هناك ؟

المرضع : (مشيرة الى السرير) انظري! انظري! يا للنهار القاتم.

السيدة كابوليت : يا للسماء ! ابنتي ! حياتي ! عودي الى الحياة ! افتحي عينيك ! أو أموت انا معك ... هيا استغيثي.

(يدخل كابوليت)

كابوليت : ليكن لكن قليل من الذوق ! هيّوا جولييت فقد جاء زوجها.
المرضع : يا الهي ! انها ماتت ! توفيت ! ماتت !
كابوليت : (يقترب من جولييت) دعوني اراها... يا الهي! لقد قضي الأمر! انها باردة ! دمها قد توقف واعضاؤها قد تشنجت، والحياة قد فارقت شفتيها. لقد سيطر الموت عليها كما يسيطر الندى على الزهرة الأكثر نضارة.
المرضع : يا للنهار القاتم !
السيدة كابوليت : ويا للموقف الرهيب !
كابوليت : اراد الموت أن يأخذها مني، ان يعقل لساني عن الكلام ويجعلني مكتوف اليدين ذاهلاً.

(يدخل الأخ لورنس يتبعه بارس وموسيقيون)

لورنس : هيا ! هل الخطيبة مهيأة للذهاب الى الكنيسة ؟

كابوليت : مهيأة لتذهب لا لتعود (لبارس) آه يا ولدي ! ان الموت. في الليلة الفائتة، قد دخل الى سرير خطيبتك واختطفها، وها هي ذي الزهرة المسكينة وقد تناثرت ورقاتها عليها، وقد أضحى القبر صهري والقبر وريثي ! ان القبر قد تزوج ابنتي، اما انا فسأموت واترك كل شيء ويتركني الجميع وحيداً منفرداً.

بارس: كم انتظرت وبفارغ الصبر انبثاق هذا الفجر حتى انبثق، فإذا به يفجعني بهكذا فاجعة.

السيدة كابوليت: تباً له من يوم مشؤوم نحس الطالع... ! انها لساعة مرة لم يكن بأمرّ منها في دورة الأرض الأزلية. الم يجد الموت غير هذه الطفلة المسكينة الطفلة الحبيبة لقلب امها، والوحيدة التي ستفرحها وتعزي حياتها في شيخوختها !

المرضع : يا لليوم المؤلم ! يوم قاتم، يوم لم ارَ اكثر منه نحساً في حياتي ! يا للنهار القاتم.

بارس : يوم خائب، مفرق الجماعات، هادم اللذات يباعد ما بين المحبين هو

أنت ايها الموت اللعين الذي خيبت آمالي، دمرتني، وهدمت ما كنت قد بنيته من امانٍ وآمال.

كابوليت : ايها الموت الرهيب المعذِب القاتل المشرِّد المدمِّر لماذا اتيت تدمي قلبي وتفطر كبدي وتفجعني بابنتي ... آه ان ابنتي ماتت وبموتها ادفن كل افراحي ...

لورنس : اهدأوا يا ناس ! الا تخجلون ! ليس هكذا تداوى الآلام بل بالصبر، لقد كانت هذه الطفلة الجميلة ملكاً لكم وللسماء. أما الآن فللسماء فقط، وهذا خير لها. لم تتمكنوا من حماية حصتكم فيها من الموت، أما السماء فتحمي حصتها في الحياة الأبدية. ما ابتغيتم لها سوى الثروة ورفعة الشأن، فأتت ترفعها، وتبكون الآن لأنها ترتفع فوق السحاب. بل وترتفع حتى الى السماء نفسها! آه! كم تخطئون في حبكم لابنتكم، لقد جننتم انتم في حين انها قد بلغت العليا : تعيش في زواج قد لا يكون موفقاً، لذلك ان الزواج الأسعد لها هو أن تموت في ريعان الشباب. جففوا عبراتكم، واعقدوا اكلّة الزهور وحاوطوا بها هذا الجسم الجميل، ثم، كما جرت العادة، احملوها في ابهى حلة الى الكنيسة. فطبيعتنا الضعيفة ترغمنا كلنا على البكاء وترغم العقل ايضاً على السخرية من دموعنا.

كابوليت : ان كل ما اعددناه للعيد سيتحول الى مأتم، والألحان الشجية تتحول الى أنغام بكماء حزينة، ووليمة العرس الى مرحمة، وترانيمنا المفرحة الى أناشيد حزن، وأزهار العرس تنثر على ميتة، كل شيء قد تبدلت غايته ...

لورنس : ابتعد يا سيدي، وأنتِ ايضاً يا سيدتي وأنتَ ايضاً ايها السيد بارس، لتهيء الناس لمواكبة هذه الحسناء الى مثواها الأخير. لقد ثقلت يد السماء عليك ولا ادري لأيّةِ خطيئةٍ كان ذلك ؟ فلا تغضبْها اكثر بتصرفك عكسَ ما تمليه عليك ارادتها.

(يخرج كابوليت والسيدة كابوليت وبارس والأخ لورنس)

الموسيقي الأول : نستطيع جمع آلاتنا والانصراف.

المرضع : آه ! اجمعوها، اجمعوها، اصدقائي الأعزاء، فكما ترون، ان الموقف محزن.

الموسيقي الأول : اجل ! لطالما تمنيت ان يكون الحل احسن.

(تخرج المربية) (يدخل بيتر)

بيتر : ايها الموسيقيون ! ايها الموسيقيون ! بسرعة « فرحة القلب » « فرحة القلب » آه ان اردتم لي الحياة اعزفوا لي « فرحة القلب ».

الموسيقي الأول : ولماذا « فرحة القلب ».

بيتر : آه ايها الموسيقيون ! لأن قلبي نفسه يعزف نغم « القلب الحزين » هيا اعزفوا لي بعض الألحان المعزية للترويح عن نفسي.

الموسيقي الثاني : ليس اقل من ان نرضيك بلحن رثاء، ولكن لم يحن الوقت بعد.

بيتر : لا تريدون اذن.

الموسيقيون : كلا.

بيتر : ستتلقون الجزاء عنيفاً اذن.

الموسيقي الأول : ماذا سنتلقى ؟

بيتر : ليس مالاً، تباً لك، بل ضربات متصلة ايها الموسيقي اللئيم.

الموسيقي الأول : ايها الخادم اللعين.

بيتر : سأزرع خنجري في رؤوسكم، لن اتحمل مزاحكم، سأعزف لكم انا فاسمعوا.

الموسيقي الأول : انت في تنغيمنا ستضطر الى الانصات.

الموسيقي الثاني : لِتَر ! اغمد خنجرك وجرد نفسك.

بيتر : احترسوا اذن ! سأهاجمكم بحد الكلمة وسأغمد حد الحديد ...
اجيبوا ان كنتم رجالاً :
ايها الألم الطاعن قلوباً.
ادميت قلباً طاهراً محبوبا
الحانه الفضية اضحت نعيا
لماذا « الحانه الفضية » ؟ لماذا صوت الموسيقى فضي ؟ اجيبوا ! انت يا سيمون.

الموسيقي الأول : والله !... لأن صوت الفضة قوي ناعم.

بيتر : رائع ! اجب انت يا هيغو.

الموسيقي الثاني : صوت الموسيقى فضي لأن الموسيقيين يعزفونها لقاء الفضة.

بيتر : رائع ايضاً !... اجب انت يا جاك.

الموسيقي الثالث : الحقيقة، لا ادري ماذا اقول.

بيتر : آه اقبل عذرك : لأنك مغني الفرقة. وسأجيب عنك : صوت الموسيقى فضي لأن الموسيقيين امثالكم لا يعرفون الذهب (يغني).

الموسيقى بصوتها الفضي
تقضي فيما تقضي،
وتزرع السعادة في الأرض.

(يخرج).

الموسيقي الأول : يا له من ولد احمق.

الموسيقي الثاني : ليذهب الى الجحيم !... هيا نخرج وننتظر الموكب وسنبقى للغداء.

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

المنظر (مانتوا . شارع)

(الأشخاص : روميو ــ بلتازار (يدخل روميو)

روميو: حبذا صدق الأحلام الخداعة تحمل أنباء سعيدة رأيت: ان قلبي بأقصى آماله قد جلس فوق عرشه فرحاً. وفي هذا الصباح بالذات، شعرت ان الجذل قد رفعني الى ما فوق الأرض وذلك بما تجسد أمامي من تخيلات مرحة، كانت في خاطري، حلمت : ان سيدتي قد وصلت ووجدتني ميتاً (حلم غريب للميت مجال التفكير) ومن كثرة القبلات اعادت الحياة الى شفتي. ومن ثم بُعِثْتُ من رمسي واصبحت امبراطوراً. يا للسماء كم هو جميل ان يكون المرء مالكاً لحبه حين يكون شبح هذا الحب مليئاً بالبهجة والفرح.

(يدخل بلتازار).

روميو : هل من انباء من فيرونا ؟ ماذا اذن يا بلتازار الا تحمل الي رسالة من الراهب ؟ كيف حال سيدتي ؟ اهي بخير يا ابت كيف حال سيدتي جولييت ؟ اني اكرر هذا السؤال فإن كانت جولييت بخير فالدنيا كلها بخير.

بلتازار : انها بخير فالدنيا اذن كلها بخير. جثمانها يرقد في مقبرة كابوليت، وروحها الخالدة تحيا مع الملائكة، فقد وري جثمانها الثرى أمامي، وركبت مسرعاً لأخبرك. آه ! اعذرني اذ قد نقلت اليك هذه الأنباء المفجعة، انما هذه اوامرك سيدي.

روميو: هكذا اذن ! فأنا اتحداكِ ايتها النجوم !... (الى بلتازار) اتعرف يا مسكين ؟ الحبر والقرطاس، واختر لي افخر الجياد وسأرحل هذه الليلة.

بلتازار : اتوسل اليك، يا سيدي ان تتذرع بالصبر، فوجهك الشاحب وسحنتك المستوحشة ينبئان بالشر.

روميو : آه ! كم أنت مخطىء !... اليك عني وافعل ما قلته لك : الا تحمل اليّ رسالة من الراهب ؟

بلتازار : كلا يا سيدي الحبيب.

روميو : هذا لا يهم! اذهب واستأجر خيلاً، وسأوافيك فوراً (يخرج بلتازار) آيه جولييت سأنام الليلة الى جنبك. فلنبحث عن الوسيلة ... ايها الشر، ما اسرع وصولك الى خلد اليائسين ها قد تذكرت صيدلياً يقيم بالقرب من هنا وقد رأيته، ليس من زمن بعيد، لابساً ثيابه الرثة، مقطباً جبينه مهموكاً بجمع بعض الحشائش، كانت سحنته هزيلة، وقد نخر البؤس جسمه حتى العظام. وفي حانوته الحقير قد حنط سلحفاة وتمساحاً، وعلق جلود اسماك ضخمة، وفوق رفوفه مجموعة حقيرة من العلب الفارغة وأوعية من الفخار خضراء، وامعاء وحبوب يابسة، وبقايا خيوط وزهور ذابلة، وكل ذلك قد عرض عرضاً مشوشاً : فقلت لنفسي : اذ قد اذهلني هذا القحط : ان احتاج رجل الى السم، بالرغم مِن ان مَن يبيعه في مانتوا عقابه الموت، فهذا الرجل الشقي سيبيعه منه. آه ! لم افكر في الأمر الا حين احتجت اليه، هذا الرجل المحتاج سيبيعني منه ... وان لم تخني الذاكرة فيكون في بيته وبما ان اليوم عيد فحانوت هذا التعيس مقفل ... ايها الصيدلي !

(باب يفتح ويظهر الصيدلي)

الصيدلي : من ذا الذي يناديني بهذه القوة ؟

روميو : اقترب ايها الصديق !... اني ارى الفقر بادياً على محياك، خذ، هذه اربعين دوكية، واعطني شيئاً من السم لأني بحاجة الى مخدر فعال سريع الجريان، في عروق من سئم الحياة، يفتك بشاربه ويطرد من الجسم انفاسه في سرعة النار التي تشعل البارود في اجواف المدافع القاتلة.

الصيدلي : عندي من هذه السموم القاتلة، انما قانون مانتوا يحتم الموت على من يبيعها.

روميو : عجباً ! انت على هذه الحال من العوز والبؤس وتخشى الموت ! الجوع باد على خديك، الحاجة والحرمان يذوبان نظراتك، البؤس والعذاب يثقلان كتفيك. ليس العالم بحليف لك ولا سننه بموالية، لم يسن العالم قوانينه ليثريك، فخالف القانون وخذ هذا المال واستعن به.

الصيدلي : ان فقري هو الذي يجيبك الى ما طلبت لا ارادتي.

روميو : انما انا اشتري فقرك لا ارادتك.

الصيدلي : امزج هذا بالشراب الذي تريد، واشربه فسيقضي عليك وان كنت في قوة عشرين رجلاً.

روميو : (يدفع اليه المال) هذا ذهبك، ويا له من سم يفتك في نفس الانسان، انه يقترف جرائم اكثر ضراوة من التي يقترفها هذا المزيج الذي حُرِّمت بيعه. انا من يبيعك السم، انت لم تبع شيئاً ... الوداع، اشتر شيئاً تقتات به لتكسو جسمك لحماً (محدقاً بالسم) اهذا سم؟؟ كلا!! تعال انت يا دواء القلب، تعال معي الى قبر جولييت، هناك يكون لي معك شأن.

(يفترقان)

المشهد الثاني

(حجرة الأخ لورنس)

(يدخل الأخ جون)

جون : ايها الأخ الفرنسيسي، اين انت.

(يدخل الأخ لورنس)

لورنس : يجب أن يكون هذا صوت الأخ جون عائداً من مانتوا. ماذا قال روميو ؟ هل كتب ؟ اعطني اذن رسالته.

جون : هممت باصطحاب اخ مثلنا معي فوجدته هنا في المدينة يعود المرضى، لكن حراس المدينة خافوا من أن نكون قادمين من منزل فيه مصابون بالطاعون فأغلقوا علينا الأبواب ومنعونا من الخروج وهكذا حالوا بيننا وبين الخروج الى مانتوا.

لورنس : من حمل رسالتي الى روميو اذن ؟

جون : هاك هي لم استطع ارسالها ولم اجد رسولاً يعود بها اليك لخوف جميع الناس.

لورنس : يا للقدر القاتم، وحق السماء لم تكن رسالة فارغة، بل كانت تحمل انباء ذات قيمة عظيمة، وهذا التأخير قد يولد أخطاراً هائلة، اخي جون، أحضر لي مخلاً، وهيا الى حجرتي.

جون : فوراً يا اخي.

(يخرج)

لورنس : علي الذهاب الآن وحيداً الى المقبرة خلال هذه الساعات الثلاث ستيقظ جولييت الجميلة. ستلومني اذ لم تخطر روميو بما حصل لكني سأكتب من جديد الى مانتوا وسأحفظ جولييت في حجرتي حتى عودة روميو، يا لها من جثة حية في قبور الموتى الراحلين ! (يخرج).

المشهد الثالث

فيرونا ــ مقابر ومن بينها مقبرة آل كابوليت

(يدخل بارس ووراءه خادمه حاملاً مشعلاً وأزهاراً)

بارس : اعطني مشعلك يا فتى ابتعد واقم جانباً ... بل اطفئه، لأني لا أرغب ان يراني احد. اذهب واستلقِ تحت الشجيرات واسترق السمع جيداً لن تستطيع أي قدم أن تطأ أرض هذه المقبرة دون ان تسمعه، ستصفر، لتعلمني ان شعرت بأحد يقترب ... اعطني هذه الأزهار افعل ما امرتك به اذهب.

الخادم : (لنفسه): اكاد اخشى البقاء وحيداً هنا في هذه المقابر ومع ذلك سأخاطر.

(ينسحب).

بارس : ايتها الزهرة النضرة اني انثر هذه الزهور على سرير عرسك، ويا للأسف لقد استُبدل غطاء السرير بالتراب والحجارة، سأعود كل ليلة لأرويها بمياه عطرة أو بدموع قطرتها التأوهات : أجل اريد ان اقيم جنازة كل ليلة بمجيئي وكل ليلة ايضاً سيكون سكب الدموع على قبرك وكذا نثر الأزهار (اصوات اقدام تسمع) (يصفر الخادم) خادمي ينبئني بأن أحدا يدنو. اي قدم ضالة جاءت تهيم في هذا الطريق ليلاً وتزعج مراسم حبي الحزين ؟ ... ماذا ! ومعه مشعل !... اخفني ايها الليل برهة.

(يختفي).

(يدخل روميو وبلتازار ومعهما مشعل ومعول ..)

روميو : اعطني المعول ومخل الحديد هذا (ويضع ورقة في يد الخادم) خذ احمل هذه الرسالة في الصباح الباكر واحرص على ان تسلمها الى سيدي ووالدي ... أعطني المشعل بحياتك تنحَ عني بعيداً فمهما تسمع أو ترى ابقَ بعيداً ولا تقاطعني في عملي. هذه هي أوامري. وان نزلت في سرير الموت

هذا فلكي ارى وجه حبيبتي أولاً ولانتزع من بنانها الميت خاتماً ثميناً استعمله. فيما بعد لغرض قيّم. فابتعد اذن ... لكن اعلم ان هاج بك الفضول وعدت لتعرف ماذا افعل فوحق السماء سأقطعك ارباً ارباً وسأنثر اشلاءك فوق هذا القبر المتعطش الى عظامك. مقاصدي فيها الكثير من الوحشية، انها أكثر ضراوة من النمر الجائع أو البحر الهائج.

بلتازار : انا ماض يا مولاي ولن ازعجك.

روميو : بذلك يكون برهان ساطع على طاعتك ومحبتك (يعطيه صرة المال) خذ هذا وعش في رغد ... الى اللقاء ايها الولد الأمين.

بلتازار : (لنفسه) لا يهم، فسأختبئ في الجوار، ان سحنته تخيفني، واني اخشى مما يضمره.

(ينسحب).

روميو : (حاملاً المعول ومتجهاً نحو القبر) ايها الفم الرهيب أنت يا مستقر الموت المليء بأثمن ما أنجبته الأرض، انا سأكرهك على فتح شفاهك المحتضرة لألقمك، بالقوة، فريسة جديدة غالية.

(يفتح باب القبر).

بارس : (في مخبئه) انه ذاك المنفي، انه فتى مونتاغو المتعالي الذي قتل ابن عم حبيبتي. وعلى ما اعتقد هوذا سبب موت هذه الحسناء الغالية. وها هو هنا ليقترف اثماً آخر بحق الموتى سأردعه... (يتقدم نحو روميو). كف عن حاجتك ايها الأثيم يا مونتاغو القذر : ايقتفون اثر الميت في الانتقام ؟ ايها البائس المحكوم عليه. اني اوقفك. اطع وتعال معي فلا بد لك من الموت.

روميو : هذا صحيح ولذلك انا هنا ... ايها الفتى الطيب، لا تجرب من يئس الحياة اهرب من هنا واتركني... (مشيراً الى القبور) فكر بجميع اولئك الموتى وتراجع من الخوف ... ارجوك ايها الفتى النبيل لا تثقل ضميري بخطيئة اخرى بدفعي الى الغضب ... ارحل. بحق السماء اني لأحبك اكثر من نفسي

جئت متسلحاً لايذاء نفسي. لا تبقَ هنا، انصرف، عش، فقل فيما بعد ان رحمة مجنون جعلتك تلوذ بالفرار.

بارس : (يستل سيفاً)، لا احفل بتوسلاتك، بل اقبض عليك لخيانتك.

روميو : تريد ان تثيرني اذن؟ فاحذر ايها الوغد.

(يقتتلان).

الخادم : يا للسماء ! انهما يقتتلان : والله لأدعون الحارس.

(يخرج راكضاً)

بارس : (متهاوياً): ويحي! لقد قتلت!... ان كنت شهماً افتح القبر والقني قرب جولييت.

(يموت).

روميو : والله اني لفاعل. (ينحني على الجثة) لنرى من هذا الوجه: قريب لميركوشيو انه الكونت بارس النبيل ! ماذا كان يقول خادمي حين كانت نفسي قلقة، فلم افهم حين كنا راكبين الى هنا ... كان يخبرني ان بارس يوشك الاقتران بجولييت. اتراه قال هذا ام حلمت ؟ او بحديثه عن جولييت تراءى لي هذا (حاملا الجثة) آه هات يدك يا من كتب اسمه مثلي في دفاتر الشقاء ! سأدفنك في قبر كريم في قبر ؟.. لا ايتها الضحية المسكينة ! هذا قصر منيف لأن جولييت ترقد هنا، وجمالها يجعل من هذا الكهف صالة عيد منيرة. (يضعه في القبر) ميتاً، ارقد هنا مدفوناً بميت آخر. كم من الناس وجدوا السعادة قبيل ساعة الموت... لكن كيف تسمى سعادة؟ (متأملاً جثمان جولييت) أي حبيبتي ! اي زوجتي ! ان الموت الذي امتص عسل انفاسك لم يؤثر بعد على جمالك: فأنت على الموت غالبة. (متجهاً الى قبر آخر) أي تيبالت! ها انت راقد في قبرك مرمى ! آه ! ماذا استطيع فعله له ؟ فهذه اليد نفسها التي شقت صدر شبابك ستشق صدر عدوك. اغفر لي يا ابن العم. (عائداً الى مكانه) اي جولييت العزيزة لماذا تزدادين جمالاً ؟ اترى علي ان اظن ان الموت بات

عاشقاً لك، وهذا الوحش يحفظك هنا لتبقي الى جانبه ؟ ومن خوفي عليك سأبقى الى جانبك ولن اخرج من هذا القصر ابداً، قصر الليل المشؤوم، هنا، هنا سأبقى مع خدمك الديدان ! آه ! اجل اخترت هذا المكان ليكون مقري الأبدي، وبهذا ازيح عن كاهلي مصائب هذا العالم. اي عيناي نظرة اخيرة : يا عيناي ويا ذراعاي ضمة اخيرة ! وانت يا شفتي، انت باب الزفرات اختمي بقبلة بريئة صك عهدك مع الموت! اي حبيبتي (يجرع السم) والله لم يخدعني الصيدلي، عقاقير سريعة ... وبهذه القبلة ... اموت !

(يموت مقبلاً جولييت).
(يظهر الأخ لورنس من الناحية الأخرى للمقابر ومعه مصباح ومعول)

لورنس : فليكن الله في عوني ! كم مرة عثرت قدمي العجوز بالقبور الليلة ! (يرى بلتازار ممدداً على الأرض) من هنا؟

بلتازار : صديق ! يعرفك حق المعرفة.

لورنس : (مشيراً الى قبر كابوليت). مبارك انت!... قل لي يا صديقي، ما هذا المشعل الذي يهدي انواره الى الديدان والى الجماجم التي لا عيون لها ؟ يتراءى لي انه يحترق في مقبرة كابوليت.

بلتازار : في الحقيقة يا ابتِ ان مولاي هنا، ذاك الذي تحبه كثيراً.

لورنس : من اذن ؟

بلتازار : روميو.

لورنس : كم مضى على وجوده هنا.

بلتازار : حوالي النصف ساعة.

لورنس : تعال معي الى القبر.

بلتازار : لا اجرؤ يا سيدي. مولاي يعلم اني ذهبت، لقد هددني بالموت ان بقيت اترقب أفعاله.

لورنس : ابق اذاً، سأذهب بمفردي ... الخوف يمتلكني : آه اخشى حدوث شيء رهيب.

بلتازار : بينما كنت نائماً تحت هذه الصفصافة حلمت أن مولاي يقاتل رجلاً آخر وان مولاي قتله.

لورنس : (ذاهباً الى المقبرة): روميو (موجهاً نور مصباحه نحو القبر): وأأسفاه! وأأسفاه ! ما هذه الدماء التي تلطخ حجر هذا القبر ؟ لماذا هذان السيفان ملقيان هنا لا صاحب لهما في هذا المكان الآمن؟ (يدخل القبر) روميو آه؟ كم هو شاحب !... من هو ذاك الآخر ؟ ماذا : بارس ايضاً ! مضرجاً بالدماء ! آه يا لهذه الساعة المشؤومة يا لهذه المصيبة المفجعة ؟... السيدة تتحرك !

(جولييت تستيقظ وتنهض)

جولييت : اواه ! انت ايها الأخ الكريم، اين سيدي ؟ اتذكر جيداً اين يجب أن أكون وها انا ذا ... لكن اين روميو ؟

(ضجة من بعيد)

لورنس : اسمع ضجيجاً .. سيدتي اخرجي من هذا العش، عش الموت والطاعون والنوم اللاطبيعي. ان قوة أقوى من أن تقهرها قد قلبت تدبيرنا. هيا ! هيا ! لنذهب ! زوجك هنا صريع على قلبك، وهاك بارس. هيا سأضعك في دير للراهبات العابدات هيا بلا سؤال فالحارس يقترب ... هيا تعالي يا جولييت العزيزة. (تقترب الضجة). اخشى البقاء اكثر من هذا.

(يخرج من القبر)

جولييت : انصرف، اذهب من هنا، لأني لن اذهب من هنا، ما هذا ؟ كأس امسكت بها يد حبيبي ؟ انه السم، الذي اسرع به هكذا. الأناني ! لقد شربه حتى الثمالة، ولم يترك لي قطرة تساعدني على اللحاق به ! اريد تقبيل شفتيك، فقد اجد اثراً للسم يكفي لقتلي ... (تقبله) شفتاك حارتان.

الحارس الأول : (من الخارج) ارشدنا ايها الفتى... من اية ناحية؟

جولييت: أجل اصوات. هيا فلأسرع اذن. (تلتقط خنجر روميو) ايها الخنجر السعيد! هذا غمدك... (تطعن نفسها) ابقَ هنا الى ان ينخرك الصدأ ودعني اموت.

(تقع على جثة روميو ميتة).
(يدخل الحارس يقوده خادم بارس)

الخادم : (مشيراً الى القبر): هوذا مكان المشعل.
الحارس الأول : الأرض مخضبة بالدماء. فتشوا المقابر. واقبضوا على كل من تجدون. يا له من مشهد مروع ! هوذا الكونت قتيل ... وجولييت مدماة !... ما زالت حارة !... ميتة منذ قليل، هي التي دفنت منذ يومين !. اذهبوا واخطروا الأمير، اسرعوا الى اسرة كابوليت، ايقظوا اسرة مونتاغو ... وليذهب الآخرون الى البحث! (يخرج بعض من الحرس) اننا لنرى بوضوح المكان الذي تكدس فيه هذا الشقاء. لكن المسببات لن تعرف الا بإجراء تحقيق.

(يدخل بعض الحرس ومعهم بلتازار).

الحارس الثاني : هوذا خادم روميو، وجدناه في المقبرة.
الحارس الأول : احتجزوه ريثما يحضر الأمير.

(يدخل حارس معه الأخ لورنس)

الحارس الثالث : هوذا راهب يرتجف ويشهق ويبكي. التقطنا معه هذا المعول وهذه الفأس وهو يحاول الخروج من المقابر.
الحارس الأول : تهمة خطيرة فاحتجزوه هو ايضاً.

(يدخل الأمير ومعه الحاشية)

الأمير : ما هذا الشقاء المبكر الذي سلبنا راحتنا هذا الصباح ؟

(يدخل كابوليت، السيدة كابوليت واتباعهم)

كابوليت : لِمَ هذه الصيحات المعكرة الأجواء ؟
السيدة كابوليت : الشعب ينادي في الطرقات اسماء روميـــو !... جولييت !... بارس والكل يركضون صاخبين الى مقبرتنا.

الأمير : من اين هذا الخوف الذي أطار صوابنا ؟
الحارس الأول : (مشيراً الى الجثث) مولاي! هذا الكونت بارس قتيل وهذا روميو ميت، وهذه جولييت، الميتة التي بكيناها، ما زالت حارة مقتولة منذ لحظات.
الأمير : ابحثوا، فتشوا كل زاوية. واعرفوا كيف اقتُرِفَت هذه الجريمة النكراء.
الحارس الأول : هوذا راهب، وخادم الفقيد روميو، التَقِطوا حاملين آلات كافية لفتح قبور اولئك الأموات.
كابوليت : يا للسماء ... آيه ! انظري يا زوجتي كيف تقطر ابنتنا دماً !... لقد اخطأ الخنجر الطريق، وبقي الغمد فارغاً. وغاب في صدر ابنتي !
السيدة كابوليت : يا الهي ! ان هذا المشهد المؤلم لهو جرس يدق حزناً لشيخوختي المحتَضَرة.

(يدخل مونتاغو واتباعه).

الأمير : اقترب يا مونتاغو : لقد بكرت بالصحو لترى ولدك. ووريثك مبكراً في النوم الأبدي.
مونتاغو : واحسرتاه ! يا مولاي فقد ماتت زوجتي الليلة. نفي ابنها خنقها الماً ! فأية مصيبة جديدة تهدد حياتي ؟
الأمير : (مشيراً الى القبر): انظر فترى.
مونتاغو : كيف تسمح لنفسك ان تسبق اباك الى القبر ؟
الأمير : صه ! حتى نجلو كل هذه الغوامض وحتى نعرف المسببات وحقيقة الأمر. عندها اكون أول الباكين، وبالأنتظار ليكن التأثر تحت سيطرة الصبر .. ايتوني بمن حامت حولهم الشبهات.

(يتقدم الراهب وبلتازار).

لورنس : انا اول من يُشتَبه به يا مولاي، واضعف من يكون، ولكن المكان والزمان شاءا ان اكون أول المتهمين، وها أناذا اتهم وادافع عن نفسي، واغفر لنفسي التي اتهمها.

الأمير : قل اذن ما عندك بهذا الخصوص.

لورنس : سأوجز لأن انفاسي الباقية لا تكفيني لسرد قصة طويلة ومؤثرة : ان روميو الصريع هنا كان زوج جولييت، وجولييت الصريعة هنا كانت زوج روميو الأمينة. لقد أزوجتهما : ويوم زفافهما السري كان آخر يوم من أيام تيبالت، الذي بموته كان نفي الزوج الجديد من هذه المدينة. وكانت جولييت تبكيه هو لا تيبالت. (الى كابوليت) انت لتخفيف جزع ابنتك خطبتها لبارس الكونت عنوة. لهذا التجأت الي طالبة أن اعفيها من هذا الزواج الثاني، والا لكانت قتلت نفسها في حجرتي. عندها حسب تعاليمي اعطيتها شراباً يدفع الى النوم، فحصل كما توقعت وجعلها بصورة ميت. في اثناء ذلك كتبت الى روميو اطلب اليه المجيء في هذه الليلة الشقية فيساعدني في نقل جولييت من مكانها المؤقت اذ يكون مفعول الشراب قد انتهى. لكن الذي حمّلته الرسالة، الأخ جون، اعاقه حادث فأعاد اليّ الرسالة امس مساء. عندها اقبلت وحدي في الساعة السابعة لايقاظ جولييت واتجهت الى قبر اسرة كابوليت وفي نيتي ان انقلها الى حجرتي ريثما استطيع ابلاغ روميو. لكن حين وصلت، قبل دقائق من ايقاظها رأيت هنا بارس النبيل وروميو الأمين صريعين راقدين في القبر. واذ استيقظت استحلفتها ورجوتها ان ترحل وان تتحمل هذه الضربة السماوية ... لكني سمعت جلبة افزعتني فوليت تاركاً جولييت اليائسة التي أبت اللحاق بي. وفيما يبدو قد قست على نفسها. هذا كل شيء عندي، كانت المرضع على بيّنة من أمر هذا الزواج. فإن كان لي، فيما سردته ذنب فلتكن حياتي قرباناً لتنفيذ اقسى العقوبات المعروفة.

الأمير : ما عرفنا فيك الا ذاك الرجل المقدس ... اين خادم روميو ؟ ماذا يقول ؟

بلتازار : حملت الى سيدي نبأ موت جولييت، فغادر على الفور مانتوا واتى الى هذا القبر. وهنا اوكل اليّ مهمة نقل هذه الرسالة باكراً الى والده، وأمرني وهو يدخل الكهف تحت وطأة التهديد بالموت بالذهاب وبالابتعاد عنه.

الأمير : (آخذاً الرسالة): اعطني الرسالة، اريد ان أراه... أين خادم الكونت، الذي نادى الحارس ؟ ايها الفتى ماذا فعل سيدك هنا ؟

الخادم : جاء ينثر الزهور على ضريحِ خطيبته وقد طلب الي ان ابتعد عنه ففعلت. ثم جاء رجل يحمل مشعلاً جاء يفتح القبر، فجرد سيدي سيفه وهجم، عندها اسرعت انادي الحارس.

الأمير : (يقرأ الرسالة): هذه الرسالة تثبت ما قاله الراهب... فهذه هي قصة حبهم كاملة ... علم انها ميتة، هكذا يكتب، فأشترى سماً من صيدلي فقير وجاء هذا القبر ليموت وليرقد قرب جولييت. (الى من حوله) اين اولئك الأعداء ؟ كابوليت ! مونتاغو ! انظروا كيف تجازي السماء ضغينتكم : ها ان السماء تقتل بالحب افراحكم لتعلمكم. وأنا لأني تغاضيت عن خلافكما فقدت اثنين من انسبائي. لقد جوزينا جميعاً بعدل.

كابوليت : آيه يا مونتاغو! يا اخي اعطني يدك (يصافحه) فيكون صلحنا مهر ابنتي ولا استطيع طلب المزيد.

مونتاغو : انما انا عندي الكثير لك. سأنصب تمثالاً من الذهب الخالص لابنتك طالما بقيت فيرونا معروفة باسمها. لن تكون صورة أبهى من صورة جولييت الصادقة الأمينة.

كابوليت : واريد ان يكون روميو بجانب زوجه وفي نفس الأبهة : ضحيتان شقيتان لما كنا فيه من عداء !

الأمير : طالعنا هذا النهار بسلام حزين، فقد حجب الحزن الشمس عنا، هلموا لنتحدث عن هذه الفاجعة. سيُعاقب اشخاص وآخرون يُجازون، لأن ما من مغامرة اشد ألماً من مغامرة روميو وجولييت.

(يخرجون)

(تمت)

مأساة كريولانوس

تعريب

أ. ر. مشاطي

اشخاص المسرحية

كايوس مرسيوس كوريولانوس	نبيل روماني.
تيطس لرتيوس كمينيوس	قائدان رومانيان في حرب الفولسك
منانيوس اكريبّا	صديق كوريولانوس
سيسينيوس فيلوتوس يونيوس بروتوس	قاضيان
مرسيوس الصغير	ابن كوريولانوس
موظف كبير	
تولوس اوفيديوس	قائد من الفولسك
ملازم نائب اوفيديوس	
نكانور	رجل روماني
ادريانوس	رجل من الفولسك
مواطن من مدينة انطيوم	
حارسان من الفولسك	
فيرْجيلي	زوجة كوريولانوس
فولَمْني	والدة كوريولانوس
فاليري	صديقة فيرجيلي
مرافقة فيرجيلي	

شيوخ رومان وفولسك ــ نبلاء رومان حرّاس، تجار، جنود، مواطنون، متآمرون، رسل، خدام.

تجري الاحداث تارة في روما، وطورا في مدينتيْ كوريول وانطيوم.

الفصل الاول

المشهد الاول

في احد شوارع روما

(تدخل جماعة من المواطنين المتمردين مسلحين بالعصي والهراوات وغيرها من الاسلحة).

المواطن الاول : قبل ان نذهب بعيدا، اصغوا اليّ.

عدة مواطنين : (معاً) تكلم، تكلم.

المواطن الاول : هل انتم جميعكم مصممون على الموت وعلى عدم احتمال الجوع ؟

الجميع : اجل مصممون كل التصميم.

المواطن الاول : اعلموا اولاً ان كايوس مرسيوس هو اول اعداء الشعب.

الجميع : نحن نعلم ذلك، اجل نعلم ذلك.

المواطن الاول : فلنقتله اذاً، ولنأخذ القمح بالسعر الذي نريده. اوليس هذا قراركُم.

الجميع : يكفينا ما قلناه. هيا الى العمل. الى الامام.

المواطن الثاني : كلمة واحدة، ايها المواطنون المحترمون.

المواطن الاول : نحن لسنا سوى مواطنين محتقرين، والإكرام ليس إلا من

نصيب النبلاء. وما يفيض عن حكامنا يكفي لاشباعنا، ان تخلّوا عمّا يبقى لهم من أطعمة صالحة. يسعنا ان نتصوّر انهم يسايروننا من قبيل الانسانية، لكنهم يجدون هكذا اننا نكلّفهم غالياً. الهزال الذي اصابنا بسبب بؤسنا هو تقييم مفصل لثرائهم الفاحش، ما داموا يجنون اوفر الارباح من محنتنا. فلننتقم منهم بطعنات رماحنا قبل ان نصبح هياكل عظمية عاجزة. والآلهة تعرف ان ما يحملني على الكلام هو الجوع لا التعطش الى الاخذ بالثأر.

المواطن الثاني : هل تعني انك تريد بنوع خاص مقاومة كايوس مرسيوس ؟

عدة مواطنين : كلنا نعنيه لانه يرهق الشعب.

المواطن الثاني : لكن ألا تذكرون ما قدمه لبلده من الخدمات الجليلة ؟

المواطن الاول : طبعاً يسرني ان يقدّرها الناس له، لانه لم يكن يوماً ليفاخر باعماله.

المواطن الثاني : اذاً لا تتكلم عنه بسوء.

المواطن الاول : انا ابين لك ان ما قام به من الافعال المشكورة كان عن حسن نية. واصحاب الضمائر الحية مهما قالوا انه عمل الكثير لاجل بلده لا ينسون انه ارضى امّه ولبّى نداء كبريائه الذي يوازي كرامته.

المواطن الثاني : انت تتهمه بجريمة عندما تنسب اليه تصرفاً طبيعياً لا يقبل الجدل. على الاقل يمكنك ان تلصق به تهمة الجشع.

المواطن الاول : اذا لم استطع فلأن ليس لدي اية تهمة اوجهها اليه. فما لم يتورع عنه من الدنايا لا ينفي عنه كل التهم. (تسمع صيحات بعيدة). ما هذا الصراخ ؟ القسم الثاني من المدينة تقيمه وتقعده الحركات المريبة. فلماذا نظل هنا نثرثر ؟ هيا الى الكابتول.

الجميع : هيا بنا، هيا.

المواطن الاول : مهلاً ! من القادم الينا ؟

(يدخل منانيوس اكريبّا)

المواطن الثاني : ها هو الوقور منانيوس اكريبّا، الرجل الذي احب الشعب على الدوام.

المواطن الاول : هو شريف لا غبار عليه، ليت الجميع مثله.

منانيوس:ماذا تريدون ان تفعلوا ايها المواطنون. الى اين انتم ذاهبون مسلحين بالعصي والهراوات ؟ ماذا جرى ؟ ارجوك ان تتكلم ايها المواطن.

المواطن الاول : شيوخنا لا يجهلون مشروعنا. فمنذ خمسة عشر يوماً علموا بنوايانا التي سنؤكدها لهم باعمالنا. يقال ان اصوات المستدعين المساكين قوية، وسيعلمون ان سواعدنا هي ايضاً قوية.

منانيوس : ما قولكم يا سادتي ويا اصدقائي الكرام، ويا جيراني الاشراف ؟ هل تريدون خراب بيوتكم ؟

المواطن الاول : هذا محال يا سيدي، لان بيوتنا قد خرّبت.

منانيوس : إعلم يا صديقي، وثِقْ بان النبلاء يكنون لكم كل عطف وانت في احتياجاتك وآلامك اثناء هذه المجاعة يجمل بك ان تلوم السماء بدلاً من توجيه انتقاداتك الى الحاكم الروماني وحده. لأنه بمعالجته الامور يسعه ان يبدّد الفاً من الاحتجاجات التي تثيرها في وجهه. اما المجاعة فليس النبلاء بل الآلهة يسببونها، وحيالهم اعتقد بان حني الرقاب يفيد اكثر من رفع الايدي بالتهديد. انتم يا للاسف تنجرفون من محنة الى محنة اكبر، وتسوّدون صفحة رجال الدولة بينما هم يسهرون عليكم كالآباء ويتلقون لعناتكم كأنهم اعداء.

المواطن الاول : هم يسهرون علينا ؟ في الحقيقة لا يرعون ابدا مصالحنا بل يدعوننا نهلك جوعاً بينما تعجّ مخازنهم بالحبوب ويروّجون صفقات الربى ليساندوا المرابين ويذكروننا كل يوم بمآثر الاغنياء ويصدرون كل يوم قرارات مجحفة تضاعف ما يرهق الفقراء ويظلمهم. واذا لم تعضنّا انياب الحرب الشرسة فان براثنهم تكفي لتمزيقنا. هذا ما يضمرونه لنا من الحب.

منانيوس : هناك احد امرين : إمّا ان تدافعوا عن انفسكم بطريقة مجدية، او ان تتركوا الناس ينعتونكم بالجنون. سأقص عليكم رواية طريفة ربما سبق لكم ان سمعتموها. لكني مع ذلك ساسردها لكم لانها تشرح كلامي.

المواطن الاول : هات، فكلّي آذان صاغية انما لا تظن إنك تخدع جوعنا بحكاية كهذه. مهما يكن الامر، بما انها تسرّك، فهات أسمعنا اياها.

منانيوس : ذات يوم، تمرّدت جماعة من البشر على البطن فأتهمته بانه الوحيد

بين اعضاء الجسم يظل كسولاً عاطلاً عن العمل، بينما هو كالهوّة التي تبتلع كل ما في الكون من مآكل بدون ان يساهم في اي جهد مشترك مع سائر اعضاء البدن في اعمالها المفيدة كالنظر والسمع والتفكير والتوجيه والمشي والشهيّة والرغبات المشتركة في جميع انحاء الجسد. فأجاب البطن...

المواطن الاول : هيا اخبرنا ما هو جواب البطن ؟

منانيوس : مهلاً ساطلعكم عليه. فبابتسامة لا تنبع من القلب بل من جهة اخرى، لان البطن يمكن استدراجه الى الابتسام اكثر من حمله على الكلام، اجاب البطن بازدراء على سؤال الاعضاء المستائين المحتجّين على اعتراضاته: انتم تحتجون الآن تماماً بان المعاملة التي تنوبها لا تختلف عما يصيبكم.

المواطن الاول : اعلمنا بماذا اجاب البطن. اذا كان الرأس يحمل تاجاً ملكياً، والعين تسهر والدماغ يرشد والساعد يقاتل والرجل تسرع، واللسان يثرثر، واذا كان غيرها من الاعضاء المختلفة التي تدافع عن كياننا، جميعها...

منانيوس : اخيراً، ألا يريد هذا الفتى ان يصمت ولا يقاطعني ؟ اعلمنا ما هو الجواب ؟

المواطن الاول : اذا كان كل شيء يسيطر عليه البطن الجشع، هذا الحوض الواسع...

منانيوس : ما هو جوهر الجواب اذاً ؟

المواطن الاول : اذا كانت جميع هذه الاعضاء تشتكي، ما عسى ان يكون جواب البطن ؟

منانيوس : سأبيّنه لكم، اذا تكرمتم علي بما لم يسبق لكم ان تمنحوني اياه حتى الآن اي بقليل من الصبر، فتسمعوا جواب البطن ؟

المواطن الاول : لقد عيل صبرنا.

منانيوس : لاحظ جيداً يا صديقي، ان بطنك الخطير الذي يحافظ دائما على هدوئه بدون ان يغضب على مهاجميه، كان رده : لا انكر يا رفاقي اني انا أول من يتلقى الغذاء الذي يؤمّن لكم الحياة. وهذا من حقي، لاني انا مخزن الجسم برمته. واذا تذكرتم جيداً فانا الذي ارسل كل ذلك في مجاري الدم الى القلب موطن العواطف، والى الرأس مركز العقل والى جميع انحاء البدن

بواسطة المسالك العصبية، وكلها تستمد مني ما لا غنى لها عنه للمحافظة على الحياة. وهكذا انتم جميعكم يا اصحابي مدينون لي... هذا ما قاله البطن، فلا يخفاكم...

المواطن الاول : هذا معلوم ومفهوم.

منانيوس : ... وإن كنتم جميعاً لا ترون كل ما باستطاعتي ان اقدمه لكل واحد منكم، يسعني ان اثبت لكم بموجب بيان دقيق صريح اني انقل اليكم كل ما في الطحين من فوائد، ولا استبقي لنفسي سوى النخالة... فما قولكم ؟

المواطن الاول : ما القصد من هذا الجواب ؟

منانيوس : ان مجلس الشيوخ هو هذا البطن الممتاز بالذات، وانتم سائر اعضاء الجسم المتمرد. اذ بعد تفحّص هذه الارشادات والتدابير، وبعد هضم كل هذه القضايا في سبيل المصلحة العامة، تدركون ان المنافع المشتركة التي ترغبون في تأمينها، لستم انتم مصدرها. فما رأيك الشخصي، انت يا لولب هذا المجلس الكريم وكوكبه ؟

المواطن الاول : انا لولب هذا المجلس وكوكبه ؟

منانيوس : بما انك انت انعمهم ملمساً واقدرهم على الحديث واحقهم بالشفقة في هذا التمرد، تراك دائما في الطليعة، تشاغب على رأس المسيرة، آملاً ان تحظى بمزيد من الامتيازات. هيا، اعدّوا هراواتكم وعصيّكم الغليظة. فان روما على وشك ان تحارب جرذانها، ولا بد لاحد الطرفين من الانتصار.

(يدخل كايوس مرسيوس)

اهلاً بك، يا مرسيوس النبيل.

مرسيوس : شكراً. (للمواطنين) ما الامر ايها المنافقون ؟ من يراكم تحكّون جلدكم هكذا يظنكم مصابين بداء الجرب.

المواطن الاول : لا ينوبنا منك سوى الكلام القارص.

مرسيوس : ان من يُسمعك كلمة رقيقة يُظنّ مرائياً مداهناً خالياً من كل ذوق سليم. ماذا تنتظر، ايها النبّاح الذي لا يرضيك لا سلم ولا حرب ؟ فالحالة الاولى تبعث فيك الهلع، والثانية تدفعك الى الوقاحة. ومن يعتمد عليك في

الشدة يجد فيك ارنباً جباناً لا اسداً شجاعاً، واوزة غبية لا ثعلباً محتالاً. كلا انت لست آمن من جمرة على الجليد ولا ممن يرتجف من البرد في شمس الصيف. ففضيلتك تقوم على استنهاض همّة من صرعته اخطاؤك، وعلى صبّ اللعنات على العدالة التي انزلت به صارم العقارب. من استحق المجد استحق حقدك، كما ان عطفك يشبه شهية مريض يطلب كل ما من شأنه ان يزيد خطورة علته. فمن يطمع بعطاياك كمن يستعين بزعانف من رصاص، ومن يريد ان يحطم سنديانة فيضربها بقصبة مرضوضة او كالمستجير من الرمضاء بالنار. يا ويح من يتكل عليك، فانت لا تستحق غير الشنق. لأنك في كل لحظة تبدّل فكرك، وفي سبيل غايتك تخلع النبل على من اهانك منذ هنيهة وتصب جام غضبك على من كنت تتوّجهه بأطهر الفضائل، وكأنه ليس مجرماً سفاحاً. ماذا جرى ؟ لماذا انت، في مختلف شوارع المدينة، تحقّر بصيحاتك الجارحة هذا الشيخ النبيل الذي يحيطك بأجلّ مظاهر الاكرام والاحترام تحت رعاية الآلهة، ويمنع الناس من افتراس بعضهم بعضاً ؟ (لمنانيوس) ماذا يريدون ؟

منانيوس : قمحاً بالسعر الذي يرضيهم، وهم يؤكدون ان المدينة مليئة بالحبوب.

مرسيوس : هذا الكلام هراء. يحكمون وهم جالسون بالدفء على ما يجري في الكابتول من نقاش، وما اسعد من يرتفع على اكتاف غيره ويصعد او ينحدر ويلتزم بالحراسة والسهر، ويحقق المحالفات والاتحادات، ويقوّي انصاره ويدوس باقدامه من لا يحبه. يقال ان القمح متوفر. لو سمح لي هؤلاء البلهاء ان اصمّ اذني عن تبكيت الضمير، وان احتكم الى السيف، لجعلته من هؤلاء المشعوذين اكواماً من الاشلاء يزيد ارتفاعها على علو رمحي.

منانيوس : لعمري، اعتقد بانهم مقتنعون تماماً بهذا القول، مهما كانت حكمتهم عاجزة، فان جبنهم لا حدّ له. ارجوكم ان تفيدوني عما يقوله الفريق الآخر.

مرسيوس : لقد تبعثرت صفوفه. تبّا للرجالين الذين يدّعون انهم جياع ويطلبون المزيد. والجوع يهدّ الجدران ويدك الصروح. لا بد للكلاب من ان

تأكل ولا بد لجميع الافواه من ان تتغذى. فالآلهة لم تنبت القمح للاغنياء فقط: فبمثل هذه الاقوال الركيكة قد عبّروا عن شكواهم وقد استجبنا طلباتهم وامّنّا لهم حاجاتهم. فما هذا الالتماس الذي يطعن النبل في الصميم ويخجل اجرأ رجال السلطة. لقد القوا قبعاتهم في الهواء كانهم يريدون ان يعلقوها بقرون الجاموس، وكشفوا عن عداوتهم في هتافاتهم المهاجمة.

منانيوس: واية منحة كانت من نصيبهم ؟

مرسيوس: خمسة اعضاء وقع عليهم اختيارهم ليدافعوا عن سياستهم الخائبة. وقد انتخبوا يونيوس بروتوس، وسيسينيوس فيلوتوس، ولا ادري من ايضاً. سحقاً لهذا اللعين الذي قلب المدينة رأساً على عقب، قبل ان يطلب ذلك مني. فهذا التنازل سيضعف الحكم شيئاً فشيئاً ويعطي حقاً اقوى فأقوى لحجج المتمردين.

منانيوس: هذا امر غريب.

مرسيوس: (للجمهور) هيا، يا رعاع، عودوا الى بيوتكم.

(يدخل رسول)

الرسول: اين كايوس مرسيوس ؟

مرسيوس: انا هنا. ما الامر ؟

الرسول: جئت اعلمك يا سيدي، بان رجال الفولسك قد لجأوا الى السلاح.

مرسيوس: هذا يسرني. لانه يسمح لنا بان نتخلص من زوائدنا النتنة. ها هي ذي نخبة قدمائنا.

(يدخل كمينيوس وتولوس لريتوس وشيخ ابيض الشعر وغيره من الشيوخ، ثم يونيوس بروتوس وسيسينيوس فيلوتوس)

الشيخ الاول: قلت لنا الحقيقة إذ انبأتنا بان الفولسك لجأوا الى السلاح.

مرسيوس: وعلى رأسهم تولوس اوفيريوس الذي سيتعبكم كثيراً. انا احسده على همته ونشاطه، ولو خيروني لَفضّلت ان اتشبه به.

كمينيوس: لقد توازيتما فيما مضى.

مرسيوس : عندما يقف نصف الدنيا في وجه نصفها الثاني، إذا كان من جهتنا فأنا حتماً انتقل الى الجهة الأخرى المعادية لكي أحاربه. فهو أسد يحلو لي أن أتحداه وأجابهه.
الشيخ الثاني : عليك اذاً يا مرسيوس ان ترافق كمينيوس في هذه المعركة.
لمينيوس : (لمرسيوس) هذا وعد منك آمل ان تفيه في حينه.
مرسيوس : اجل يا سيدي، سأكون عند حسن ظنك بي، يا تيطس لرتيوس، ستراني مرة اخرى اهاجم تولوس وجهاً لوجه. هل كلَّ بصرك فتراجعت؟
تيطس : لا يا كايوس مرسيوس. حتى إن توكأت على عكاز وحاربت برجْل واحدة، فذاك خير لي من ان انسحب من هذا القتال.
منانيوس : يا لك من صنديد شجاع.
الشيخ الاول : هيا رافقنا الى الكابتول حيث ينتظرنا اعزّ اصدقائنا.
تيطوس : (للشيخ الاول) سِرْ امامنا، واتبعه، يا كمينيوس. سنلحق بكما.
كمينيوس : عزيزي النبيل مرسيوس.
الشيخ الأول : (للجمهور) عودوا الى بيوتكم.
مرسيوس : لا، دعهم يتبعونا. فرجال الفولسك لديهم قمح وافر. لنأخذْ هؤلاء الجرذان لكي تقضم لهم مؤنهم. يا لها من غنيمة باردة. مسعاك يعطي اطيب الثمار. بالله عليكم اتبعونا (يخرج الشيوخ كمينيوس وتيطس لرتيوس ومرسيوس ومنانيوس. ويتفرق المواطنون).
سيسينيوس : هل رأيتم رجلاً اوقح من مرسيوس هذا ؟
بروتوس : حقاً، لا شبيه له.
سيسينيوس : عندما انتخبنا نوابنا عن الشعب...
بروتوس : هل لاحظت حركة شفتيه وعينيه ؟
سيسينيوس : كلا، انما لاحظت تهكّمه.
بروتوس : حين يستشيط غضباً لا يتردد عن اهانة الآلهة.
سيسينيوس : ولا عن التنديد بالقمر البهي الطلعة.
بروتوس : الحرب تلهب حماسه فيصبح متشامخاً بمقدرته.
سيسينيوس : وهكذا عندما يدغدغ النجاح مشاريعه يحتقر حتى ظلال

الجبابرة في رابعة النهار. انما يدهشني فيه ان يتنازل عن كبريائه لقبول تحكّم كمينيوس حتى بشخصه الرفيع الشأن.

بروتوس : الشهرة التي يطمح اليها ويكاد ان يبلغها لا تتيح له ان يرضى الا بالمرتبة الأولى. لان اقل هفوة تجعله يلقي المسؤولية على القائد الذي قام بكل ما يقوى رجل على فعله. والّا صاح المراقبون : لو عالج مرسيوس الموقف لما وصلنا الى هنا.

سيسينيوس : ثم اذا تمّت الاحداث كما يجب، سيتحوّل التقدير عن كمينيوس نظراً الى ما يكنّه اصحاب الرأي لمرسيوس من مودة صادقة.

بروتوس : بالاختصار، نصف امجاد كمينيوس ستنتقل الى مرسيوس، وان يكن لا يستحقها، وكل اخطائه ستتحول الى امجاد تكلّل هامة مرسيوس وان لم يكن اهلاً لها.

سيسينيوس : هيا نلقِ نظرة على احوال البعثة، كيف تألفت وما هي قوتها مع ان النشاط الشخصي يساعد في هذه الحملة.

بروتوس : هيا بنا

(يخرجان)

المشهد الثاني

في كوريول، داخل مجلس الشيوخ

يدخل تولوس اوفيديوس والشيوخ.

الشيخ الاول : هكذا، يا اوفيديوس ؟ رأيك هو ان أهل روما قد ادركوا نصائحنا وعلموا بمرامنا ؟

أوفيديوس : اوليس هذا رأيك؟ اي مشروع دُرِسَ في هذه الدولة وتمّ تنفيذه

فعلاً قبل ان تحاط روما به علماً؟ منذ اربعة ايام بلغتني اخبار من هناك، بهذه التعابير بالذات، واعتقد بان الرسالة موجودة معي هنا. اجل، ها هي. (يقرأ)، لقد جنّدوا قوات اضافيّة. لكننا لا نعلم اذا كانت للشرق او للغرب. فالمجاعة هائلة والشعب ثائر. وهناك اشاعات مفادها ان كمينيوس ومرسيوس صديقك المكروه في روما اكثر منك، وتيطس لرتيوس الروماني المتيقّظ، عليهم هم الثلاثة ان يوجهوا هذه الحملة الى غايتها على الأرجح للنيل منك. فكن على حذر.

الشيخ الاول : جيشنا يخوض المعركة، اذا لم يخامرنا اي شك بان روما غير مستعدة لمناوأتنا.

اوفيديوس: وهل فضلّت ان تكتم اعز اهدافك الى حين انكشافها تلقائياً. لكن، يظهر ان الامر قد تحقق قبل ان تعرف روما، واعلانه سيضيّق الخناق على خطتنا المبنيّة على مباغتة عدة مدن قبل ان تعلم روما باننا وقفنا على رجلينا وثبّتنا اقدامنا.

الشيخ الثاني : خذ هذه حصتك يا اوفيديوس النبيل، واسرع الى جنودك، ودعنا نحتفظ وحدنا بكوريول. فاذا جاء احد ليخيم تحت اسوارنا، تعال مع جيشك لمطاردته هو ورجاله، انما ستدرك ان استعداداتهم لم تكن لتضعف مساعينا.

اوفيديوس : لا تشك في ذلك ابداً. فانا اتحدث بثقة تامة. فوق ذلك، هناك تحذير تدعمه قناعات بان قواتهم تزحف رأساً الى كوريول. ها انا اتكلم يا اصحاب السيادة. واذا تقابلنا انا وكايوس مرسيوس، فقد أقسمنا باننا لن نوقف المعركة إلا عندما يعجز احدنا ولا يعود قادراً على التحرك.

جميع الشيوخ : كانت الآلهة بعونك

اوفيديوس : وحفظكم انتم ايضاً يا صاحب السيادة.

الشيخ الاول : الوداع.

الشيخ الثاني : الوداع.

الجميع : الوداع، الوداع.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في روما، داخل منزل مرسيوس

(تدخل فولمني وفيرجيلي، تجلسان على مقعدين صغيرين، وتباشران الحياطة)

فولمني : ارجو منكِ يا ابنتي ان تغني وان تعبري عن فكرك بدون قنوط. لو كان ولدي زوجي، لفرحت اكثر بهذا الغياب الذي يضفي عليه شرفاً لن يجده في المعانقات الزوجية التي تبرهن لي عن حب اعمق، بينما هذا الابن الوحيد الذي انسلخ عن قلبي وهو نحيل جداً. ان غيابه بسبب نبالته اجتذب اليه الانظار عندما طلبه الملك ذات يوم، ولم تكن امّ غيري لترضى بان تتنازل ساعة واحدة عن بهجة مشاهدته، فكرت انا بان وسامته تكتمل بالشرف ولا تساوي اكثر من رسم معلق على الحائط، لو لم يبعث الشرف في صدره الحياة، ولكنت حملته على السعي الى المخاطر حيث يجني الشهرة والمجد. وإلا كنت اوديت به الى حرب ضارية يعود منها وعلى رأسه اكليل الغار. انا اقول لك يا ابنتي عندما علمت باني رزقت مولوداً ذكراً لم اهتز طرباً كما شعرت عندما بلغ سن الرجولة.

فيرجيلي : لكنه مات في هذه القضية، يا سيدتي.

فولمني : اسمه مجيد بمجرد كونه ولدي، وقد وجدت فيه خير خلف لابيه. انا اخاطبك بصدق. لو كان لي اثنا عشر ابناً لاحببتهم كلهم بالتساوي ولكانوا كلهم اعزّاء على فؤادي مثل مهجتي مرسيوس، ولكنت فضلت ان ارى احد عشر واحداً منهم يقضون في سبيل وطنهم على ان يبقى لي واحد يرتع بأمان في احضان الملذات.

(تدخل احدى المرافقات)

المرافقة : جاءت السيدة فاليري لزيارتك، يا سيدتي.

فيرجيلي : (لفولمني) ارجوك ان تسمحي لي بالانسحاب.

فولمني : لا، في الحقيقة، يخيل اليّ اني سمعت طبل زوجك يقرع وأظنه

يجر اوفيريوس من شعره، ورجال الفولسك يهربون امامه كما يفر الاولاد من الدب. وواراه يضرب قدمه في الارض ويصرخ : اتبعوني ايها الجبناء فانتم ابناء الخوف، مع انكم ولدتم في روما. حينئذ يمسح جبهته الدامية بقفّازه المصنوع من الزرد ويتقدم نظير الحصّاد الذي يضطر الى قطع كل شيء امامه، وإلا خسر أجره.

فيرجيلي : جبينه ينزف دماً. يا الهي، انا لا أريد الدم.

فولمني : اصمتي يا مجنونة. الدم يليق بالرجل اكثر من غنائم الذهب. فان صدر هرقل وهو يضم هكتور لم يكن افضل من جبين هكتور وهو ينزف دماً بسبب الطعنات التي تلقاها من سيوف اليونانيين. قولي لفاليري اني مستعدة لاستقبالها.

(تخرج المرافقة).

فيرجيلي : حفظت الآلهة سيدي من اذى افيريوس الشرس.

فولمني : سيسحق بقدمه، رأس اوفيريوس ويدق عنقه.

تدخل فاليري وتتبعها المرافقة ثم يدخل الحاجب.

فاليري : نهاركما سعيد، ايتها السيدتان.

فولمني : نهارك سعيد، يا سيدتي العزيزة.

فيرجيلي : يسرني جداً لقاؤك اليوم.

فاليري : كيف حالكما ؟ انتما ربتا منزل ممتازتان. ماذا تخيطان ؟ شغلكما رائع. كيف حال طفلك ؟

فيرجيلي : اشكرك جزيل الشكر، يا سيدتي الكريمة.

فولمني : هو يفضل ان ينظر الى السيوف ويستمع الى الطبول ولا يرى استاذ مدرسته.

فاليري : اقسم بشرفي انه تماماً نظير ابيه. وهو صبي بهيّ الطلعة. هل تصدقان اني يوم الاربعاء الماضي بقيت مدة نصف ساعة اتأمله وامتع نظري بوسامته ؟ ففي محياه كثير من المعاني. وكنت اراه يجري وراء فراشة مذهبة الجناحين يلتقطها مجدداً، يمسك بها ويتركها مراراً حتى خشيتُ من سقوطه

او من اية محنة اخرى، وما كان منه إلا ان مزقها ثم رماها وسحقها بقدمه.

فولمني : هو نزق جداً كأبيه.

فاليري : حقاً، هو ولد نبيل.

فيرجيلي : انما يغلب عليه الطيش يا سيدتي.

فاليري : (لفيرجيلي) هيا اتركي الخياطة، وتعالي نذهب في نزهة معاً بعد الظهر.

فيرجيلي : انا لا اريد الخروج، يا صديقتي.

فاليري : لماذا ؟

فولمني : ما السبب؟

فيرجيلي : لا حقاً لا اريد. اعذريني يا سيدتي، لن اتخطى عتبة هذا البيت قبل عودة مولاي زوجي من الحرب.

فاليري : تباً لك. تريدين ان تسجني نفسك بدون سبب معقول. هيا نذهب لزيارة هذه السيدة الطيبة قبل ان يحين زمن ولادتها.

فيرجيلي : اتمنى لها ان تقوم بالسلامة. سأذكرها في صلواتي. لن اتمكن من الذهاب اليها.

فولمني : ارجوك ان تقولي لي لماذا ؟

فيرجيلي : لا خوفاً من التعب، انما لقلة الصداقة بيننا.

فاليري : هل تريدين ان تكوني بينيلوب اخرى ؟ مع ذلك يقال ان جميع الصوف الذي غزلته اثناء غياب بطل الاسطورة زوجها أوليس لم ينفع إلا لملء الرداء بالعث. تعالي اذاً كم اود ان يكون النسيج الذي تشتغلينه حسّاساً كأناملك الناعمة. رفقاً، كفّي عن شكّه بابرتك، وهيا تعالي معنا.

فيرجيلي : لا، يا عزيزتي. سامحيني لعزوفي عن الخروج.

فاليري : هيا تعالي معي. فانقل اليك انباء سارة عن زوجك العزيز.

فيرجيلي : صديقتي الكريمة، هل من الممكن ان تكوني قد تلقيت اخباراً عنه ؟

فاليري : اجل، انا لا امازحك. لقد وردتني عنه اخبار مساء البارحة.

فيرجيلي : حقاً، يا سيدتي ؟

فاليري : ليس اصدق مما اقوله لك. سمعتها تُقال لأحد الشيوخ. وها هي : لدى جماعة الفولسك جيش ذهب القائد العام كمينيوس لمواجهته مع قسم من فيالقنا الرمانية. فزوجك وتيطس لرتيوس حاصرا مدينة كوريول. وهما لا يشكان ابداً بان الغلبة ستكون لهما قريباً بانتهاء الحرب. أقسم لك بشرفي أن هذه هي الحقيقة. لذا ارجوك ان تأتي معنا.

فيرجيلي : اعذريني يا سيدتي الفاضلة. سألبّي طلبك فيما بعد.

فولمني : اتركيها يا سيدتي. ففي حالتها ستشوش علينا بهجتنا وصفاءنا.

فاليري : ربما الوداع اذاً. هيا يا سيدتي الكريمة. ارجوك يا فيرجيلي ان تتركي الرسميات جانباً وان تخرجي معنا.

فيرجيلي : لا، حقاً لا استطيع يا سيدتي. اتمنى لكما اطيب الاوقات.

فاليري : شكراً. الوداع اذاً.

(تخرجان كل واحدة من جهة)

المشهد الرابع

عند حاجز مدينة كوريول.

تقرع الطبول وتخفق الاعلام، ويدخل مرسيوس وتيطس لرتيوس يتبعهما ضباط وجنود، يدنو منهم رسول.

مرسيوس : ها هي اخبار جديدة. اراهن ان المعركة بدأت.

لرتيوس : اراهن على حصاني مقابل جوادك ان المعركة لم تبدأ بعد.

مرسيوس : قبلت

لرتيوس : (للرسول) قل لي هل واجه قائدنا العدو ؟

الرسول : هم واقفون بالمرصاد كل من جهته، انما لم يقدم احد على الهجوم.

لرتيوس : هكذا اصبح حصانك ملكي.

مرسيوس : سأشتريه منك.

لرتيوس : كلا. انا لا اريد ان ابيعه ولا ان اهديه، بل اعيرك اياه لمدة خمسة اعوام. اذيعوا هذا الخبر في المدينة.

مرسيوس : (للرسول) على اية مسافة منا يعسكر الجيشان ؟

الرسول : على بعد ميل ونصف.

مرسيوس : سنسمع اذاً ابواقهم. وهم سيسمعون ابواقنا. يا اله الحرب، استحلفك ان تساعدنا وتنهي المشكل هنا حتى نتكمن، وسيوفنا لا تزل ساخنة، من المبادرة الى نجدة اخواننا في السهل. (يسمع صوت الابواق) هيا انفخوا، ولتهبّ عاصفتكم.

(ينادي مفاوضاً، ويظهر على الحاجز بعض الشيوخ وبعض المواطنين المسلحين)

هل تولوس او فيريوس موجود معكم ؟

الشيخ الاول : كلا. لا احد هنا يخشاكم، مهما كان ضعيفاً. (يسمع نداء بعيد) انصتوا. هيا هي طبولنا تنادي شباننا. سنهدم اسوارنا ولن ندع احداً يحبسنا. ابوابنا التي تبدو مغلقة ليس لها من عوارض سوى قضبان القصب وستفتح من تلقاء ذاتها. هل تسمعون الاصوات البعيدة (ضجة بعيدة) هذا هو اوفيريوس. اسمعوه كيف يجتاح صفوف جيوشكم المتفرقة.

مرسيوس : ها قد اشتبكوا.

لرتيوس : ليكن صخبهم درساً لكم. انتبهوا الى السلالم، يا جماعة. (يظهر بعض رجال الفولسك).

مرسيوس : هم لا يخشوننا بل يخرجون من المدينة. احملوا دروعكم امام صدوركم، وحاربوا بقلوب اصلب من دروعكم. تقدم، يا تيطس الشجاع. احتقاركم ايانا يتعدّى كل توقعاتنا. العرق يتصبب مني غيظاً. سيروا يا رفاقي، فمن يتراجع احسبه من جماعة الفولسك، ولن يرحمه سلاحي. (تسمع

موسيقى الهجوم، فيشتبك الرومان والفولسك في قتال عنيف. يتراجع الرومان الى مخابئهم).

(يدخل مرسيوس)

مرسيوس : لتحل بكم جميع الضربات والويلات. انتم عار روما، انتم قطيع، ثعالب، لِيُغَطِّ البرص ابدانكم بالبثور الكريهة حتى يشمئز الجميع من رؤيتكم ويطردوكم الى بعد ميل في مهب الرياح. انتم جبناء يا اشباه الرجال، كيف هربتم امام رعاع تتغلب القرود عليهم. اذهبوا الى الجحيم ايها اللقطاء المطعونين في الظهر اثناء هربكم المشين او قد شحبت وجوهكم الواجمة من الهزيمة والهلع. هيا اجمعوا صفوفكم وعودوا الى الهجوم. وإلا بحق صواعق السماء، تحولت عن العدو الى محاربتكم ايها الصعاليك. احذروا، هيا الى الامام. واذا صمدتم، سنقهرهم ونردّهم الى نسائهم خائبين، كما طاردونا حتى مرابضنا.

(تسمع اصوات الهجوم، يكر الرومان على رجال الفولسك الذين ينسحبون الى كوريول، فيتبعهم مرسيوس حتى ابواب المدينة)

ها هي الابواب مفتوحة. ساعدوني، فالحظ يشرعها امام المقتحمين لا في وجه الفارّين. لاحظوا تصرفي واتبعوني.

(يدخل المدينة وتغلق الابواب وراءه)

الجندي الاول : ما هذا الجنون ؟ انا لا يسعني ان افعل مثله.
الجندي الثاني : ولا انا.
الجندي الثالث : انظروا. ها قد حاصروه. (تسمع ضجة).
الجميع : وقع في الفخ حتماً.

(يدخل تيطس لرتيوس)

لرتيوس : ماذا حل بمرسيوس.
الجميع : قُتل بدون شك.

الجندي الاول : وهو يطارد الهاربين لانه دخل وراءهم. وبغتةً اغلق عليه الباب وبقي وحيداً ليجابه كل المدينة.

لرتيوس : يا لك من رفيق نبيل محترم شجاع كسيفك المرهف الذي لا يقاوم.

هل قضي علينا ان نتركك ايها الكنز الثمين، ايها المحارب الذي لا يشق لك غبار. انت لم تكن فقط صلباً مفتول العضلات، ثاقباً، بل صاعقة محرقة يدوّي صوتك كالرعد فيرتجف له الاعداء فزعاً كأن بهم حمّى فاتكة.

(يطارد مرسيوس الاعداء وهو مضرج بدمه ويبرز من خلال باب المدينة.)

الجندي الاول : انظر يا مولاي.

لرتيوس : هذا مرسيوس. هيا بنا ننقذه او نموت معه.

(يندفع الجميع الى المدينة صامدين).

المشهد الخامس

في احد شوارع مدينة كوريول.

يدخل رومانيون يحملون جثثاً.

الروماني الاول : سأحمل هذا الى روما.

الروماني الثاني : وانا هذا.

الروماني الثالث : (يلقي آلة من القصدير) تباً لحظي، ظننت هذا من الفضة (تتواصل الضجة بعيداً).

(يدخل مرسيوس وتيطس لرتيوس، يتقدمها جندي ينفخ البوق.)

مرسيوس : هؤلاء الاغبياء يقيّمون وقتهم بدراهم وافرة. وهم اشبه بملاعق

وشوك من الرصاص، بل حدائد مرمية. وارجو ان يدفنه الجلاد مع من كان يحملها. ما احطّهم من رعاع يلتقطون كل شيء قبل انتهاء المعركة. سحقاً لهم من خسيسين جشعين. هل تسمعون الصخب الذي يحدثه قائدنا ؟ هيا بنا نذهب اليه. فالرجل الذي تكرهه نفسي هو اوفيريوس الذي يذبح جنودنا الرومان هناك. يا تيطس الباسل، شدد عزيمتك للمحافظة على المدينة، بينما انا اذهب مع الشجعان لنجدة كمينيوس.

لرتيوس : ايها المولى الكريم، دمك يسيل، وقد بذلت جهداً كبيراً لخوض معركة ثانية.

مرسيوس : لا تمدحني. ان ما اقدمت عليه لا يتعبني. الوداع. فالدم الذي سال مني يريحني من خطر كان سيداهمني. هكذا اود ان ابرز لاوفيريوس وأقاتله.

لرتيوس : اتمنى لك التوفيق وارجو ان يحميك الحظ السعيد من سيوف الاعداء. تشجع ايها الرجل الصنديد، وليكن التوفيق حليفك.

مرسيوس : رافقتك السلامة وحفظتك السماء من كل شر مع سائر امثالك المسؤولين. الوداع.

لرتيوس : ايها البطل مرسيوس (يخرج مرسيوس. لنافخ البوق) اذهب انت وانفخ بوقك في ساحة السوق، واستدع جميع ضباط المدينة لاطلعهم على نواياي. هيا اسرع وسرْ معي

(يخرجان)

المشهد السادس
في سهل على مسافة من مدينة كوريول.

يدخل كمينيوس وجنوده وهم يتراجعون.

كمينيوس : هدئوا روعكم، يا اصحاب. فقد ابليتم بلاءً حسناً في قتالكم. وقد تصرفنا كلنا كما يليق بالرومان امثالنا، بدون عنادٍ في مقاومة غير مجدية، وبدون جبن في التراجع. هل تعتقدون يا سادة باننا سنتعرض للهجوم ؟ فبينما كنا نخوض المعركة كانت هبّات الريح تحمل الينا بتقطّع، وقع مسيرة اصحابنا. فيا آلهة روما، امّني لهم النجاح كما نتمناه لانفسنا بحيث يلتقي جيشانا وينضمان في جبهة صامدة، فنقدم لك ذبائح الشكر.
يدخل رسول.
ما وراءك من الاخبار ؟

الرسول : خرج سكان كوريول وحاربوا تيطس ومرسيوس. فابصرت جنودنا مدحورين الى مكامنهم. فجئت اليكم لانبئكم.

كمينيوس : إن صح ما تقول، فانت رسول شؤم. منذ متى انطلقت ؟

الرسول : منذ اكثر من ساعة، يا مولاي.

كمينيوس : المسافة الفاصلة بيننا لا تزيد عن ميل. ولقد سمعنا طبولهم منذ هنيهة. فكيف استغرق قطع ميل فقط ساعة من الزمن، وتأخرت في ايصال الخبر الي ؟

الرسول : طاردني كشافة الفولسك، واجبروني على سلوك تعاريج اطالت طريقي حوالي ثلاثة او اربعة أميال. وإلا، كنت ابلغتك النبأ منذ نصف ساعة.

(يدخل مرسيوس)

كمينيوس : من الآتي هنا كالجريح، يا الهي هذا مرسيوس، ولقد رأيته قبلاً في مثل هذه الحالة.

مرسيوس : هل وصلت متأخراً ؟

كمينيوس : الراعي لا يميّز صوت قصف الرعد اكثر مما انا أميّز بين صوت مرسيوس وصوت اي رجل آخر ادنى رتبة منه.

مرسيوس : اجبني، هل وصلت متأخراً ؟

كمينيوس : اجل، وانت مضرج لا بدمك بل بدم اعدائك.

مرسيوس : (يعانق كمينيوس) دعني اعانقك بحرارة كما لو كنت اضم حبيبتي الى صدري في يوم عرسي، حين كانت المشاعل تضيء طريقي الى سرير زواجي.

كمينيوس : يا زهرة المحاربين، ماذا حل بتيطس لرتيوس ؟

مرسيوس : هو مشغول بإعداد قرارات الحكم على البعض بالموت وعلى الآخرين بالنفي، أو يدفع الجزية على هؤلاء، وهو يصرف باسنانه مهدداً متوعداً أولئك، وهو يسيطر على مدينة كوريول باسم روما، كما يمسك بكلب سلوقي في احمى ركضه لطلقه حين يشاء.

كمينيوس : اين الغلام الذي اخبرني بان العدو قد طاردكم حتى مرابضكم ؟ ارسله اليّ.

مرسيوس : دعه وشأنه. لقد نقل الينا الحقيقة. اما وجهاؤنا المغرورون، فسحقاً لهم ولنوابنا بسببهم. لان الفأر لا يهرب مثلهم امام الهرّ، كما تصرفوا هم خوفاً من العدو.

كمينيوس : ولكن كيف تغلبت عليهم ؟

مرسيوس : وهل هذا الوقت مناسب لمثل هذا الشرح ؟ لا أظن، اين العدو ؟ هل انت مسيطر على السهل ؟ وإلّا، لماذا تستريح قبل ان تهيمن على المنطقة ؟

كمينيوس : يا مرسيوس، القتال الآن ليس لصالحنا، لاننا تراجعنا قليلاً لنؤمن لانفسنا النجاح والفوز في خاتمة المطاف.

مرسيوس : ما هو وضعهم في المعركة ؟ هل تعلم اين وزّعوا افضل جنودهم ؟

كمينيوس : على ما اظن، يا مرسيوس، وزعوا خيرة رجالهم من جماعة

« الانتيات » على طول جبهة القتال بقيادة أوفيريوس الذي ألقوا عليه كل اتكالهم.

مرسيوس : استحلفك بكل المعارك التي خضناها، وبالدم الذي بذلناه معاً، وبأماني صداقتنا الخالدة، ان تضعني قبالة اوفيديوس ورجاله من جماعة « الانتيات ». لا تفوّت علينا هذه الفرصة، بل املأ الساحة بالسيوف والرماح لإثبات جدارتنا وتفوّقنا.

كمينيوس : كنت اتمنى ان ارسلك الى حمّام ساخن مريح حيث تنعشك المراهم العطرة، انما لا يسعني ان ارفض لك طلباً. فاختر اذاً من الرجال من يمكنهم ان يقدموا لك خير عون.

مرسيوس : هم جميعاً اهل جدارة وثقة. وان كان بينهم واحد، وهذا شك لا يجوز افتراضه، لا يحب رؤية اللون الاحمر الذي يغضبني، ويخاف على حياته اكثر من سمعته، فأنا لا اجد بينهم من لا يؤمن بان الموت بشجاعة خير من الحياة بخنوع، ويفضل وطنه على ذاته، بل انا واثق بانهم جميعاً يعبرون عن بسالتهم برفع يدهم والسير ورائي انا مرسيوس لمجابهة الاعداء. يشهر مرسيوس سيفه ويحذو الجميع حذوه، وهم يهتفون، ويقذف الجنود قبعاتهم في الهواء ويودون حمل مرسيوس مظفراً فيمانعهم هذا الاخير قائلاً :
دعوني، هل تظنونني سيفاً ؟ ان لم تكن هذه المظاهرات للتمويه، من منكم لا يساوي اربعة من جنود الفولسك ؟ أليس فيكم واحد يواجه اوفيريوس بدرع لا ينثني كدرعه. عليّ ان اشكركم جميعاً وان لا اختار إلا عدداً محدوداً. اما الباقون فعليهم ان يساندوا الهجوم اثناء المعركة عندما تقضي الظروف بذلك. هيا اذاً الى الزحف، وعلى اربعة منكم ان يعيّنوا للاشتراك في حملتي، الرجال، الاكثر استعداداً من سواهم.

كمينيوس : الى الامام، ايها الاصحاب. اثبتوا ان تظاهرتكم هذه جدّية، وسيكون لكم النصيب الأكبر في الانتصار.

(يخرجون)

اوفيريوس : إن انا هربت يا مرسيوس، هاجمني كأني ارنب خائف.
مرسيوس : منذ حوالي ثلاث ساعات يا تولوس كنت اقاتل وحدي في مدينة كوريول. وقد تصرفتَ كما شئت. وما تراه يغضب وجهي ليس دمي. هل فهمت ؟ عليك ان تبذل اقصى جهدك لمساعدتي.
اوفيريوس : عندما اصبح كالبطل هكتور الذي يشيد به شعبك لن تفلت مني أبدا (يتعاركان. يبادر بعض الفولسك الى نجدة اوفيديوس). انت تخجلني لانك بمساعدتك المهينة تبدو منساقاً اكثر منك مقداماً.

(يخرج الفولسك وهم يقاتلون ويلاحقهم مرسيوس).

المشهد التاسع.
في المعسكر الروماني.

(يسمع صوت استنجاد، ونفير انسحاب بعيد. تصدح الموسيقى. يدخل كمينيوس من جهة مع الرومان، ومن الجهة الثانية يدخل مرسيوس ويده مربوطة الى عنقه، يتبعه رومان آخرون).

كمينيوس : ان سردت لك ما فعلته اليوم لن تصدق قولي عن افعالك. انما سأقص ذلك في غير هذا المكان. وعند سماعي سيمزج شيوخ المجلس الابتسام بالدمع، وكبار النبلاء يبدأون بهزّ اكتافهم وينتهون بالتأمل. وهناك سيدات يرتجفن من الفزع والفرح، ويتشوّقن الى سماع صوتي. كما ان النواب المغمورين مثل عامة الشعب العاديّين يكرهون عظمتك ويهتفون مرغمين : نشكر الآلهة لانها منحت روما جندياً مثلك. وها انت قد أتيت لتشاركنا في وليمتنا كأنك لم ترِو بعد ظمأ شجاعتك. (يدخل تيطس لرتيوس، عائداً بجيشه من مطاردة العدو).
لرتيوس : (يشير كمينيوس الى كوريولانوس) ايها القائد، هذا هو الجواد الذي أسرجناه، هل رأيته ؟

مرسيوس : اجل، لا تنسَ ان امي التي يحق لها ان تشيد بدمه، تضايقني عندما تمدحني. انا مثلك تصرفت حسب امكانيتي. يدفعني نظيرك حب الوطن. وكل من كان حسن النية تصرف مثلي.

لمينيوس : لن تذهب استحقاقاتك سدىً. فعلى روما ان تصون كرامة بنيها. لان السكوت عن مآثرك وعدم تعداد افعالك المجيدة والاشادة بها، جرم يعادل الاختلاس والنميمة، لان مآتيك، ليست متواضعة ولا عادية بل افضل من العظائم. استحلفك اذاً ان تسمح لي بإكبار ما انت عليه. لا، لا بد من مكافأتك على ما بدر منك من شجاعة. ولا تتأخر عن تحميس الجيش من حولك.

مرسيوس : في جسمي بعض الجراح التي تؤلمني عندما اسمع احداً يذكّرني بها.

كمينيوس : ان اصبحت منسية فقد يسممها الجحود ويفسدها الاهمال المميت. فمن جميع الجياد التي استولينا عليها، وبينها فئة ممتازة، ومن كل الغنائم التي حظينا بها في ساحة القتال وفي المدينة، انا اقدّم لك عشرها. فاختر ما تشاء قبل توزيعها على المحاربين.

مرسيوس: اشكرك ايها القائد. انما لا يسعني ان اقنع سيفي بأن يقبل اجر اندفاعه انا ارفض ولا اقبل سوى ما يعود اليَّ مثل غيري من المشتركين في هذه القضية. (تسمع موسيقى طويلة، ويهتف الجميع: مرسيوس، مرسيوس. وهم يلوّحون بخوذهم ورماحهم. كمينيوس ولرتيوس مكشوفا الرأس) اتمنى ان تفقد هذه الآلات صوتها الى الابد، لانكم تدنسونها هكذا. لو تحوّل الطبول والابواق الى متملّقين في ساحة الحرب، لأضحت الباحات والمدن ميادين تزلُّف رخيص. واذا لان الفولاذ واصبح ناعماً كالحرير، امسى مثله درعنا الواقي في زمن الحرب. اقول لك: كفى، لأني لم اغسل أنفي النازف دماً بسبب بطشي بانسان هزيل مسكين كما يفعل في القمة عدد كبير منا يخشى النور الساطع. انت تحرضني بتحميساتك المبالغة كأن استحقاقي الضعيف يبحث عمن يكيل له النعوت المغلّفة بالرياء والخداع.

كمينيوس: هذا تواضع زائد. في الحقيقة انت صارم على مجدك الذي لا بد لنا من ان نعترف به ونعلنه على الملأ. بكل اعتزاز. تنازل وارضخ. فان كنت مستاءً من نفسك تصبح كمن يغضب على ذاته ويبغي انكار صفاته. وعلينا ان نوثقك لنجعلك في مأمن من نفسك. فليعرف العالم بأسره كما نعلم نحن، ان غار المجد لا يليق إلا بك، يا كايوس مرسيوس. واقراراً بفضلك امنحك جوادي الأصيل مع لوازمه وجميع من في هذا المعسكر يعرفون مكانته وميزته امام مدينة كوريول: فادعوك انا وكافة الجيوش هاتفين: كايوس مرسيوس كوريولانوس. فاحمل هذا الاسم بفخر واعجاب الى الابد.

(تصدح الموسيقى وتقرع الطبول وتنفخ الابواق).

الجميع: يحيا كايوس مرسيوس كوريولانوس.

كوريولانوس: انا ذاهب لأغسل وجهي، وعندما ينظف سترى جيداً إن كان محمّراً حياءً او لا. هذا لا يهمّ. شكراً. اعدك بان امتطي جوادك، وأن أحافظ باستمرار على رفعة اللقب الذي جدت به عليّ لتتويج رأسي.

كمينيوس: ارجو ان ترافقني الى خيمتي. اذ قبل ان ننعم بالراحة، علينا ان نكتب الى روما، نطلع اصحابنا على ما احرزناه من انتصار مجيد، وانت يا تيطس لرتيوس عد الى كوريول، وارسل الى روما اكابر المدينة لنتفاهم واياهم على مصالحهم ومصالحنا.

لرتيوس: كما تشاء يا مولاي.

كوريولانوس: بدأت الآلهة تهزأ بي، انا الذي منذ لحظة رفضت الهدايا السخية وبت اتسوّل نعمة قائدي.

كمينيوس: سلفاً، انا امنحك اياها. ما هي؟

كوريولانوس: لقد سكنت بعض الوقت هنا بالذات في كوريول، عند رجل اعتبرني صديقه الحميم، وشاهدته اسيراً فتوسل اليّ كي اطلق سراحه. لكن اوفيريوس ظهر امامي فعقد الغضب لساني. لذا ارجو منك ان تردّ لمضيفي هذا حريته.

كمينيوس: ما انبل طلبك الذي اذا قدمه مجرمٌ ذبح ولدي لعاد حراً طليقاً كالهوا. افرج عنه يا تيطس.

لرتيوس: اسمه مرسيوس، أليس كذلك؟
كوريولانوس: نسيت وحق السماء انا منهوك القوى وذاكرتي مرهقة. أليس لدينا هنا شيء من الخمر؟
كمينيوس: تعالى الى خيمتي. فالدم يكاد يجمد على وجهي. آن لي ان اهتم بنفسي. هيا بنا.

(يخرجان).

المشهد العاشر
في معسكر الفولسك

(تسمع موسيقى ثم صوت ابواق. يدخل تولوس اوفيديوس مضرجا بدمه، يرافقه جنديان او ثلاثة جنود).

اوفيديوس: سقطت المدينة.
الجندي الأول: وستعاد الى اهلها بشروط معقولة.
اوفيديوس : بشروط؟ كما أود ان اكون رومانياً، لاني لا استطيع ان اظل في صفوف الفولسك، وأنا على هذا الحال. ما هي الشروط؟ وهل هناك معاهدة تتضمن شروطاً مقبولة بالنسبة الى الفريق الذي يمسي تحت رحمة خصمه الغالب. لقد قاتلتك خمس مرات يا مرسيوس، وخمس مرات تغلبت عليّ، وانا على يقين بانك ستتغلّب دائماً عليّ، طالما نتلاقى بعدد المرات التي نتناول فيها طعامنا. أي وربي، لو تلاقينا وجهاً لوجه سيكون ضحيتي او انا اكون ضحيته. فغيرتي لم يعد لها ذات الوفاء. سابقاً كنت انتصر عليه كندّ يقابل ندّاً وسيف يبارز سيفاً. لكنني الآن سأطعنه كيفما نزلت ضربتي، وبالغضب او بالحيلة ساتغلب عليه.
الجندي الأول: هذا هو الشيطان بعينه.

اوفيديوس: هو اكثر جسارة مني ، انما اقل فعالية. وسمعتي اتسمت بما لوثتها به من الهوان، لانها بالنسبة اليه ستنتزع منه جوهره. ولا فائدة من الندم والانزواء في دير ولا في التجرد والمرض او المعبد والكابتول أو صلوات الكهنة ساعة الذبيحة، فكل هذه الفديات تقاوم الامتيازات التي يصبّها حقدي على مرسيوس. حيثما اجده، حتى في بيتي، وفي حمى اخي، ورغم واجب الضيافة، اريد ان اغرز في قلبه اظافري الحادة. اذهب انت الى المدينة، واعرف مقدار القوات التي تحتلها، ومن هم الاسرى الذين سيرسلون الى روما.

الجندي الأول: الا تأتي معي؟

اوفيديوس: لديّ موعد في غابة السرو، جنوبي طاحون المدينة. فارجوك ان تعود وتقول لي كيف تسير الامور، حتى اماشي الظروف وأسدّد خطواتي باتجاهها.

الجندي الأول: انا طوع بنانك، يا سيدي.

(يخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

في احد شوارع روما.

يدخل مناتيوس وسيسينيوس وبروتوس.

مناتيوس: يحدثني قلبي باننا سنتلقى بعض الانباء هذا المساء.

بروتوس: السارة او المحزنة؟

مناتيوس: أنباء لا تلائم كثيراً رغبات الشعب الذي لا يحب مرسيوس.

سيسينيوس: حتى الطبيعة تعلّم الحيوانات ان تعرف اصدقاءها.

مناتيوس: ارجوك ان تقول لي من يحب الذئب؟

سيسينيوس: الحمل.

مناتيوس: نعم ليفترسه، نظير افراد الشعب الذين يريدون الايقاع بالنبيل مرسيوس.

بروتوس: هو في الحقيقة حمل يثغو وكأنه ذئب.

مناتيوس: هو حقاً ذئب يتظاهر بانه حمل. ايها العجوزان إستجيبا طلبي.

الشيخان: ماذا تريد منا، يا سيدنا.

مناتيوس: ما هي نقيصة مرسيوس التافهة التي تضخمانها وتجعلانها بهذا الهول.

بروتوس: لا نقيصة تافهة لديه، بل هو حافل بكل النقائص.

سيسينيوس: وبنوع خاص الكبرياء.

بروتوس: والوقاحة ايضاً.

منانيوس: هذا غريب. هل تعلمان كيف ينظر الجميع اليكما هنا في المدينة، رغم مظاهركما المرضية؟ هل تعلمان؟

الشيخان: قل لنا كيف ينظرون الينا.

منانيوس: بما انكما تتكلمان عن الكبرياء، لا تستاءا مني.

الشيخان: قل لنا، يا سيدنا، بربك قل لنا.

منانيوس: على كل حال، هذا لا يهمّ. ان اصغر حجة قد تخرجك عن صبرك. دع مزاجك على سجيته واغضب كما يحلو لك اذا كان الغضب يعجبك. انت تلوم مرسيوس على كبريائه.

بروتوس: لا لست وحيداً في ملامته، يا سيدي.

منانيوس: انا اعرف انكما وحدكما تعرفان القيام باشياء قليلة. وتحتاجان الى مساعدين عديدين، وإلا نادراً ما تأتيان بعمل مفيد. فمواهبكما لا تزال في طور الطفولة ويصعب عليكما أن تعملا اشياء كثيرة وحدكما. انتما تتكلمان عن الكبرياء، يا عديما النفع. اذا امكنكما القاء نظرة وراء ظهركما واستعراض شخصكما... لو استطعتما...

بروتوس: وما الفائدة؟

منانيوس: انت ترى هذين القاضيين الملقبين بالاحمقين وهما عاجزان، بل متكبران وعنيفان عنيدان اكثر من سواهما في روما.

سيسينيوس: انت ايضاً يا منانيوس. انت معروف لدى الجميع.

منانيوس: انا معروف كنبيل مرح، احب كأس الخمر المسكر، ولست اخاف من مياه نهر التيبر، انا المتهم خطأ باني أذعن لأول طلب، اهبّ وامتثل لأدنى اغراء، وبصفتي سائر الى الزوال انا آنس الى آخر الليل اكثر من مطلع الفجر، اقول ما افكر به وأضمّن الفاظي كل دهائي. عندما التقي برجلَيْ الدولة نظيركما لا يسعني ان اقدركما، واذا كان المشروب الذي تسقياني اياه يشمئز منه ذوقي، اظهر ذلك بتجهم وجهي. انا لا أستطيع

ان اقول ان نظرة سيادتكما واضحة الرؤية، عندما ألمس ان معظم عباراتكما تقطر حماقة وتحاكي غباء الحمير. ومهما قال فيكما الناس انكما من الرجال البارزين المحترمين لا يكون ذلك إلا مجرد كذب كمن يؤكد ان الصحة بادية على سحنتيكما. هل هذا ناجم عما شاهدتماه في عالم صغير حيث ترونني معروفاً كنار على علم اية نقيصة تكتشف حكمتكما العمياء في اخلاقي، بما انكما تعتبران أنكما تعرفاني كما يجب؟

بروتوس: هيا يا سيدي، انا اعرفك حق المعرفة.

منانيوس: انت لا تعرفني ولا تعرف ذاتك ولا اي شيء آخر. انت تتمنى ان يخلع اي كان قبعته وان ينحني اجلالاً لك. انت تضحي بصبيحة كاملة لسماع مشاحنة بين بائعة برتقال وبائع ألعاب، وتضيق هذه الخيبة الى الحسنات الثلاث في اجتماع آخر. عندما تستمع الى مناقشة بين فريقين، اذا اتفق ان ياغتك الوجع فتتبدل ملامحك وتمسي كوجوه المهزلة وترفع العلم الاحمر علامة الخطر في وجه طويل البال وتصرخ بصوت اجش، وتردّ القضية الدامية المتشابكة بسبب تدخلك، وانت تحاول جعل التفاهم سائداً بواسطتك بين الاطراف المتنازعة، وكل اتفاق تقيمه بين هذا وذاك من المحتالين. في الحقيقة انتما غريبا الاطوار، لا سبيل الى فهم طويتكما.

بروتوس: هيا، هيا. انت معروف جيداً بانك مهرج متفوّق، يتطفل على الموائد اكثر مما انت معروف كرجل تشريع في الكابتول.

منانيوس: ان كهنتنا انفسهم يحجمون عن السخرية ان صادفوا اموراً سخيفة على شاكلتكما. لأن اعقل ما تتلفظان به لا يستحق هزّ لحيتكما اللتين يجمل بكما ان تحشوا بهما وسادة متسول، او ان تدفناهما في بردعة حمار. وتجسر على القول ان مرسيوس متكبر، هو الذي مهما كانت قيمته زهيدة، يساوي جميع من جاء قبلكما منذ جماعة دوكاليون الذين كان افضلهم جلاداً أباً عن جدّ. ليلتكما سعيدة ايها المحترمان. دماغي سيصاب بلوثة ان طال حديثي معكما يا راعيا البقر الشبيهان باحقر فردين من عامة الشعب، يسرني ان استأذنكما بالانصراف.

(ينسحب بروتوس وسيسينيوس الى صدر المسرح).

(تدخل فولمني وفيرجيلي وفاليري وحاشيتهن).

ما بكنّ ايتها السيدات الجميلات النبيلات؟ اين تنقلّن هكذا انظاركن بسرعة؟

فولمني: يا منانيوس المحترم، ارى ابني مرسيوس يقترب. فاستحلفك بكل عزيز أن ترافقني.

منانيوس: عُدْ، يا مرسيوس.

فولمني: اجل، يا منانيوس الوقور، باعظم ابهة وجلال.

منانيوس: (يرمي قبعته في الهواء) استلم قبعتي ايها الاله المشتري، اشكرك. ارجع يا مرسيوس.

فولمني: هذه رسالة منه، والحاكم وصلته رسالة، وزوجته استلمت رسالة ايضاً. واعتقد بأن كل من في البيت له رسالة خاصة.

منانيوس: انا اريد نشر الفوضى في منزلي طوال الليل. هل هذه الرسالة موجهة اليّ؟

فيرجيلي: اجل، بالطبع لك رسالة، رأيتها منذ هنيهة.

منانيوس: رسالة لي؟ هذا ما يعيد اليّ عافيتي مدة سبعة اعوام، لأهزأ اثناءها بأدوية، اذا قسناها بالوصفات التي لا تعتبر اكثر من علاجات اختبارية لا تصلح لمداواة اي حصان. أو لم تجده جريحاً؟ لان من عادته ان يعود دائما حين يصاب بجرح.

فيرجيلي: لا،لا،لا.

فولمني: انه مجروح، وانا اشكر الآلهة على رجوعه.

منانيوس: انا ايضاً اشكرها وارجو ان لا يكون جرحه بليغاً، وان كانت الجراح تفيده احياناً. هل عاد منتصراً؟

فولمني : اجل عاد، وعلى جبينه اكليل من الغار، كما عاد للمرة الثالثة.

منانيوس : وهل عاقب اوفيديوس بصرامة ؟

فولمني : كتب تيطس لرتيوس انه خاض المعركة ونجا منها اوفيديوس

منانيوس : في الوقت المناسب كما أؤكد لك. وإن كان قد صمد، فكما لا اتمنى ذلك لنفسي لقاء كل اموال كوريول وذهبها. هل علم مجلس الشيوخ بنجاته ؟

فولمني : هيا بنا ايتها السيدات. اجل، علم مجلس الشيوخ من رسائل القائد الذي نسب الى ابني كل امجاد الحرب. فقد تضاعفت شجاعته في هذه المعركة وقام ببطولات اكثر من السابق.

فاليري : في الحقيقة، تقال عنه امور مدهشة.

منانيوس : مدهشة، نعم. لكنه دفع ثمنها غالياً.

فيرجيلي : لا اعتقد.

منانيوس : حقاً ؟ اقسم انها صحيحة.

فولمني : إن كانت حقاً صحيحة، فذلك حسن.

منانيوس : هي صحيحة، فعلاً صحيحة. اين جرح ؟ (للشيوخ الذين يتقدمون) حفظ الله سيادتكم. عاد مرسيوس، وقد تضاعفت كبرياؤه. (لفولمني) اين جُرح ؟

فولمني : في كتفه وفي ذراعه الايسر. وستترك جراحه آثاراً يمكنه ان يريها للشعب عندما يطالب بالمنصب الذي يحق له.

منانيوس : جرح في العنق واثنان في الفخذ. انا اعرف انه تلقى تسعة جراح.

فولمني : قبل هذه الحملة الاخيرة، كان قد تلقى خمسة وعشرين جرحاً.

منانيوس : والآن اصبح عددها ثمانية وعشرين. انما كل جرح فتح قبوراً عديدة لاعدائه (تسمع موسيقى وهتافات). اسمع صوت الابواق.

فولمني : ها هم رسل مرسيوس الذي يحب ان يسبقه الضجيج، وان يتبعه سيل من الدموع. الموت، هذا المصير الاسود يكمن في ذراعه العصبي المزاج إذ يرتفع ويهبط ساعده، فيسقط الرجال صرعى مضرجين بدمائهم. تسمع موسيقى شجية ثم صوت ابواق. يصل كمينيوس وتيطس لرتيوس، ويدخل كوريولانوس وعلى رأسه اكليل من الغار ويتبعه ضباط وجنود ويتقدمه احد الحجّاب.

الحاجب : اعلمي يا روما ان مرسيوس حارب وحده ضمن اسوار كوريول، واكتسب كلقب شرف اسم كوريولانوس الذي سيبرز ممجّداً في موكب كايوس مرسيوس. فأهلاً بك في روما ايها اللامع كوريولانوس.

(تصدح الموسيقى)

الجميع : اهلاً ومرحباً ايها اللامع كوريولانوس.
كوريولانوس : كفى، هذا يضايقني. ارجوكم ان تكفوا عنه.
كمينيوس : (يشير الى فولمني) انظر يا صديقي، الى والدتك.
كوريولانوس : انا اعلم انك توسلت الى الآلهة لتجود علي بالامجاد .

(يحني ركبته احتراماً)

فولمني : وقوفاً ايها الجندي الباسل، وقوفاً يا حبيبي مرسيوس، يا كايوس الشامخ كالجبل الاشم، يابطلي المكلل بالمجد والعظمة. كيف يجب علي ان ادعوك ؟ أولم يصبح اسمك الآن كوريولانوس ؟ ألقِ نظرة على زوجتك.

(فيرجيلي تبكي فرحاً)

كوريولانوس : (لفيرجيلي) احييك ايتها الصامتة الرائعة. هل كنت اذاً ضحكتِ لوْ عدت وانا مسجى على نعش، انت التي تدمعين لانك تشاهدينني ظافراً يا عزيزتي، هذه امنية جميع ارامل كوريول، والامهات الثكالى اللواتي يندبن ابناءهن.
منانيوس : الآلهة تتوّجك اليوم.
كوريولانوس : ها انتِ هنا من جديد (لفاليري) ألتمس منك السماح يا سيدتي الفاتنة.
فولمني : لم اعد ادري الى اية ناحية ادير وجهي. (تحيّي لرتيوس) اهلاً ومرحباً بك. (لكمينيوس) مرحباً بك ايها القائد. اهلاً بكم جميعاً.
منانيوس : الف مرة اهلاً وسهلاً. يمكنني ان ابكي وان اضحك لاني مرح وكئيب معاً (لكوريولانوس) اهلاً بك. فلتتساقط اللعنات على كل من لا تسعده مشاهدتك. انتم الثلاثة تبتهج بكم روما الى حد الجنون. مع ذلك، بشهادة الجميع، لدينا هنا مستوحشون قدامى لا يمكن ادخال السرور الى قلوبهم. هذا لا يهمّ. اهلاً ومرحباً بكم ايها المحاربون المنتصرون. فالشوك لا يسعه ان يكون إلا شوكا كما ان الاحمق لا بد من ان يتصرف بحماقة.
كمينيوس : انت لم تتغيّر.

كوريولانوس : دائما وابداً سأظل هكذا.
الحاجب : (للجمهور) أفسحوا الطريق، وتقدموا.
كوريولانوس : (لزوجته ولامه) هات يدك، وانت ايضاً. قبل ان آوي الى بيتي عليّ ان ابرز جراحي لعامة الشعب بغية كسب اصواته الغبيّة.
سيسينيوس : هذا صحيح، يا للاسف.
بروتوس : هكذا انتم جميعاً. هو يفضل التخلي عن المنصب لا الحصول عليه بدون رضى الوجهاء ومباركة النبلاء
سيسينيوس : كل ما اتمناه، ان يستمر على هذه الفكرة وأن يحققها.
بروتوس : من الارجح ان يتصرف على هذا النحو.
سيسينيوس : وبالنتيجة سيكون له ما يلائم مصالحنا عن طريق الانهيار المحتم.
بروتوس : هذا ما سيحل به لتأمين سلامة سلطتنا. وفي هذا الصدد، علينا ان نذكر عامة الشعب وما يضمره لهم مرسيوس من الحقد. كيف استطاع اذاً ان يجعل منهم حيوانات محكوم عليها بالاشغال الشاقة، وان يسكت من يدافع عنهم وسيتولي على اموالهم ولا يتيح لهم ان يتحلوا بعلو النفس والترفع عن مستوى المطايا التي لا تنال علفها إلا بعد ان ترهقها احمالها الثقيلة، والضربات التي تستحث خطاها.
سيسينيوس : هذه الفكرة اوحت بها ظروفه ووقاحته الغاضبة التي تغيظ الشعب، والفرص المتوفرة لاثارتها كما يُحرض الكلب على مهاجمة القطيع، اذ يكفي ان تضرم النار في الهشيم ليلتهب دفعة واحدة ويلتهم الاخضر واليابس.

(يدخل رسول)

بروتوس : ما وراءك من الاخبار ؟

الرسول : مطلوب منك ان تذهب الى الكابتول. اذ، على ما اظن، سيصبح مرسيوس حاكماً. وقد رأيت الحرس يتزاحمون ليروه والعميان ليسمعوه. وهناك فاجرات يرمين اليه بقفازاتهن والصبايا بشالاتهن ومناديلهن لدى مروره

بهن، والنبلاء ينحنون له كأنهم امام تمثال الاله المشتري وعامة الشعب تلقي في الهواء سرباً من القبعات ابتهاجاً، فيقابل بدوي الهتافات، الامر الذي لم يسبق لي ان شاهدته من قبل.

بروتوس : هيا بنا الى الكابتول ونحن كلنا عيون ساهرة وآذان صاغية، وقلوبنا تخفق اعتزازاً بمستوى الاحداث العظيمة.

سيسينيوس : دعني ارافقك.

(يخرجان)

المشهد الثاني
في قاعة مجلس الشيوخ تحت سقف الكابتول

يدخل ضابطان ويضعان وسادتين.

الضابط الاول : عجل، عجل، فقد اقترب القادمون. كم هو عدد المرشحين لمنصب الحاكم ؟

الضابط الثاني : ثلاثة. ولكن كلا منهم يفكر بان كوريولانوس هو الفائز.

الضابط الاول : هو رجل طيب كريم. لكنه متكبر جداً ولا يحب عامة الشعب.

الضابط الاول : لعمري، عدد كبير من الشخصيات الكبيرة قد تزلفوا الى هذا الشعب ولم يحبوه. بينما غيرهم احبهم الشعب بدون ان يعرف لماذا. فاذا احب الشعب بدون ان يدري لماذا تراه مكروهاً هو ايضاً بدون سبب. بالنتيجة، بدون ان يهتم بحقده ولا بمحبته، يثبت كوريولانوس انه يعرف جيداً مكانته وامكاناته وهو لا يأنف من قلة اكتراثه لهم.

الضابط الاول : ان لم يهتم بحقد عامة الشعب ولا بمحبتهم، سيان عنده إن

احسن او أساء اليهم. لكنه سيعمل على كسب بغضهم الذي لا يقوى على تبديله، ولن يهمل شيئا في سبيل اعلان كرهه لاعدائه. انما التظاهر هكذا بالتحريض على الحقد والغضب، هو خطأ جسيم اخطر من ان يأبى تمليتهم ليكتسب محبتهم.

الضابط الثاني : لقد خدم وطنه باخلاص ولم يرتق الى ارفع المناصب بسهولة نظير الذين بفضل مرونتهم ودهائهم حيال الشعب اكتسبوا عطفه بدون ان يبذلوا كبير جهد لنيل تقديره وعطفه. لكنه هو استأثر بالحظوة في اعين الجميع، وربح محبة كل القلوب حتى ان السكوت عن الاقرار بفضله امسى جريمة تماماً كعدم الاعتراف بالحقيقة التي ان دحضها المرء استحق الذم والتنديد اينما كان.

الضابط الاول : لنكفّ عن هذا الحديث المزعج. فهو رجل جدير كريم. ولنفسح الآن لهم مجال الدخول. ها هم قد وصلوا.

تصدح الموسيقى. يدخل كمينيوس ومنانيوس وكوريولانوس وعدد من الشيوخ يتقدمهم بعض الحجاب ثم يدخل سيسينيوس وبروتوس يجلس الشيوخ في اماكنهم والنواب على مقاعدهم الخاصة.

منانيوس : بناء على البتّ في قضية الفولسك واستدعاء تيطس لرتيوس، بقي علينا، وهذا اهم هدف في هذا الاجتماع الاضافي، الاعتراف بخدمات النبيل الذي ابلى في القتال هكذا البلاء الحسن في سبيل بلاده. تفضلوا اذاً ايها المتقدمون المحترمون الاجلاء، واستدعوا الحاكم الحالي، قائدنا المظفّر في هذه الحملة الموفقة، ليتحدث الينا قليلاً عن الانجازات الباهرة التي حققها كايوس مرسيوس كوريولانوس. وقد جئنا نهنئه ونكافئه بتشريفات تليق بشخصه الكريم.

الشيخ الاول : تكلم يا كمينيوس الفاضل ولا تنسَ اي تفصيل، ودعنا نعترف بالاحرى بعجز الدولة عن القيام بواجبها هذا ولا نظل صامتين الا نبرز هكذا جحودنا (للنواب) يا زعماء الشعب نطلب منكم حسن النية ثم التدخل المرضي في قضايا الشعب ليوافق على ما سيقرر هنا.

سيسينيوس : لقد اجتمعنا لكي نعلن اتفاقنا، ونحن على اتم الاستعداد للتنويه بمآثر الابطال وتكريمهم في هذا المجلس الموقر.

بروتوس : يسرنا القيام بهذا الواجب اذا أظهر المحتفى بهم للشعب من الآن وصاعداً تقديراً وعطفاً اكثر من الماضي.

منانيوس : هذا كثير، هذا كثير. كان الاولى بك ان تظل ساكتاً. فهل تريد ان تصغي الى كمينيوس ؟

بروتوس : بكل طيبة خاطر. على كل حال كانت ملاحظتي افضل من ملامتك.

منانيوس: هو يحب اصحابك من عامة الشعب. إنما هذا لا يدفعه الى رفع الكلفة معهم. تكلم يا كمينيوس الكريم. (لكوريولانوس الذي يقف استعداداً للخروج) لا، لا. ابق في مكانك.

الشيخ الأول: اجلس يا كوريولانوس. ولا يحمرّ وجهك لسماع ما جنيته من امجاد.

كوريولانوس : اطلب العفو من سيادتك. انا افضل ان اخمد جراحي مرة اخرى ولا اسمع من الاقوال ما بلغ اذني.

بروتوس : املي ان لا تكون كلماتي قد اقتلعتك من مقعدك.

كوريولانوس : لا، يا سيدي. غالباً ما لا تكون الكلمات هي الدافع الى الهرب، بينما انا لا يقيني في مكاني سوى الضربات. انتم لم تتملقوني ولم تجرحوني. وانا احب شعبكم كما يجب.

منانيوس : ارجوك ان تجلس.

كوريولانوس : افضل ان احك رأسي بحيرةٍ في الشمس حينما يدق ناقوس الخطر، ولا اسمع وانا جالس بخمول كالمسخ الذي لا ترجى منه اية فائدة.

(يخرج).

منانيوس : (للنواب) يا زعماء الشعب، كيف تريدون ان يتملق هزال من تمثلونهم، وبينهم لا يوجد رجل طيب واحد من كل الف رجل، كما ترون، يحب ان يعرض على معظم اعضائكم تحقيق انجازاته ويسمعه باحدى اذنيه وهو يسرد تفاصيلها. تكلم يا كمينيوس.

كمينيوس : نفسي مقطوع، واعمال كوريولانوس لا سبيل الى سردها بصوت متهدّج. الجميع يعرفون ان قيمة المرء تنحصر في اخلاقه العالية التي تسمو به عن الدنايا. ففي ربيعه السادس عشر عندما انقضّ « تركان » على روما امتاز على جميع اقرانه وكان حاكمنا المطلق آنذاك، وانا اشير اليه بكل اعجاب، قد رآه يحارب بفك حصان ويطرد امامه رجلاً بشوارب معقوفة سكارى بعنجهية، ويحمي بجسمه احد الرومان المجندلين على الارض، وتحت انظار الحاكم يقضي على ثلاثة من الاعداء. فتحدّى « ترْكان » نفسه وبضربة اركعه على الارض. وفي اثناء تلك الشجاعة النادرة، وفي عمر كان بامكانه لنعومته ان يقوم بدور نسائي على احد المسارح، اظهر بسالة اكسبته اكليلاً من الغار. وبعد تجلّي هذه الرجولة المبكرة في سن المراهقة اصبحت هيبة كبيرة كالبحر الواسع. ومنذ ذلك الحين في صدام سبع عشرة معركة استأثر بجوائز جميع مباريات الخناجر، ولا سيما امام كوريول وداخلها، لا بد لي من الاقرار باني لا استطيع التحدث عنه، إلا باعتزاز. فقد صدّ الهاربين، وبمثاله النادر اجبر الجبناء على الاستبسال بإرهاب ونظير السفن المتحكمة بالزوارق يطأطيء الرجال رؤوسهم ويخرّون متهيّبين امام عظمته. ها هو خنجره يزرع الموت في كل مكان ويترك اثره حيث يمرّ من قمّة رأسه الى اخمص قدميه، يشكل شبحاً داميا ترمز كل حركة فيه الى النزاع الأخير. وحده اجتاز سور المدينة الذي يقف حياله الصناديد واجمين. فاذا به ينقضّ بغتةً على كوريول كالصاعقة، فيسيطر على كل ما فيها. وما لبث ضجيج المعارك ان صمّ اذنيه، فاستبسلت روحه واستنهضت قوى جسمه المرهق، فاندفع الى ساحة القتال يصول فيها ويجول ككُتلة من نار تحرق كل ما يعترض طريقها. وما عتم ان اصبح سيد البّر والمدينة معاً بدون ان يتوقف لحظة لالتقاط انفاسه.

منانيوس : يا له من رجل رهيب.

الشيخ الاول : يستحق جميع الامجاد التي يسعنا ان نتمناها له.

كمينيوس : اجل ازدرى اثمن غنائمنا كأنه يملك الكون بأسره. وهو يروم ما

لا يحرص عليه البخيل من كرامة، ويجد مكافأته في الاعمال الباهرة التي ينجزها ويكتفي من الدنيا بمباهج الحياة الرغيدة.

منانيوس : هو حقاً شهم نبيل.

الشيخ الاول : ولذا دعي كوريولانوس.

ضابط : ها هو آت.

(يدخل كوريولانوس)

منانيوس : يسعد مجلس الشيوخ يا كوريولانوس أن يعينك حاكماً.

كوريولانوس : انا مدين له بحياتي وبخدماتي.

منانيوس : لم يبقَ لك سوى توجيه كلامك الى الشعب.

كوريولانوس : ارجوكم ان تعفوني من ذلك. لاني لن استطيع ابداً ان البس بعد اليوم ثوب التواضع وانا مكشوف الرأس، ألتمس من الشعب ان يمنحني اختياره اياي لقاء جراحي. ارجوكم ان تعفوني من هذه المهمة.

سيسينيوس : يا سيدي، على الشعب ان ينتخب، وهو غير مستعد ابداً ان يتخلّى عن حرف واحد من واجباته.

منانيوس : لا تدعه يفتتح الجلسة بخطابه. ارجوك ان تتقيد بالتقاليد وكما فعل اسلافك، إقبل ترقيتك على هذا الشكل المرغوب.

كوريولانوس : هذه مهزلة اخجل من القيام بها ولا بد من حجبها عن الشعب.

بروتوس : (ليسينيوس) راقب نفسك.

كوريولانوس : انا اتبجح امامهم بان عملت كذا وكذا، واريهم جراحي التي يتحتم عليّ ان اخفيها كأني لم أُصب بها، او كأني تعمدت التعرض لها كي انال مكافأتي هكذا.

منانيوس : لا تلحّ عليّ. يا نواب الشعب، اتمنى ان تتوسطوا وتقنعوا حاكمنا بالامتثال لمشيئة الشعب الذي اختاره.

الشيوخ : المجد والفرح لكوريولانوس

(تصدح الموسيقى، ويخرج الجميع ما عدا نائبين).

بروتوس : اترون كيف يريد ان يعامل الشعب ؟

سيسينيوس : آمل ان يفهم هذا الشعب مقصده. هو يريد ان يطلب منه كرجل متواضع ان ينزل عند رغبته

بروتوس : هيا نعلمه بما فعلناه. ها هم ينتظروننا في الساحة العامة.

(يخرجان)

المشهد الثالث
في الملعب الرياضي

يدخل مواطنون عديدون

المواطن الأول : اذا طلب اصواتنا تحتم علينا ان لا نحرمه اياها.

المواطن الثاني : نحن نستطيع يا سيدي، اذا اردنا ان لا نلبي رغبته.

المواطن الثالث : هذا بامكاننا، انما لا نقوى على اللجوء الى هذه المقدرة. لانه يرينا جراحه ويقص علينا حكايته. وعلينا ان نقدم له اصواتنا لقاء هذه الجراح وان نثني عليه. اجل هو يحكي لنا عن اعماله النبيلة وعلينا نحن ان نعبّر له عن تقديرنا لان نكران الجميل نقيصة فظيعة. واذا كان الجمهور عقوقاً لا يمكنه إلا ان يمسخ الجمهور ونحن افراد هذا الجمهور نكون مسوخاً نظيره.

المواطن الاول : لن نلاقي صعوبات في اثبات هذا الرأي لاننا عندما نثور في موضوع القمح لن يتردد في اعتبارنا غيلاناً بألف رأس.

المواطن الثالث : هكذا اعتبرنا مراراً، لا لأن فيما بيننا رؤوساً شقراء او سمراء او كستنائية أو صلعاء، بل لان نفوسنا مصطبغة بألوان متباينة. واعتقد

بان افكارنا عندما تغادر أدمغتنا ستتجه الى الشرق والى الغرب والى الشمال والى الجنوب، وهي متفقة على التبعثر في جميع الجهات.

المواطن الثاني : اتصدق هذا ؟ الى اية جهة تظن ان افكاري تتّجه ؟

المواطن الثالث : يا الهي. ان افكارك تتجه باقصى السرعة توّاً الى الجنوب.

المواطن الثاني : لماذا نحو هذه الجهة دون سواها ؟

المواطن الثالث : لتتبدّد وتضيع في الضباب. ثم بعد ان يزول ثلاثة ارباعها وتنقشع مع الغيوم الدكناء ستبادر الى مساعدتك للعثور على امرأة.

المواطن الثاني : ابحث حسب مزاجك وعلى هواك.

المواطن الثالث : هل انتم كلكم مصممون على اصواتكم ؟ هذا لا يهمّ. فالأكثرية تقرر. وانا اعلن إن كان هذا يوافق الشعب ولا يوجد رجل احق وأنسب منه.

(يدخل كوريولانوس ومنانيوس)

ها هو ذا آتٍ، لابساً ثوب التواضع. راقبوا وضعه. ولا تظلوا مجتمعين. سنمر بجانبه واحداً واحداً، او كل اثنين ثلاثة معاً. لا بدّ له من ان يطلبنا بصورة فردية. وكلّ منا بدوره سيمتاز عنه بمنحه صوته الانتخابي وجاهياً. اتبعوني وسادعكم تمرون امامه كل بمفرده.

الجميع : لا مانع، لا مانع لدينا.

(يخرجون).

منانيوس : انت على خطأ يا مولاي. ألا تدري ان انبل الأشخاص هكذا فعلوا.

كوريولانوس : ماذا يجب عليّ ان اقول ؟ ارجوك يا سيدي ان تعلمني قبحاً للاطراء. لن استطيع ان اريح لساني إن ظللنا نتكلم على هذا المنوال. انظروا يا سادتي جروحي التي تلقيتها في خدمة بلادي، بينما عدد كبير من اخوتكم كانوا يفرّون وهم يصرخون حيال ضجة طبولنا.

منانيوس : بالله عليك، لا تقل ابداً هذا. لا بد من ان تدعهم يفكرون فيك.

كوريولانوس : ان يفكر فيّ هؤلاء الاشقياء. الأفضل ان ينسوني نظير الفضائل التي ينصح بها كهنتكم بلا جدوى.
منانيوس : ستفسد كل شيء. انا اتركك. ارجوك، ثم ارجوك ان تخاطبهم بطريقة معقولة

(يخرج).

كوريولانوس : قل لهم ان يغسلوا وجوههم، وان ينظفوا اسنانهم. (يمر مواطنان) هيا هذان مواطنان (للمواطن الاول) هل تعلم سبب حضوري الى هنا ؟
المواطن الاول : نعم يا سيدي، قل لي من اتى بك ؟
كوريولانوس : استحقاقي الذاتي.
المواطن الثاني : استحقاقك الذاتي ؟
كوريولانوس : لا رغبتي الخاصة، طبعاً.
المواطن الاول : لا،لا. ماذا تقول ؟ رغبتك الخاصة ؟
كوريولانوس : كلا يا سيدي. لم تكن يوماً رغبتي هي التي تلتمس احسان الفقير.
المواطن الاول : عليك ان تدرك جيداً اننا اذا اعطيناك شيئاً نأمل ان نستفيد منك بما يعادله.
كوريولانوس : ارجوك ان تقول لي اذاً ما هو ثمن حاكميتك ؟
المواطن الاول : ثمنها طلب مهذب.
كوريولانوس : مهذب ؟ تكرم، وامنحني اياها يا سيدي. لقد تلقيت جراحاً استطيع ان اريك اياها بصورة خاصة، لقاء صوتك الكريم يا سيدي. فبماذا تجيب ؟
المواطن الثاني : ستحصل عليه يا مولاي الفاضل.
كوريولانوس : اتفقنا يا سيدي. ها هما صوتان قد حصلنا عليهما بالتسوّل. وقد قبضت احسانك. الوداع.
المواطن الاول : هذا امر غريب.

المواطن الثاني : لو كان بالامكان اعادة الكرة... هذا لا يهم.

(يبتعد المواطنان)
(يمرّ مواطنان آخران.)

كوريولانوس : اذا رُقّيت فعلاً الى منصب الحاكم بفضل اصواتكم، اطلب منكم ان تلاحظوا اني ارتدي الثوب المعتاد.

المواطن الثالث : لقد نلت اكرام الدولة. ولم تهتم بوطنك كما يجب.

كوريولانوس : هل كلمة السر أحجيتنا ؟

المواطن الثالث : هدمت نظام مجلسنا وضربت اصحابه. في الواقع انت لم تحب ابداً عامة الشعب.

كوريولانوس : كان عليّ ان ابدو، حسب رغبتكم، صاحب فضائل اكثر مما تلقيت من عطف وتقدير. مع ذلك يا سيدي، اوافق على تمليق افراد الشعب اخواني كي احصل منهم على مساندة اعم. وبما انهم يعتبرون هذه الطريقة فعالة، وبما انهم في تعقلهم يفضلون حركات تظاهري على عواطف قلبي، سأتمرن على هذا الرأس الفصيح المعاني واجابههم فقط بالايماء دون الكلام، اي اني من الآن وصاعداً سابادرهم باشارات لائقة ساحرة كما صدرت من رجال الشعب وسأوزعها بسخاء على هواتها. بالنتيجة استحلفكم ان تعيّنوني حاكما.

المواطن الرابع : أملنا ان نجد فيك صديقاً، وبناء على ذلك نعطيك اصواتنا من كل قلوبنا.

المواطن الثالث : لقد تلقيت جراحاً عديدة في سبيل بلدكم.

كوريولانوس : لا حاجة لان اريكم اياها لتصديق أقوالكم. اشكركم على اصواتكم ولا اريد ان ازعجكم اكثر مما فعلت الى الآن.

(يبتعدون).

كوريولانوس : اصوات رخيمة. الافضل لي ان اموت وان لا اتسوّل اجراً هو من حقي. لماذا آتي الى هنا في ثوب الذئب هكذا ألتمس من زيد وعمر ومن

اول قادم موافقة لا خير فيها ؟ ألأن الاصول تجبرني على ذلك ؟ ولو فعلت كل شيء حسب ما يقتضيه العرف، لكانت الاجراءات الباردة تشمل جميع الاعمار الطويلة، وأكداس الاخطاء تتراكم بشكل يستحيل على الحقيقة ان تظهر للعيان. وبدلاً من تمثيل هذه المسرحية ندع شرف المصلحة العليا يكون من نصيب من يشاء خدمتها. هكذا اكون قد حللت نصف المشكلة. وبما اني اكون قد اجتزت المرحلة الاولى، ما علي إلا ان اكمل المرحلة الثانية.
(يمر ثلاثة مواطنين آخرين) ها هي اصوات جديدة مقبلة. لمن تمنحون اصواتكم ؟ طبعاً لأجل اصواتكم انا تألمت ولاجل اصواتكم سهرت ولاجل اصواتكم تلقيت اكثر من اربعة وعشرين جرحاً، وسمعت ورأيت صدام ثماني عشرة معركة ولاجل اصواتكم اتيت اموراً شتى ربما غير مرضية، لاجل اصواتكم... حقاً اريد ان اكون حاكماً.

المواطن الخامس : لقد تصرف بنبل ولا بد له من حيازة اصوات كل الاشراف.

المواطن السادس : ليكن اذاً حاكماً. فالآلهة تسانده وتسعده وتجعله صديق الشعب.

الجميع : آمين، آمين. حفظك الله ايها النبيل

(يبتعد)

كوريولانوس : ما اكرم هذه الاصوات.

(يعود منانيوس مع بروتوس وسيسينيوس).

منانيوس : (لكوريولانوس) لقد انهيت فترة سعيك، وها هم النواب يمنحونك اصوات الشعب الذي يمثلونه. فلم يبقَ عليك سوى حمل الشارات الرسمية والذهاب حالاً الى مجلس الشيوخ.

كوريولانوس : هل انتهى كل شيء.

سيسينيوس : لقد اتممت جميع شروط الترشيح. والشعب يقبلك، وهو مدعو لتثبيت اختيارك حين ينتخبك رسمياً.

كوريولانوس : اين ؟ في مجلس الشيوخ ؟
سيسينيوس : اجل هناك، يا كوريولانوس.
كوريولانوس : عليّ اذاً ان ابدّل ثيابي.
سيسينيوس : نعم، يا سيدي.
كوريولانوس : سأبدلها فوراً، واذهب الى المجلس بدون تأخير.
مناتيوس : انا ارافقك. (للنواب) ألا تأتون معنا ؟
بروتوس : الوداع (يخرج كوريولانوس ومناتيوس) لقد فاز، وأرى على محياه، ان قلبه يرقص لذلك طرباً.
بروتوس : ليتك ابصرته بأية عجرفة ارتدى ثيابه الرسمية. اتريد أن تصرف افراد الشعب ؟

(يعود المواطنون).

سيسينيوس : ما رأيكم يا سادتي ؟ هل حقاً اخترتم هذا الرجل ؟
المواطن الاول : نعم، منحناه اصواتنا يا سيدي.
بروتوس : نسأل الله ان يديم عليه استحقاق مودتنا.
المواطن الثاني : آمين، يا سيدي. ففي نظري انا المسكين، كان يسخر منا عندما طلب اصواتنا.
المواطن الثالث : لا شك في أنه يهزأ بنا.
المواطن الاول : لا، لا. لم يخسر منا. هذه طريقته في التحدث.
المواطن الثاني : جميعنا، ما عداكم، نقول انه عاملنا باستهتار. كان عليه ان يظهر لنا امارات استحقاقه والجراح التي تلقاها في سبيل وطنه.
سيسينيوس : هيا، انا واثق بانه أراها.
الجميع : كلا، لا احد شاهدها.
المواطن الثالث : قال انه تلقى جراحاً كان باستطاعته ان يبرزها بطريقة خاصة. ثم هزّ قبعته بحركة ازدراء قائلاً : اود ان اكون حاكما، والاسلوب المتبع لا يسمح لي بالوصول الى هذا المنصب إلا بواسطة اصواتكم، فامنحوني اياها اذاً. وحين حصل عليها اضاف قائلاً : اشكركم. والآن وقد

قضي الامر لم يعد بيني وبينكم اية مشكلة. اوليس هذا استهزاء.

سيسينيوس : كيف جازت الحيلة عليكم ولم تفهموا هذه اللعبة ؟ أو رأيتموه هكذا بريئاً كالاطفال حتى منحتموه اصواتكم ؟

بروتوس :اولم يمكنكم ان تقولوا له بموجب الدرس الذي اعطاكم اياه عندما لم يستلم زمام السلطة، عندما كان موظفاً صغيراً في الدولة كان لا يزال عدوكم وكان يهاجم الحريات بدون انقطاع وكذلك الامتيازات الموزعة على الهيئة الاجتماعية. والآن وقد اصبح متسلطاً كبيراً على رأس رجال الدولة ظل العدو اللدود تجاه عامة الشعب. وكان من المحتمل ان يردّ اصواتكم كاللعنات على رؤوسكم. كان الاولى بكم ان تقولوا له، إن كانت انجازاته تؤهله لما يصبو اليه، عليه ان يعترف بجميلكم في منحه أصواتكم، وان يعوّض بالمودة عما بدر منه من اساءة نحوكم لكي يمسي حاميكم العطوف.

سيسينيوس : هذا الحديث الذي نصحناك به كان افاد في سبرغور نفوسكم وتحسين اوضاعكم، وكان استخلص لكم منه وعوداً قيّمة كنتم استفدتم منها حسب الظروف او كان بذل ما بوسعه ليحرجه ويسيطر على خشونة طبعه الذي لا يساير إلا ضمن شروط معينة، وبعد أن يثور غضبه تغتنمون الفرصة لإرغامه على الخروج خاوي الوطاب مخذولاً.

بروتوس : ليتكم لاحظتم التهكّم السافر الذي كان لا يخفيه عند التماسه اصواتكم، حين كان بحاجة الى مساندتكم، هل ظننتم ان بغضبه لا ينالكم بعد أن يستولي على السلطة ليسحقكم ؟ اوليس في صدوركم قلوب تخفق بعزة وكرامة ؟ اوليس في افواهكم ألسنة تشتم بقوة الحق ؟

سيسينيوس : الم يسبق لك ان ترفض توسلات عديدة ؟ وهذا رجل يلتمس اليوم مساندتكم وهو يعرقل مساعيكم ويطلب منكم اصواتاً يتوسل اليكم غيره لتمنحوه اياها.

المواطن الثالث : لم نؤيده نهائياً. لاننا لا نزال نستطيع رفضه.

المواطن الثاني: وسنرفضه. وبذلك احظى بخمسماية صوت إجماعياً.

المواطن الاول : وانا ايضاً سأحظى بالف صوت تضاف اليها اصوات اصحابي.

بروتوس : اذهب حالاً وقل لهؤلاء الاصحاب انهم اختاروا حاكماً سيسلبهم حريتهم ولن يدع لهم سوى اصوات الكلاب التي تتهارش نابحةً حسبما اعتادت ذلك.

سيسينسوس : ليتجمعوا، وبعد الفحص الدقيق ليتراجعوا كلهم عن هذا الاختيار المتسرع. بيّنوا لهم كبرياءه وحقده القديم نحو الجميع وذكروهم بنوع خاص بعجرفته في ارتدائه ثياباً حقيرة، ووقاحته حين جاء يلتمس مساندتكم. لكن قولوا له ان عطفكم على خدماته حجب عنكم رؤية وضعه الحاضر، وقد اكتشفتم الحقد المزمن الذي يضمره لكم بدون تحفّظ.

بروتوس : القوا الحق علينا حيال نوابكم وادّعوا اننا اجتهدنا لإزالة العقبات فوقع الاختيار عليه بغتةً.

سيسينيوس : قولوا انكم اثناء الانتخاب كنا نحن نوجه عواطفكم بدلاً من وعيكم الحقيقي، وان انشغال ذهنكم تحت الضغط افضى بكم الى قبول ما صدر عنكم. وانكم تصرفتم مرغمين في اختياركم اياه كحاكم. اجل، القوا كل المسؤولية علينا.

بروتوس : نعم، لا تتورعوا عن ملامتنا. قولوا اننا في خطبنا العديدة اشدنا بما ادّاه وهو فتى وما زال من خدماته، واثنينا بإلحاح على طيب عنصره ونبل اسرة مرسيوس التي انحدر منها انْكوس مرسيوس ابن بنت نوما الذي كان ملكاً هنا بعد هستيليوس الكبير، ومن هذا البيت العريق كان بوبْليوس وكانْتوس اللذان اوصلا الينا اعذب المياه، وهذا الجد المجيد سنسوريوس الاصيل في النبل وقد اشتهر بهذا الاسم نظراً الى كونه شديد الحرص على تأمين مصلحة الجميع.

سيسينيوس : فبانحداره من جدود كهؤلاء، وهو صاحب المآثر الشخصية الفائقة السمو، استحق ان يحظى بتوصياتنا عرفاناً منا بجميله. لكننا ادركنا بعد ان دققنا في سلوكه حاضراً وماضياً انه عدوكم اللدود، فاضطررتم الى تغيير رأيكم المتسرع، في الوقت المناسب قبل فوات الاوان.

بروتوس : قولوا انكم ما كنتم لتنتخبوه لولا اقتراحنا وإلحاحنا. أصرّوا بتواتر على هذه النقطة الحساسة، وفوراً حالما تصبحون عديدين، توجهوا الى الكابتول.

عدة مواطنين : اجل، اجل. الجميع تقريباً ندموا على اختيارهم

(ينسحب كل المواطنين).

بروتوس : دعوهم يتصرفوا بحرية. فالافضل التعرّض لمخاطر مثل هذه الحجج بدلاً من التقيّد بمستقبل حافل بمشاغبات عنيفة ومشاكل مريبة. واذا غاظه، كما تدل عليه طبيعته، هذا الرفض، فلنراقبه ولنغتنم فرصة غضبه لنثبّت انقلابنا عليه.

سيسينيوس : فإلى الكابتول اذاً. هيا بنا، علينا ان نصل قبل احتشاد الشعب. وسيتهم هو بما نكون نحن قد حرّضنا على اللجوء اليه.

الفصل الثالث

المشهد الاول

حول الكابتول

(تصدح الموسيقى. يدخل كوريولانوس ومنانيوس وكمينيوس
وتيطس لرتيوس والشيوخ والنبلاء.)

كوريولانوس : يظهر ان تولوس اوفيريوس عاد الى عناده

لرتيوس : اجل يا مولاي. وهذا ما حملنا على التعجيل بعمليتنا.

كوريولانوس : هكذا، عاد رجال الفولسك الى موقفهم الاول. وهم مستعدون حسب الظروف لمهاجمتنا من جديد.

كمينيوس : لكن التعب نال منهم الى درجة ان جيلنا يا سيدي الحاكم لن يرى ابداً اعلامهم تخفق.

كوريولانوس : هل رأيت اوفيديوس ؟

لرتيوس : لقد جاء لمقابلتي مزوّداً بتصريح مزوّر، ولام الفولسك الذين تخلوا بجبانة عن مدينتهم، ثم انسحبوا الى انطيوم.

كوريولانوس :هل اتى على ذكري ؟

لرتيوس : نعم، يا مولاي.

كوريولانوس : ماذا قال لك ؟
لرتيوس : انه غالباً ما واجه خنجره خنجرك وانك الشخص الوحيد الذي يكرهه في العالم. وانه لن يتأخر عن بذل ثروته وعن المغامرة بكل امكاناته في سبيل التغلب عليك.
كوريولانوس : قلت انه استقر في انطيوم.
لرتيوس : اجل في انطيوم.
كوريولانوس : كم اود ان تسنح لي الفرصة للذهاب اليه ومجابهة حقده (للرتيوس) اهلاً بك.

(يدخل سيسينيوس وبروتوس)

انظروا، ها هما اثنان من نواب الشعب واصوات الامة، الذين يدّعون سلطة لا يمكن ان يخضع لها اي عاقل.
سيسينيوس : (يقف في طريق كوريولانوس) لا تذهب الى ابعد من هنا.
كوريولانوس : ماذا تقصد ؟
بروتوس : الخطر يهددك اذا تقدمت. اكرر عليك، لا تذهب الى ابعد من هذا الحد.
كوريولانوس : ما سبب تغيير موقفك ؟
منانيوس : السبب ؟
كمينيوس : (يشير الى كوريولانوس) الم ينتخبه النبلاء ونواب الشعب ؟
بروتوس : كلا، يا كمينيوس.
كوريولانوس : يبدو اني نلت اصوات اولاد.
الشيخ الاول : عليكم ان تبينوا موقفكم ايها النواب. فهو ذاهب الى الساحة العامة.
بروتوس : الشعب غاضب عليه.
سيسينيوس : قفوا، او ينهار كل شيء وينتهي الامر بكارثة.
كوريولانوس : هذا اذاً هو قطيعكم. هل هم اهل لأن ينتخبوا من يدلون الآن باصواتهم ويتراجعون ويسحبونها فوراً ؟ اين جدّيتكم ووقاركم ايها الناطقون

باسم الشعب ؟ اين هيبتكم ؟ اولستم انتم الذين حرضتموهم على هذا التقلب ؟

منانيوس : هدئوا روعكم.

كوريولانوس : هذا انحياز فاضح. هذه مؤامرة لخنق مشيئة النبلاء. ان رضيتم بذلك ستضطرون الى العيش مع من لا يعرفون كيف يصدرون الاوامر ولا كيف يطيعونها.

بروتوس : لا تتكلم عن مؤامرة. فالشعب مغتاظ من طريقة خزلك اياه، ومن الغمغمة التي قابلت بها خطباءه يوم توزيع القمح مجاناً ونعتهم بالمرائين المنافقين اعداء كل النبلاء.

كوريولانوس : هذا امر معروف.

بروتوس : ليس لدى الكل.

كوريولانوس : انت اذاً اخبرتهم بذلك.

بروتوس : ماذا تقول ؟ انا اخبرتهم ؟

كوريولانوس : انت لا تتورع عن مثل هذا الخداع

بروتوس : انك تتظاهر بكثير من الوقاحة التي تزعج الشعب. إن كنت مصمماً على بلوغ هدفك، عليك ان تهتدي بلطف الى الطريق المستقيم الذي ابتعدت عنه. وإلا لن تصل الى منصب الحاكم، حتى ولا الى كرسي النيابة مع بروتوس.

منانيوس : هدىء روعك.

كمينيوس : الشعب مظلوم ومغشوش، وهذا الخلاف لا يليق بروما. وكوريولانوس لا يستحق ان توضع في دربه كل هذه العراقيل المهينة وهو المؤهل لنيل كل خير.

كوريولانوس : انت تكلمني عن القمح ؟ وانا مستعد لتكرار ما قلته لك في هذا الموضوع.

منانيوس : ليس الآن. ليس الآن.

الشيخ الاول : ليس في اثناء هذه الفورة، يا مولاي.

كوريولانوس : حسناً. اقسم بحياتي اني سأتكلم وسأطلب السماح من هؤلاء

الاصدقاء النبلاء. اما الجمهور المشاغب المتقلّب فعليه ان يسير على خطى صراحتي ويعرف الصالح من الطالح. اكرر اننا بتمليق الشعب نثير هذا الشعب على مجلس شيوخنا ونزرع في صدره بذور التمرد والعصيان والثورة كما سبق وقلت في هذا المجال، حين قابلت زعماء الشعب وخيرة النبلاء الذين عزموا على ترقيب الامور. اذ يحق لنا نحن النخبة ان نستأثر بالاحترام والسلطان، وإلا نكون قد رمينا قسماً كبيراً من حقوقنا الى هؤلاء المتسوّلين.

منانيوس : بربك، كفى

الشيخ الاول : اتوسل اليك ان تصمت.

كوريولانوس : كيف أسكت ؟ انا هدرت دمي لأجل بلدي بدون ان اخشى اية مقاومة خارجية، فلا شيء يمنعني عن تدبير اموري حيال هؤلاء الرعاع الذين يثيرون عن طريق الاشمئزاز ما يسببونه لي من متاعب ومشاكل.

بروتوس : انت تتكلم عن الشعب كأنك إله يعاقب لا كإنسان ضعيف مثلنا.

سيسينيوس : يجمل بنا ان نُعلم الشعب بذلك.

منانيوس : (ليسينيوس) ما هذا الحديث ؟ هذا يثير الغضب حقاً.

كوريولانوس : انت تتكلم عن الغضب ؟ بينما انا هادىء حتى في مثل هذا الموقف. بذمّتي هذا هو شعوري بالذات لم يتبدّل.

سيسينيوس : هذا شعور هدّام لا بد من ابقائه في مكمنه كي لا يؤذي احداً.

كوريولانوس : لا بد من ابقائه. هل تسمعون هذا الكلام ؟ لاحظ لهجتك وأنت تقول : لا بدّ.

كمينيوس : هذا كلام موزون.

كوريولانوس : لا بدّ ؟ يا لكم من نبلاء صالحين ممتازين. انما لستم سوى شيوخ متساهلين. لماذا سمحتم لهذه الحية الرقطاء ان تختار ممثلها في الحكم بطريقة حاسمة، وهو ليس سوى بوق وناطق دجّال يجسر على رمي سلطتك في ورطة مهلكة ويقض مضجعك. ان كان الحق بجانبه، ما عليك إلا ان تخفض عنفوانك وسلطتك، وإلا تحتم عليك ان تقلع عن تساهلك الخطير. ان كنت عالماً بخفايا الامور، لا تتصرف كجاهل اعمى، وان كنت غير مطلع، عليك ان تستعين بمعرفتهم. انت لسان عامة الشعب، ان كانوا هم

شيوخ المجلس، وهم في الحقيقة اصحاب سلطة ماداموا منتخبين نظيرك، ومهمتهم اصلاح كل فساد وتقوم كل اعوجاج. لقد اختاروا حاكماً ليمارس صلاحياته ويقاوم كل ما يفرض عنوة لان شعبيته تخلق جبهة قوية كما كان ذلك يجري قديماً في اليونان. وهذا بالذات ما يفسد الحكام. نفسي تتألم حين ارى هذه الدسائس بين سلطتين متنافستين، سرعان ما تندس الفوضى بينهما وتهدمهما معاً.

كمينيوس : هيا بنا نذهب الى الساحة العامة.

كوريولانوس : اما الذين نصحوا بتوزيع القمح مجاناً من الاهراء العامة، كما كان يجري في اليونان...

منانيوس : حسناً هذا الآن يكفي.

كوريولانوس : لا تنسَ ان شعب اليونان كان مطلق الصلاحية. وانا اقول انه مع ذلك لم يشجع على التمرد ولم يحرض على انتهاك المصلحة العامة.

بروتوس : ما هذا الكلام ؟ كيف يمنح الشعب اصواته لرجل يتكلم بهذه اللهجة ؟

كوريولانوس : لي حجة تساوي كل هذه الاصوات. ان افراد الشعب الذين تدافعون عنهم يعلمون ان توزيع القمح كان مكافأة، لانهم وهم واثقون من نتيجة عملهم يدافعون حتماً عن وجهة نظرهم ويبررونها. بعد الحرب، حين كانت الدولة مصابة في الصميم، لم يشاؤوا ان يجتازوا الابواب، وهذه الخدمة لا تستحق مطلقاً توزيع القمح مجاناً. ففي اثناء الحرب تجلت شجاعتهم في التحريض على التمرد والعصيان، ولم يتكلم احد لصالحهم. والاشاعات الكاذبة التي اطلقوها على مجلس الشيوخ لاسباب عقيمة لم تولد فيكم التحرر الكريم. فما هو سبب ذلك ؟ وما هي تفسيراتكم ؟ هل معدة الشعب الخاوية تهضم مراوغات مجلس الشيوخ ؟ ان اعماله تعبر بوضوح عن معنى هذا التصريح : « اعطينا ذلك لأننا كنا الاكثر عدداً، وما انصاعوا الى تنفيذ طلبنا إلا من قبيل الخوف والتخاذل ». وهكذا ابتلعنا ما تمليه علينا كرامة مقاعدنا النيابية. اذ سمحنا للعامة ان تتصرف بخوف حسب توقعاتنا. ذات يوم، بفضل هذه التنازلات سنشاهد ابواب المجلس مفتوحة عنوة لتنقض

علينا هذه الغربان المشؤومة تتوهم انها نسور جارحة.

منانيوس : كفى، كفى. هيا بنا.

كوريولانوس : لا، انتم لا تزالون تستمعون الي. وسأختم اقوالي باستنجاد القوات الالهية والبشرية حيث الحكومة مزدوجة وحيث للفريق الاول جميع حقوق احتقار الفريق الثاني الذي يهان بدون اي سبب، وحيث النبل والمكانة والخبرة لا تستطيع ان تقرر اي شيء إلا بموافقة الجهالة الشعبية او رفضها. فالمجتمع يرى مصالحه الحقيقة بين انياب الفوضى التي تخلقها هذه المعارضة الحمقاء في كل الامور. انتم عقلاء اكثر مما انتم نبهاء، انتم تتمسكون بجوهر قواعد الدولة خوفاً من التغيير الهدّام. انتم تفضلون وجوداً نبيلاً على حالة مرضيّة دائمة تودي الى الموت الأكيد. يتحتم عليكم ان تلجموا الجمهور حالاً كي لا يواصل لعق العسل الذي يتخمه. ان فسادكم يشمل العدالة اللازمة ويقعدها عن عمل الخير ويكبّلها بسلاسل الشر والانحطاط.

بروتوس : لقد قال ما فيه الكفاية للاشتباه به.

سيسينيوس : اجل، تكلم مثل خائن ولا بد له من ان يعاقب كخائن.

كوريولانوس : ايها الشقي، سيحطمك لؤمك البغيض. ما حاجة الشعب الى مثل هؤلاء النواب الاغبياء ؟ أليستخدمهم في نبذ الطاغية لا في نقل السلطة اليه وتوليته الحكم. فبالعصيان لا بالضباع تفرض مشيئة من انتخبوه. وفي ساعة مؤاتية ستعلمون حتماً اين هو الحق، وسيلقى في الوحل كل ما يمتّ الى البطولة بصلة.

بروتوس : هذه خيانة مفضوحة.

سيسينيوس : لن يصبح ابداً حاكماً.

بروتوس : استدعوا الحرس للقبض عليه.

سيسينيوس : (لبروتوس) اذهب ونادِ أفراد الشعب. (يخرج بروتوس) باسم الشعب ألقي القبض عليك كخائن بل كعدو الجمهور. آمرك بان تطيع وتتبعني لمناقشتك الحساب

(يتقدم نحو كوريولانوس).

كوريولانوس : تراجع ايها التيس العجوز.
الشيوخ والنبلاء : نحن جميعنا شهود.
كمينيوس : (لسيسينيوس) انزل يدك ايها المسنّ الهرم.
كوريولانوس : تراجع ايها الهيكل العظمي المتداعي، وإلا حطمت عظامك وبعثرتها في مهب الريح.

(يرفع يد سيسينيوس)

سيسينيوس : النجدة ايها المواطنون.

(يعود بروتوس ووراءه حراس وبعض المواطنين).

منانيوس : من الجانبين، لا سبيل الى الاعتدال.
سيسينيوس : (يشير الى كوريولانوس) هذا هو الرجل الذي يريد أن يسلبكم سلطتكم.
بروتوس : القوا القبض عليه ايها الحراس.
المواطنون : ليسقط، ليسقط.
الشيخ الثاني : الى السلاح، الى السلاح. (الجميع يحيطون بكوريولانوس) ايها النواب والنبلاء والشيوخ، اليّ يا سيسينيوس ويا بروتوس ويا كوريولانوس، ايها المواطنون.
المواطنون : اصمتْ، اصمت. قف عندك واسكت.
منانيوس : ماذا يجري الآن ؟ لقد انقطعت انفاسي. الفاجعة تقترب، ولم اعد اقوى على الكلام. يا نواب الشعب، ويا كوريولانوس مهلا. تكلم يا سيسينيوس الكريم.
سيسينيوس : اصغ اليّ ايها الشعب. السكوت، من فضلكم.
المواطنون : لنستمع الى نائبنا. السكوت، السكوت، تكلم ايها النائب.
سيسينيوس : انتم على وشك ان تفقدوا حريتكم. مرسيوس يريد أن يسلبكم اياها. مرسيوس الذي انتخبتموه حاكماً.
منانيوس : سحقاً له. هكذا تشعل النار بدلاً من ان تخمدها.

الشيخ الاول : سيقلب المدينة رأساً على عقب ويهدمها على رؤوسنا.
سيسينيوس : ما هي المدينة ؟ اوليست الشعب بكامله ؟
المواطنون : حقاً، المدينة هي الشعب.
بروتوس : بموافقتكم جميعاً قد نظمنا هيئة حكام الشعب.
المواطنون : وستظلون حكامنا.
منانيوس : كل شيء يحملنا على هذا الاعتقاد.
كوريولانوس : كأنكم تقلبون المدينة وتدكّون اساساتها وتدفنون صفوف الابنية والصروح تحت تلال ركامها.
سيسينيوس : هذا يستحق حكم الاعدام.
بروتوس : تعالوا نوطّد سلطتنا، او نفقدها الى الابد. هنا نعلن باسم الشعب اننا منتخبون لنمثله، وان مرسيوس يستحق الموت فوراً.
سيسينيوس : بالنتيجة، اقبضوا عليه وخذوه الى صخرة، « تَرْبِيّين » وهناك اقذفوه الى قعر الهاوية.
بروتوس : القوا القبض عليه.
المواطنون : استسلم يا مرسيوس، استسلم.
منانيوس : دعني الفظ كلمة. ايها النواب استحلفكم ان تصغوا اليّ. سأقول كلمة واحدة.
الحراس : اسكت، اسكت.
منانيوس : (للنواب) كونوا كما يبدوا عليكم اصدقاء البلاد الامناء وتصرفوا باعتدال في تقويم ما تريدون ان تصلحوه بالعنف.
بروتوس : يا سيدي، هذه الطرق الهادئة التي تظهر كأنها علاج حكيم ما هي ألا سموم قاتلة، عندما يكون الشر متفشياً. (للحراس) امسكوا به وخذوه الى الصخرة.
كوريولانوس : لا، لا. اريد ان اموت هنا. (يستل سيفه. لعامة الشعب) من منكم رآني اقاتل ؟ هيّا جربوا قوة هذا الساعد الذي لا تعرفونه.
منانيوس : اخفض سيفك. وانتم ايها النواب انسحبوا لحظة.
بروتوس : (للحراس) اقبضوا عليه حالاً (يتقدم الحراس نحو كوريولانوس).

منانيوس : أغيثوا مرسيوس. انجدوه كلكم، ايها النبلاء كباراً وصغاراً.
المواطنون : ليسقط، كوريولانوس، ليسقط عدو الشعب. (يحيي النبلاء كوريولانوس. لكن النواب والحراس والشعب يتراجعون. تحدث ضجة).
منانيوس : (لكوريولانوس) هيا اذهب الى بيتك. اذهب سريعاً وإلا هلك الجميع.
الشيخ الثاني : علينا ان نقاوم بضراوة. لان اصحابنا يوازون اعداءنا.
منانيوس : هل يصل الامر الى هذا الحد ؟
الشيخ الاول : لا سمح الله. (لكوريولانوس) ارجوك ايها الصديق الكريم، ان تعود إلى بيتك وان تتركنا نتدبر هذه القضية بوسائلنا.
منانيوس : هذا جرح بالنسبة الينا لن تعرف كيف تضمده بنفسك، استحلفك ان تمضي.
كمينيوس : هيا بنا يا مولاي. تعال معنا.
كوريولانوس : كم اود ان يكونوا من البرابرة. في الحقيقة هم منهم او ان عاشوا في قلب روما، وبدلاً من ان يكونوا رومانيين هم ليسوا كذلك مهما كثر عددهم تحت قبة الكابتول.
منانيوس : هيا امضوا. لا تعبّروا بالكلام عن ثورتكم النبيلة. فهذه اللحظة تستوجب الاخذ بالثأر حسب التقاليد.
كوريولانوس : في ساحة محايدة يسعني ان اقتل منهم اربعين.
منانيوس : سأتولى وحدي تأديب اثنين من ابسل الرجال وكلاهما من النواب.
كمينيوس : لكن قوات اضحت غير متعادلة، والقيم باتت ضرباً من الابتذال حين اعتمدت صرحاً على وشك الانهيار. ابتعدوا قبل عودة هذا المحتال الذي يتدفق هياجه كالسيل الجارف امام العقبة لئلا يفيض السدّ ولا يقوى على صد المياه الطاغية.
منانيوس : ارجوكم ان تذهبوا. سأحاول ان ادع ما تبقى لي من فكر يؤثر على من ليس لديهم منه ذرةٌ. عليّ ان ارقع الخرق بنسيج من اي لون كان.
كمينيوس : هيا نذهب.

(يخرج كوريولانوس وكمينيوس وآخرون).

النبيل الاول : هذا الرجل يغامر بمصيره.

مناتيوس : طبيعته كريمة جداً بالنسبة الى هذا العالم الخسيس. ولن يسعه ان يتملق اله البحر نبتون مهما هدده بشوكته، ولا الاله المشتري مهما هدده بصواعقه. لان ما في قلبه ينزلق على لسانه، وما يحوكه باطنه لا بد لفمه من ان يعلنه، وفي ثورة غضبه ينسى حتى قساوة الموت (تسمع ضجة بعيدة) هذا عمل رائع.

النبيل الثاني : اتمنى ان يكون الجميع نياماً.

منانيوس : بل ان يكونوا في قعر نهر التيبر جثثاً هامدة. لماذا لا يسعه ان يخاطبهم بلطف وهدوء ؟

(يعود بروتوس وسيسينيوس والجمهور.)

سيسينيوس : اين هذا التمساح الذي كان يريد ان يخلي المدينة من سكانها، وان يجمع حوله كل الناس ؟

منانيوس : ايها النواب الكرام...

سيسينيوس : سيرمون به من أعلى صخرة تربيّين بايد من حديد، لانه قاوم الشرائع وهكذا تسلمه القوانين بدون تكليف الى صرامة القوة العامة التي تحدّاها.

المواطن الاول : سيعلم ان النواب الأفاضل هم لسان الشعب واننا نحن سواعده المفتولة.

الجميع : اجل، طبعاً سيعلم.

منانيوس : سيدي، يا سيدي.

سيسينيوس : اصمت.

منانيوس : لا تهتف، ولا تهلّل عندما تريد ان تهدىء روع جماعتك.

سيسينيوس : كيف ساهمت يا سيدي، في تسهيل هذا القرار؟

منانيوس : دعني اتكلم. ان كنت اعرف محاسن الحاكم فاني اعرف ايضاً مساوئه.

سيسينيوس : مساوىء الحاكم.

منانيوس : اجل الحاكم كوريولانوس.

بروتوس : وهل اصبح حاكماً ؟

المواطن : كلا، ثم كلا.

منانيوس : باذن النواب، وباذنك ايها الشعب الكريم، ألتمس ان اقول كلمة او كلمتين : ان افظع ما قد ينوبكم هو الضياع في اللحظة الحاسمة.

سيسينيوس : تكلم اذاً بايجاز، لاننا مصمّمون على سحق هذا الثعبان، هذا الخائن، إن ابعدناه واجهنا بعض الاخطار، وان ابقيناه هنا سنواجه هلاكنا المحتم. لذا قررنا قتله هذا المساء.

منانيوس : لا سمح الله، ان تصل روما العظيمة الى هذا الانحطاط، الى حد الفتك بابنائها البررة كأم متوحشة شرسة تفترس وحيدها.

سيسينيوس : هذا شرّ يجب استئصاله من جذوره.

منانيوس : بل هذا ليس سوى عضو مريض لا بد من بتره والا سبب موت الجسم. بينما علاجه سهل وشاف. بماذا اساء الى روما حتى يستحق الموت ؟ هل ارتكب جريمة بقتله اعداءَنا ؟ ان الدم الذي فقده، وقد فقد الكثير منه، وأجرأ على القول اكثر مما بقي في عروقه، قد بذله في سبيل انقاذ بلاده. فان حرمته بلاده باقي دمه نكون قد اصبحنا جميعنا شركاء او شهودَ زورٍ في هذا المنكر حتى نهاية العالم.

سيسينيوس : هذا كله خطأ.

بروتوس : كل ما تذكره هامشي. لقد احبته بلاده وكرمته طالما كان اميناً على خدمتها. لا نريد ان نسمع اكثر من هذا. علينا ان نلاحقه وننتزعه من بيته لنمنع انتشار عدوى خيانته وخساسة طبعه.

منانيوس : لدي كلمة اخيرة، كلمة وحيدة تتعلق بهذا الهياج الذي يشبه وثبة النمر في قفزة جنونية، إذ لا يفيد تقييده باثقال من الرصاص بعد فوات الاوان، ولا بد لردة فعل هائلة من ان تصدر عنكم. انما عليكم ان تخشوا إفلات زمام الامور، لأن كوريولانوس محبوب، فتهدموا عظمة روما بايدي الرومان انفسهم.

بروتوس : إن كان الامر كذلك...

سيسينيوس : (لمنانيوس) ما اكثر ثرثرتكم. أوليس لدينا نمـوذج من خضوعه ؟ ها هم الحراس قد ضربوا ؟ ونحن ايضاً قد أبعدنا... هيا بنا.

منانيوس : انظروا الى هذا بعين الاعتبار. لقد تدرب في المعسكرات منذ أن صار قادراً على حمل السلاح. ولم يتلقَّ دروساً كافيةً في تهذيب اللسان. وها هو يرمي الطحين والنخالة بدون تمييز بينهما. فوّضوني لأذهب واراه، وانا اتعهد لكم بان آتي به ليؤدي حسابه بأمانة وبصورة قانونية على مسؤوليته.

الشيخ الاول : ايها النواب الكرام، هذا العمل وحده انساني، لان الاسلوب الآخر دموي يقودنا الى المجهول.

سيسينيوس : ايها النبيل منانيوس، كن نظير ممثلي الشعب (تخلّوا عن سلاحكم ايها السادة).

بروتوس : لا تعودوا الآن.

سيسينيوس : تجمعوا في الساحة العامة. (لمناتيوس) هناك سننتظركم، واذا لم تأتوا بصحبة مرسيوس سنتصرف حسب خطتنا الاولى.

منانيوس : سآتيكم به (للشيوخ) دعوني ألتمس صداقتكم. لا بد له من ان يجيء وإلّا داهمتنا افظع المصائب.

الشيخ الاول : بحياتكم، تعالوا معي لملاقاته.

(يخرجون).

المشهد الثاني
في منزل كوريولانوس

يدخل كوريولانوس والنبلاء

كوريولانوس : عندما ينهالون جميعهم عليّ باللوم، عندما يطلبون لي الموت بحد خنجر، او مربوطاً بذنب حصان وحشي، عندما يكدسون عشرة اجشام على صخرة تربيّين، بشكل يجعل الهاوية بعمق هائل سأطلّ عليهم كما انا.

(تدخل فولمني)

النبيل الاول : لن تكون هكذا إلا اكثر نبلاً
كوريولانوس: يدهشني أن لا تكون أمي موافقة على موقفي هي التي تحسن عادةً معاملة هؤلاء العبيد المساكين الاوفياء وهم يباعون ويشترون بثمن زهيد، عراة الرأس في المجتمعات، وافواههم مفتوحة من شدة الدهشة عندما يقف رجل من وزني ليعلن الحرب او يعقد الصلح. (لفولمني) انا اتكلم عنك، لماذا تعاملينني هكذا بلطف وحنان ؟ هل تريدين ان اخالف طبعي ؟ قولي لي بالأحرى اني اظهر لك انا كرجل طيب.
فولمني : مولاي، كنت اتمنى ان اشاهد حكمك موطّد الدعائم بدلاً من ان يكون مزعزعاً مفككاً على هذه الصورة.
كوريولانوس : دعي الامور تتابع مجراها.
فولمني : لو بقيت الرجل الكفء كما انت، بدون اي تصنّع، لكانت وضعيتك صادفت عقبات اقلّ، وكنت تريثت حتى اصبحوا اضعف من ان يقاومك.
كوريولانوس : ليشنق جميع المغفلين.
فولمني : اجل، ولُيحرقوا.

(يدخل منانيوس وبعض الشيوخ).

منانيوس : هيا بنا. تصرفك كان فظاً. عليك ان ترجع معنا لاصلاح الحال.
الشيخ الاول : لا يوجد علاج آخر، وإلا انقسمت المدينة الجميلة الى شطرين وتهدّمت.
فولمني : تساهل واقتنع. فقلبي مرن كقلبك، انما دماغي لا يعرف كيف يداري غضبي في سبيل مشاغلي.
منانيوس : هذا كلام في محله ايتها المرأة الفاضلة. (يشير الى كوريولانوس) أفضّل ان اراه منحنياً امام عامة الشعب، اذا اضطرتنا ازمة حادة عنيفة الى قبول هذا الحلّ، ولسلامة الدولة سأرتدي درعي الذي اكاد الآن اتحمل وزنه الثقيل.
كوريولانوس : ماذا عليّ ان افعل ؟
منانيوس : ان تعود الى النواب.
كوريولانوس : حسناً. ثم ماذا افعل ؟ ماذا ؟
منانيوس : ان تسحب الكلام الذي قلته.
كوريولانوس : لا بل ان انسحب شخصياً. انا لا اقدر على ذلك، ولو كان اكراماً للآلهة. فكيف اصنعه لأجل هؤلاء البشر المنافقين.
فولمني : انت متشدّد كثيراً. وانا اوافق على هذا التشامخ النبيل متى اقتضت الحاجة. لقد سمعتك تقول ان الشرف والتصنّع هما صنوان لا يفترقان يساند احدهما الآخر في الحرب. انا من هذا الرأي، فقل لي اي مانع يحول دون بقاء هذا الانسجام بينهما في السلم ايضاً.
كوريولانوس : لا مانع ابداً.
منانيوس : جواب ممتاز
فولمني : اذا كان في حروبكم قد رضي الشرف بان تظهروا على غير حقيقتكم، وهذا اسلوب تلجأون اليه للوصول الى مبتغاكم، لماذا لا يكون هذا التصنع منسجماً مع الشرف في السلم كما في الحرب، بما انه في كلا الحالتين ضروري لا غنى عنه.
كوريولانوس : لماذا كل هذا الالحاح ؟
فولمني : لانك تسّر بتوجيه الحديث الى الشعب، لا بداعي رغبتك، ولا

بدافع عاطفتك، بل بعبارات تلفظها شفتاك فقط، بجمل بذيئة لا يقرها تفكيرك الرصين. في الواقع ليس من عار في استيلائك على المدينة بالكلام المعسول، عندما تعّرض كل وسيلة اخرى مصيرك وعدداً من اصحابك الى المهالك، ونصيب انصاري من المخاطر، يقتضي تفادي ذلك للحفاظ على سعادتنا. في هذه اللحظة يزايد الجميع بصوتي، من امرأتك الى ولدك الى الشيوخ الى النبلاء. انما انت وحدك تفضّل ان تبرهن لبلهائنا بسحنتك المتجهّمة التي يموهها الابتسام، انك تكسب عطفهم وتتحاشى اذاهم بأي ثمن لدرء ما يحيق بنا من الدمار القريب المحتم.

منانيوس : يا لكِ من سيدة نبيلة. (لكوريولانوس) هيا تعال معي. فبكلمة حلوة يمكنك ان تعالج الوضع وتتجنب لا اخطار الحاضر فقط بل تعوض ايضاً عن شرور الماضي ايضاً.

فولمني : ارجوك يا ولدي ان تذهب وتقابلهم بوجه بشوش، وان تمد لهم يد العون، وان خفضت بعض الشيء صوتك وعنفوانك، فان هذا في موقفنا افصح بلاغة، وأوضح دليل على ان عيون الجهلة تفهم بسهولة اكثر من آذانهم. فهزّ رأسك واقرع مراراً صدرك الرحب، وكن متواضعاً نظير ثمار التوت السهلة القطف. او قل لهم انك مجند للدفاع عنهم. وبما انك ربيت في قلب المعارك، انت لست معتاداً على التساهل كما تعترف، ويمكنهم ان يفرضوا عليك ما يشاؤون عندما تسبقهم وتلتمس عطاءهم، وانت من الآن وصاعداً تخصهم وتكرس لهم مقدرتك ونفوذك.

منانيوس : اجل، عليك ان تتصرف كما تقول لك، فتكسب عطفهم جميعاً لانهم على اتم الاستعداد للمسامحة حالما تطلب منهم ذلك بدون لوم ولا عتاب.

فولمني : اذهب واتبع نصائحي. اتوسل اليك، وانا واثقة بانك تفضّل ان تطارد عدوك حتى يسقط في الهاوية التي تبتلعه، على ان تتملقه في قاعة اجتماعات. ها هوذا كمينيوس.

(يدخل كمينيوس)

لمينيوس : (لكوريولانوس) انا قادم من الساحة العامة وارى من الضروري ان تحيط نفسك بحزب قوي، وان تبحث عن خلاصك، إما في الاعتدال، او في التغيب لان النقمة عامة.

منانيوس : لا شيء كالكلام الحلو يهدىء الخواطر.

كمينيوس: واعتقد بانه كاف، اذا عرف كيف ينحني بابتسام.

فولمني : هذا لا بد منه وسوف الجأ له. ارجوك ان تصرح لي بانك تقبل بالذهاب. هيا امضِ بسرعة.

كوريولانوس : هل اصبح لزاماً علي ان اذهب وأريهم تساهلي ومسالمتي. هل اضحى لساني مضطراً الى تكذيب ما يجرح قلبي من تحمّل قبائحهم. انا موافق. انما لو كان المطلوب فقط ان اضحّي بنفسي ككومة التراب، فلن يتأخر اخصامي عن تبديدي كالضباب في مهب الريح حال وصولي الى الساحة العامة. انتم تفرضون علي القيام بدور لن انجح ابداً في تمثيله بصورة طبيعية.

كمينيوس : تعال، تعال. سنساعدك بقدر المستطاع

فولمني : ارجوك يا بني الحبيب ان تقول ان مديحي قد خلق منك محارباً. فاذا شئت مزيداً من اطرائي، تمّم ما بدأت به.

كوريولانوس : حسناً هذا ما سأفعله. سأضغط على طبعي وابذل هيبتي وسأجعل من رعودي المدوية في الحروب ومن قرع الطبول، غيثاً اطوع من البنان وارق من صوت العذارى الذي ينشد للطفل في سريره كي ينام. ساستعير ابتسامة المنافق ودمعة اليتيم ولسان المتسوّل اللجوج وسرعة الارنب الخائف وركعة خضوع من امطره الحظ السعيد بوابل من النعم. كلا، لن افعل شيئاً من كل هذا. لاني لا اريد ان اخدع ضميري، ولا ان اذل نفسي باحناء رأسي امام احقر المشعوذين.

فولمني : كما تشاء يا ولدي. اذ يعز عليّ ان التمس منك ما تأباه اكثر من توسلك اليهم لنيل مساندتهم. دع كل شيء يتهدم. ضحِّ بقلبي انا امك في سبيل كبريائك، قبل ان ترعدني بعنادك الخطر. لاني لا ابالي بالموت اكثر

منك. تصرف كما تشاء، لانك تستمد شهامتك من إبائي، اما شموخك فنابع من ترفّع كرامتك.

كوريولانوس : ارجوك ان تهدئي روعك يا اماه. سأذهب الى الساحة العامة. فلا تلوميني اكثر مما فعلت. سانتزع مودتهم واسلب عقولهم وقلوبهم، وساعود بعد ان استولي على محبة جميع اهالي روما. انظري اليّ ها انا ذاهب، بلغي زوجتي رغبتي هذه، فلن ارجع إلا حاكماً او انفض يدي من كل هذه الامجاد والبهارج المباطلة.

فولمني : افعل ما يحلو لك.

(تخرج).

كمينيوس : هيّا بنا. فالنواب بانتظارك. تأهب للجواب برفق لانهم يخبئون لك اتهامات خطيرة، على ما سمعت، تدينك لاول وهلة.

كوريولانوس : كلمة السر اضحت الآن : الرفق. هيّا بنا، ان اتهاماتهم اياي نميمة لا تغتفر، بينما ردّي عليهم منتهى الشرف والعدالة.

منانيوس : اجل، لكن برفق.

كوريولانوس : برفق، نعم لا يليق بهم.

(يخرجون)

المشهد الثالث

في الملعب الرياضي

يدخل سيسينيوس وبروتوس

بروتوس : كدسوا المسؤوليات على هذا المتزعم الذي يصبو الى السلطة الطاغية. واذا لم تتمكن من اسقاطه، إلجأوا الى حقد افراد الشعب والى بقايا غنائم « انتيات » التي لم توزع بعد.

(يدخل احد الحراس)

بماذا علمت ؟ هل سيأتي ؟

الحارس : اجل، سيأتي.

بروتوس : وحده، او مع رفاقه ؟

الحارس : معه منانيوس العجوز وبعض الشيوخ الذين ساندوه دائماً.

سيسينيوس : هل لديك لائحة بجميع الاصوات التي امّناها، اعني لائحة الأشخاص الذين يساندوننا ؟

الحارس : هي جاهزة وبحوزتي.

سيسينيوس : هل رتبتهم، كل فئة على حدة ؟

الحارس : اجل.

سيسينيوس : والآن اجمع الشعب في الساحة. وعندما يسمعني الجميع اقول : اعلن ان الامور ستجري هكذا، كما تنص الحقوق وتقضي السلطة الخاصة بالمجلس، وسيكون القرار اما الموت واما الغرامة واما النفي، ما عليهم إلا ان يوافقوا على كلامي. فان قلت : الغرامة، فليهتفوا : الغرامة. وان قلت: الموت، فليهتفوا: الموت. وليلحّوا على مطاليبهم السابقة وعلى حقهم في هذه القضية.

الحارس : حسناً.

سيسينيوس : حمّسهم واعدّهم للرد حالاً لدى اعطاء اشارتي.

بروتوس : عجّل. (يخرج الحارس). أثر غضبه فوراً. فقد تعوّد ان يكون سيد الموقف وان يسيطر على كل معارضة. وَحين يحمى وطيسه، لن يسعه ان يعود الى الهدوء والاعتدال. حينئذ يقذف من فمه حمم الغيظ الذي يغلي كالمرجل في صدره، هذا كافٍ بفضلنا، لأن يقع ويكسر عظام رقبته.

(يدخل كوريولانوس ومنانيوس وكمينيوس وبعض الشيوخ والنبلاء)

سيسينيوس : حسناً، ها هو قادم.

منانيوس : (لكوريولانوس) استحلفك ان تلزم الهدوء.

كوريولانوس : (على حدة لمنانيوس) اجل، كما يفعل صاحب الحانة لقاء اصغر قطعة نقود، فيبتلع الكبيرة والصغيرة. (يرفع صوته) لتحفظ الآلهة الساهرة سلامة روما، على مقعد العدالة، تُجلس رجال الخير حتى يزرعوا المودة فيما بيننا، وتملأ معابدنا الواسعة بالتظاهرات السلمية، وتحمي شوارعنا من الخلافات والاحقاد.

الشيخ الاول : آمين، آمين.

منانيوس : ما اسمى هذه التمنيات. (يعود الحارس وبصحبته بعض المواطنين).

سيسينيوس : اقترب ايها الشعب.

الحارس : اصغوا الى نوابكم. انتبهوا. اوصيكم بالهدوء.

كوريولانوس : دعني اتكلم اولاً.

النائبان : هيّا تكلم. اصمتوا يا جماعة.

كوريولانوس : هل ما اسمعه من الاتهامات هي الاخيرة ؟ هل في الامكان الانتهاء اليوم من هذه المشكلة ؟

سيسينيوس : انا اسأل، هل تصغي الى صوت الشعب، وهل تعترف بقضاته وتتقبل بعض مراقبته الشرعية في الاخطاء التي تثبت عليك ؟

كوريولانوس : نعم، اقبل.

منانيوس : هل سمعتم ايها المواطنون ؟ ها هو يقبل. لا تنسوا خدماته

العسكرية وقدّروا الجراح التي تلقاها في الحرب، لانها خير شاهد على بسالته واخلاصه.

كوريولانوس : هي خدوش شوكة وجراح طفيفة.

منانيوس : لا تنسوا ايضاً، إن لم يتكلم كأهل المدن، انه في خدمتكم كجندي امين. لا تحسبوا ان لهجته القاسية مبعثها الحقد، بل الخشونة العسكرية التي نشأ عليها والتي لا يمكن ان تغيظ ابداً.

كمينيوس : حسناً. كفى.

كوريولانوس : انا لا افهم كيف يتسنى لكم ان تختاروني بالاجماع حاكماً، ولا تلبثوا بعد اقل من ساعة ان ترفضوني بطريقة مهينة.

سيسينيوس : عليك انت ان تفسر لنا ذلك.

كوريولانوس : هذا صحيح. تكلم.

سيسينيوس : نحن نتهمك بانك حاولت ان تزيل من روما جميع القضاة الشرعيين، وان تستأثر بجميع الصلاحيات وسلطات الطغيان. وهذا ما يستوجب اعتبارك خائناً في نظر الشعب.

كوريولانوس : لتحرق نيران الجحيم هذا الشعب الاحمق الذي يعتبرني خائناً. ايها النائب الوقح، عندما يبلغ عدد القتلى عشرين الفاً في نظرك وعشرين مليوناً قتلتهم بيديك المتشنجتين وضعف عددهم على لسانك المفتري النّمام، اقول لك بكل صراحة، انك تكذب بصوت جهوري كما انا اصلي للآلهة.

سيسينيوس : هل سمعتم اهانته، يا افراد الشعب ؟

المواطنون : الى الصخرة، خذوه الى الصخرة.

سيسينيوس : اصمتوا. لا نريد ان نزيد الطين بلة في قضية اتهاماته. تذكروا ما شاهدتموه من افعاله وما سمعتموه من اقواله. لقد ضرب ضباطكم وشتمكم، وقاوم القوانين بعنف وتحدٍّ هنا السلطة العليا التي يجب عليه ان يدين لها بالولاء. كل هذه الجرائم الجسيمة تستحق اقصى العقوبات.

بروتوس : مع ذلك، بما انه خدم روما بامانة...

كوريولانوس : اية خدمات تعني ؟

نفوسكم الشبيهة بالجيف وبالمستنقعات الآسنة النتنة، انا الذي اقصيكم من حياتي. ظلوا هنا غارقين في قلقكم. فترتجف قلوبكم لادنى اشاعة مشينة، وتنهزم جبانتكم لدى اول بادرة قنوط امام سيطرة اعدائكم عليكم ولا يبقى لديكم سوى سلطة نفي المدافعين عن كرامتكم المهدورة. اغرقوا بحقارة في اسر ذليل يعقب تخاذلكم وعجزكم وانحطاطكم. انا ادير ظهري لمدينتكم بازدراء، لاني آنف من العيش بين قوم جاحدين.

(يخرج كوريولانوس وكمينيوس ومنانيوس والشيوخ والنبلاء)

الحراس : ذهب عدو الشعب، بدون رجعة.

المواطنون : ونفي عدونا اللدود الى الابد. (هتافات عامة. يرمي الباقون قبعاتهم في الهواء فرحاً).

سيسينيوس : هيا رافقوه الى الباب، واتبعوه باحتقاركم كما وجّه اليكم حقده. اهينوه لانه يستحق سخطكم. وليرافقه بعضكم اثناء اجتيازه المدينة لئلا يفلت من عقابنا.

المواطنون : هيا نرافقه حتى الباب. هيّا بنا. حمى الله نوابنا الكرام. هيّا بنا

(يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الاول

عند احد ابواب روما.

يدخل كوريولانوس وفولمني وفيرجيلي ومنانيوس
وكمينيوس وعدد من النبلاء الشبان.

كوريولانوس : هيّا لا تبكوا اكثر مما فعلتم. ولنختصر هذا الوداع. هؤلاء الذئاب يدفعونني الى الخارج. اين شجاعتك السابقة يا اماه ؟ كنت تقولين لي ان المحنة امتحان النفوس الكبيرة وان الرجال الخنوعين فقط يسعهم ان يتحملوا الظروف السخيفة وان البحر عندما يكون هادئاً، جميع السفن تكون صالحة. لكن عندما تعصف الانواء والشدائد وتضرب بيد من حديد لا بد لتلقي هذه المحن بصمود من الصبر الجميل والصدر الرحب. كنت لا تكفّين عن ترديد هذه الحكم امامي، وتقولين انها تشدد العزائم وتطهّر القلب الذي يدركها وتصونه من الانزلاق والتدهور.

فيرجيلي : يا الهي.

كوريولانوس : ما بالك، يا زوجتي العزيزة.

فولمني: ليبطش الطاعون الاحمر بكل الدساسين في روما ولتخزَ جميع حبائلهم.

كوريولانوس : سيحبونني حالما يفتقدونني. هيا يا اماه استعيدي شجاعتك فانت كنت تقولين لي لو انك زوجة هرقل لأنجزت ستة من اعماله لتخففي الاعباء عنه. لم يعد هناك من سقوط يا كمينيوس. وداعاً يا زوجتي ويا امي. سأتدبر امري. وانت يا عزيزي منانيوس العجوز الامين، دموعك اكثر مرارة من دموع الشبان وهي تقرح من عينيك. (لكمينيوس) يا قائدي القديم، رأيتك تتأمل بدون مبالاة في مشاهد مخزية. قل لهاتين المرأتين الكئيبتين ان ندب المصائب بطريقة صبيانية لا فائدة منه كالبزر المرّ. يا اماه، انت تعلمين ان مغامراتي كانت دوماً مصدر سروري. صدقيني، اني وانا ذاهب الى عزلتي سأكون نظير التنين الوحيد الذي يلقي الرعب وهو في قعر مستنقعه ويجعل الناس يتكلمون عنه وان لم يبصروه. فولدك إما ان يتوصل الى السيطرة على الجمهور، وإما ان يقع في فخ الخيانة الدنيئة.

فولمني : الى اين انت ذاهب يا اعز الابناء. دعه يا كمينيوس الكريم يرافقك قليلاً وحدد معه اتجاه مسيرتك بدلاً من ان تتعرض الى جميع الطوارىء التي قد تداهمك وتضطرك الى سلوك السبل المشبوهة.

كوريولانوس : يا الهي.

كمينيوس : سأرافقك طوال شهر كامل، وسنقرر معاً اين الأفضل ان تمكث لكيما يتسنى لك ان تطلع على انبائنا وتزودنا باخبارك. هكذا، إن سمحتْ لنا الظروف باستدعائك لن نضطر الى البحث في كل ارجاء العالم الواسع للعثور عليك.

كوريولانوس : الوداع، لقد ثقلت عليك السنون وانت مرهق بما خضته من حروب كي تغامر في الذهاب برفقة رجل محتفظ بكل قواه. اوصلني فقط الى الباب. تعالي يا زوجتي العزيزة ويا امي الحبيبة، وانتم يا اصحابي النبلاء الأمناء، وعندما اصبح خارج الاسوار ودّعوني بالابتسام. ارجوكم ان تأتوا اليّ طالما انا واقف بجواركم. اذ عندما ابتعد ستسمعون قصصاً عديدة عني، لكن، لا واحدة منها تنطبق على ماضي حياتي.

منانيوس : لم يسبق لنا ان سمعنا انبل من هذه الاقوال. هيا، لنكفّ عن البكاء. ليتني استطيع ان استعيد فقط سبعة اعوام من قوة هذه السواعد

والارجل المسنّة لعمري، سأتبعك خطوة خطوة الى آخر الدنيا.
كوريولانوس : هات اذاً يدك، وهيّا بنا.

(يخرجون)

المشهد الثاني
في احدى ضواحي روما.

يدخل سيسينيوس وبروتوس واحد الحراس.

سيسينيوس : (للحارس) اصرفهم جميعهم الى بيوتهم. فقد مضى، ولن نرافقه الى ابعد من هذا. (لبروتوس) النبلاء غاضبون كما ترى، لانهم انحازوا اليه.
بروتوس : الآن وقد ثبّتنا سلطتنا علينا بعد العمل، ان نكون اكثر تواضعاً مما كنا عليه اثناء هذا العمل.
سيسينيوس : (للحارس) ارجعهم الى بيوتهم. قل لهم ان عدوهم اللدود قد ذهب، وعليهم ان يحتفظوا بكامل قوتهم السابقة.
بروتوس : اصرفهم (يخرج الحارس).

(تدخل فولمني وفيرجيلي ومنانيوس).

سيسينيوس: ها هذه امه، فلنتجنبها.
بروتوس : لماذا ؟
سيسينيوس : يقال انها مجنونة.
بروتوس : رآنا الحاضرون. هيا بنا نحثّ الخطى.
فولمني : (للنواب) اقابلهم في الوقت المناسب. كافأتكم الآلهة على

اخلاصكم بكل ما لديها من صواعق وضربات.

منانيوس : اسكتي، اسكتي. لا تثيري الفضائح.

فولمني : اذا عصتني الدموع، لا بد من ان تسمعوا انّاتي. هذا لا يهمّ ستسمعونها. (يريد بروتوس ان يتقدم، فتسدّ عليه الطريق). انت ايضاً. ابقَ هنا. كم وددت ان اقول ذلك لزوجي.

سيسينيوس : هل انت مشاغبة ؟

فولمني : اجل ايها الأبله. وهل هذا عيب ؟ اعلم ايها الغبي ان ابي كان رجلاً شهماً صادقاً. اما انت فثعلب محتال. يسرك ابعاد بطل محارب يذل دمه لاجل روما، وسدّد طعنات لاعدائها اكثر مما نطق به من كلمات.

سيسينيوس : يا الهي.

فولمني : اجل سدّد طعنات مجيدة لحماية روما اكثر مما قلته انت من كلام معقول. سأعلمك... لكن اذهب، بل ابقَ. كم اود ان يكون ولدي في بلاد بعيدة، وان يكون امامه قبيلة تدين لسيفه البتار.

سيسينيوس : لماذا ؟

فيرجيلي : ليقطع رأسك عاجلاً.

فولمني : اجل، ايها اللقيط الذليل. كم تلقّى هذا الشجاع من جراح في سبيل روما.

منانيوس : هيا، كفّي عن هذا الحديث.

سيسينيوس : ليته انتهى كما ابتدأ، ولم يحل العقدة المجيدة التي تربطه ببلاده.

بروتوس : اتمنى ذلك.

فولمني : انت تريد التعويض، لانك أثرت عليه الاغبياء وضعاف النفوس الذين لا يمكنهم تقدير مزاياه كما انا غير قادرة على فهم اسرار السماء التي ترفض ان تكشفها لاهل الأرض.

بروتوس : (لسيسينيوس) بالله عليكِ، تعالَ تذهب.

فولمني : اجل يا سيدي، ارجوكما ان تمضيا. لقد قمتما هنا بعمل مشكور. لكن قبل ان تذهبا اسمعا ما اقول : بقدر ما يفوق الكابتول احقر اكواخ روما،

بقدر ما هو الفرق شاسع بينكم جميعاً وبين ولدي زوج هذه المرأة الفاضلة الواقفة ها هنا، ولدي الذين تنكرتم له ونفيتموه.

بروتوس : حسناً، سنغادركم.

سيسينيوس : لماذا تتركوننا هنا، ألتضايقنا جماعة فقدت كل معاني اللياقة والكرامة ؟

فولمني : رافقتكم السلامة. أسأل الآلهة ان تستجيب ما ينزل عليكم من لعنات. (يخرج النواب) لو تسنى لي ان اصادفهم مرة كل يوم، لخفف هذا عن قلبي عبئاً ثقيلاً يكاد يخنق انفاسي.

منانيوس : لاحظت انك خاطبتهم بلهجة فجة. لعمري، كل الحق بجانبك. ألا تريدين ان تتعشي معي ؟

فولمني : غذائي اضحى الحزن والغضب، ولا احب ان اتعشى عند احد، بل افضّل ان اجوع على ان آكل على مائدة غيري. هيا بنا. (لفيرجيلي التي تبكي) جفّفي دموعك التي تثير الشفقة، وتنهدي فقط مثلي كما فعلت جينون. تعالي، تعالي.

منانيوس : تباً لك، تباً لك.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في الطريق من روما الى انطيوم

أحد الرومان وأحد الفولسك يتصادفان.

الروماني : انا اعرفك جيداً يا سيدي. وانت تعرفني. واعتقد بانك تدعى ادريانوس.

الفولسك : صحيح يا سيدي. لعمري، انا لا اتذكرك.
الروماني : انا روماني، لكني نظيرك اخدم أعداء الرومان. هل عرفتني الآن ؟
الفولسك : اسمك مكانور، على ما اظن ؟
الروماني : انا بذاتي، يا سيدي.
الفولسك : كانت لحيتك اطول عندما رأيتك آخر مرة. لكني عرفت صوتك. ما هي اخبار روما ؟ طلبتْ مني حكومة الفولسك ان آتي للبحث عنك، وها قد وفّرتَ علي مسيرة يوم بطوله.
الروماني : لقد قامت في روما ثورة هائلة فعصى الشعب نوابه ونبلاءه واشرافه.
الفولسك : احقٌّ ما تقول. حكومتنا لا تصدق ذلك، وهي تقوم باستعدادات عسكرية وتأمل ان تفاجىء روما في احمى انقسامات اهلها.
الروماني : خفت حدة المعركة، لكن ادنى حركة يمكن ان تضرم نارها من جديد. لان النبلاء اغتاظوا جداً من نفي صديقهم كوريولانوس، حتى انهم باتوا على اتم الاستعداد لسحب كل سلطة من يد الشعب وإلغاء مناصب نوابه نهائياً. يمكنني ان اقول لك ان الجمر تحت الرماد، وسرعان ما يشب الحريق بعنف ثانية.
الفولسك : هل أبعد كوريولانوس ؟
الروماني : اجل نفي.
الفولسك : ستلاقي احسن استقبال لهذا النبأ الهامّ يا مكانور.
الروماني : الظروف تساعد الفولسك كثيراً. ولقد قيل ان انسب فترة ملائمة لإغراء امرأة هي عندما تكون على خلاف مع زوجها. سيتصور قائدكم تولوس اوفيديوس اموراً كثيرة مؤاتية في هذه الحرب، الآن وكوريولانوس عدوه اللدود ليس على رأس جيش بلاده.
الفولسك : لا شك في ذلك. يسعدني جداً ان اكون قد لقيتك هنا صدفة، لانك ستساعدني على اتمام مهمتي ثم أرافقك بسرور الى بيتك.
الروماني : من الآن الى ان يحين وقت العشاء سأطلعك عن روما على اغرب الامور وجميعها تفيد اعداءها. قل لي هل يقف جيشكم على أتمّ الاستعداد ؟

الفولسك : اجل، وهو كامل العدة والعدد من ضباطه الى جنوده كلهم متأهبون للمحافظة على كيان الدولة ويشغلون المراكز اللازمة وهم جاهزون للزحف فوراً.
الروماني : انا سعيد لعلمي بهذا، سأنقل كل المعلومات لمن يهمه امرها. فأشكرك واشكر الظروف التي اتاحت لي التقائي بك.
الفولسك : ها قد قمت بمهمتي يا سيدي، وانا ممتن جداً لما لقيته من مساعدتك.
الروماني : هيا بنا اذاً نواصل طريقنا معاً.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في انطيوم امام منزل اوفيديوس.

يدخل كوريولانوس متنكراً بثياب الفقراء وعلى رأسه قلنسوة واسعة تخفي وجهه.

كوريولانوس : انطيوم مدينة جميلة، وانا قد رمّلت معظم نسائها. وكثيرون من ورثة هذه المباني الفخمة قضوا نحبهم بطعنات سيفي الذي ازهق انفاسهم. لا تتعرفي عليّ ايتها المدينة الجاحدة فان نساءك واولادك سيتسلحون بالحجارة والقضبان ليقتلوني في معركة طلاب مدرسة.

(يدخل احد المواطنين.)

حفظتك السماء بالصحة التامة، يا سيدي الكريم.
المواطن : انت ايضاً.
كوريولانوس : ارجوك ان تدلني على مقر اوفيديوس الكبير. هل هو من انطيوم؟

المواطن : اجل وهو يولم مأدبة فاخرة لنبلاء الدولة في بيته هذا المساء.

كوريولانوس : اين يقع بيته، من فضلك ؟

المواطن : هنا امامك.

كوريولانوس : شكراً يا سيدي. الوداع (يخرج المواطن). تباً لك ايتها الدنيا الماكرة كم فيك من مفاسد. صديقان حميمان يبدوان كأن لهما قلباً واحداً في صدرين، ويعتبران ان كل متعاتهما من السرير الى الطعام الى الرياضة جميعها مشتركة، وقد جعلهما الحب كأنهما توأمان لا يفترقان. قبل ساعة، وبسبب نقاش طفيف استشاطا غضباً حتى بلغ بهما الامر اقصى حدود العداوة المريرة. كذلك اخصام ألدّاء كانت تقض مضجعهما اهواؤهما ورغبتهما الملحة في تحطيم احدهما الآخر، في اول فرصة ولأجل توافه لا تستحق الذكر قد اصبحا صديقين حميمين الى حد ان يزوّجا اولادهما معاً. هذا هو حالي. لذا بت أكره مسقط رأسي واميل الى هذه المدينة المعادية (يتوجه نحو منزل اوفيديوس) لندخل. واذا قتلني لا يكون قد اعتدى علي، بل قام بواجبه، واذا استقبلني سأخدم بلاده باخلاص.

(يدخل الى البيت)

المشهد الخامس

في انطيوم عند مدخل منزل اوفيديوس

تسمع بعض الحان موسيقية.
يدخل احد الخدام.

الخادم : هاتوا خمرة، هاتوا خمرة. ما هذه الخدمة ؟ اظن ان جميع غلماننا قد ناموا.

(يخرج).

(يدخل خادم آخر)

الخادم الثاني : اين كوتيس ؟ معلمي يناديه. يا كوتيس.

(يخرج).
(يدخل كوريولانوس ملثم الوجه.)

كوريولانوس : منزل ممتاز، ووليمة فخمة. لكن ملامحي لا تدل على اني من المدعوين.

(يرجع الخادم الاول)

الخادم الاول : ماذا تريد، يا صاح ؟ من اين انت ؟ مكانك ليس هنا. ارجوك ان تعود من حيث اتيت.
كوريولانوس : (على حدة) انت لا تستحق استقبالاً افضل من هذا، يا كوريولانوس.

(يعود الخادم الثاني)

الخادم الثاني : من اين انت يا سيدي ؟ اوليست عينا البواب في رأسه حتى يدع اشخاصاً مثلك يدخلون ؟ ارجوك ان تخرج.
كوريولانوس : انت اذهب من هنا.
الخادم الثاني : عليك انت ان تخرج. هيا اذهب.
كوريولانوس : اصبحت مملاً مزعجاً يا هذا.
الخادم الثاني : اراك عنيداً الى ابعد حدّ. انا اعرف كيف اعلمك ان تتكلم هكذا.

(يدخل خادم ثالث يلتقي بالاول.)

الخادم الثالث : (يشير الى كوريولانوس) من هو هذا الرجل ؟
الخادم الاول: هو شخص فريد لم اصادف مثله قط. لم استطع ان اخرجه من المنزل. ارجوك ان تنادي معلمي.

الخادم الثالث : (لكوريولانوس) ماذا تفعل هنا يا صاحبي ؟ ارجوك ان تخلي المكان حالاً.
كوريولانوس : دعني فقط اظل واقفاً في هذا المكان، فلن اسيء الى احد.
الخادم الثالث : من انت ؟
كوريولانوس : انا من الوجهاء.
الخادم الثالث : بل من الفقراء المعدمين، على ما ارى.
كوريولانوس : صحيح انا فقير.
الخادم الثالث : ارجوك اذاً ايها الفقير ان تختار مقراً آخر لان لا مكان لك عندنا. ارجوك ان تمشي حالاً.
كوريولانوس : اذهب وقم بوظيفتك بازدرادك بقايا المأكولات الباردة.

(يدفعه)

الخادم الثالث : ألا تريد ان ترحل ؟ (للخادم الثاني) ارجوك ان تعلم سيدنا بامر هذا الضيف الغريب المتطفل علينا.
الخادم الثاني : انا ذاهب

(يخرج)

الخادم الثالث : اين تقيم، يا هذا ؟
كوريولانوس : تحت القبة.
الخادم : تحت القبة ؟
كوريولانوس : نعم.
الخادم الثالث : أية قبّة ؟
كوريولانوس : في مدينة البوم والغربان.
الخادم الثالث : مدينة البوم والغربان ؟ يا لك من حمار. انت اذاً تقيم مع الصقور.
كوريولانوس : لا، انا لست في خدمة مولاك.

الخادم الثالث : كيف تقول هذا يا سيدي. هل تربطك علاقة بمولاي ؟
كوريولانوس : اجل، هذا تعاون اشرف من كل علاقة بمعلمتك. انت تثرثر كثيراً. عُدْ الى صحونك. هيا عُدْ.

(يدفعه الى الخارج)
(يدخل اوفيديوس والخادم الثاني)

اوفيريوس : اين هذا الرجل ؟
الخادم الثاني : (يشير الى كوريولانوس) ها هوذا يا مولاي. كنت ضربته وطردته كالكلاب لو لم اخش ان ازعج المدعوين.
اوفيريوس : (لكوريولانوس) من اين اتيت ؟ وماذا تريد ؟ ما اسمك ؟ لماذا لا تجيب ؟ تكلم يا هذا. ما اسمك ؟
كوريولانوس : (يكشف عن وجهه) اذا لم تعرفني بعد يا تولوس، وانت لا تصدق عينيك اني من انا، فالضرورة تضطرني الى ذكر اسمي.
اوفيديوس : ما اسمك

(ينسحب الخادم).

كوريولانوس : اسمي يدوي في آذان رجال الفولسك ويرنّ بخنّة في اذنيك.
اوفيديوس : تكلم، ما اسمك ؟ انت غريب المظهر، ووجهك يدل على تعودك اصدار الاوامر. وان يكن لثامك ممزقاً، يبدو عليك انك من الاشراف. ما اسمك ؟
كوريولانوس : سيتلطخ جبينك بالخجل. احقاً لم تعرفني ؟
اوفيديوس : لم اعرفك. قل لي ما اسمك.
كوريولانوس : انا كايوس مرسيوس، وقد عاملتك بنوع خاص وعاملت جماعة الفولسك اسوأ معاملة كما يدل على ذلك لقبي كوريولانوس. كم قمت باعمال شاقة وكم واجهت من اخطار وكم نزفت من دماء في سبيل وطني العقوق. فلم اجنِ من مكافأة سوى هذا اللقب، وهو شهادة قاطعة على الكره والحقد اللذين تكنّهما لي. اذا لم يبقَ لي سوى هذا الاسم. فحسد الشعب الروماني وجحوده سمحا بمساعدة جبانة النبلاء الذين تخلّوا عني

نهائياً بان احرم من سائر حقوقي. اجل وافق نبلاؤنا على طردي من روما على ايدي الرعاع الانذال. وهذا التصرف الارعن اوصلني الى بيتك لا بأمل انقاذ حياتي، لا تغرّنك هذه الفكرة، كما لو كنت خائفاً من الموت وانت الوحيد بين جميع الرجال يجمل بي ان اتجنبه، انما بدافع العداء وحب الانتقام من اخصامي جئت اليك. فاذا كرهتني وشئت ان تعوض عما قابلتك به من الإساءات، واذا اردت حقاً ان تضع حداً للتفكك الذي اصاب الوطن لا تتردد في الاستفادة من مصائبي، وتتصرف بطريقة تخدم مصلحتك لاني مصمم على محاربة بلدي المتفسّخ بكل ما في صدور جميع شياطين الجحيم من ضغائن واحقاد. اما اذا كنت تنوي الاستسلام لانك تعبت من محاولاتك، فانا ايضاً سئمت الحياة، وافضّل ان اسلم عنقي لحزازاتك القديمة. فاضرب ولا ترحمني لان شفقتك ستكون وبالاً عليّ، انا الذي لم انقطع يوماً عن مناصبتك العداء. وقد اسلت نهراً من دماء ابناء بلدك ولا يسعني ان اعيش إلا لأنزل بك العار، اذا لم اتمكن من العيش في خدمتك.

اوفيديوس : كل كلمة نطقت بها يا مرسيوس قد اقتلعت من قلبي جزءاً من عداوتي القديمة. فاذا شهد الاله المشتري من عليائه، سيؤكد لك بان ما اقوله هو الحق، ولن يكون صادقاً اكثر منك يا مرسيوس العظيم. دعني اعانقك واضمك الى صدري، فهاتين الذراعين القويتين طالما حطّمتا رماحاً ولم تتمكنا من النيل منك يا اشجع الشجعان. دعني اعانق عضلاتك الشبيهة بالسندان الذي تكسرت عليه نصال خنجري، واجاريك بالسماح والحنو والنبل بهذا الشعور السامي الذي اقدره فيك. إن قلت لك ان الصبية العذراء التي تزوجتها لم يكن عاشق في الكون صادق العواطف نحوها اكثر مني في ما اشعر به الآن وانا امامك، واني لم أطرب لملاقاة خطيبتي، يوم عبرت عتبة بيتي للزواج، كما سررت الآن بلقائك. اعلم يا مرسيوس، اني قبل الآن كنت مصمماً على انتزاع درعك منك ولو فقدت يميني، وقد حلمت اكثر من عشر مرات بمنازلتك والتغلب عليك فتصادفنا وتشابكنا واصطدمت خوذتانا في رنين جهنمي وانا احاول ان ادق عنقك، ثم افقت وكأني نصف مائت من شدة الاعياء. يا مرسيوس الشجاع، لو كان نفيك ذنب روما الوحيد، انا

مستعد لأن اجمع رجال من ابن اثنتي عشرة الى سبعين سنة لمحاربة روما الجاحدة ولمهاجمتها كالبحر الهائج. تعال ادخل، ودعني اعانقك كعربون تحالفنا للهجوم على الاراضي الرومانية واذلال روما بالذات.

كوريولانوس : باركتك الآلهة.

اوفيديوس : واذا شئت ايها المغوار ان تنفرد بقيادة الحملة للاخذ بالثأر، فانا اتنازل لك عن كل سلطاتي. وبفضل خبرتك بما انك تعرف نقاط القوة والضعف في بلدك، اعدّ انت الخطة لضرب روما ولاحتلال مواقعها الحساسة وتحطيم كبريائها. تعال لاعرفك على اعواني الذين سيساندوك مثلي. اهلا وسهلاً بك الف مرة. فانا الآن صديقك اكثر بما لا يقاس مما كنت عدوك في الماضي. ضع يدك في يدي والف مرة مرحباً بك يا مرسيوس، يا اعز الناس اليّ

(يخرج كوريولانوس واوفيديوس).

الخادم الاول : (يتقدم) هذا تبدّل غريب لا يصدّق.

الخادم الثاني : وحق السماء كدت اضربه بالعصا. مع ذلك خطر ببالي ان لا انخدع بثيابه. فربما كان غير ما يبدو عليه.

الخادم الاول : ما اقوى قبضته ؟ بإبهامه واصبع واحد فقط جعلني ادور كالدوامة.

الخادم الثاني : تبيّنت من هيئته انه يخفي حقيقته وكان منظره يا صديقي يدل على انه... لست ادري كيف اصفه.

الخادم الاول : هذا صحيح كان منظره يدل على... اوافق على شنقي لو لم اوقن بأنه رجل فوق كل الشبهات.

الخادم الثاني : انا ايضاً اقسم بذلك. انه حقاً اعجب رجل في كل الكون.

الخادم الاول : اجل هو محارب لا يشق له غبار.

الخادم الثاني : من ؟ معلمك ؟

الخادم الاول : لا سبيل الى المقارنة بينهما.

الخادم الثاني : هو يساوي ستة من امثاله.

الخادم الاول : لا ليس تماماً. لكني اعتقد بانه اشجع المحاربين طرّاً.
الخادم الثاني : لعمري، لا اتوصل الى التعبير عما اريد قوله. للدفاع عن اية مدينة لا افضل من معلمنا الممتاز.

(يدخل الخادم الثالث)

الخادم الثالث : ايها المغفلان، لدي اخبار، لدي اخبار هامة.
الخادمان الآخران : ما هي ؟ هيّا قل لنا، ما هي ؟
الخادم الثالث : من بين جميع الشعوب لا أود ان اكون رومانياً بل اتمنى ان اكون محكوماً بالاعدام.
الخادمان الآخران : لماذا ؟
الخادم الثالث : لان بيننا الرجل الذي كان يقاتل قائدنا، ألا وهو كايوس مرسيوس.
الخادم الاول : ماذا تقول؟ كان يقاتل قائدنا؟
الخادم الثالث : انا لا اقول انه تغلب عليه، بل كان يحاربه.
الخادم الثاني : سنظل احياء واصدقاء، رغم انه كان دائماً اقوى منه ولقد قال ذلك هو نفسه.
الخادم الاول : اعلن الحقيقة بدون مواربة. كان دائماً اقوى منه، وكاد يهشمه ويحطّمه كإبريق من فخّار.
الخادم الثاني : لو اراد، لتخلص منه منذ زمن بعيد.
الخادم الاول : اكمل اخبارك.
الخادم الثالث : وهو الآن يلقى هنا احسن معاملة كأنه ابن إله الحرب مارس وقد جلس في صدر القاعة، وجميع الشخصيات ينحنون امامه مكشوفي الرأس احتراماً واجلالاً. ومعلمنا يكلمه كانه هو سيد المنزل يصافحه بوقار وينظر اليه باعجاب، ولم يعد له من العنفوان نصف ما كان يتظاهر به يوم امس. الجميع يكرمونه ويلتمسون رضاه. يبدو انه هزّ ابواب روما، وهو ينوي الآن ان يحصد كل ما يصادفه في طريقه.
الخادم الثاني : هو قادر على ما لا يستطيعه اي رجل سواه.

الخادم الثالث : هل هو بهذه المقدرة ؟ يظهر ان له اصدقاء بقدر ما له من اعداء. وقد ينقلب اعداء اليوم الى اصدقاء الغد، لأن الكل يهابونه.

الخادم الاول : ما هذه الشخصية ؟

الخادم الثالث : عندما تبرز خوذة البطل الاصيل يخرج اعداؤه من اوكارهم كأنهم ارانب تغادر اوجارها حتى تحت وابل المطر، وكلهم ينصاعون لاوامراه.

الخادم الاول : متى يحدث ذلك ؟

الخادم الثالث : غداً او اليوم، او ربما حالاً. الا تسمع قرع الطبول ؟ فالقضية مستعجلة، ولا بد من تنفيذ ما صمموا عليه باقرب وقت.

الخادم الثاني : حسناً. سنشاهد العالم متخبطاً مضطرباً. لان السلام يدع السلاح يصدأ من قلة الاستعمال ويروّج خياطة الالبسة الزاهية وادارة حلقات الرقص والطرب.

الخادم الاول : هات الحرب اذاً لتتغلب على السلم، كما يبدّد النهار ظلمة الليل. فالقتال نشاط وقوة وصخب، بينما السلام اختناق وتململ وسأم وجمود وتناوم، وانجاب لقطاء اكثر مما تقتل المعارك من رجال.

الخادم الثاني : هذا صحيح، واذا اعتبرت الاغتصاب عملاً جريئاً فلا سبيل الى النكران ان السلم يمهد الى الاكثار من الازواج المخدوعين.

الخادم الاول : وخلق العداوة بين الرجال.

الخادم الثالث : لماذا ؟ لان حاجة بعضهم الى بعض تقلّ، ولأن الحرب تجرّ وراءها الاهوال. آمل ان ارى الرومان مذلولين كالفولسك. ها هم يغادرون المائدة.

الجميع : هيا نرجع، هيا نرجع الى مواقعنا

(يخرجون).

المشهد السادس
في احدى ساحات روما.

يدخل سيسينيوس وبروتوس.

سيسينيوس : لن نسمع احداً يتكلم عنه، ولن نخشاه بعد اليوم. لان قوته تضاءلت اثناء السلم الحاضر، فأخلد الشعب الى السكينة بعد ان ضعضعته الفوضى. وبفضلنا نحن الاصدقاء، تأمّنت السلامة العامة، ولم يعد هناك من متمردين يزرعون الرعب اثناء تظاهراتهم في الشوارع. فانصرف الناس الى اعمالهم ولزموا مخازنهم وبيوتهم.

(يدخل منانيوس)

بروتوس : اصبحنا نحن الاقوى. اليس كذلك يا منانيوس ؟
سيسينيوس : اجل، لانه هو الاقوى بات لطيفاً محبوباً. احييكم ايها السادة.
منانيوس : السلام عليكم، يا أعزائي.
سيسينيوس : صديقك كوريولانوس لا يغيب طويلا عن اصحابه، والجمهورية توطدت اركانها، وستظل واقفة على رجليها مهما زاد غضبه.
منانيوس : كل شيء اصبح صالحاً، ولا يمكن ان يكون افضل مما هو الآن، حتى لو تحين الفرص وحاول الرجوع الينا.
سيسينيوس : هل تعلم اين هو الآن ؟
منانيوس : لا لست ادري. كذلك امه وزوجته لا اخبار لديهما عنه

(يمرّ ثلاثة او اربعة مواطنين).

المواطنون : (للنائبين) حفظكما الله من كل مكروه.

سيسينيوس : ليلتكم سعيدة يا جيراني.

بروتوس : ليلتكم سعيدة، ايها الاصحاب.

المواطن الاول : نحن ونساؤنا واولادنا، علينا ان نصلي لاجلكم ونحن جاثون على ركابنا.
سيسينيوس : اتمنى لكم حياة هنيئة.
بروتوس : الوداع ايها الجيران الافاضل. نتمنى ان يحبكم كوريولانوس كما نحبكم نحن.
المواطنون : حفظكم الله.
النائبان : الوداع، الوداع.

(يخرج المواطنون).

سيسينيوس : اضحت هذه الأوقات اسعد مما كانت عليه سابقاً يوم كان هؤلاء الفتيان يركضون في الشوارع وينشرون الفوضى في كل مكان.
بروتوس : كايوس مرسيوس ضابط محترم مرهوب في الحرب لكنه وقح ومتكبر وطموح واناني الى ابعد الحدود.
سيسينيوس : ويود الانفراد بالسلطة والنفوذ بدون مساندة احد.
منانيوس : لا اظن ذلك.
سيسينيوس : كنا لمسنا سطوته لو اصبح حاكماً.
بروتوس : حمتنا الآلهة من هذه المصيبة. ها هي روما هادئة وآمنة في غيابه عنها.

(يدخل احد الحراس.)

الحارس : ايها النواب الكرام، سجنّا عبداً منذ برهة، فأعلمنا ان رجال الفولسك بفوجين من الجنود قد احتلوا بعض الاراضي الرومانية. وهم يشنّون الآن حرباً شعواء تهدم كل ما يعترض سبيلها.
منانيوس : هذا اوفيديوس، وقد علم بإبعاد مرسيوس، فأخذ يكشّر عن انيابه. طالما كان مرسيوس يدافع عن روما، ظل هذا الحقير مقوقعاً في صدفته، لا يجرؤ على الظهور.
سيسينيوس : ماذا تقول عن مرسيوس ؟

بروتوس : مُرْ بجلد هذا المنافق. ليس لدى الفولسك من جرأة لينقلبوا علينا.
منانيوس : هذا مستحيل. عندنا دليل قاطع بان هذا غير وارد. فقد مررت انا شخصياً بثلاث حالات مماثلة في حياتي. إسألوا هذا الرجل قبل ان تلوموه، من اين اتى بهذا النبأ، ولا تغامروا بتكذيب انذار في حينه، ولا تضربوا رسولاً جاء ينبهكم الى خطر مداهم، عليكم ان تخشوه وتتحاشوه قبل فوات الأوان.
سيسينيوس : لا تقل لي هذا. فانا على يقين بانه مستحيل.
بروتوس : هذا غير ممكن بحال من الاحوال.

(يدخل رسول).

الرسول : النبلاء مضطربون ويتوافدون على المجلس في حالة يرثى لها، وقد وصلتهم انباء تجهمت لها وجوههم.
سيسينيوس : مصدرها هذا العبد الذميم. ليُجْلدْ امام الجميع. اجل هذه غلطته. لان سبب هذا الوجوم ما اتانا به من اخبار مشؤومة.
الرسول: اجل ايها المولى الكريم. لكن نبأ العبد قد ثبتت صحته، والانباء الجديدة اسوأ منه بما لا يقاس.
سيسينيوس : كيف هي اسوأ ؟
الرسول : هناك اشخاص عديدون يقولون بصراحة، ولا ادري مدى امكان ذلك، ان مرسيوس واوفيريوس اتفقا على قيادة الجيش للهجوم على روما، وقد اقسما ان ينتقما بصورة وحشية من المسنين والشبان معاً.
سيسينيوس : كيف يجري ذلك ؟
بروتوس : هذه شائعة بل خرافة لترويج عودة مرسيوس الى اوساط المظلومين والمقهورين.
سيسينيوس : هذا هو السر.
منانيوس : امر لا يصدق، لانه هو وأوفيريوس لا يمكن ان يتفاهما، وهما خصمان لدودان عنيدان كلٌّ منهم يغني في وادٍ.

(يدخل رسول آخر).

الرسول : يا سادة، مطلوب منكم الذهاب الى المجلس، لان جيشاً هائلاً بقيادة كايوس مرسيوس، بالاشتراك مع اوفيديوس، يجتاح بلادنا. وقد وصل الزحف الى الطرقات القريبة منا، والمهاجمون يحرقون ويدمرون كل ما يصادفونه.

(يدخل كمينيوس).

كمينيوس : (للنواب) لقد قمتم بعمل باهر حقاً.

منانيوس : ما الخبر ؟ قل لي : ما الخبر ؟

كمينيوس : نجحتم في التمهيد لاغتصاب بناتكم، ولصبّ الرصاص على جيفكم النتنة ومشاهدة شرف نسائكم يُداس تحت انظاركم.

منانيوس : ما الخبر، ما الخبر ؟

كمينيوس : ها هي معابدكم تحترق وحرياتكم تُنتهك، كما يتبدد الضباب امام الرياح الهوجاء

منانيوس : بالله عليك، ما هذه الانباء ؟ (للنواب) حقاً قمتم بعمل جليل ممتاز. انا خائف (لكمينيوس) ما هذه الانباء التي لا تصدق ؟ اذا كان مرسيوس قد انضم فعلاً الى الفولسك، فعلى الدنيا السلام.

كمينيوس : اذاً... اصبح الآن قائدهم، وهو يسير في طليعتهم، وهم يعتبرونه كإله من غير طينتهم، ينفخ فيهم روح الحميّة والبسالة، ويدفعهم الى الهجوم باندفاع على رجالنا المتقاعسين، وهم كالاطفال الذين يلاحقون فراشات صيف او كاللحامين الذين يتسلون بقتل الذباب.

منانيوس : (للنواب) اجل، اجل، قمتم بعمل مجيد، انتم ورجالكم، إذ تصرفتم بعقلية صبيانية. وقد اندفعتم وراء اصوات مبحوحة شاذة وغايات مشبوهة مغرضة.

كمينيوس : سيهدم روما على رؤوسكم.

منانيوس : نظير هرقل الذي يسقط الثمار الناضجة. اجل قمتم بعمل جبار مشكور وجلبتم الدب الى كرمكم.

بروتوس : (لكمينيوس) لكن هل هذا النبأ صحيح حقاً، يا مولاي ؟

كمينيوس : نعم، نعم. وسيشحب لونك قبل ان تسمع تكذيبه. فكل المنطقة تنهار وهي تبتسم. ومن يقاومون تدوسهم اقدام المنتصرين المندفعين كالعاصفة. من تراه يلومهم، ما دام اعداؤكم واعداؤه يعترفون بتفوّقه.

منانيوس : هلكنا اذاً لا محالة. اذا لم يرأف المنتصر بحالنا.

كمينيوس : ومن تراه يلتمس عفوه ؟ النواب لا يسعهم ان يقدموا على ذلك بدون تذلّل والشعب يستحق سماحه كما يستحق الذئب شفقة الراعي. واذا قال له أخلص اصدقائه، ارحم روما، لقابلهم حتماً بنفس الحقد الذي بادروه به حين اعتبروه ألدّ اعدائهم ونفوه.

منانيوس : هذا صحيح. سيقترب من بيوتهم كقفير الزنابير إن خرجوا اليه هاتفين : نستحلفك ان تتوقف. اجل، قمتم بعمل هو آية في الوفاء وعرفان الجميل، فارتدّ كيدكم الى نحركم.

كمينيوس : لقد جررتم على روما كارثة لا سبيل الى تجنبها.

النائب : لا تقلْ اننا نحن جلبناها.

منانيوس : من جلبها اذاً ؟ هل نحن أبغضناه ؟ بالعكس نحن احببناه. انما بعض المراوغين اللئام نظير البلهاء الجبناء خلقوا البلبلة، ونحن تركناهم كالاغبياء يتصرفون على هواهم فابعدوه وشيّعوه بالشتم والتحقير.

كمينيوس : واخشى الآن ان يعود وهو يزمجر. تولوس أوفيريوس ثاني الرجال البارزين يطيع أوامره كأنه اجيره. لان اليأس حمله على الخضوع له للدفاع عن مصالحه والنيل من روما التي ناصبته العداء.

(تدخل جماعة من المواطنين)

منانيوس : ها هو قفير الزنابير قد وصل. (لكمينيوس) ومعه اوفيديوس. (للمواطنين) انتم افسدتم كل شيء حتى الهواء الذي نتنشقه لارضاء غروركم، فطردتم كوريولانوس وشيعتموه الى منفاه بالشتائم والاحقاد. وها هو عائد مع جنوده الذين سيدوسونكم ويسحقونكم كأحقر الحشرات مكافأةً على حسن معاملتكم له. هذا لا يهمّ، لأننا عندما سينزل بنا عقابه نكون فعلاً قد نلنا ما نستحقه من اجر على سوء تصرفنا تجاهه.

المواطنون : حقاً ما نسمعه منك لأنباء رهيبة.

المواطن الاول : من جهتي، عندما وافقت على إبعاده، اضفت قائلاً ان ذلك غبن لا يجمل بنا ان نقابله به.

المواطن الثاني : وانا كذلك.

المواطن الثالث : وانا ايضاً. ولنقرّ بصراحة بان عدداً لا بأس به منّا فعلوا مثلي. امّا ما صدر عنا فكان انسب ما يمكن عمله وإن كان قد وافقنا على نفيه، فاننا تصرفنا بعكس ارادتنا مرغمين.

كمينيوس : انتم اناس طيبون، ادليتم باصواتكم مخلصين.

منانيوس : اجل قمتم بعمل رائع مع جماعتكم (لكومينيوس) هل سنذهب الى الكابتول ؟

كمينيوس : نعم، نعم. أوليس ذلك من أوجب واجباتنا ؟

(يخرج كمينيوس ومنانيوس)

سيسينيوس : (للمواطنين) هيا، يا سادتي، عودوا الى بيوتكم ولا تقلقوا. هؤلاء جماعة يبتهجون بتثبيت ما يتظاهرون بأنهم يخشونه. عودوا الى منازلكم واكتموا خوفكم.

المواطن الاول : ستعيننا الآلهة على الخروج من هذه الورطة. هيّا بنا يا سادتي، نرجع الى بيوتنا. لقد قلت دائماً اننا نخطىء اذا نفيناه.

المواطن الثاني : كلنا اعلنّا هذا الرأي. لكن، لنعد الآن.

(يخرج المواطنون).

بروتوس : انا لا احب هذه النتيجة.

سيسينيوس : ولا انا.

بروتوس : هيّا بنا الى الكابتول. انا مستعد لأن ادفع نصف ثروتي لتكذيب هذا الخبر.

سيسينيوس : ارجوكم ان تذهبوا.

(يخرجون).

المشهد السابع
في معسكر بضواحي روما

يدخل اوفيديوس وملازمه.

اوفيديوس : ألا يزال يتّصل بالرومان ؟

الملازم : لا ادري اي سحر ينبعث منه. انما اسمه في نظر الجنود هو الصلاة التي تسبق الاكل، والموضوع الذي يشغلهم والعمل الذي يجتذبهم والشكر الذي يؤدّونه على فوزهم. وانت محتجب في هذه الحملة حتى عن نظر انصارك.

اوفيديوس : لا يسعني الآن ان امنع ذلك بدون ان اتعرض الى الوسائل التي تقضي على امالي وتحطم اماني. هو يبدي نحوي صلفاً لم اكن انتظره منه عندما استقبلته وفتحت له ذراعيّ وبيتي وتنازلت له عن سلطتي. انما هذه الطبيعة وإن اكتسبها منذ أن كان طفلاً، سأعذره عليها لانها لا تقبل الاصلاح. وإلّا جرت الرياح بما لا تشتهيه السفن.

الملازم : مع ذلك يا مولاي، كنت اتمنى ان لا تشاركه سلطاتك. كنت اتمنى ان تظل القيادة في يدك وحدك، وان لا تسلمه صلاحياتك فينفرد بها.

اوفيديوس : انا افهم مرامك، وانا واثق بانه عندما سيؤدي حسابه لن يغفل عما يمكنني ان اجابهه به من اعتراضات. اذ مهما استطاع ان يقنع الناس بان سلوكه لا غبار عليه، وان يراعي مصالح دولة الفولسك، ومهما تغلب على شعوره الباطن وانتصر على رغبته في امتشاق حسامه لمحاربتهم، مع ذلك هو مذنب لانه تقاعس وغش وغامر برأسه الذي قد يتدحرج عند تقديم الحساب عن اعماله.

الملازم : انا اسألك يا سيدي، إن كان باستطاعته ان يحتل روما ؟

اوفيديوس : كل المواقع تستسلم اليه قبل ان يحاصرها. ونبلاء روما من خاصته، كذلك اشرافها وشيوخها يحبونه ايضاً. انما النواب ليسوا جنوداً

والشعب لا يلبث ان يذكره بانه سارع الى ابعاده. اظن انه سيفعل بروما كما تفعل النار في السمك عندما يوضع في المقلاة. سيستولي على روما بما لديه من قوة هائلة. لقد بدأ يخدم بلاده بنبل. لكنه لم يستطع ان يحتفظ بامجاده باعتدال، إما بسبب كبريائه المتطرفة التي تحطم الانسان السعيد، وإما عن قصر نظر منعه من الاستفادة من ظروفه التي لم يمكنه من السيطرة عليها طبعه الخشن الذي جعله يتصرف في الحرب وفي السلم على نمط واحد. ثم بسبب نقيصة بغيضة متملكة فيه، وهو يجمع في شخصه كل النقائص، جعلت الناس يخافونه ويكرهونه ثم ينفونه. لا شك في أن له فضائل، لكنه يخنقها بسوء سلوكه. لان تصرفنا يستدعي حسن المعاملة او سوءها حسب ما يبدر منا من افعال. فالمحبة تفضي الى المحبة كما ان البغض لا يجلب إلا البغض. وكذلك الاكرام يواجه الاكرام والقوة تجابه القوة. هيا بنا نبتعد. وحين تصبح روما لك يا كايوس ستخصني انا ايضاً، لانك انت تخصني بدون منازع.

(يخرجون).

الفصل الخامس

المشهد الاول

في احدى ساحات روما

يدخل منانيوس وكميبوس وسيسيبيوس وبروتوس وغيرهم

منانيوس : كلا، لن اذهب. سمعت حتماً ما قال القائد الخبير الذي كان يحبه باخلاص. كان يدعوني اباه لكن هذا لا يهم. قل لي : من أبعده ؟ احتجوا على بعد ميل من خيمته وشقوا طريقاً، وانتم تتقدمون على ركبتيكم لتستدرّوا شفقته. واذا لم يتنازل الى الاصغاء الى كمينيوس سالازم بيتي.

كمينيوس : لقد تظاهر بانه لا يعرفني.

منانيوس : (للنواب) هل سمعتم ؟

كمينيوس : مع ذلك، ناداني مرة باسمي. فألححت على تذكيره بعلاقاتنا القديمة، وبالمستوى الذي اضعناه معاً. وذكرته بكوريولانوس فرفض ان يتعرف عليه. وتظاهر بالصمم لقاء كل مزاياه، مدعياً انه نكرة لا لقب له، حتى يتسنى له ان يكتسب لقباً جديداً وسط روما المشتعلة.

منانيوس : هل ترى الى اين وصلنا ؟ لقد قمتم بعمل جبار ايها النواب

وجشّمتم نفوسكم افظع الاخطار لكي تخفضوا اسعار الفحم في روما. وهذا مجد عظيم تحسدون عليه.

كمينيوس : افهمته ما في منح العفو من عاطفة سمحة سخية غير منتظرة. فردّ علي بان من اللائق ان ترجو الدولة خيراً من رجل استحق عقابها.

منانيوس : وهل كان باستطاعته ان يقول اقلّ من هذا ؟

كمينيوس : حاولت ان اوقظ عطفه على اصدقائه المخلصين فردّ عليّ بانه لا يمكنه ان يتوقف عن تطهير الاقذار والنتانات التي تحيط به. وصرح بأن عدم احراق النفايات التي تضايق الشم بروائحها الكريهة للمحافظة على القليل من الحبوب لهو ضرب من الجنون.

منانيوس : القليل من الحبوب ؟ وهل انا من هذه الحبوب القليلة الجيدة. ان امه واخته وولده، وانا رفيقه الامين، نحن الحبوب الجيدة، بينما انتم النفايات الفاسدة التي تنشر اقبح الروائح والتي يجب عليك ان تحرقها.

سيسينيوس : اتوسل اليك ان تكون رحيماً. واذا رفضت ان تساعدنا في موقف حرج عاجل، لا تزيدنا الّا حزناً. لكن اذا شئت ان تدافع عن وطنك فان كلامك الحلو اقوى من جيش بكامله تستطيع ان توقف مواطنينا عن التدهور.

منانيوس : كلا، انا لن اتدخل في هذا الامر.

سيسينيوس : ارجوك ان تذهب الى مقابلته.

منانيوس : ماذا يمكنني ان افعل ؟

بروتوس : حاول ان تحقق ما تتمكن صداقتك من فعله لدى مرسيوس لاجل روما.

منانيوس : حسناً. لكن، افترض ان مرسيوس طردني نظير كمينيوس بدون ان يصغي اليّ. فماذا تكون النتيجة ؟ خيبة صديق طعن في قلبه بلا مبالاة. افترض حدوث هذا فماذا يكون موقفي ؟

سيسينيوس : لا اهمية لذلك. ان نيتك الحسنة تستحق عرفان جميل روما بالاضافة الى خدماتك الكريمة السابقة.

منانيوس : انا موافق على القيام بالمحاولة. واعتقد بانه سيصغي اليّ. عندما

افكر بانه عض شفتيه وغمغم هكذا امام كمينيوس الطيب القلب، تتضاءل شجاعتي. اذ ربما اقابله في وقت حرج، قبل ان يتعشى مثلاً. فان الشرايين غير المليئة تحوي دماً بارداً. وحينئذ نتنازع ولا نتوصل الى تحقيق العطاء ولا المسامحة. لكن عندما نحقن عروقنا بنبيذ كالدم وبدسم الطعام تكون نفوسنا مرنة اكثر منها عندما تكون فارغة. سأختار اذاً الوقت المناسب لكي أباشر مهمتي.

بروتوس : انت تعرف جيداً درب جنوه ولن تضل الطريق.

منانيوس : اعدك بان ابذل قصارى جهدي، وليكن ما كُتب لنا. وقريباً اقف على النتيجة.

(يخرج).

كمينيوس : لن يستمع اليه ابداً.

سيسينيوس : هل تظن ذلك ؟

كمينيوس : اقول لك انه جالس على كومة من الذهب، وعيونه يتطاير منها الشرر الذي يريد ان يحرق به روما وإهاناته تتدفق على لسانه كالسيل بدون شفقة. فجثوت امامه، واذا به يتمتم بغموض : انهض، ثم صرفني هكذا بحركة صامتة وقد افهمني كتابياً ما يمنحه وما يمنعه، واقسم بان يتقيد بشروطه. فلم يعد امامنا من امل إلا باللجوء الى امه وزوجته اللتين على ما قيل لي، تنويان ان تلتمسا منه الاشفاق على وطنه. هيا بنا نقابلهما ونستعجل وساطتهما في الاستجابة الى طلباتنا المحقّة المستعجلة.

(يخرجان).

المشهد الثاني
في موقع متقدم من معسكر الفولسك امام روما

جنود يقومون بالحراسة، يصادفهم منانيوس

الحارس الاول : قف عندك. من اين انت آتٍ.

الحارس الثاني : الى الوراء.

منانيوس : انتما تقومان بوظيفتكما بشجاعة، وهذا حسن. لكن اسمحا لي بان اقدم نفسي. انا ضابط في الجيش آتٍ لأحدّث كوريولانوس.

الحارس الاول : من اين انت ؟

منانيوس : من روما.

الحارس الاول : لا تستطيع ان تمرّ. لا بد لك من العودة من حيث اتيت. قائدنا لا يريد ان يرى احداً.

الحارس الثاني : ستشاهد روما تحترق قبل ان تكلّم كوريولانوس.

منانيوس : يا صاحبي الكريم، مهما كان ما سمعت قائدك يتحدث به عن روما وعن اصدقائه الموجودين فيها، فان المجال متسع للمراهنة على مئة مقابل واحد بان اسمي لا بد من ان يكون قد طرق سمعكم، فانا ادعى منانيوس.

الحارس الاول : قف بعيداً. إسمك هنا ليس كلمة السر.

منانيوس : اقول لك يا صاح ان قائدك صديقي. وقد سجلت له مواقفه المجيدة التي لم يشهد العالم لبطولتها من مثيل. لاني دوماً شجعت اصحابي وهو اولهم، على الإتعاظ بما في الحقائق من عبر بليغة. واحياناً نظير الكرة في ارض معادية لم اصب الهدف. فزلّ بي لساني وانطلق بالثناء على من لا يستحقه، وعلى هذا الاساس ارجوك يا صاحبي ان تدعني امرّ.

الحارس الاول : في الواقع يا سيدي، مهما اوردت لنا من اكاذيب على

حسابه، ومهما اطنبت بمديح مواقفك لن تمرّ ابداً. كلا، حتى إن كان في الكذب فضيلة نظير ما في الحياة من عفة، لن تمرّ، لن تمرّ، فهيّا الى الوراء.

منانيوس : ارجوك يا صديقي، لا تنسَ ان اسمي منانيوس واني كنت على الدوام مناصراً أميناً لقائدك.

الحارس الاول : مهما كنت بارعاً في تلفيق صلتك المشرفة به كما حكيت لنا، انا رجل لا انطق إلا بالحق حسب اوامره، وأؤكد لك انك لن تمرّ. فهيّا ابتعد من هنا في الحال.

منانيوس : قل لي، هل تعشّى ؟ الا يمكنك ان تفيدني ؟ لاني لا اود أن اكلمه إلا بعد العشاء.

الحارس الاول : انت روماني، اليس كذلك ؟

منانيوس : انا كما هو قائدك.

الحارس الاول : اذاً انت تكره روما نظيره. هل تستطيع، عندما يطرد من داخل اسوارها حماتها الحقيقيون في فورة شعبية وعندما تسلم درعك لعدوك، وهل تعتقد بانك تقدر ان تكتم انتقامك مع تنهدات النساء وركوع العذارى في بلادك او خداع رجل منافق مثلك، هل تعتقد بأنك بنفخة ضعيفة واحدة تتمكن من ان تطفىء الحريق الذي سيلتهم مدينتك. كلا، ثم كلا. انت مخطىء. عُدْ إذاً الى روما، وهيّىء تنفيذ حكم الاعدام بشخصك وبشعبك، لانكم في الحقيقة مسرعون الى الهلاك. ما دام قائدكم قد اقسم بان لا يرحمكم ولا يؤجل سحقكم ومحوكم من عالم الوجود.

منانيوس : امر غريب. لو علم ضابطك باني هنا لاكرم وفادتي.

الحارس الثاني : هيا، هيا انصرف. ضابطنا لا يعرفك.

منانيوس : أقصد قائدكم الاعلى.

الحارس الاول : قائدنا لا يهمه امرك. فإلى الوراء. انسحب وإلا سفكت دمك. الى الوراء. ماذا تنتظر هيا الى الوراء، ابتعد.

منانيوس : لكن يا صاح...

(يدخل كوريولانوس واوفيديوس)

كوريولانوس : ما الخبر ؟

منانيوس : (للحارس الاول) والآن يا صاحبي سأضعك في محلك. وسترى كيف تكون معاملتي. وستعرف ان ثملاً غبياً مثلك لا يستطيع ان يبعدني عن ولدي كوريولانوس، واحكم من حسن استقباله لي، اذا كنت تستحق الشفقة او اية ميتة اخرى أبطأ وأشرس. انظر الآن جيداً، ولتصب بالاغماء عندما تفكر بما سيحل بك. (لكوريولانوس) اسأل الآلهة ان تقود خطواتك الى النصر والمجد دائماً وان تغمرك بالسعادة الدائمة وان لا تحبّك اقل مما يكنّه لك والدك العجوز منانيوس من مودّة فائقة. يا ولدي، يا ولدي، إن كنت تعدّ لنا حريقاً، فهذا ماء غزير لإطفائه (يبكي) لم اقرر بسهولة ان اوافيك، انما اكّد لي الجميع اني انا وحدي أؤثر على قلبك العطوف وقد دفعتني الى خارج اسوارنا دموع المتوسلين. أسأل الآلهة ان تنير دربك وتحميك من غباوة هذا اللئيم الذي حاول منعي من الوصول اليك.

(يشير الى الحارس الاول)

كوريولانوس : الى الوراء.

منانيوس : كيف تقول لي الى الوراء ؟

كوريولانوس : انا لم اعد اعرف لا زوجة ولا أماً ولا ولداً ولا اي شخص آخر. انتقامي فقط يقود خطاي، ورحمتي اصبحت الآن في صدور قوم الفولسك. لقد قضى الجحود على صلتنا بدلاً من ان توطدها الرحمة. اذهب من هنا. فان اذنّي لن تسمعا رجاءك بعد ان امسى التماسك اضعف من ابوابكم امام هجومنا المدمر. مع ذلك بما اني احببتك، خذ ما كتبته لك وما نويت ان ارسله اليك. (ليسلمه مغلفاً) لا تنبس ببنت شفة يا منانيوس، لاني لن اصغي اليك. هذا الرجل، يا اوفيديوس، كان حبيبي في روما. مع ذلك انت ترى اني...

اوفيديوس : بهذا تضاعف قوة معنوياتك.

(يخرج كوريولانوس واوفيديوس).

الحارس الاول : اسمك يا سيدي، هو منانيوس.

الحارس الثاني : وكما ترى، له قوة سحرية. انت تعرف طريق عودتك.

الحارس الاول : ارأيت كيف كان عقابنا صارماً، لاننا اوقفنا عظمتك ولم ندعك تمّر ؟

الحارس الثاني : ما هو سبب اغمائي، كما قلت ؟

منانيوس : انا لا يهمني كل العالم ولا حتى قائدكم. اما الاشخاص امثالك، فأكاد اصدق انهم في حيز الوجود لضآلتهم. والرجل المصمم على تعجيل موته لا يخافه ان اتاه على يد غيره. ليكمل قائدكم مسيرة غضبه وحقده. اما انت فابقَ كما انت ما امكنك من الوقت الطويل وليزد بؤسك مع سني عمرك. اردد لك ما قلته لي : الى الوراء ايها الغبي البليد

(يخرج).

الحارس الاول : أؤكد لك ان هذا الرجل نبيل.

الحارس الثاني : ليس من رجل نبيل سوى قائدنا. هو صخرة صامدة بل سنديانة لا تتزعزع مهما عصفت بها الرياح الهوجاء.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في خيمة كوريولانوس

يدخل كوريولانوس واوفيديوس وآخران.

كوريولانوس : غداً سيخيم جيشنا عند اسوار روما. وانت زميلي الوفي ستخبر في هذه الحملة سادتك الفولسك بأمانة سلوكي في هذه القضية.

اوفيديوس : لم تأخذ بعين الاعتبار سوى مصلحتهم وحدها. وصممت اذنيك عن التماسات اهالي روما. ولم تسمح حتى لتمتمات اصدقائك الواثقين بك بان تليّن من قناتك.

كوريولانوس : وآخرهم هذا العجوز الذي ارجعته الى روما كسير القلب وهو يكنّ لي حباً اعمق من حنو اي اب. اجل كان يقدّسني وكانت آخر وسيلة لديهم لاستدرار شفقتي ان يوفدوه اليّ. واحتراماً لمودته القديمة العهد وإن عاملته بخشونة، بيّنت لهم اول شروطي التي رفضوها ولا يسعهم الآن قبولها. هذا هو الفضل الوحيد الذي كان باستطاعة رجل ان يحصل عليه. وهذا في الحقيقة تنازل طفيف، لا بد لوساطات جديدة والتماسات جديدة من ان تجدني صلب الارادة قوي الشكيمة لا ألين. (تسمع غمغمة في الخارج). ما هذا الضجيج ؟ هل يحاول هؤلاء ان يضغطوا عليّ لأنكث بعهودي ؟ لن اتراجع عن عزمي مطلقاً.

(تدخل فيرجلي وفولمني ومعهما مرسيوس الصغير، ثم فاليري والمرافقات والجميع في ثياب الحداد).

زوجتي تأتي اولاً، ثم قلب امي الحنون الذي تكوّن فيه هذا الصدر، امي الممسكة بيد حفيدها الاصيل. لكن، لم يعد من مكان في فؤادي لأية عاطفة. فلقد تمزقت كل الصلات والامتيازات الطبيعية. إذْ أضحت فضيلتي الوحيدة ان اكون جلموداً لا أرق ولا اشفق (ينظر الى المرأتين وهما تنحنيان امامه) ماذا يفيد هذا السلام المتواضع ؟ ماذا تفيد انظار الحمائم هذه التي تغيظ الآلهة الغضبى ؟ ما لشعوري يلين ؟ انا لست صخراً اصمّ. ها هي امي تنحني كأنها رؤيا مقدسة لا بد للأولمب مقرّ الآلهة من ان يتذلّل، وابني الصغير يسدّد الي انظاراً متوسلة تذيب الجماد، ويهتف بي : لا ترفض. دع جماعة الفولسك يجرّون المحراث وحدهم في حقل روما ثم المسلفة لدرس القمح في بيادر كل ايطاليا. فلن اضعف وان انساق وراء غريزتي. بل سأقاوم كرجل وُلد من ذاته ولا يعرف له ابوين ولا اهلاً.

فيرجيلي : يا مولاي، يا زوجي الحبيب .

كوريولانوس : لم اعد ارى بذات العيون كما كنت في روما.
فيرجيلي : الحزن الذي غيّرنا كثيراً يحملك على هذا الاعتقاد الخاطىء.
كوريولانوس : نظير ممثل سخيف نسيت كلام دوري، وانا تائه في ضباب المجهول والضياع. (لفيرجيلي) انت، يا اطهر جزء من كياني ارجو منك العفو على ما ابديه من فظاظتي، لكني لا اطلب منك ان تسامحيني عن الرومان. فقبلتك اطول من منفاي. واحنّ من انتقامي (يعانقها) اقسم بعزة السماء ان هذه القبلة هي ذاتها التي زوّدتني بها يوم غادرتك يا عزيزتي، لان شفتي الأمينة حافظت دوماً على عذريتها. ايتها الآلهة مالي أهذي، وانا لم اوجه بعد سلامي الى والدتي النبيلة. إلصقي في الارض ركبتي امام امي، واتركي في مكانك خضوعاً اوقر من اي احترام ابن في الدنيا نحو والدته.

(يركع)

فولمني : (تنهضه) ألا ابقَ منتصباً باعتزاز، ولتحلّ عليك جميع بركات الارض والسماء بينما انا على هذه الوسادة من الحصى اجثو امامك باتضاع وبهذا البرهان الصادق على اجلالي اناقض واجب البنوّة نحو الامومة

(تركع).

كوريولانوس : ماذا ارى ؟ انت جاثية امامي انا ابنك، يا افضل الامهات بعد ان كنت تصلحين اخطائي بحقّ. لم يبقَ سوى ان يرجم حصى الشاطىء نجوم السماء، بينما ترشق الرياح المتمردة شموخ الارز باشعة الشمس الساطعة. انت تزيلين من الوجود كلمة مستحيل بجعلك ممكناً ما لا سبيل الى تحقيقه في المجال المعقول.
فولمني : ما لك تحاربني هكذا انا التي درّبتك على الرماية (تشير الى فاليري) هل عرفت هذه السيدة ؟
كوريولانوس : اجل هي أخت بوبليكولا النبيلة، قمر روما العفيفة النقية كقطعة الجليد المكونة من انصع ثلج يغطي معبد ديانا، هي عزيزتي فاليري.

فولمني : (تقدم له ابنه) هذا امتداد شخصك مصغراً، يمثل المستقبل ويسعه ان يكون شبيهك تماماً.

كوريولانوس : (ينظر الى ولده) ألتمس من اله الجنود، بموافقة الاله المشتري، ان يوحي النبل والسمو الى افكارك. املي ان تظل في منأى عن العار والذل، وان تكون في المعارك نبراساً يقاوم جميع الرياح لتنقذ كل من يستجير بك.

فولمني : (لمرسيوس الصغير) اركع ايها الولد.

كوريولانوس : هذا هو ولدي الحبيب.

فولمني : هو بالذات، وهذه السيدة زوجتك، وانا امك، نأتي اليك ملتمسين متوسلين.

كوريولانوس : استحلفك ان تصمتي. وقبل ان تسألي، تذكري ان مقاومتي طلباتك التي اقسمت بان ارفضها، يجب ان لا تعتبريها كرفض نهائي. لا تلمحي عليّ بأن اصرف جنودي وان أستسلم ايضاً مع عمال روما. لا تقولي اني خالٍ من كل انسانية. لا تحاولي ان تهدئي غضبي وحقدي باعذار واهية.

فولمني : كفى، كفى. صرحت الآن بانك لن تطلب مني اي شيء غير ما سبق ان رفضته. مع ذلك اكرر طلبي حتى اذا رفضته، تقع الملامة على تصلبك وحده. اصغي اليّ اذاً.

كوريولانوس : انتِ واوفيديوس وقوم الفولسك كونوا شهوداً، لأني لا اريد ان اسمع اي نبأ عن روما بالسر. ما هو طلبكِ

(يجلس)

فولمني : عندما نظل ساكتين لا ننبس باية كلمة، ينبئك هندامنا وحالة اجسامنا المسكينة عن العيشة التي عانيناها منذ تغيّبك. قرّر كم انا تعيسة اكثر من جميع نساء العالم حين مجيئي الى هنا، بما ان مشاهدتك تسبب انهمار الدموع من عيوننا وزيادة خفقان قلوبنا تضطرنا الى التحسّر والارتجاف هلعاً والماً لرؤية امّ وزوجة وابن وزوج واب تتمزق افئدتهم لضياع وطنهم وهلاكه. نحن كمخلوقات ضعيفة نرى حبك شؤماً علينا اذ كيف نستطيع ان نصلّي لأجل بلدنا كما يفرضه علينا الواجب، ولاجل انتصارك كما يمليه علينا حبنا

لك. يا للاسف، علينا ان نضحيّ بوطننا العزيز الذي يحتضننا او بشخصك الحبيب أمل وطننا الوحيد، وان نتحمل الكثير من العناء مهما كان تحقيق امنيتنا يستحق العذاب بدون ان نتساءل من اين يأتينا النصر. اذ لا بد لنا من ان نرى قريباً جاحداً غريباً يغل القيد يديه ويجرّ اقدامه الثقيلة الراسخة في الاصفاد، عبر شوارعنا او يدوس برجليه تشفياً ما تهدم من ديارنا ويحرز اكليل المجد بما اراقه من دماء زوجتك واولادك. اما انا يا بني، فقد صممت على ان لا انتظر مصيري لتقرير نهاية هذه الحرب الغاشمة. إن لم اتوصل الى حملك على اظهار حسن نيتك الى الجهتين بدلاً من ان تدمر احداهما، اعلم انك لن تسير الى مهاجمة بلدك بدون ان تمرّ اولاً وبدون اي شك على جثة والدتك التي انجبتك.

فيرجيلي : وعلى جثتي انا التي انجبت لك ابناً لتخليد ذكرك على مرّ العصور.

الولد: لن يمرّ عليّ انا، لأني ساختفي حتى اكبر واصبح قادراً على مقاتلته.

كوريولانوس : من لا يريد ان تحنو عليه امرأته، وان يتأمله وجه إبنه او محيا امه ؟ لقد تأخرت كثيراً.

(ينهض).

فولمني : لا، لا تتركنا هكذا. اذا ألححنا عليك بأن تنقذ الرومان، ولن يتم لك ذلك إلّا اذا هزمت الفولسك الذين تخدمهم، امكنك ان تحكم علينا باننا نسلبك هذا الشرف الرفيع. لا، لا. نحن نطلب منك ان تصالح الشعبين حتى يتسنى للفولسك ان يقولوا : نلنا منه هذه الرحمة. فيجيبهم الرومان : ونحن تلقينا منه هذه النعمة. وكلا الجانبين يهتفان : بارك الله فيك لانك عقدت هذا الصلح بيننا. انت تعلم يا بني الشهم ان نهاية الحرب غير مضمونة. لكن ما لا شك فيه، هو انك إن انتصرت على روما، ستلحق اللعنة بشخصك على الدوام. وسيذكر التاريخ ان هذا الرجل قد امتاز بكثير من النبل، انما اعماله حرمته منه لانه هدم بلاده، وسيظل اسمه مكروهاً على مرّ الاجيال القادمة. كلمني يا ولدي. انت تكنّ اصدق العواطف حين تحاول التشبه بفضائل

الآلهة. تصرف اذا مثلهم، وبعد ان تنير جوانب الطريق ببروقك ستشقّ بصواعقك جزع السنديانة التي تعترض سبيلك. لماذا لا تتكلم ؟ اتظن ان من اللياقة ان يتذكر الانسان الكبير على الدوام بما يوجّه اليه من اهانات ؟ (لفيرجيلي) تكلمي يا ابنتي، اذ انه لا يبالي بدموعك. (لمرسيوس الصغير) تكلم ايها الفتى. فلربما توصلت حداثة سنك الى هزّ عواطف ابيك اكثر من جميع حججنا. (تشير الى كوريولانوس) ليس في الدنيا ابن مدين لوالدته اكثر منك. مع ذلك تدعني اتشدق كجاحدة الفضل. لم تظهر ابداً في حياتك اعتباراً لوالدتك المُحبة التي، مثل الدجاجة لا تهتم بفراخ غيرها، وقد وجهتك بنصائحها الى الحرب من حيث عدت بالامجاد الباهرة. فاذا كان طلبي غير عادل صارحني بذلك واطردني. لكن اذا كان طلبي محقاً فأنت تنقض العهد الذي فرضته على نفسك، وستعاقبك الآلهة على تهرّبك من الطاعة المتوجبة عليك لأمك. هو يدير ظهره. فاركعي ايتها المرأة لعلّه بفضل تذللنا يعود الى صوابه. لان لقب كوريولانوس يوحي اليه بكبرياء يفوق اصواتنا الخاشعة. فلنركع عساه يهتدي. ركوعاً اذاً للمرة الأخيرة، وبعدئذٍ نرجع الى روما، كي نموت بين اهلنا وجيراننا. هيا انظر الينا. هذا ابنك لا يسعه ان يقول ما يلزم، لكنه يجثو ويمدّ اليك يديه على مثالنا وهو الاقوى فينا على دعم توسلاتنا اليك بان لا تظلمنا وتهجرنا. (وهم ينهضون) هيا بنا نذهب الآن. هذا الشخص كانت امه من الفولسك وزوجته من كوريول وهذا الولد يشبهه من قبيل الصدفة. هيا بنا. تخلص منا. سأسكت حتى تلتهم ألسنة النيران مدينتنا وتقضي علينا. حتى في ذلك الموقف لن تسمع صوتي

كوريولانوس : اماه، يا اماه، ماذا فعلت ؟ (يقبل يد أمه فولمني ويصمت برهة ثم يواصل) أبصر السماء تنفتح والآلهة تخفض انظارها، وليس في هذا المشهد ما هو غير طبيعي. يا اماه ! لقد احرزت نصراً لروما. لكن هذا الفوز، صدقيني، سيكون وبالاً على ولدك، واذا لم يكن قاتلاً سيصبح قتيلاً. لكن، ليكن ما كتب علينا. يا اوفيديوس، اذا لم يعد باستطاعتي ان أحارب، عليّ ان اعقد صلحاً عادلاً. هيا يا اوفيديوس الكريم، قل لي لو كنت في موقفي، هل كنت مثلي سمعت كلام امي او منحتها اقل ممّا قدمته انا لها.

اوفيديوس : انا متأثر وفي حيرة من امري.

كوريولانوس : أجرؤ على الحلفان يا صديقي، ان ليس من السهل ترك الدموع تسيل شفقة من عيوني. انما ستنصحني بان عليّ ان اتصرف هكذا. من ناحيتي انا لن اذهب الى روما. اريد ان اعود معك يا امي راجياً ان تسانديني في هذه القضية انت وزوجتي ايضاً.

اوفيديوس : (على حدة) انا مسرور لانك وضعت رحمتك وشرفك في كفتي الميزان. لاني اريد ان استرد حالاً صلاحياتي وسلطتي. (تشير السيدتان الى كوريولانوس، كأنهما تناديانه).

كوريولانوس : اجل، بعد هنيهة سنذهب لنشرب نخبك معاً، وستعود الى روما ومعك برهان اقوى من الكلام، الا وهو تفاصيل المساومة التي جرت بيننا. هيا تعاليا معنا ايتها السيدتان لانكما تستحقان ان يشاد معبد فخم لتكريمكما. فجميع سيوف ايطاليا وكل اسلحتها مجتمعة لا يمكنها ان تعقد مثل هذا الصلح المشرف.

(يخرج الجميع).

المشهد الرابع
في روما تحت قبة الكابتول

منانيوس : هل ترى هناك تلك الزاوية من الكابتول القائمة كعلامة فاصلة.

سيسينيوس : نعم، ماذا تقصد بهذا القول ؟

منانيوس : لو أمكنك ان تزيحها من مكانها باصبعك الصغير، لأصبح للسيدات الرومانيات وبنوع خاص امه، حظ كبير في التأثير عليه. لكني أؤكد لك ان لا أمل بذلك البتة. رقبتنا باتت في حبل المشنقة ولم يبقَ سوى التنفيذ.

سيسينيوس : هل بالامكان الاكتفاء بوقت قصير لتغيير طبيعة اي رجل ؟

منانيوس : الفرق شاسع بين الفراشة ودودة الشرنقة. فمن رجلٍ تحول

مرسيوس هذا الى تنين مجنح ولم يعد مخلوقاً زاحفاً ذليلاً.

سيسينيوس : هو يحب والدته بحنو لا مزيد عليه.

منانيوس : ويحبني ايضاً انا والده. وهو الآن يتذكر امه اكثر من حصانه، وهو في الثامنة من عمره. حين يمشي، يتحرك كأنه آلة حربية، فترتجّ الارض تحت قدميه. لا يتورع عن اختراق صدري بنظره، وكلامه كناقوس الخطر، وتمتمته ترن كإنذار رهيب. يجلس على مقعده كأنه الاسكندر متربعاً على عرشه بأبهة ومهابة. ما يأمر به لا يلبث ان ينفذ حالاً ولا ينقصه ليمسي إلها سوى سماء وصولجان.

سيسينيوس : اجل، انما اين عدالته اذا صوّرته كما هو الآن ؟

منانيوس : انا ارسمه حسب ما يبدو لي طبعه. لاحظ جيداً عظم الجبروت الذي نالته منه امه. اذ ليس فيه من الرحمة اكثر مما في النمر الذكر من اللبن. هذا ما ستعرفه مدينتنا على يده، وكل الذنب ذنبك انت.

سيسينيوس : ارجو من الآلهة ان تلطف بنا.

منانيوس : لا. ففي هذه الحالة لن ترفق بنا لاننا نفينا مرسيوس بدون ان نأبه لوجودها. وها مرسيوس مقبل ليقطع اعناقنا بدون ان تكترث بنا.

(يدخل رسول)

الرسول : (لسيسينيوس) اذا شئت ان تصون حياتك، يا سيدي، عد سريعاً. لان النبلاء التقطوا زميلك النائب واساؤوا معاملته، وقد أقسموا جميعهم، اذا لم تعد السيدات الرومانيات بالطمأنينة والأمان الى هنا سيميتهن حرقاً على نار هادئة.

(يدخل رسول آخر)

سيسينيوس : ما الخبر ؟

الرسول : نبأ سارّ. نجحت السيدات في مسعاهن ورحل الفولسك بعد أن مضى مرسيوس. فلا اسعد من هذا اليوم الذي تعيشه الآن روما، والذي يفوق بهجة يوم دُحر فيه « ترقان ».

سيسينيوس : هل انت واثق من صحة هذا النبأ ؟ هل حقاً هو صحيح ؟
الرسول : واثق كما ارى في هذه الساعة قرص الشمس كتلة من نار. اين كنت مختبئاً لكي تشك بما اقول ؟ لم يتدفق مدّ البحر تحت القنطرة مثل الجمهور عبر ابوابنا. اسمعوا (يسمع صوت بوق ومزمار مرفقاً بقرع الطبول وهتافات الشعب) الابواق والطبول والنايات والصنوج وهتافات الرومان تجعل الشمس ترقص طرباً. اسمعوا

(تسمع هتافات جديدة).

منانيوس : هذا نبأ سارّ حقاً. أنا ذاهب لملاقات هاتين المرأتين لان فولمني وحدها تساوي مدينة بما فيها من الحكّام والشيوخ والنواب والنبلاء أمثالك، هي بحر واسع، بل قارة مترامية الاطراف. اراك اليوم سعيداً في تأملاتك بهذا الصباح لم اكن لأدفع فلساً واحداً لقاء عشرة آلاف من حناجركم. اسمعوا ما هذا الابتهاج ؟ (تسمع هتافات وموسيقى).
سيسينيوس : لتحل عليك البركات لقاء هذه الرسالة. ثم اقبل شكري وعرفاني جميلك.
الرسول : كلنا مستعدون للاقرار بفضلهما.
سيسينيوس : هل وصلتا الى جوار المدينة ؟
الرسول : هما على وشك ان تدخلاها.
سيسينيوس : هيا بنا الى لقائهما ومشاركتهما الافراح

(يخرجون).

المشهد الخامس

في روما عند باب المدينة.

تدخل السيدتان الرومانيتان يرافقهما الشيوخ والنبلاء والشعب
في موكب يجتاز المسرح.

الشيخ الاول : (للشعب) هذه شفيعتنا التي انقذت روما. اجمعوا كل انصاركم واشكروا الآلهة واشعلوا نيران الفرح معلنة انتصارنا. القوا بالازهار امامهما. واسكتوا بهتافاتكم تلك الصرخة التي ابعدت مرسيوس. نادوه وسلموا على والدته وزوجته هاتفين : نحييكما ايتها المرأتان النبيلتان.

الجميع : نحييكما ايتها المرأتان النبيلتان.

(تصدح الموسيقى وتقرع الطبول ويخرج الجميع).

المشهد السادس

في كوريول وسط الساحة العامة

يدخل تولوس اوفيديوس وحاشيته

اوفيديوس : (يسلم أحد الضباط ورقةً) اذهب واعلم سادة المدينة باني هنا، وسلمهم هذه الورقة. وحالما يقرأونها، قل لهم ان يوافوني الى الساحة العامة. وهنا بحضورهم وامام الشعب، اثبت ما قلته، وان من اتهمه دخل المدينة وهو يستعد للظهور امام أفراد الشعب على امل ان يبرر نفسه بالكلام. اسرعوا. (يبتعد حارس افيديوس). يدخل ثلاثة او اربعة متآمرين من جماعة افيديوس. اهلاً وسهلاً بكم.

المتآمر الاول : كيف حال قائدنا ؟
اوفيديوس : نظير رجل خنقته احساناته وقتلته محبته.
المتآمر الثاني : ايها النبيل الكريم، اذا ثابرت على الخطة التي شئنا ان نساعدك على تنفيذها، نخلصك من هذا الخطر المحدق.
اوفيديوس : لا استطيع ان أتكلم يا سيدي. سنتصرف حسب رغبة الشعب.
المتآمر الثالث : سيظل الشعب في حيرة وغموض طالما بقيت العداوة بينكما. لكن حالما يسقط احدكما سيستأثر الثاني بجميع المناصرين.
اوفيديوس : اعرف ذلك جيداً. ولكي اجلو هذا الوضع الشاذ أقدم بياناً دامغاً. انا سلمته مقاليد السلطة وقد رهنت شرفي كتأمين على وفائه. وعندما بلغ هكذا القمة لم يتأخر عن ارواء مشاريعه الجديدة بحلاوة تمليقه، فاغرى اصدقائي، ولهذه الغاية تغلب على طبيعته التي ظلت الى ذلك الحين خشنة متمردة ومستقلة.
المتآمر الثالث : لم تلبث وقاحته، يا سيدي، عند استيلائه على الحكم ان افقدته منصبه لأنه لم يحسن الانسجام...
اوفيديوس : كنت مزمعاً ان اتحدث عن ذلك حينما نفي. لهذا السبب جاء الى بيتي وقدم لي رقبته لأذبحه بسكيني. فاحتضنته وجعلته شريكي ولبّيت له جميع طلباته. وتركته يختار من جيشي، ليكمل خططه، رجالاً من خيرة الجنود على اتم الاستعداد لمساعدته. وساهمت شخصياً في انجازاته واعنته على حصد مواسمي التي احتكرها باجمعها لنفسه فخفض من طموحي الى حدّ صيرني مرؤوسه لا مساوياً له وراح يشكرني بابتسامه كأني اجير في خدمته.
المتآمر الاول : هذا صحيح يا مولاي، والجيش تعجب من تصرفه. والأنكى، عندما كان سيد روما، وحين كنا نتكل على جني الغنائم اكثر من تكديس الامجاد...
اوفيديوس : هذا بالذات ما حملني على ملامته. فهناك دموع تذرفها بعض النساء وتخدع كالأكاذيب. وقد تخلى عن الجهد والعمل الذي قمنا به في حملتنا الواسعة. بالنتيجة سيموت، وسيكون زواله مؤشراً لخلاصي من هذه

الورطة. (يسمع ضجيج واصوات طبول وابواق ممزوجة بهتافات الشعب) لكن انصتوا.

المتآمر الاول : انت دخلت مسقط رأسك كساعي بريد ولم يحتفِ احد بقدومك. اما هو فعاد يشق عنان الفضاء بضجيجه.

المتآمر الثاني : وهؤلاء البلهاء الصابرون الذين قتل اولادهم بُحّت حناجرهم وهم يحيونه.

المتآمر الثالث : اختاروا الوقت الملائم اذاً. وقبل ان يشرح موقفه او أن يقدّر عطف الشعب بكلامه المعسول، دعوه يحس بسيوفكم التي تداعب جسمه وندعمها نحن. ومتى انطرح سريعاً على الارض، وافتضح امره بمسعاكم تدفنون حججه واعذاره فوق جثته.

اوفيديوس : لا تزدْ كلمة واحدة. ها هم السادة قادمون.

(يدخل السادة الى المدينة)

السادة : (لأوفيديوس) اهلاً وسهلاً ومرحباً بك في ديارنا.

اوفيديوس : انا لا استحق هذه الحفاوة، لكن ايها السادة الكرام، هل قرأتم بانتباه ما كتبته لكم ؟

السادة : نعم

المتآمر الاول : وفي هذه التلاوة لاقينا بعض الصعوبة في التصديق لأن اخطاءه السابقة قابلة التعويض بسهولة. انما الوقوف حيث بدأ عمله والتضحية بما كسبناه بقوة اسلحتنا، ثم التعويض علينا من حسابنا، وعقد معاهدة صلح مع عدو متخاذل يستسلم، كل هذا في نظري ليس له اي عذر.

اوفيديوس : ها هو يقترب وستستمعون اليه حالاً.

(يدخل كوريولانوس والطبول تقرع والاعلام تخفق وتتبعه جموع من المواطنين في موكب مهيب).

كوريولانوس : احييكم ايها السادة، وقد رجعت كما كنت جنديكم الباسل، بدون ان يقل حبي لوطني عن اليوم الذي غادرتكم فيه. وانا دائماً ممتثل لاوامركم السامية. اعلموا اني ابليت البلاء الحسن في القتال واني قدت

جنودكم من خلال ثغرة دموية حتى ابواب روما. والغنائم التي عدنا بها تفوق على اقل تقدير ثلث أكلاف الحملة. وعقدنا صلحاً لا يقل شرفاً بالنسبة الى جماعة « الانتيات » عما يلحقه من ذل بالرومان وها نحن نسلمكم هذه المعاهدة المعقودة بعد ان وقعها الحكام والنبلاء ومهرها مجلس الشيوخ بخاتمه.

(يقدم مغلفاً للسادة)

اوفيديوس : (يتقدم) لا تقرأوها ايها النبلاء، بل قولوا للخائن انه داس كرامتكم وأذلكم بابغض ما تضمره لكم غطرسته من حقد وضغينة.

كوريولانوس : اي خائن ؟ ماذا تقول ؟

اوفيديوس : اجل، الخائن مرسيوس.

كوريولانوس : انا مرسيوس ؟

اوفيديوس : اجل، انت مرسيوس، كايوس مرسيوس. اتظن اني امنحك وسام كوريول مكافأة على ما سلبته من غنائم فوق اسمك كوريولانوس الذي اغتصبته. ايها السادة، ويا رجال الدولة، لقد خان مصالحكم بفظاعة. ولقاء كَم دمعة كاذبة قد تخلى عن مدينة روما، مدينتكم. ولاجل امه وزوجته فقضى عهده وحنث بقسمه الشبيه بشلة من الحرير المشعث على الشوك، بدون ان يراجع مجلسكم الكريم. وامام دموع مرضعته احتقر انتصاركم، فاصفرت الوجوه خجلاً منه وراح الرجال ينظرون بعضهم الى بعض بدهشة ووجوم.

كوريولانوس : يا اله الحرب مارس هل تسمعه يراوغ ؟

اوفيديوس : لا تلفظ اسم هذا الاله، ايها الولد المهووس، يا ابن الدموع الخداعة.

كوريولانوس : ماذا تقول ؟ ما هذا الهذيان ؟

اوفيديوس : كفانا ما أغدقته علينا من مكرك وغدرك.

كوريولانوس : (بصوت كهزيم الرعد) منافق خسيس، طعنت قلبي ايها الصعلوك الحقير. سامحوني يا سادتي، ايها الرجال الشجعان، هذا الكلب

يكذب، وضميره سيوبخه على خيانته حتى يضمه القبر ويخلّصنا من شره ودسائسه.

السيد الاول : اصمتوا كلاكما واتركاني اتكلم

كوريولانوس : قطعوني ارباً ارباً. يا رجال الفولسك، وايها الكبار والصغار، وجّهوا الي نصالكم. (لأوفيديوس) هل انا ولد، ايها الكلب النابح. لو كتبتم اخباركم بنزاهة لرأيتموني كالنسر بين الحمائم. لقد جابهت هنا في كوريول الواجفة جميع جنود الفولسك وكنت وحيداً. فهل تعتبروني رغم ذلك ولداً ؟

اوفيديوس : ما قولكم ايها السادة ؟ هل تسمحون لهذا الجاحد الجبان ان يذكركم بانجازاته الخائبة التي مرّغتكم بالذل والهوان، وهو يكررها على سمعكم وبصركم.

المتآمرون : لا بد له من ان يموت جزاء خيانته.

صوت من الجمهور : مزقوه ودوسوه بارجلكم، فقد قتل ابني وابنتي وقتل ابن عمي كما قتل ابي.

السيد الثاني : (للشعب) اسكتوا، لا تضجوا ولا تشتموا. اما اهانته ايانا الاخيرة فسنجري فيها تحقيقاً قضائياً.

فتوقف، يا اوفيديوس، وكفّ عن تعكير الجو.

كوريولانوس : كم اتمنى ان انال منه ومن ستةٍ امثال اوفيديوس هذا المنافق ومن كل افراد قبيلته، واطعنهم بخنجري المنتقم العادل.

اوفيديوس : (ينتضي خنجره) ايها النذل الوقح.

المتآمرون : (ينتضون خناجرهم) أقتله، أقتله.

السادة : كفى، كفى. توقفوا، توقفوا (ينقض اوفيديوس والمتآمرون على كوريولانوس الذي يسقط ويلفظ انفاسه الاخيرة. فيطأ اوفيديوس جثته بقدمه).

اوفيديوس : ارجو منكم ان تصغوا اليّ، يا سادتي النبلاء.

السيد الاول : ماذا تريد أن تقول يا تولوس ؟

السيد الثاني : لقد ارتكبت حماقة، ستندم عليها ما حييت.

السيد الثالث : لا تطأه بقدمك. (للمواطنين) هدئوا روعكم يا سادة. وارجعوا خناجركم الى اغمادها.

اوفيديوس : عندما تعلم يا مولاي، في غمرة ما اثاره هذا الحقير من هياج، بالخطر الذي يهدد حياة هذا الرجل، سيبتهج برؤية ايامه الأخيرة، قد حان أجلها. تفضل يا صاحب السيادة واطلبني الى مجلس الشيوخ. فاذا لم اثبت اني خادمك الامين، استحق اقسى ما تشاء ان تنزله بي من عقاب.

السيد الاول : خذوا هذه الجثة الهامدة وسيروا في جنازة صاحبها. وصدقوني إن قلت لكم انكم لم تسيروا في موكب جثمان انبل منه الى مثواه الاخير.

اوفيديوس : هدأ الآن غضبي واستولى الحزن على نفسي. هيا احملوه. ليتقدم ثلاثة محاربين لمساعدتي، فأكون رابعهم وليقرع الطبل بحزن فيسمع وقعه الكئيب في كل مكان. نكسوا رؤوس حرابكم الفولاذية. ومهما تسببت هذه المدينة بحداد العديدات من الزوجات والامهات النائحات من جراء ما حلّ بهن من ويلات، يجب ان يقام له ضريح فخم. هيّا ساعدوني اذاً على دفنه بتهيب ووقار.

(يخرجون حاملين جثمان كوريولانوس على وقع موسيقى جنائزية).

(تمت)

سمبلين

تعريب
أ. ر. مشاطي

اشخاص المسرحية

سمبلين: ملك بريطانيا.

كلوتن: ابن الملكة من زواج سابق.

بستيموس: زوج ايموجان

بيلاريوس: نبيل مبعد، متنكر باسم مورغن.

غيداريوس | ابنا سِمبلين، محسوبان كابني بيلاريوس
ارفيراكوس | الأول معروف بالاسم المستعار بوليدور، والثاني كَلدوال.

فيلاريو: روماني صديق بستيموس.

ياشيمو: روماني صديق فيلاريو

وجيه فرنسي

وجيه هولاندي

لوسيوس: قائد في الجيش الروماني

ضابط روماني

ضابطان بريطانيان

بيزانيو: خادم بستيموس

كرنيليوس: طبيب

وجيهان من بلاط سِمبلين

سجّانان

الملكة: زوجة سِمبلين الثانية

ايموجان: ابنة سمبلين من زوجته الأولى
هيلينا: مرافقة ايموجان
اشخاص في رؤيا عابرة
سادة وسيدات وشيوخ رومانيون وقضاة
وجنود ورسل وعدد من الخدم.
تجري الاحداث تارة في بريطانيا، وطورا في ايطاليا.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر ملوك بريطانيا

(يدخل وجيهان)

الوجيه الأول: ليس هنا من احد لا يعبس، لان مزاجنا لا تتحفه السماء بأحسن من توجيهات الملك لأفكار رجال البلاط.

الوجيه الثاني: لكن، ما الخبر؟

الوجيه الأول: كان الملك ينوي ان يزف ابنته ووريثته في الحكم الى وحيد زوجته الأرملة التي اقترن بها مؤخرا. لكن هذه الفتاة وهبت ذاتها لوجيه فقير انما جليل. فهي متزوجة وشريك حياتها مبعد، وهي نفسها سجينة، ووضعيَّتها تستدعي الشفقة والاسف. اما الملك فأظنه في حالة يرثى لها من الحزن والكمد.

الوجيه الثاني: هل الملك وحده في هذا المأزق!

الوجيه الأول: ان الشاب الذي خسرها هو ايضا في مثل حالها، وكذلك الملكة التي كانت تتمنى اكثر من سواها تحقيق هذا الزفاف. ولكن لا احد من الحاشية، مع ان الجميع يتظاهرون باستحسان ما يميل اليه الملك،

تراه مرتاحا الى هذه المشكلة التي أزعجت الكل.

الوجيه الثاني: ولماذا؟

الوجيه الأول: لان الذي نجت الاميرة من براثن سيطرته رجل لئيم الطبع ومن أحط الناس. بينما من ظفر بها وتزوجها هو رجل شهم شجاع، انما يا للأسف مبعد بسبب بسالته. انه انسان عالي الاخلاق قلَّ ان يوجد له مثيل، ومتفوق على جميع أقرانه. وهو علاوة على ذلك وسيم الطلعة.

الوجيه الثاني: انت ترفعه عاليا جدا.

الوجيه الأول: اني أبيِّن ما يتحلَّى به من فضائل يا سيدي، وأقول في مدحه أقل مما يستحق.

الوجيه الثاني: ما اسمه، وأين هو؟

الوجيه الأول: انا لا أعرف بالضبط تاريخ أسرته. فوالده يدعى سيسيليوس، وقد انضم بشرف الى كاسيبالان في محاربته الرومان، وحصل على تقدير تنسيوس الذي خدمه باخلاص ونجاح مرموق، فمنحه لقب ليوناتوس. قبل الوجيه المذكور، أنجب سيسيليوس ابنين آخرين ماتا في حروب ذلك الزمان والسيف في أيديهما. ولقد أثرت هذه الفاجعة على ابيهما، ففارق الحياة كمدا. اما ارملته النبيلة، فكانت حبلى، وماتت على اثر ولادة ابنه الذي شمله الملك برعايته وسمَّاه بستيموس، وربَّاه ورعاه واعتبره كأحد أفراد اسرته ووفر له الثقافة التي سمح له عمره باقتبالها. وكان بستيموس يعبّ من العلم أينما لقيه كما يتنشق الهواء. وعندما شب اظهر مقدرة فائقة، فعاش في البلاط مشكورا محبوبا مع ان هذا من النادر حصوله في اوساط الحكام. وكان بستيموس نموذجا صالحا للشبان، ومرآة للرجال الناضجين يصلحون سلوكهم بما تعكسه عليهم من صور المروءة والبسالة، وللأجلاّء من كهول الحاشية ولدا مدللا يعاملهم جميعا بحنكة ومجاملة. اما حبيبته التي يجد نفسه اليوم مبعدا بسببها، فلا تنفكّ عن الاشادة بفضائله ومآثره الحميدة وعن اعلان اعجابها برجولته والتعلق بشخصه الكريم، حتى ادرك الجميع وقوع اختيارها الصريح عليه هو رجل الثقة والشهامة.

الوجيه الثاني: انا احترمه وأقدره لا لشيء الا لما ترويه لي عنه. لكن

ارجوك ان تخبرني، أوليس للملك من ولد سوى هذه الاميرة؟
الوجيه الأول: لم يرزق غيرها. مع ذلك اذا كان الامر يهمك، فاعلم بأن الملك كان له ابنان اختطفا وهما في حداثة سنهما: الأول كان في الثالثة من عمره، والثاني وهو لا يزال رضيعا. والى الآن لم يتوصل احد الى الظن سوًا بأي مخلوق لاتهامه بهذه الجريرة، ولا الى معرفة ما حل بهما.
الوجيه الثاني: وكم من الوقت مضى على هذا الحادث؟
الوجيه الأول: نحو عشرين عاما.
الوجيه الثاني: وهل من الممكن اختطاف ابنَي ملك على هذه الصورة، الا بسبب اهمال حراستهما دون ان يسفر البحث البطيء عن الاهتداء الى اي اثر لهما؟
الوجيه الأول: مهما بدا لك ذلك غريبا، ومهما كان حكمك على هذا الاهمال السخيف قاسيا، فان ما رويته لك هو عين الحقيقة يا سيدي.
الوجيه الثاني: اني أصدّقك.
الوجيه الأول: علينا الان ان نلوذ بالصمت. فها هو مولانا قادم بصحبة الملكة والاميرة.

(يخرجان وتطل الملكة وبستيموس وايموجان)

الملكة: لا يا بنيّتي، كوني على يقين بأنك لن تجدي في شخصي العداوة التي يلصقها الناس بزوجة الاب، ولن أخصك الا بالسهر والعطف عليك. فأنا مكلَّفة برعايتك ولن اكون لك الا حارسة تستأثر بالمفتاح الذي يقفل باب قلبك. وأنت يا بستيموس، كن واثقا بأني سأهدّىء روع الملك المستاء منك، وسأتولى الدفاع باخلاص عن قضيتك حتى أقنعه بقبولك صهرا له، بالرغم من اني لا ازال ارى شرر الغيظ في عينيه. يجمل بك ان تنحني قليلا امام مشيئته بكل ما لديك من صبر تمليه عليك حكمتك المعهودة.
بستيموس: ان أذنتِ لي يا صاحبة السمو، سأرحل في هذا اليوم.
الملكة: انت تعرف ما يحيق بك من أخطار. فأنا خارجة الى الحديقة لاني اشفق على عاشقين تربطهما المودة وتفصلهما مرارة القلق، وأنتما لا تجهلان ان الملك أمر بأن لا تبقيا معا مجتمعين.

(تخرج الملكة)

ايموجان: قبحا لهذه اللياقة المنافقة، وتباً للنعومة التي تختبىء وراءها هذه الشراسة المرائية التي تتظاهر بالعطف والحنو! ان غضب والدي يضايقني يا زوجي الحبيب، لكن الاحترام الذي أكنه له يخفف ما يسببه لي من الكدر. لا بد لك من ان ترحل، وأن أظل وحدي أجابه نظرات والدي الغاضب، لا يساندني في مقاومتي سوى ثقتي بأن في الدنيا جوهرة عزيزة على قلبي لا يتسنى لي ان القاها ثانية.

بستيموس: يا مالكة فؤادي، يا حبيبتي، لا تبكي لئلا يظن من يراك انك تكنّين لي حنانا اكثر مما أستحق. سأظل أوفى الازواج وأخلصهم للعهد. سيكون مقري في روما عند احد اصدقاء والدي يدعى فيلاريو، لا أعرفه الا بالمراسلة. فلا تؤخري عليّ تحاريرك يا ملاكي، وسأرتشف بعينيَّ كل كلمة تكتبينها لي كأنها قطرة ندى، حتى ان كان الحبر علقما او سمًّا زعافا.

(تعود الملكة)

الملكة: تكلم باختصار. فان باغتنا الملك لست أدري الى أي مدى يصل انزعاجه من حضورك (على حدة). ما همّ ذلك. سأبعد خطاه عن هنا لاني لا أريد ان أسبب له أي حزن سأدفع ثمنه كأنه ضريبة على حماقاتي التي تكلفني باهظا.

بستيموس: عندما سأوافيك لاستئذانك بالرحيل ثقي بأن غيابي وإن طال أمده ما تبقّى لنا من العمر، سيزيد ألم فراقنا مرارة. فالوداع.

ايموجان: لا، ابقَ بعض الوقت. فهذا الفراق سيكون قصيرا كأنك ذاهب في نزهة وجيزة على صهوة جوادك.

(تنتزع خاتما من اصبعها)

خذ يا حبيبي هذا الخاتم الذي تزينه ماسة ثمينة قد اهدتني اياها والدتي، واحفظه يا حياتي الى حين زواجك من امرأة اخرى بعد وفاتي انا ايموجان.

بستيموس: ماذا تقولين؟ أأتزوج انا امرأة غيرك؟ يا الهي اشملني برأفتك

ولا تحرمني مالكة فؤادي بل احمني من معانقة اية امرأة اخرى الى ان تحضر منيتي. (يضع الخاتم في اصبعه). ابقَ انت في اصبعي طالما حفظك شعوري بالواجب في حوزتي. وأنتِ يا احلى الحلوات ألا يكفيك ما ينوبك من خسارة باصرارك على عدم استبدالي بمحب آخر، وفي ارتباطك بي انا الرابح الاكبر. ضعي انتِ ايضا هذا في معصمك عربونا لمودتنا الحميمة لانه قيد الحب الذي أود ان اظل اسيره.

(يضع اسوارا في معصمها).

ايموجان: يا الهي متى سنلتقي ثانية؟

(يصل سمبلين فجأة برفقة بعض الوجهاء)

بستيموس: ها هو ذا الملك، يا للاسف.
سمبلين (لبستيموس): اليك عني ايها الحقير. أغرب عن وجهي. واذا لوّثت بعدما اصدرته من امر، بلاطي بحضورك غير المرغوب فيه، فموتا تموت. أهرب لان وجودك بقربي يسمم كياني.
بستيموس: حرستك الآلهة، وباركك اهل الخير الذين يعيشون في بلاطك. انا ذاهب

(يخرج).

ايموجان: طعم الموت ليس أمرّ من هذا الكلام الجارح.
سمبلين: تباً لك من امرأة قاسية القلب! فانك بدلا من ان تجددي شبابي، تثقلين كاهلي بمئات الاعوام وتزيدين همومي.
ايموجان: ارجوك يا مولاي ان تطرد عنك هذا الغيظ. فأنا لا اريد اغضابك بل اشعر بعاطفة نحوك اقوى بكثير، تزيل عني كل حزن وكل خوف.
سمبلين: وتزيل عنك ايضا كل نعمة وكل رعاية.
ايموجان: لم اعد أبالي بالنعم لاني فقدت كل امل بالحياة السعيدة.
سمبلين: انت التي يتسنى لك ان تقترني بابن الملكة؟
ايموجان: بل انا مسرورة جدا بعدم قبولي به لاني اخترت النسر المحلق وتحاشيت الصقر الجارح.

سمبلين: لقد فضلت متسولا، وشئتِ ان تجعلي من عرشي ملاذ لئيم خسيس.
ايموجان: كلا، قل بالاحرى اني اضفت اليه درة نادرة.
سمبلين: ما احقر دناءتك!
ايموجان: يا مولاي انا لا ذنب لي ان احببت بستيموس الذي لم يقع عليه اختياري الا لانك جعلت منه رفيق صباي، وهو رجل يستحق أنبل النساء ويفوقني فضيلة. فالكسب لي بحصولي عليه.
سمبلين: ماذا تقولين؟ هل جننتِ؟
ايموجان: على ما يبدو يا مولاي، واني اسأل السماء ان تشفيني. فأنا لست سوى ابنة راع، وحبيبي بستيموس هو ابن جارنا الراعي نظيره.
سمبلين: ما اغباكِ! (للملكة) قولي لي كيف اجتمعا؟ انت لا تتصرفين حسب اوامري. خذوها واسجنوها.
الملكة: صبرك عليّ. (لايموجان) هدِّئي روعك يا ابنتي، هدئي روعك. (لسمبلين) يا مليكي الكريم ارجوك ان تدعنا معا، وحاول ان تجد لنفسك بعض العزاء في التفكير بأمور أهم من هذه.
سمبلين: آه! ليتها تصاب بنزف دم كل يوم حتى تشيخ وتموت بسبب جنونها.

(يخرج مع الوجهاء ويدخل بيزانيو)

الملكة: قبحاً لك. (لايموجان) عليك ان تتخذي قرارك النهائي. ها هوذا خادمك. (لبيزانيو) ما وراءك من الاخبار، يا سيد؟
بيزانيو: يا مولاتي، لقد استلّ ابنك سيفه في وجه سيدي.
الملكة: املي ان لا يكون قد لحق بأحد مكروه.
بيزانيو: كان ممكنا ان ينقضي الامر كذلك، لو لم يعتبر سيدي هذا اللقاء لعباً بدل الاقتتال، اذ كان بعيدا عن الغضبِ، فتمكن الحاضرون من التفريق بينهما.
الملكة: انا في غاية الامتنان.
ايموجان: ان ابنك بطل في نظر والدي، وبتولِّيه الدفاع دوما عن حقوقه لا يتردد في اشهار سيفه. يا له من شهم شجاع! كم أود ان اراهما وجها

لوجه في افريقيا، وأن اكون بقربهما، وفي يدي مسلة لوخز المتقهقر منهما.
(لبيزانيو) لماذا غادرت سيدك؟
بيزانيو: نزولا عند امره. فانه لم يسمح لي بمرافقته الى المرفأ. وقد زوّدني بتعليماته التي ارى من واجبي تنفيذها حالما يسرّكِ ان تستعيني بي.
الملكة: لا شك في ان هذا الرجل كان ولا يزال خادما امينا لك. واني أراهن على سعادتي بأنه لن يتبدل حيالك.
بيزانيو: بكل تواضع أشكر سموّك.
الملكة (لايموجان): ارجوكِ ان تسيري معي بضع خطوات.
ايموجان (لبيزانيو): اسألك ان تعود بعد نصف ساعة لأتحدث اليك. اذ لا بد من ذهابك الان الى سيدك لتراه وهو يصعد الى السفينة. وحتى ذلك الحين، اتركاني وحدي.

(يخرجان)

المشهد الثاني
في شارع عريض بضواحي القصر

(يدخل كلوتن وبصحبته وجيهان)

الوجيه الأول: مولاي، انصحك بأن تغير قميصك لان عنف تصرّفك جعلك تلهث كأنك المغلوب. فالهواء الذي تنفثه ينبيء بانفعالك، وليس من انفاس في الجو انقى من التي تخرج من صدرك.
كلوتن: اذا كان قميصي ملطخا بالدم أستبدله حالا. فهل جرحته؟
الوجيه الثاني (على حدة): لا لعمري، لم تخدش حتى طرف اصبعه.
الوجيه الأول: مجروح؟ هل تظن ان جسمه قوقعة تخترقها المياه؟ تسأل

ان كان مجروحا؟ ألا اعلم ان جلده كالدرع وانه لم يُصب بأي اذى.

الوجيه الثاني (على حدة): انه يتجاهل ان جلده مرهق بالديون وأنه يهرب من دائنيه الى أقاصي المعمورة.

كلوتن: لم يشأ الشقي ان ينتظرني.

الوجيه الثاني (على حدة): كلا، هو هارب على الدوام من وجهك.

الوجيه الأول: انه يتجنبك. ومع ان ميدانك فسيح جدا فقد وسَّعه بتنازله لك عن الكثير من مجاله.

الوجيه الثاني: ليس اوسع من مدى اصابع يده، بينما لديك مساحات المحيط بأسره. تباً له من محتال!

كلوتن: كم وددت ان لا يفرّق احد بيني وبينه.

الوجيه الثاني (على حدة): وأنا ايضا قبل ان يجندلك ويجعلك تقيس وأنت على التراب طول قامتك وحماقتك.

كلوتن: لا تنسَ انها تحب هذا الغبي وترفضني.

الوجيه الثاني (على حدة): ان كان حسن الاختيار ذنبا، فهي حتما هالكة.

الوجيه الأول: مولاي، كم وكم قلت لك ان جمالها وعقلها لا ينسجمان، فهي واجهة رائعة، لكني على يقين بأن دماغها جامد التفكير.

الوجيه الثاني (على حدة): هي لا تلمع حيال المغفلين خشية ان تضايقها قلة ادراكهم.

كلوتن: هيا، انا عائد الى غرفتي، وأتمنى ان يكون قد اصابه مكروه.

الوجيه الثاني (على حدة): انا لا أتمنى ذلك الا اذا كان قد سقط كالحمار، الامر الذي لا يسبب لاحد ضررا بالغا.

كلوتن: ألا تأتي معنا؟

الوجيه الأول: يسرني ان أرافق سيادتك.

كلوتن: هيا بنا اذاً نذهب سوية.

الوجيه الثاني: حبا وكرامة، يا مولاي.

(يخرجون)

المشهد الثالث
في احدى غرف القصر

(تدخل ايموجان ومعها بيزانيو)

ايموجان: أود ان تمضي الى المرفأ وتسأل عن سيدك في جميع السفن. ان كتب لي، ولم تصلني رسالته، سأكون كالمحكوم عليه الذي اضاع كتاب العفو عنه. ما هي آخر كلمات قالها لك؟

بيزانيو: مليكتي، مليكتي!

ايموجان: وهو يلوّح بمنديله؟

بيزانيو: ويرسل اليك القبل ايضا، يا سيدتي.

ايموجان: تباً له من قليل الاحساس! ارى المنديل افضل مني! وهل هذا كل ما فعله؟

بيزانيو: كلا، يا سيدتي. لقد بقي على ظهر السفينة بقدر ما يسمح البعد لعيني ان تراه، ولأذني ان تسمعه. وكان في يده قفاز وقبعة ومنديل يلوّح به باستمرار، كأنه يعبر عن مشاعره في كل خلجة وكل خفقة من فؤاده المشتاق. ما ابطأه في تقبُّله هذا الفراق، وما أعجل السفينة في اقلاعها.

ايموجان: كان عليك ان لا تغادره، ما دامت عيونك تبصره مهما بعد طيفه وقلّ حجمه وأصبح اصغر من العصفور.

بيزانيو: هذا ما فعلته يا سيدتي.

ايموجان: لو كنت مكانك لحدّقت فيه وأرهقت عينيَّ لكي أظل ابصره، حتى تغيبه المسافة الشاسعة التي تفصله عني، وحتى يبدو لي ارفع من ابرة الخياطة. أجل كنت تبعته بأنظاري حتى يغدو أصغر من بعوضة ويختفي في المدى البعيد، حينئذ أدير ظهري وأبكي. لكن يا بيزانيو الطيب القلب، متى ستردني اخباره؟

بيزانيو: كوني على ثقة يا سيدتي بأنها ستصلك في اقرب فرصة.

ايموجان: عندما غادرته كانت لديّ أمور كثيرة أحدثه عنها. وقبل ان يتسنى لي ان أبيّن له كيف سأفكر فيه في بعض الساعات، وما عسى ان تكون خواطري هذه، قبل ان يتسنى لي ان أحلف بأن نساء ايطاليا لن يعتبروه كخائن عهدي وملوّث شرفه قبل ان أوصيه بأن يتصل بي مبتهلا الى الله في الساعة السادسة باكرا وظهرا وعند منتصف الليل، اذ اكون وقتئذ متضرّعة الى السماء لأجله، وقبل ان امنحه قبلة الوداع بين كلمتين مداعبتين، حضر والدي نظير هبوب إعصار الشمال، فذوت جميع آمالنا المنتعشة كما تذبل الازهار النضرة، وهي لا تزال براعم.

(تدخل سيدة).

السيدة: الملكة يا سيدتي، تسأل سموّك ان تذهبي اليها.
ايموجان: عجّل يا بيزانيو في تنفيذ ما اوصيتك به، وسأوافي الملكة حالا.
بيزانيو: امرك مطاع، يا سيدتي.

(يخرجان).

المشهد الرابع
روما — في قاعة المائدة في منزل فيلاريو

(يدخل فيلاريو وياشيمو والفرنسي والهولندي والاسباني)

ياشيمو: صدّقني يا سيدي، لقد رأيته في بريطانيا وكانت سمعته حينذاك آخذة في السمو، وكانت تصرفاته تبشر بتجلي القيم التي يعترف له بها الجميع. وكنت انظر اليه بدون أي اعجاب حتى عندما جرى تعداد صفاته على رؤوس الاشهاد اثناء حضوره، وكان باستطاعتي ان أتبينها بندا بندا.

فيلاريو: انت تتكلم عن زمن لم يكن فيه، كما هو اليوم، يتمتع بكامل شخصيته الظاهرة والباطنة.

الفرنسي: انا رأيته في فرنسا، وكان بيننا كالشمس الساطعة ينظر اليه الكثيرون بعين الجرأة، كما ينظر هو اليهم.

ياشيمو: ان مغامرة اقترانه بابنة الملك زادت ثقته بنفسه لان صفات امرأته ضاعفت مزاياه الذاتية، لكنها أوحت، بدون شك، بفكرة خاطئة جدا الى جلالة الملك.

الفرنسي: فتمّ ابعاده.

ياشيمو: انما هناك مودّة الذين يعطفون على ايموجان ويأسفون لهذا النفي الجائر المخزي، الذي يساهم بشكل نادر في ترسيخ مكانة بستيموس لديها. اذ لا سبيل الى دعم هذا الاختيار الا بالثناء عليه وإن يكن من غير السهل التراجع عنه، وهذا بالذات ما جعل الاميرة تتشبث برجل لا يملك ثروة ولا لقبا. لكن كيف يجرؤ على المجيء للمكوث معك؟ وكيف توطدت العلاقات بينكما؟

فيلاريو: كان والده رفيقي في حمل السلاح. وأنا مدين له بحياتي مرارا عديدة. (يدخل بستيموس) هذا هو صاحبي البريطاني، فأرجوك ان تستقبله بالحفاوة التي يليق بوجيه من مستواك الثقافي ان تحيط بها غريبا يتمتع بمثل مكانته. أتوسل اليك ان تزيد معرفتك بهذا المولى الذي أوصيك به كأحد اصدقائي النبلاء. وأملي وطيد بأن يكشف لك المستقبل عن عظم شأنه فذلك افضل بكثير في نظري مما أبيِّنه لك عنه اثناء حضوره.

الفرنسي (لبستيموس): لقد عرفته في مدينة اورليان، يا سيدي.

بستيموس: ومنذ ذلك الحين، بقيت مدينا لك بجميل سأرده أضعافا بدون ان استطيع تسديده لك بكامله.

الفرنسي: انت تبالغ جدا في تقدير صنيعي يا سيدي. لقد كنت سعيدا عندما صالحتك مع مواطنك. اذ كان حقا من المؤسف جدا ان تتلاقيا وأنتما تضمران، كل منكما لرفيقه، هذه النيات المشبوهة لاجل مسألة تافهة لا تستحق العداوة.

بستيموس: العفو يا سيدي، كنت في تلك الايام مسافرا شابا قليل الخبرة وكنت أفضل ان أتصرف بغرور على هواي مخالفا ما يرتئيه غيري، وآبى ان أنقاد في اعمالي الى توجيهات من هو أدرى مني. انما الان وقد نضج تفكيري واكتمل رشدي وأدركت كنه الامور فبدون الغمز من قناة احد أصرح بأن مشاجرتي لم تكن ابدا غير مفيدة.

الفرنسي: لعمري، لقد كانت المسألة حقا تافهة، لا تستحق الاحتكام الى السيف لا سيما بين رجلين كان احدهما لا محالة قضى على رفيقه قضاء مبرما، او هلك كلاهما معا.

ياشيمو: هل لي ان اسألك بدون تطفُّل، ما هو موضوع الخلاف ؟

الفرنسي: أعتقد ان لا مانع من ذلك. وبما ان المشادة علنية لا يجوز لاحد ان يستاء من سرد تفاصيلها. كانت المناقشة تدور مساء الامس على وتيرة مألوفة، عندما اخذ كل واحد يشيد بحسناوات بلاده. في تلك الأثناء راح هذا الفارس يؤكد، وكان مزمعا ان يدعم تأكيداته حتى باللجوء الى سفك الدم، ان صديقته أجملهن وأفضلهن وأعقلهن وأطهرهن ولا غبار عليها ولا سبيل الى اغرائها لانها محصَّنة اكثر من جميع نسائنا في فرنسا.

ياشيمو: بدون شك، هذه السيدة ليست من عداد الاحياء في عصرنا الحاضر. او ان رأي هذا الوجيه مغاير لما هو شائع في هذه الايام.

بستيموس: هي لا تزال محافظة على عفتها، كما لا ازال انا محافظا على شعوري.

ياشيمو: لا يسعك ان تضعها في مرتبة تفوق مصاف نساء ايطاليا.

بستيموس: عندما يتحداني احد هنا كما في فرنسا، لن ابدل حرفا واحدا من رأيي فيها وان اتهمت بأني حبيبها لا صديقها.

ياشيمو: قارنوا احدى نسائكم بنسائنا العاقلات الجميلات، فتروا ان هذا رائع بالنسبة الى البريطانية. واذا كانت حبيبتك تفوق حقا كل من عرفت من النساء نظير هذه الماسة التي تكسف كل ما شاهدته من الماس في حياتي، (يبرز بستيموس الخاتم الذي يضعه في اصبعه) سأضطر اذ ذاك الى القبول بتفوّقها على عدد كبير من السيدات. فأنا لم اشاهد أندر ماسة

في الكون، وأنت لم تقع عينك على أنبل امرأة في الدنيا.

بستيموس: لقد جاء ثناؤك عليها حسب تقديري اياها وموازيا اطراءك هذه الماسة.

ياشيمو: بكم تقدّر قيمة هذا الحجر الكريم؟

بستيموس: اكثر من كل كنوز هذا العالم مجتمعة.

ياشيمو: في هذه الحالة، إما ان تعتبرها فريدة عصرها، وقد ماتت، وإما ان تقديرك هو حتما اكثر مما تستحقه امرأة عادية سلبت لبك.

بستيموس: انت واهم. فلكل شيء ثمن. واذا كان لديك ثروة، وكنت مغاليا دفعت لي قيمة هذا الخاتم مهما غلا، او كنت صادقا فتحصل عليه كهبة. أما تلك التي حدثتك عنها فليست سلعة للبيع والشراء بل هي فقط هدية سماوية.

ياشيمو: وهل منحتك اياها الآلهة؟

بستيموس: وبرعايتهم سأحتفظ بها على الدوام.

ياشيمو: يمكنك التبجح بأنها تخصك. ولكن كما تعلم ليس مستبعدا ان تحط الطيور الغريبة على حوض الجيران تماما كما ان سرقة خاتمك ليست بمستحيلة. ثم ان بين درّتين لا تقدَّران بثمن تكون الأولى هزيلة والثانية سريعة العطب، فيأتي اللص الماهر او رجل البلاط الداهية ويحاول امتلاك الواحدة او الاخرى، وربما كلا الاثنتين معا.

بستيموس: ان بلادك ايطاليا لا تحوي رجل بلاط محنكا قادرا على الظفر بشرف حسنائي فاذا وصفتها بالهزيلة من جراء هذه المخاطرة، فاني أشك بأن لديك استعدادا لسلبها، ولذا تراني لا اخشى على خاتمي من الاختلاس.

فيلاريو: دعكم من هذا يا سادة.

بستيموس: انا مسرور يا مولاي بهذا الفارس الشهم الذي اشكره لانه لا يعدّني غريبا. وها نحن بتنا اصدقاء منذ اول كلمات تبادلناها.

ياشيمو: بمحادثة أطول من هذه خمسة أضعاف، سأتولى اكتساب قلب السيدة الجميلة وأجعلها تسايرني حتى الاستسلام اليّ اذا تسنى لي ان انال حظوة في عينيها وأغازلها.

بستيموس: كلا هذا مستحيل.

ياشيمو: اني اجرؤ على المراهنة بنصف ثروتي لقاء خاتمك الذي لا يوازيها بتاتا على ما أعتقد، تشجعني على ذلك سمعتها اكثر من ثقتك بها هذه الثقة العمياء. وأنا مصمم على الرهان، ولكي لا تبخسني جدارتي، أعرض عليك ان أحاول القيام بتجربة على اية امرأة في الدنيا.

بستيموس: اراك تبالغ كثيرا في اقتناعك هذا المهووس. وأنا أشك بوصولك مهما أوتيت من مكر ودهاء الى النتيجة التي تتوخاها.

ياشيمو: اية نتيجة؟

بستيموس: سيكون نصيبك الفشل حتما. ثم ان هذه المحاولة كما تدعوها تستحق امرا أخطر، ألا وهو العقاب الصارم.

فيلاريو: كفى يا سادة. لقد جاءت هذه المناقشة عرضا، فلتنته كما بدأت. أستحلفك ان تتعرف بصديقتي معرفة اوفى.

ياشيمو: انا مستعد لان ارهن املاكي وأملاك اهلي لضمان ما اسلفت.

بستيموس: اية امرأة تختار لاجل هذه التجربة؟

ياشيمو: امرأتك التي تثق بطهارتها وتصر على اثبات أمانتها. دلني على البلاط الذي تعيش فيه، وأنا أراهن بعشرة آلاف دينار مقابل خاتمك بأني بدون اية امتيازات، غير فرصة محادثتها بعض الوقت، سأسلبها هذا الشرف الذي تتصور انت انه في حصن حصين.

بستيموس: انا أراهن على كل ما يخصني من ممتلكات لقاء ما تملك انت من الذهب، لاني احرص على خاتمي حرصي على اصبعي الذي اصبح خاتمي جزءا منه.

ياشيمو: انت عاشق اعمى، وهذا ما يوحي اليك بالثقة. وان تسنى لك شراء جسد امرأة طاهرة، فلن تستطيع المحافظة عليها من الفساد. انا ارى ذلك بوضوح، فهل لديك ما يقلق بالك في هذا المجال؟

بستيموس: هذه الثرثرة اصبحت مألوفة على شفتيك لكثرة تكرارها. في الواقع آمل ان تفكر جديا في المسألة.

ياشيمو: انا سيد امري وأقوالي، وأقسم لك بأني مستعد لتنفيذ ما تعهدت به.

بستيموس: هل تعتقد بذلك فعلا؟ اذاً انا موافق على المراهنة بهذه الماسة الى حين عودتك. فلنختم حديثنا عند هذا الحد. ان فضيلة حبيبتي تفوق بسموها افكارك الخسيسة. وأنا أتحدى تحريضك. فاليك بخاتمي.

فيلاريو: انا لا أود ان يتم هذا الرهان.

ياشيمو: بحق السماء، انا موافق. واذا جئتك باثباتات كافية تبرهن على امتلاكي أثمن كنز في جسم حبيبتك فان مبلغ العشرة آلاف دينار الذي يخصني يصبح لك نظير ماستك. اما اذا رجعت بدون ان احصل على هذا الشرف الذي انت واثق من حرماني اياه، فان ذهبي وهذه الجوهرة والسيدة ايضا، وجوهرتك معها، جميعها لك، بشرط ان تؤمّن لي الوصول اليها بموجب رسالة توصية.

بستيموس: انا راضٍ بهذه المطالب. وليكن بيننا عقد اتفاق مكتوب. وهنا تنتهي مسؤوليتك. وعندما تتم مهمتك في مراودتها عن نفسها، اذا لم تقدم لي برهانا دامغا على انك ظفرت بها، فأنا لن أناصبك العداء، لانها لا تستحق الخلاف فيما بيننا. لكن اذا لم تثبت لي انك نجحت في اغرائها فستسدد لي بحد هذا السيف جميع حسابك عن ادعائك المهين وعن تهجمك على عفتها.

ياشيمو: هاتِ يدك، فالاتفاق تام مبرم على هذا الاساس، وستكتب لنا بنود الاتفاق هيئة شرعية، وسأذهب حالا الى بريطانيا خشية ان تغير رأيك وتعدل عن هذا الرهان الذي اخشى ان يلغيه مرور الزمن. سأجلب معي ذهبي وأسجل رهاننا فورا.

بستيموس: انا موافق.

(يخرج بستيموس وياشيمو)

الفرنسي: أتعتقد بأن هذا الرهان قائم حسب الاصول المرعية الاجراء؟

فيلاريو: لن يتخلى عنه السنيور ياشيمو. فهيا نلحق بهما.

المشهد الخامس
بريطانيا ـ في جناح الملكة

(تدخل الملكة وتتبعها نساؤها ثم كرنيليوس)

الملكة: ما دام الندى لا يزال يكسو الأرض، اذهبن واقطفن هذه الزهور. من منكنَّ لديه الورقة؟

السيدة الأولى: انا يا مولاتي.

الملكة: عجِّلن اذاً.

(تخرج النساء)

والآن يا سيدي الطبيب، هل اتيت بالدواء؟

كرنيليوس: نعم، حسب امرك يا صاحبة السمو. ها هو، يا مولاتي. (يسلمها حنجورا صغيرا) لكني أتوسل اليكِ يا سيدتي: ان لا تستائي من سؤال يدفعني ضميري الى طرحه: لماذا طلبت مني هذا المركَّب السام الذي يسبب الموت البطيء، ويقتل على مهل بصورة اكيدة.

الملكة: انا متعجبة يا دكتور من سؤالك هذا. أولست تلميذتك منذ زمن بعيد؟ أولم تتعلم مني تركيب العطور وصنع المربى الذي يغازلني الملك غالبا لاجل الحصول عليه. وبما اني ماهرة الى هذا الحد، ولا تظنني عفريتة، بل تجد من العدل ان ازيد معلوماتي بمعارف جديدة، تراني أجرب مفعولها على مخلوقات غير مأسوف عليها، لا على كائنات بشرية. وهكذا اختبر قوّتها وأحوِّر مفعولها ببعض المحلولات، ومن هنا اقف على مدى تأثيرها في شتى المجالات.

كرنيليوس: ان هذه العمليات تقسِّي قلب سموّك، والتحاليل لن تتم بدون استدراج الخطر وبعث التقزز والحذر.

الملكة: كن مطمئن البال.

(يدخل بيزانيو)

(على حدة) تباً لهذا الغبي. سأجري عليه اول اختباراتي لانه يخص بستيموس عدو ابني الوحيد. (بصوت عال) ما وراءك من الاخبار يا بيزانيو؟ يا دكتور، لم أعد بحاجة الى خدماتك فيمكنك الان ان تمضي.
كرنيليوس (على حدة): تصرفك يثير شكوكي، وأرجو ان لا تسببي أي أذى.
الملكة: إسمع هذه الكلمة.

(تتحدث بصوت خافت الى بيزانيو).

كرنيليوس (على حدة): انا لا احب هذه المرأة. هي تعتقد بأنها تملك سمًّا عجيبا بطيئا. اني اعرف نفسيتها ولا أريد ان أئتمن مخلوقا مريبا نظيرها على دواء جهنمي مضر كما تظن. فان ما اعطيتها اياه قادر على التخدير فقط وتنويم الحواس موقتا. هي تجربه اولا على الكلاب والقطط، ثم من يدري فيما بعد على من مِن المخلوقات البشرية تجربه؟ لكن ليس في الموت الموقت الذي ينجم عنه من خطر غير تخدير عابر للذهن تليه حياة جديدة أنشط من السابقة. فأنا اخدعها بما أدعي بأنه من السموم، وضميري مرتاح لاني أموه عليها الحقيقة هكذا بصورة مضمونة.
الملكة: انتهت مهمتك ايها الطبيب. فوداعا الى ان أحتاج اليك ثانية.
كرنيليوس: استأذنك بالانصراف.

(يخرج).

الملكة: تقول انها لا تنقطع عن البكاء والنحيب. ألا تظن ان مرور الزمان يكفكف دموعها ويدع عقلها يتغلب على قلقها وهواجسها. باشر عملك وعندما تأتي لتبشرني بأنها تحب ابني سأقول لك حينئذ: بيزانيو، انت عظيم كسيدك، بل اعظم منه لان احواله اخذت تتدهور ولم يعد قادرا على تصعيد أنفاسه، ما دام مجده قد أفل في هذه الساعة. لقد اضحى غير قادر على العودة، كما انه لا يستطيع البقاء حيث هو. وتبديل مكانه لا يعني سوى تحويل بؤسه من سيء الى اسوأ، وكل يوم جديد يغرقه

اكثر فأكثر. ماذا تنتظر من اتكالك على شخص تميد مشيته ولا يقوى على النهوض وليس له من نصير يسانده؟

(تسقط الملكة من يدها الحنجور الذي اعطاها اياه كرنيليوس ويلتقطه بيزانيو).

انت لا تدري ماذا تلمّ يا مسكين. احتفظ به لمعالجة الامراض لانه دواء شافٍ صنعته انا بيدي، وقد انقذ الملك مرات عديدة من الموت المحتم، ولا اعرف أنجع منه. احتفظ به كعربون لكل الخير الذي أتمناه لك يا بيزانيو. ساعد سيدتك ونوّر طريقها المظلم. افعل ذلك كأنك تتصرف من تلقاء ذاتك. فكّر في الفرصة الملائمة التي تنفسح امامك لتخدمها باخلاص. ولا تنسَ انها سيدتك لمدى العمر وانك فوق ذلك تعتمد على ابني لكي يسهّل لك مهامك وقد أستحصل لك من الملك على الترقية التي تتوق اليها. وأخيرا انا ذاتي بنوع خاص اكون ساهمت في اظهار مقدرتك. أؤكد لك بأني سأغمرك دائما بالنعم وسأكون الى جانبك في كل صعابك. هيا نادِ لي نسائي ولا تغفل ما اوصيتك به. (يخرج بيزانيو) هو لص خبيث وأمين معا. لانه رجل ثابت الولاء، لا يتزعزع اخلاصه ولا يحيد عن وفائه، لذا يتكل عليه سيده. هو مستشار ايموجان، يشدد دائما عزيمتها لتتمسك بزوجها. ولقد اعطيته هنا ما يستخدمه ليحرم، عن غير قصد، سيدته الحسناء سعادتها وهي ذاتها فيما بعد، ان لم تليِّن موقفها المتصلّب ستذوق حتما هذا الاكسير الشافي. (يعود بيزانيو بصحبة سيدات يحملن زهورا). هذا جميل، جميل جدا. احمل هذه البنفسجات وهذه الأزهار المتنوعة الى حجرتي. الوداع يا بيزانيو، فكّر جيدا بما قلته لك.

(تخرج وتتبعها نساؤها)

بيزانيو: أجل لن انسى. لكن اذا اتفق لي ان تخونني أمانتي نحو سيدي الكريم فسأخنق نفسي بيدي. هذا كل ما يسعني ان افعله لاجلك.

(يخرج)

المشهد السادس
في جناح ايموجان

(تدخل ايموجان)

ايموجان: والد صارم، ورابّة لئيمة، وطالب زواج غبي يصرّ على الاقتران بامرأة زوجها مبعد. آه! اين انت يا قريني العزيز، يا سيدي ومالك فؤادي، انت مصدر آمالي وآلامي، ان غيابك عني يضاعف عذابي. ليت اللصوص اختطفوني نظير أخويّ. ألا قبحا لمن يتعلقون بكل ما هو مجيد، وسقياً للمتواضعين الذين يرون في الاكتفاء بالاماني البسيطة منهل سعادتهم وهنائهم. (يدخل بيزانيو وياشيمو. وعلى حدة تتفحّص ياشيمو) من هو هذا الرجل الغريب؟

بيزانيو: يا سيدتي، انه وجيه روماني يأتيك برسالة من قبل مولاي زوجك.

ياشيمو: ما لكِ تغير لونك، يا سيدتي؟ ان بستيموس الكريم يتمتع بصحة جيدة ويبلغك أحر سلاماته، يا صاحبة السمو.

(يمد رسالة الى ايموجان).

ايموجان: شكرا لك، يا سيدي. حللت على الرحب والسعة.

ياشيمو (على حدة): ان مظهرها رائع، واذا كانت نفسها كذلك بهية فهي عنوان السعد. تشجعي يا سيدتي وتسلحي من قمة رأسك الى أخمص قدميك لأبارزك كما فعل الاسبرطي وهو يفر، وإلا هربت انا بدون عراك.

ايموجان (تقرأ): « هو في أنبل المراتب، وسماحة روحه قد غمرتني بالافضال، فأرجوك ان تعامليه بالمثل كما تفعلين بحبيبك المخلص.

بستيموس ».

انا لا اتلو بصوت عالٍ سوى هذه الاسطر. اما بقية الرسالة فتبهج فقط مهجة فؤادي وتفعمها بعرفان الجميل. أرحب بك ايها الضيف الكريم بأجمل

ما ينطق به لساني، وأبرهن لك عن حفاوتي بكل ما يسعني ان ابذله في سبيلك.

ياشيمو: اشكرك يا سيدتي الجميلة. هل اصاب الرجال مس من الجنون؟ لقد زوّدتهم الطبيعة بعينين للتأمل في أديم السماء وكنوز البر والبحر، بعينين لا تخلط بين الكواكب المتألقة في كبد الفلك والاحجار الملساء المبعثرة على رمال الشاطىء. أوليست حواسنا مجهزة بأدوات عجيبة تتيح لنا التمييز بين القبيح والجميل؟

ايموجان: ما هو مصدر دهشتك؟

ياشيمو: ليس ضعف النظر طبعا، لان القرود ذاتها اذا وضعت بين انثيين من فصيلتها تميل الى الاجمل بينهما وتبتعد عن الاقبح مرسلة صيحات الاستنكار حيال الأولى ومبدية حركات التحبيذ نحو الثانية، ولا قلة التبصُّر اذ حتى المغفَّل حين يوجد في مثل هذا الموقف لا يسعه ان يتصرف خلافا لهذا المنطلق البديهي، ولا عديم الذوق لان البشاعة المقذعة متى واجهت روعة الكمال تنفر من الجمود ولا تقوى على مقاومة الاغراء الذي تنجذب اليه صاغرة.

ايموجان: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

ياشيمو: ان التمرغ في الملذات يدع الشهوات، عندما تدركها التخمة بدون ان ترتوي، تهرب قبل ان يمتلىء جوفها اثناء ازدرادها أطيب المآكل وقبل ان لا يبقى امامها الا القمامة.

ايموجان: سيدي الكريم، أي احساس يحملك على هذه الاجنحة المحلقة؟ ألا تشكو من أي انحراف في مزاجك؟

ياشيمو: كلا يا سيدتي، انا على احسن حال. (لبيزانيو) أتوسل اليك يا سيد، ان تتنازل وتوعز الى خادمي بأن ينتظرني حيث غادرته، لانه غريب عن هذه الديار ويستولي عليه الارتباك.

بيزانيو: كنتُ يا سيدي على وشك الخروج لاستقباله.

(يخرج).

ايموجان: تقول ان زوجي على احسن ما يرام. فكيف صحته؟

ياشيمو: جيدة جدا، يا سيدتي.
ايموجان: أملي ان يكون سعيدا.
ياشيمو: هو في غاية الابتهاج، وليس هناك غريب منشرح الصدر نظيره حتى دعي البريطاني الماجن.
ايموجان: عندما كان هنا كان يميل الى الكآبة بدون ان يعرف لماذا.
ياشيمو: انا لم أره ابدا حزينا. ففي بيئته هناك فرنسي هو مولى كبير على ما يظهر متدلّه بحب فتاة غاليّة مقيمة في أملاكه وتبدو ملتهبة العواطف. فالبريطاني المرح أعني زوجك يضحك ملء رئتيه بدافع اشواقه الفياضة هاتفا: كيف يتسنى للرجل ان يتمالك عن الانسياق، عندما يدرك عبر التاريخ أو عن طريق السماع او بمجرد خبرته الشخصية، نفسية المرأة وما لا يستطيع مانع ان يصدها عنه، ويقضي حياته في ندب عبوديته وحظه العاثر باستمرار؟
ايموجان: هل يسوغ لمولاي ان يتكلم هكذا؟
ياشيمو: أجل يا سيدتي. ان المرء يضحك احيانا حتى تدمع عيناه. ما اعظم التسلية التي يلاقيها الانسان هناك، اذ يسمع التهكم المتواصل على الفرنسي. ولا اهمية لذلك ما دامت الظروف تجمع على ان هنالك رجلا تقع عليه كل الملامة في هذه المهزلة.
ايموجان: آمل ان لا يكون هو.
ياشيمو: لا، ليس هو. مع ذلك يسعه ان يظهر عرفانا بالجميل لما تمنّ عليه الطبيعة من نعم غزيرة، هو شخصيا موهوب، ولقد استمد منك، انت التي يعتبرك رصينة، خيرا لا يقدّر بثمن. لكني مهما اضطررت للاعجاب به، اراني مدفوعا ايضا للاشفاق عليه.
ايموجان: للاشفاق على من؟
ياشيمو: عليه وعلى مخلوق آخر ارثي لحالهما من كل قلبي.
ايموجان: هل انا احدهما يا سيدي؟ اراك تطيل النظر اليّ، فهل تجد فيّ فجيعة تستحق شفقتك؟
ياشيمو: كم هو محزن ان يهجر المرء الشمس المشرقة ويقبع في كوخ

حقير معتم بقرب رجل مهووس تثقل كاهله الكروب!

ايموجان: ارجوك، يا سيدي، ان توضح جوابك على سؤالي: لماذا ترثي لحالي؟

ياشيمو: كنت مزمعا ان أبيِّن لك ان كثيرات غيرك يتمتعن... لكن هذا من صنيع الآلهة التي تستفز للانتقام وليس من خصائصي انا ان أتحدث عنه.

ايموجان: يبدو عليك انك تعرف امرا يهمني، فأرجوك ان تكشفه لي، لان الخوف من الكارثة غالبا ما يكون أشد ايلاما من العلم بوقوعها. إما لان لا سبيل الى معالجتها، او اذا تنبه المرء اليها في حينها، لا يمكنه استدراكها وتلافيها. أمِط اللثام عن السر الذي تلمح اليه وتكتمه عني هكذا.

ياشيمو: لنفترض ان في وسعي ان اطبع قبلاتي على هذا الخد النضير وعلى هذه اليد البضّة التي تتطلب ملامستها والتشبث بها، من الرجل اغداق أسخى عهود الحب، فاني بهذا الشعور الذي يأسر نظراتي الوجلة ويسمّرها بجمالك، عندما أعاني ظمأ الشوق، اروي غليلي هكذا بحرية، كأني اطير الى الجنة. واذا كررت معانقتك بأذرع خشنة ماكرة، عذّب النفاق ضميري بدون انقطاع، واذا اغمضت اجفاني اخيرا، وشرر الخبث والخداع يتطاير من عيوني كضوء يغشاه الدخان الكثيف ويشوبه القتام الاسود، اكون مستحقا كل نيران الجحيم لمعاقبتي بصرامة على غلاظتي وخيانتي الفظيعة.

(يقترب من ايموجان ليعانقها)

ايموجان: النجدة، يا بيزانيو.

ياشيمو: دعيني أثبت لك اخلاصي بتقبيل شفتيك.

ايموجان: اليك عني يا غادر. كم الوم نفسي على استماعي اليك هكذا طويلا. لو كان لك ذرة من الشرف لما فاتحتني بهذه الوقاحة، ولاحترمت طهر فضيلتي دون ان تجسر على ابداء السفالة الدنيئة التي ترمي اليها. انك تلوّث سمعة وجيه بعيد جدا عما رميته به من تهم كبعدك عن الشهامة والاباء، وتلاحق هنا امرأة شريفة تمقتك اكثر من ابليس اللعين. النجدة، يا بيزانيو.

ياشيمو: ما اسعدك يا بستيموس! لان ايمان زوجتك بك يستحق ثقتك بها، كما هو حال فضيلتك النادرة حيال أمانتها الصامدة. طال عمرك، يا زوجة اكرم مولى تفاخر بمروءته البلاد جمعاء، لانك لا يسعك الا ان تكوني رفيقة انبل الرجال. جودي عليّ بعفوك. انا لم اكلمك بهذه اللهجة الا لأعرف كم هي عميقة جذور وفائك. هذه المرة أود ان أرسم لك صورة صادقة عن زوجك: يكفيني ان اقول انه أكمل رجل وجدته على وجه الأرض، وانه قديس طاهر الذيل تجله كل الفئات وتعشقه جميع القلوب.

ايموجان: اراك تعوض عليه عما سلبته اياه منذ لحظة.

ياشيمو: هو اشبه بإله نزل من عليائه الى ما بين البشر. له مهابة تضعه في مصاف الخالدين. فلا يغيظَنَّكِ ايتها الاميرة الموقرة، اذا تجرأت وجربت ايمانك بروايتي المزيفة. فالاختبار اثبت لي صواب ثقتك بالرجل الكامل الذي وقع عليه اختيارك الصائب والذي لا يدع مجالاً للخطأ والتراجع. ان المودة التي أكنها له في أعماق قلبي حملتني على امتحان عواطفك، لكن الآلهة ميَّزتك عن سائر النساء بالطهر والنقاء من كل شائبة. فأكرر التماسي عفوك.

ايموجان: اعتذارك مقبول وتعويضك كافٍ، يا سيدي. لذا يمكنك ان تستعين بسلطتي في البلاط للوصول الى اهدافك.

ياشيمو: اشكرك يا سيدتي. كدت انسى ان ألتمس ايضا من سموك خدمة طفيفة، ولكن هامة جدا، تتعلق بقرينك وبي انا وبنبلاء آخرين يهمهم الامر.

ايموجان: ماذا تريد؟

ياشيمو: نحن اثنا عشر رومانياً، بيننا زوجك الذي نعتبره خيرة الرجال، قد ساهمنا في جمع مبلغ من المال لشراء هدية للامبراطور. وبما ان الاختيار لانجاز هذه المهمة قد وقع عليّ، بادرت الى شرائها من فرنسا، وهي عبارة عن مجموعة أوانٍ رائعة الصنع. في الحقيقة هي تحف رفيعة الذوق فخمة نادرة وذات قيمة كبيرة. وبما اني غريب عن هذه الديار، اتوق الى حفظ هذه الأواني في مأمن فهل تسمحين لي بإيداعها لديك ؟

ايموجان: بكل طيبة خاطر، وأتعهد بشرفي ان احرص عليها كل الحرص،

بما انك مهتم هكذا بأمرها يا سيدي، وسأخبئها في حجرة نومي.

ياشيمو: هي مرصوفة في صندوق تحت حراسة رجالي. فائذني لي بأن ارسلها اليك هذه الليلة، ما دامت سفينتي ستقلع غدا.

ايموجان: لا، لا، هذا غير ممكن.

ياشيمو: العفو يا سيدتي، اني أستدرك قولي بتمديد اقامتي هنا. فأنا من منطقة غاليا حيث كنت، ولم أجتز البحار الا لوفاء وعدي بأن أقابل سموّك.

ايموجان: اشكرك على ما تجشمته من عناء، وأرجو ان لا ترحل غدا.

ياشيمو: لا بد لي من السفر يا سيدتي. فأستحلفك ان تبلّغي تحياتي الى زوجك عندما تكتبين اليه هذا المساء بالذات. لاني تجاوزت المهلة المحددة لتقديم الهدية، والامر كما ترين في غاية الاهمية.

ايموجان: سأكتب اليه. فارسل لي الصندوق الذي اعدك بأن أحافظ عليه، وأن أرده لك بكل امانة. فأهلا وسهلا.

(يخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

امام قصر ملوك بريطانيا

(يدخل كلوتن واثنان من الوجهاء)

كلوتن: هل في الدنيا اسوأ من حظي العاثر؟ عندما اشرفت على بلوغ مرامي ابصرت غيري يغتنم الفرصة السانحة. فخسرت مئة دينار على الفور. وبعد ذلك، لا ادري أي علج يأتي ليلومني على ما أتلفظ به من شتائم، كأني أستعير منه هذا السباب، ولا حق لي في التصرف هكذا على هواي.

الوجيه الأول: واذا ربح من ذلك؟ لقد ألقمته عشرين حجرا وأخرسته.

الوجيه الثاني (على حدة): من حسن طالعي كان للضحية دماغ اكبر من دماغ المعتدي. وإلا لما بقي له ذرة من العقل.

كلوتن: عندما يكون السيد مستعدا للاهانة، لا يجمل بالحاضرين ان يقاطعوه. أليس كذلك؟

الوجيه الثاني: أجل، يا مولاي. (على حدة) ولا ان يخدش هو آذانهم.

كلوتن: هل يريد هذا الكلب المحتال ان أراضيه انا؟ وهل هو من مستواي؟

الوجيه الثاني (على حدة): هو ليس سوى أحمق.

كلوتن: ولا شيء في الدنيا يضايقني اكثر منه. سحقا له من جبان! وددت ان لا اكون هكذا نبيلا، فلا يجسر احد على منازلتي، لاني ابن الملكة، ولم اجد الى الان غبيا يسعه ان يقاتلني بجرأة. عليّ ان أظل اتبختر كديك لا يجد له مزاحما.

الوجيه الثاني (على حدة): كديك مسمَّن منتفخ الاوداج، انت لا تجاريه الا بالصياح والتشامخ فقط.

كلوتن: ماذا تقول؟

الوجيه الأول: لا يليق بسيادتك ان تقارن نفسك بجميع الاشخاص الذين تهينهم.

كلوتن: لا، انا اعرف ذلك. ولكن لا بد لي من ان أهين من هم دوني مرتبة.

الوجيه الثاني: هذا لا يليق الا بسيادتك.

كلوتن: هذا بالضبط ما أردده.

الوجيه الأول: هل سمعت بأن اجنبيا وصل الى البلاط هذا المساء؟

كلوتن: تسأل عن اجنبي؟ لست ادري.

الوجيه الثاني (على حدة): حقا هو فتى غريب الاطوار، لا يدري بشيء.

الوجيه الأول: نعم، لقد جاء ايطالي يقال انه من اصدقاء بستيموس.

كلوتن: أي بستيموس؟ هذا السافل المبعد؟ مهما كان الامر، فصديقه هو حتما شخص آخر. ومن حدثك عن هذا الاجنبي؟

الوجيه الأول: احد أتباع سيادتك.

كلوتن: هل من مانع لان أذهب وأراه؟ وهل ذلك يخالف الاعراف؟

الوجيه الأول: انت لا يمكنك ان تخالف يا مولاي.

كلوتن: هذا ليس سهلا على ما أظن.

الوجيه الثاني: انت في الواقع بلغت غاية الحمق ولا تستطيع ان تحيد قيد شعرة عن قول السفاهات.

كلوتن: انا ذاهب لأرى هذا الايطالي، ولاسترد منه هذه الليلة ما خسرته اليوم في اللعب. هيا تعال معي.

الوجيه الثاني: سأتبعك عما قليل. (يخرج كلوتن مع الوجيه الأول).

(وحده) هل من الممكن ان تكون عفريتة ماكرة كأمه قد ولدت هذا الحمار، او ان تكون امرأة لا تفوت ذكاءها شاردة ولا واردة قد انجبت ابنا مغفلا كهذا، لا يعرف خمسه من طمسه. لهفي عليكِ ايتها الاميرة ايموجان، ضحية اللؤم والغدر، كم تتعذبين بين والدك الذي تتحكم به أهواء امرأة ابيك، هذه الأفعى التي لا تتورع عن حياكة المؤامرات لك في كل حين، وبين طالب زواج بغيض يصر على الاقتران بك بالرغم من وجود زوجك العزيز على قلبك حيا في المنفى، وعلى الطلاق الفظيع المطلوب منك بإلحاح لهذه الغاية الدنيئة. اني أسأل السماء ان تصون سعادتك وتحفظ نقاوة نفسك الطاهرة، وألتمس لك طول العمر وعودة قرينك المبعد وسلامة ملكك المهدد.

(يخرج)

المشهد الثاني

(حجرة نوم ايموجان، مفروشاتها فخمة. الأرض يكسوها السجاد، وعلى الطاولة اناء من الفضة منقوش عليه مشهد لقاء انطونيوس وكليوباترا عند نهر سدنوس في صقلية.

في الصدر موقد من حجر فوقه تمثال ديانا تستحم والى جانبها كوبيدون المجنح يقف بروعة وبراعة. وهنا وهناك بعض اللوحات، والسقف مزين بملائكة مجنحة. في الزاوية صندوق، وايموجان في سريرها منشغلة بالقراءة على نور مشعل يرتكز على طاولة بقربها).

(تدخل احدى تابعاتها المدعوة هيلينا)

ايموجان: من الآتي الى هنا؟ إحدى نسائي، هيلينا؟

هيلينا: نعم يا سيدتي. انا في خدمتك.

ايموجان: كم الساعة الان؟

هيلينا: قاربت منتصف الليل، يا سيدتي.

ايموجان: لقد قرأت مدة ثلاث ساعات، فتعبت عيناي. ضعي علامة على

الصفحة التي وصلت اليها، واذهبي الى النوم. لا تأخذي المشعل بل اتركيه مضاء. فاذا استطعت ان تنهضي باكرا في الساعة الرابعة ارجوكِ ان توقظيني. لقد غلبني النعاس. (تخرج هيلينا) ايتها الآلهة ألتمس حراستك وأتوسل اليك ان تحميني من الجنّيات ومن أشباح الليل.

(تستسلم الى النوم. فيخرج ياشيمو من الصندوق).

ياشيمو: ها قد خلا لي الجو. بالنوم يريح الانسان حواسه المتعبة. هكذا وقف مواطني « تركان » بلطف على السجادة الناعمة قبل ان يوقظ الحسناء العفيفة التي اغتصبها. ايتها السارحة في جزيرة الاحلام، كم زينتِ مضجعك بالزنبق الناصع البياض كشراشفك المعطرة، وكم أتمنى ان أضمك الى صدري وأن اطبع على خدك ولو قبلة واحدة! ايتها المرجانة الفريدة، ما أغلاكِ على قلبي بنضارتك وأنفاسك العطرة المنتشرة في جو هذه الحجرة! ها هوذا المشعل يرنو اليك كأنه يتأمل اجفانك المسدلة كالستائر الحريرية المزركشة بألوان لازوردية، والمذيَّلة بشراريب، زرقتها تحاكي صفاء أديم السماء. لكن عليّ ان لا أضيّع الوقت وأغفل عن مشروعي. ولكي أتذكر تفاصيل الحجرة بحذافيرها عليّ ان أسجل ما يقع عليه نظري.

(يسحب دفترا صغيرا من جيبه ويكتب بعض الملاحظات)

اللوحات الزيتية. النافذة بقرب السرير الفخم. السجادة تمثل اشخاصا ومشاهد ومواضيع شهيرة. عليّ ايضا ان اكتب ملاحظات عن جسمها هي لانها أهم الف مرة من وصف الاثاث، وتزيد قيمة معلوماتي هذه. ايها النوم الشبيه بالموت، أثقل أجفانها وأفقدها حواسها لتصبح كأنها مسجاة في نعش وسط معبد مهيب. (ينتزع اسوارها من يدها). سأحتفظ بهذا الاسوار الذي كان ملتفا حول معصمها كعقدة مستعصية وقد انتزعته كبرهان قاطع دامغ، وكوخز ضمير للزوج اليائس. على نهدها الايسر علامة مؤلفة من خمس بقع تحاكي النقاط الارجوانية البارزة على كم زهرة الربيع. وهذه ضمانة لا يقوى الزوج على دحضها لان البوح بهذا السر الخفي يضطره

الى الاعتقاد بأني خلعت القفل وسلبته كنز سعادته. وهذا يكفيني. (يتظاهر بالكتابة على الطاولة) كانت تقرأ قصة « تاري » والورقة مطوية عند مقطع استسلام فيلومال. هذا كافٍ. لأرجع الى الصندوق وأقفله. عجِّل بالرحيل يا تنِّين الليل، واطلع يا نور الفجر بسرعة، وافتح يا غراب البين عينيك، لاني مختبىء في ظلمة الرعب الرهيب، وبالرغم من وجود ملائكة الجنة هنا لا تفارقني شياطين الجحيم. (تدق الساعة الكبيرة) واحدة، اثنتان، ثلاث، ها هي الساعة الثالثة. حان الوقت، حان الوقت.

(يعود الى الصندوق)

المشهد الثالث

تحت نوافذ جناح ايموجان

(يدخل كلوتن برفقة بعض الوجهاء)

الوجيه الأول: عندما تخسر، يا صاحب السيادة، تبدو اللاعب الاكثر جلَدا والأشد رباطة جأش بين جميع من يتداولون لعب الورق.

كلوتن: ليس من انسان لا يتأثر بالخسارة.

الوجيه الأول: ليس اصلب منك في الخسارة لاعب لانك لا تتحمس الا عندما تربح فقط.

كلوتن: الربح يشجع كل الناس. فاذا توصلت الى كسب قلب اللعينة ايموجان أمسي اغنى الاثرياء. اقترب الصباح على ما ارى، أليس كذلك؟

الوجيه الأول: أجل، طلع النهار، يا مولاي.

كلوتن: كم أود ان تكون هنا جوقة موسيقية! فلقد نصحني البعض ان اسمع حسنائي أحلى الالحان في كل صباح، لانها تتغلغل الى صميم الفؤاد على ما يقال.

(يدخل الموسيقيون)

اضبطوا آلاتكم جيدا، وان تمكنتم من ايقاظها بأناملكم فذلك أولى، وإلا لجأنا الى اللسان ايضا. واذا لم يفعل ذلك فيها فلتظل على ما هي. انما انا لن اتراجع ابدا عن عزمي. فابدأوا بعزف مقطوعة شهيرة ثم اتبعوها بنغم آخر شجي ترافقه كلمات رقيقة وبعدئذ ندعها تفكر في الامر.

نشيد

اسمعي البلبل يشدو على باب السماء
ها هو فابوس إله النوم يوقظه الغناء
فيرسل فارسه الى الينبوع يستحمّ
بقرب الزهرة العطرة المتفتحة الكمّ
وشقيقاتها الورود تبهر بألوانها الانظار
وجموعها ترقب، وقد سئمت الانتظار
فافتحي عينيك يا زينة الحسان
وانهضي واطربي لأعذب الالحان
ها هو الصبح قد بان

كلوتن (للموسيقيين): هيا انصرفوا الان. فان أثّرت فيها موسيقاكم فاني لمقدّرها حق قدرها. اما اذا لم تؤثر فيها فتكون في أذنيها علة لا تقوى على شفائها شعيرات الحصان المربوطة بالقوس، ولا مصران العجل الذي صنع منه الوتر، ولا لأصوات الخصيان والقيان فيها من علاج.

(يخرج الموسيقيون، ويدخل سمبلين بصحبة الملكة)

الوجيه الثاني: ها هوذا الملك.
كلوتن: يسرني ان اكون مستيقظا في ساعة متأخرة من الليل، فهذا دليل على اني افقت من النوم باكرا. ولا يسع الملك الا ان يرعى اخلاصي هذا بعطفه الأبوي. السلام على جلالتك وعلى والدتي النبيلة.

سمبلين: ما لك تنتظر في هذه الساعة على باب ابنتي؟ أولم تشأ العنيدة ان تراك؟

كلوتن: لقد أتحفتها ببعض الموسيقى، ولكنها لم تتنازل الى سماعها.

سمبلين: لم يمض على نفي حبيبها زمن طويل، فلم يتسنَّ لها ان تنساه. لا بد من مرور بعض الوقت لمحو ذكراه من قلبها، ولن تلبث ان تصبح لك.

الملكة: انت مدين كثيرا للملك الذي لا يغفل عن وسيلة يخدمك بها حيال ابنته. فواظب على مغازلتها، وابحث عن الفرص وضاعف اهتمامك بها مهما ابدت لك من جفاء، وتصرف بما يلهمك فؤادك من اللياقات التي لا بد لك من احاطتها بها. أطعها في جميع الأمور ما عدا التي ترمي الى ابعادك عنها، والتي يجب عليك حيالها ان تتعمد قلة الفهم والاحساس الى ان تميل اليك في نهاية المطاف.

كلوتن: قلة الفهم والاحساس؟ لا قبل لي بارتضاء هذه النقائص لنفسي.

(يدخل رسول)

الرسول: اسمح لي، يا مولاي. هناك سفراء قادمون من روما بينهم القائد لوسيوس.

سمبلين: انه رجل ممتاز. واذا كانت مهمته التحذير فليس الذنب ذنبه. يجب علينا ان نستقبله بما يليق من حفاوة بشخصه وبمقام من ارسله الينا، ثم نظرا لما يستحقه هو لقاء ما قدمه لنا من خدمات جليلة. (لكلوتن) يا ابني العزيز، بعد ان تحيِّي حبيبتك يمكنك ان توافيني، لاني بحاجة اليك لاستقبال هذا الروماني. تعالي ايتها الملكة.

كلوتن (وحده): سأكلمها، ان كانت مستيقظة، وإلا تركتها نائمة تحلم (يطرق الباب) اسمحوا لي بالدخول. انا اعرف ان نساءها يُحطن بها احاطة الاسوار بالمعصم، فلماذا لا أرشو احداهن؟ الذهب يفسح المجال دوما للدخول الى كل مكان تقريبا. والذهب قد اغرى حراس ديانا، فجرّوها كالنعجة الى الذبح. والذهب يهلك النبيل الشريف وينقذ اللص الحقير، وكثيرا ما يرسل الى المشنقة الحقير والشريف معا. لا احد يدري ما يسعه ان

يفعل او لا يفعل. انا أود ان أستميل احدى هؤلاء النساء لتدافع عن قضيتي ما دمت لا اتقن أسلوب المرافعة في دعواي. (يطرق الباب) اسمحوا لي بالدخول.

(تقترب احدى المرافقات من الباب)

المرافقة: من الطارق؟
كلوتن: وجيه.
المرافقة: ومن هو هذا الوجيه؟
كلوتن: ابن سيدة رفيعة المقام.
المرافقة (تفتح): كثيرون ممن هم أظرف منك لا يحق لهم ان يتذرعوا بهذا القول. فماذا ترغب، يا صاحب السيادة؟
كلوتن: مقابلة سيدتك، هل هي متأهبة؟
المرافقة: لملازمة حجرتها.
كلوتن (يعطيها كيسا): هذا بعض المال لكي تخصِّيني بمديحك حيالها.
المرافقة: ماذا تبغي؟ أتريد رأيي الخاص بك ام الثناء الذي قد تستحقه؟ ها هي الاميرة قادمة.

(تأتي ايموجان بغتة).

كلوتن (لايموجان): نهارك سعيد، يا احلى الحسان. اسمحيلي بيدك الناعمة.

(تنسحب المرافقة)

ايموجان: نهارك سعيد يا سيدي. انت مستعجل جدا لتلقّي الخيبة، هذا الصباح. فلا شكر لك عندي على مسعاك، ويمكنني ان أصرح لك بأني عاجزة عن مدحك الذي ليس لديّ منه ذرة امنحك اياها.
كلوتن: مع ذلك، أقسم لك بأني احبك.
ايموجان: ان كفاك التلميح، اعتبرت تصرفك رصينا. انما مهما اقسمت من يمين، فلن يكون نصيبك مني الا النفور والازدراء.
كلوتن: ما هذا الجواب؟

ايموجان: رَدِّي هو من قبيل الخشية ان تهتف: « ان السكوت علامة الرضى ». ارجوك ان تكف عن ملاحقتي. ما دمت أعلن لك اني سأقابل تزلفك هكذا على الدوام. لا بد للرجل المدرك الفهيم بعد هذا الصد من ان يعرف كيف يلزم حده وينصرف.

كلوتن: ان أصررت على التشبث بتخبُّطك في هوسك خبط عشواء، سيكون اذعاني لمشيئتك جريمة في حق ذاتي، انا لست مستعدا لارتكابها.

ايموجان: الوغد الوقح فقط لا يعرف الغيظ سبيلا الى صدره.

كلوتن: أتنسبين الوقاحة اليّ انا؟

ايموجان: نعم، وان كنت انا مهووسة، فعليك انت بالفطنة، ولا تحرجني فتغضبني. وهكذا نشفى كلانا معا من بلوانا. انا آسفة يا سيدي، لكون سلوكك الشاذ ينسيني تصرف المرأة اللطيفة لأكلمك باللهجة اللائقة. كن على يقين بأني أعرف جيدا ما أريد، وأعلن لك بكل صراحة من جديد عدم اكتراثي بك، لا بل كرهي الشديد لك، مهما حكمت على قلبي بأنه قُدَّ من الصخر الأصمّ. ويؤسفني جدا ان لا تكون قد ادركت ذلك حتى الان، وإلا لما اضطررتني الى ترديده عليك مرارا عديدة.

كلوتن: انت ترتكبين خطأً فظيعا بعصيانك مشيئة والدك، لان العقد الذي تدّعين بأنه يربطك برجل حقير عاش على الاحسان وعلى فضلات البلاط ما هو الا مستند فاسخ باطل. للناس البسطاء حرية الزواج كي ينجبوا الصعاليك وينشروا البؤس حولهم بارتباطهم على هواهم. انما هذه الوثيقة محرمة عليك بطبيعة انتسابك الى التاج الذي لا يحق لك ان تدنسي شرفه باتصالك بمحتال خسيس هو سائس خيل سخيف بل فتى وضيع الأصل كهذا الذي تتمسكين به.

ايموجان: ما اقسى قلبك! لو صرت ابن الاله المشتري، وأنت لا تستحق ان تكون حتى موطىء نعله، لبقيت تافها لا تصلح لان تكون خادمه. بل سيكون لك شرف عظيم، بسبب ما تنطوي عليه نفسك الخبيثة، ان توصلت الى العمل كأجير جلاد في مملكته. ولسوف يقتلك الحقد والحسد، اذا نلت هذا الامتياز.

كلوتن: ليت الصواعق تنزل على صاحبك وتمحقه!
ايموجان: لن تحل به مصيبة اعظم من تعرّضك اليه بالسوء. فان اصغر بثرة تبرز في جسمه لهي في نظري أطهر وأغلى من كل شعر رأسك عندما تصبح كل شعرة صعلوكا نظيرك (تنظر الى ساعدها) والآن (تصرخ) اليّ يا بيزانيو.

(يدخل بيزانيو).

كلوتن: انتِ اذاً تحتقرينني!
ايموجان (لبيزانيو): اذهب حالا بسرعة، ونادِ وصيفتي دوروتي.
كلوتن: أتحتقرينني الى هذا الحد؟
ايموجان: الى متى ستظل تطاردني ايها الابله المغرور؟ اذهب وقل لوصيفتي ان تأتي باسواري الذي سقط من معصمي بدون انتباه، فهو هدية من سيدك زوجي. لتحلّ عليَّ اللعنة، اذا كنت أريد ان يفارقني حتى ولا اكراما لاكبر ملك في اوروبا. يخيل اليَّ اني شاهدته هذا الصباح، وأنا على يقين بأنه كان يوم امس في معصمي، لاني قبَّلته بالنيابة عن صاحبه (على حدة) ارجو ان لا يذهب هذا الغبي الى زوجي ويخبره بأني ارضى عنه بأي بديل.
بيزانيو: انا أستبعد ان يكون قد ضاع.
ايموجان: هذا كل املي. فاذهب وجئني به بدون تأخير.

(يخرج بيزانيو).

كلوتن: لقد اهنتِني اهانة لا تغتفر عندما صرحت لي بأنك تمقتينني.
ايموجان: أجل، أؤكد لك ذلك تكرارا. وان اردت ان ترفع شكواك الى القاضي، فأنا مستعدة لان أعيد امام الشهود ما قد قلته لك مرارا.
كلوتن: سأعلم أباكِ بالامر.
ايموجان: وأخبر أمك ايضا، فهي حاميتي، وأنا واثقة بأنها ستبيِّن لك خطأك الفاضح. وبناء على ذلك اتركك وأنت في أشد غيظك.

(تخرج).

كلوتن: سأنتقم منك لاحتقارك اياي، وسترين كيف سأرد لك الصاع صاعين.

(يخرج)

المشهد الرابع
روما ـــ في منزل فيلاريو

بستيموس: لا تخف يا سيدي. أريد ان أتيقن من رعاية الملك التي أكدتَ لي انه يحيط بها ايموجان بصورة لا تقبل الشك.
فيلاريو: وما هي وسائلك لجعل الملك يعتنق فكرتك؟
بستيموس: ليس لديّ اية وسيلة. انا مضطر الى انتظار موافقتها المحققة لا محالة مع مرور الزمن. اني أرتجف من برد هذا الشتاء، آملا ان تجيئني الايام المقبلة بالدفء الذي أتمناه. وعلى هذا الرجاء المترجرج، اضع اتكالي لتسديد ما يتوجب عليّ نحوك كصديق. فان اخفقت ستدركني المنيَّة وأنا لا ازال مدينا لك بالكثير.
فيلاريو: ان مودتك وصحبتك تعوض عليّ مالي مع الفائدة. وفي هذه اللحظة، لا بد للملك من ان يكون قد علم بأنباء أغسطس العظيم، وها هو لوسيوس يقوم بالمهمة على أكمل وجه. أعتقد بأن سمبلين سيلبي الطلب ويرسل المتأخر من الجزية. وإلا عليه ان يستعد لمواجهة الرومانيين هنا من جديد، وهو لا يزال يذكر ما تحمَّل شعبه من الآلام.
بستيموس: أما انا، وان لم اكن رجل دولة، ولا أمل لي بأن اصبح واحدا، أظن ان ذلك سيؤدي الى الحرب، وستسمع قريبا بأن الجيوش الموجودة حاليا في مقاطعة غاليا قد احتلت شواطىء بريطانيا التي لا تعرف الخوف قبل ان يدروا بأن اية جزية قد دفعت. ان مواطنيّ مدربون اليوم تدريباً أفضل مما كانوا عليه حين ابتسم يوليوس قيصر لقلة خبرتهم، بالرغم مما يقدّره فيهم من شجاعة لا تهاب المنايا. والآن وقد أضيف انتظامهم الى بسالتهم فان المتحدي سيلمس كم ارتقى الشعب البريطاني في سلَّم التقدم.

(يدخل ياشيمو)

فيلاريو: ما وراءك، يا ياشيمو، من الاخبار؟
بستيموس: لا بد للغزلان الاكثر رشاقة من ان تجر عجلاتكم على الأرض،

وأن تنفخ أشرعتكم كل الرياح مجتمعة لتجتاز سفنكم البحر بمثل هذه السرعة.

فيلاريو: أرحب بك، يا سيدي.

بستيموس: ان الجواب الذي تلقيته هو على ما أظن سبب رجوعك العاجل.

ياشيمو: في الحقيقة، أعترف بأن زوجتك من اجمل ما شاهدتُ من النساء.

بستيموس: وهي من أطهرهن، وإلا لكانت أطلَّت بحسنها من النافذة لتغري المستهترين أمثالك وتنغمس معهم في حمأة الملذات.

ياشيمو: هذه رسالة منها موجهة اليك.

بستيموس: أظنها لا تحوي الا أنباء مطمئنة.

ياشيمو: ربما.

(يفتح بستيموس الرسالة ويقرأها).

فيلاريو (لياشيمو): هل كان لوسيوس في بلاط بريطانيا عندما كنت انت هناك؟

ياشيمو: كان قدومه منتظرا، ولكنه لم يكن قد وصل بعد.

بستيموس: الى هنا ارى الامور تجري على ما يرام. (يُري خاتمه لياشيمو) هل هذا الحجر الكريم لا يزال يحافظ على بريقه، ام تراه قد فقد لمعانه كي لا تضعه كحلية في اصبعك؟

ياشيمو: ان خسرت سأدفع قيمته ذهبا، وسأسافر مسافةً مرتين أطول لأقضي بسرور ليلة ثانية اروع من التي قضيتها في بريطانيا لاني ربحت هذا الخاتم.

بستيموس: المسألة خطيرة جدا، ان كانت قد قبلت بسهولة.

ياشيمو: كلا، كلا، لا سيما امرأة امينة نظير زوجتك.

بستيموس: لا تموّه خسارتك بالتهريج يا سيدي. أملي ان تكون عالما بأننا لا يسعنا والحالة هذه ان نظل اصدقاء.

ياشيمو: هذا واجب علينا يا سيدي العزيز، طالما تقيدتَ انت باتفاقنا. لو لم أبيِّن لك معرفتي الاكيدة بزوجتك، لكانت مناقشتنا امتدت الى ابعد الحدود. لكني في الوقت الحاضر اعلن لك اني كسبت رضاها وخاتمك دفعة واحدة. ولم أغشّ احدا منكما. لاني لم أتصرف الا حسب اتفاقي مع كليكما.

بستيموس: اذا تمكنت من اثبات ادعائك مضاجعتها، فان خاتمي مع يدي ملك لك، وإلا فبعد اساءتك التي تتبجّح بها بحق فضيلتها وعفتها يتحتم على احدنا ان يتخلى عن سيفه لخصمه او ان يجرد احدنا مزاحمه من السلاح، ونهدي سيفينا معا لاول القادمين.

ياشيمو: ان التفاصيل البديهية التي أنوي تقديمها لك ستقنعك حتما. واذا اقتضى الامر سأؤكدها لك بحلفان اليمين، وأنا لا أشك بأنك ستحملني على القيام بهذه الرسميات حالما تجدها ضرورية.

بستيموس: تابع كلامك.

ياشيمو: لنتحدث اولا عن حجرة نومها. انا أقر بأني لم أندس في سريرها، وأعلن ان ما شاهدته في جوانب الغرفة يسترعي الانتباه. هي مكسوّة بالسجاد ومزينة بآنية فضية نادرة، يمثل احدها كليوباترا عند التقائها برجلها الروماني، وهي تحفة رائعة تشهد بمهارة اليد التي صنعتها، وتساوي أضعاف قيمة معدنها، وقد أعجبت ببراعة نقوشها، ودقتها تنطق بحيويتها وروعتها.

بستيموس: كل هذا صحيح. ولا يستبعد ان تكون قد سمعت وصفه مني او من أي شخص آخر سواي.

ياشيمو: هناك أخبار خاصة تزيدك يقينا بصحة معلوماتي.

بستيموس: عليك ان تثبت ذلك، وإلا تعرّض شرفك للاهانة.

ياشيمو: الموقد قائم في جنوب الحجرة، وفوق بلاطته رسم ديانا العفيفة في الحمّام، لا ينقص ابداعها سوى النطق. فالفنان الذي رسم هذه اللوحة الصامتة كان خلاّقا أصيلا، فاق الطبيعة براعة وعبقرية.

بستيموس: هذا ايضا لا يستغرب ان تكون حصلت عليه من رواية ما، اذ كثيرا ما جرى الحديث عليها.

ياشيمو: السقف موشّى بملائكة من ذهب نافر، كما ان هناك تمثالاً من الفضة لكوبيدون مجنّح، واقف على رجل واحدة.

بستيموس (وقد عيل صبره): الامر الاهم هو شرفها. لنفترض انك شاهدت كل هذا بأم عينك وانك تمتاز بقوة الذاكرة، فوصفك محتويات الحجرة ليس برهانا على انك ربحت الرهان.

ياشيمو (يسحب اسوار ايموجان): انا واثق بأن لونك سيمتقع عند رؤية هذه المجوهرة (يبرزها) انظر (يقربها منه). الان انا أمسك بالدليل القاطع، لان هذا الاسوار هو من صنف خاتمك معدنا وصياغة، وأنا مصمم على الاحتفاظ بكليهما.

بستيموس: بحق السماء. دعني ألقي عليه نظرة ثانية، لأرى ان كان حقاً عين الاسوار الذي اهديتها اياه؟

ياشيمو: أؤكد لك انه هو ذاته. فقد خلعته زوجتك من معصمها وأهدتني اياه، وأنا لا ازال معجبا بطريقة تقديمه لي، اذ ضاعفت قيمته. لانها عندما اهدتني اياه صرحت لي قائلة: « لقد تشبثت به في الماضي بكل قواي ».

بستيموس: ألا يُحتمل ان تكون قد انتزعته هي لترسله اليّ؟

ياشيمو: وهل هذا ما كتبته لك؟

بستيموس: لا، لا. ان ما قلته انت صحيح. (يريه خاتمه). خذ هذا ايضا لان رؤيته تكاد تقتلني. فالشرف ليس دائما حيث يتألق الجمال، والحقيقة ليست حيث تبهر الظواهر، والحب ليس حيث يحوم اكبر عدد من الرجال، والمرأة لا ترتبط بقسمها حيال من توهمه بأنها متعلقة به اكثر من فضيلتها التي لا وجود لها في الواقع، فكل هذه الامور باطلة.

فيلاريو: هدىء روعك، يا سيدي. خذ خاتمك لاني لم اربحه بعد. اولا يحتمل ان تكون قد اضاعت هذا الاسوار؟ ومن يدري ان كانت احدى نسائها قد قبضت مبلغا من المال لسرقته منها؟ رد لي خاتمي. ثم أورد لي بعض العلامات الفارقة في جسمها، فهي أضمن من غيرها. لان الاسوار لا بد من ان يكون قد سرق منها.

ياشيمو: أقسم لك بالاله المشتري اني حصلت عليه حين انتزعته هي من معصمها.

بستيموس: هل هو صادق حقا؟ انه يحلف بالاله المشتري. لا شك عندي، بل انا واثق، بأنها لم تضيِّعه، انما استأثر به، لان النساء المرتبطات بقسم يبقين شريفات. لكن، هل يمكن ان توافق هي على انتقاله الى غريب، الا اذا سلمته اياه تسليما حين استسلمت اليه، وهذا برهان قاطع على عارها،

وثمن زهيد لتحوّلها الى عاهرة. (يعرض الخاتم) هيا، خذ أجرك. ولتنازعك اياه جميع أبالسة الجحيم.

فيلاريو: هدىء روعك، يا سيدي. هذا غير كافٍ لاقناع رجل لا يتطرق الريب الى قلبه.

بستيموس: لا تنطق امامي بعد الآن بكلمة واحدة. فليس لدي من شك في انه قد اعتدى عليها.

ياشيمو: هل تريد اثباتات اخرى؟ ان فوق نهدها علامة متوارية قليلا. وأقسم لك بحياتي بأني عندما قبَّلتها تجددت في أحشائي الرغبة بعد الارتواء مما قد غنمته منها. ألا تذكر هذه البقعة؟

بستيموس: أجل وهي تشير الى علامة اخرى اكبر منها، ووحدها فقط تقود الى هوة الجحيم.

ياشيمو: هل تريد ان تسمع المزيد؟

بستيموس: دعني من وصفك هذا، ولا تعدد لي غيره، لان واحدا يساوي الملايين.

ياشيمو: أقسم لك...

بستيموس: لا أريد حلفانا. فلو اقسمت لي، بعدما سردته الآن، بأنك لم ترتكب جرما لاعتبرتك منافقا وصممت على قتلك، حتى ان أكدت لي انك لم تأت أي منكر.

ياشيمو: انا لا اقصد الانكار.

بستيموس: سحقاً لها! لو كانت حاضرة هنا لقطعت لحمها اربا اربا. سأذهب الى بريطانيا وأنفذ فيها وعيدي حتى في عقر دارها وأمام عرش ابيها. أجل سأنزل بها ما تستحقه من العقاب.

(يخرج).

فيلاريو (يشير الى بستيموس المنصرف): لقد اخرجه الغضب عن صبره. (لياشيمو) وربحت انت. تعال نتبعه ونبدد عنه ما تملكه من الغيظ.

ياشيمو: هيا بنا.

(يخرجان)

المشهد الخامس
روما ـــ في مكان منفرد

(يدخل بستيموس)

بستيموس: أولا يمكن خلق الرجال بدون اشتراك المرأة في نصف هذا العمل؟ يخيل اليّ اننا كلنا اولاد الزنى، ولا ادري اين كان الرجل الاصيل الذي ادعوه ابي، حين حبلت بي امي، وأخشى ان يكون رجل آخر مخاتل خدّاع قد دقني بمطرقته؟ مع ان والدتي تعتبر طاهرة كديانا عصرها، نظير زوجتي في الوقت الحاضر بالنسبة الى ولدها العتيد العجيب. فالى الانتقام. كم مرة طلبت مني العدول عن رغباتي الشرعية والتمست مني الامتناع، وخداها متورّدان حياء الى حد يستفز رصانة الاله ساتورن. كنت اعتقد بأنها أطهر من الثلج القابع في الظل، واذا بياشيمو الشاحب اللون ينبري من بين جميع الشياطين في ساعة مشؤومة، بل ربما أقل من ساعة، منذ الدقائق الأولى وبدون ان ننبس ببنت شفة، كخنزير جرماني قذر قضى لبانته منها. ولتغطية هذه الجريمة الاخلاقية البشعة، لم يلقَ منها سوى مقاومة طفيفة شكلية كان يتوقعها، وبعناق واحد وضمة واحدة التحم جسده النتن بجسدها النجس. ليتني قادر على ادراك ما ينوبني من المرأة. اذ ليس في الرجل من ميل دنيء لا يستمده من المرأة بكل تأكيد. هل تعلّم الكيد والنفاق الا من المرأة؟ والمداهنة الا منها، والجحود الا منها ايضا، والدعارة والبذاءة الا منها هي، والحقد والتشامخ والطمع والانجراف في سيل الاهواء الفاسدة، والازدراء والحسد والنميمة والتقلّب وكافة النقائص والعيوب الظاهرة والمستترة التي يوسوس بها ابليس لم يتعلمها الا منها لانها لا تصدر دائما الا عنها بأجمعها او معظمها، لا بل كلها بدون استثناء ولا أدنى ريب. في الواقع ليس من امرأة تصمد امام الاغراء والاستدراج. سأبادر الى التنديد بها، سأكرهها وألعنها. لا، لا، ان التفنُّن في المقت يجب ان يستبدل

بالصلاة، لكي لا تسيطر عليها اشواقها المنحطة، وحينذاك لا يتسنى للشيطان ان يسومها عذابا أشد وطأة وايلاما.

(يخرج).

الفَصل الثالث

المشهد الأول

في القاعة الكبرى من قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين ومعه الملكة وكلوتن ومرافقون من باب،
ثم يدخل لوسيوس وحاشيته من باب آخر)

سمبلين: تكلم الان. ماذا يريد مني أغسطس قيصر؟

لوسيوس: عندما بات يوليوس قيصر، الذي لا يزال ذكره حيا في أعين الناس، تقليدا خالدا على الالسنة وفي الاسماع، جاء الى هذه البلاد واستولى عليها عمه كاسيبالان، وقد أشاد قيصر بالثناء عليه والافتخار بمنجزاته المجيدة، فتعهَّد هو وخلفاؤه بأن يدفعوا لروما جزية سنوية مقدارها ثلاثة آلاف كيس من المال لم تسددها انت في هذه الايام.

الملكة: ولن تسدد ابدا للقضاء على الاطماع المستقبلة.

كلوتن: سيتربع على العرش عدة قياصرة قبل ان يولّى يوليوس قيصر جديد جدير. لان بريطانيا وحدها عالم قائم بذاته. ونحن الان غير مستعدين لدفع أي مبلغ بغية المحافظة على حقوق تنقلاتنا.

الملكة: ان الظروف التي ساعدت الرومان في الماضي على اخذ أموالنا

تساعدنا بدورنا على استردادها الان منهم. تذكّر، يا صاحب الجلالة، في ذات الوقت اجدادك الملوك الاشداء، والعقبات الطبيعية التي تحفل بها جزيرتك، وهي كحديقة نبتون المليئة بالحواجز الصخرية الصعبة التسلق والامواج الهائجة والشواطىء الرملية التي تصدّع مراكب اعدائك حتى أعالي أشرعتها بدلا من ان تساندها. هنا أحرز قيصر فوزا باهرا بفتحه هذه البلاد، لكنه لم يفاخر قط بأنه اتى ورأى وانتصر. لان كارثته الأولى التي حلت به أقصته عن سواحلنا، فانكسر مرتين، وتحطمت سفنه كالدمى تقاذفتها جبال أمواجنا المتلاطمة وهشمتها كقشور البيض على نواتىء صخورنا. واذا بالمغفل كاسيبالان، وهو على وشك استبعاد سيف قيصر، يستمتع باذكاء نار الحماس في مدينة « لود » ويستنهض همم البريطانيين.

كلوتن: هيا بنا. لم يعد من موجب لدفع الجزية، لان مملكتنا صارت اقوى مما كانت عليه في اي زمان مضى. وكما قلت لك لم يبقَ لقيصر من هيبة تفرضه على العالم كنسر معقوف الانف، لان ذراعه لم تعد صلبة.

سمبلين: دع أمك يا ابني تنهي حديثها.

كلوتن: لا يزال بيننا عدد كبير من ذوي القبضات القوية نظير كاسيبالان، ولست أدّعي انني منهم، انما انا ايضا لي ذراع، فكيف ولماذا تدفع الجزية؟ اذا كان قيصر قادرا على حجب الشمس عنا وراء ستار، او على اخفاء القمر في جيبه سندفع له الجزية لنحظى بالنور، وإلا ارجوك ان تكف عن ذكر هذه الجزية.

سمبلين: لا بد لك من ان تعلم اننا قبل ان يفرض علينا الرومان الطغاة جزيتهم كنا احرارا، وان عنجهية قيصر الذي يطمع في امتلاك أقطار الدنيا فرضت علينا هذا النير ظلما. فانتفاضة الخلاص من الاستبداد واجبة على كل شعب مناضل، كما ندّعي ذلك. ولنقل هنا لقيصر ان ملموسيوس كان احد أسلافنا، وهو الذي سنَّ شرائعنا وتقاليدنا التي حاول سيف قيصر ان يقطع أوصالها. ان كفاحنا المنقذ سيكون السلطان الذي نتمسك به مهما كان غضب روما هائلا. أجل لقد وضع ملموسيوس شرائعنا وهو اول من كلَّل رأسه بتاج من الذهب ونصَّب نفسه ملكا.

لوسيوس: انا مستاء، يا سمبلين، من اعلانك ان لقيصر الذي اخضع عددا كبيرا من الملوك يتسابقون الى خدمته، اكثر مما في جيشك من ضباط، وان يوليوس قيصر هو عدوك اللدود. فاعلم اني باسم قيصر أشهر عليك الحرب، وسأنزل بك الذل والدمار. لان ثورة لا تقاوم تنتظرك، بعد هذا التحدي وكل ما بدر منك نحوي شخصيا.

سمبلين: اهلا بك يا لوسيوس. لقد جعل قيصر مني فارسا، فقضيت معظم اوقات شبابي تحت امرته. وهو الذي شرّفني بثقته الغالية، يحاول اليوم تجريدي من سلطتي ،ويضطرني الى الاستماتة في الدفاع عن بلادي وعن عرشي. لقد أكد لي البعض ان اهالي مناطق بانون ودلماسيا قد لجأوا الى السلاح لاسترداد حريتهم. فلكي لا نتلقى درسا مماثلا، علينا نحن البريطانيين ان لا نظل مكتوفي الأيدي، وأؤكد لك ان قيصر لن يجدنا مطلقا هكذا.

لوسيوس: هل افهم ان وعيكم يتكلم الان؟

كلوتن:لقد صرح جلالة الملك بأنه يرحب بك. فامكث معنا راضيا مدة يوم او يومين او اكثر. واذا اتيت فيما بعد لرؤيتنا بمقصد آخر ستجدنا معتصمين ضمن حزامنا المؤلف من مياه البحر المالحة. فان تغلبت علينا انتقلت ملكية هذه المياه اليك، لكن ان قضيت نحبك اثناء المغامرة، سيصبح جيشك وليمة فاخرة لغرباننا وينتهي الامر.

لوسيوس: انت قلت، يا مولاي.

سمبلين: انا اعرف ما يبهج السيد، أما هو فلا يجهل ما يفرحني. ومع ذلك أرحب بك.

المشهد الثاني
في القصر

(يدخل بيزانيو وفي يده رسالة)

بيزانيو: ما الأمر؟ هل هناك خيانة زوجية؟ ولماذا تسميني الغول الجاني الذي يشكو منه سيدي بستيموس؟ اني أتساءل عما بلغ سمعك من أخبار مشؤومة؟ ومن هو الأيطالي المتهوّر الذي ينفث سمومه فيما بيننا، وقد استغل بمنتهى السهولة استعدادك لتصديقه؟ هل هي أمنية لا غير؟ كلا، ثم كلا. انا واثق بأن هذا الاغتياب قد مرّغها في الوحل بسبب أمانتها، مع انها صدّت نظير إلهة فوق مستوى البشر لا بصفتها امرأة، جميع الهجمات الشهوانية التي شنها عليها والتي تحطم أمتن الفضائل. آه، يا سيدي! ها انت اصبحت أضعف منها نفسيا وأقل ايمانا بما كنت عليه في الماضي. كيف تريدني ان اقتله باسم المودة والامانة وقد اقسمت لك يمين الاخلاص يوم قبلتني في خدمتك؟ انا افديها بدمي، ان كنت تعتبر ذلك خدمة، ولن يجرؤ احد على اتهامي بالتقصير، وأكون في نظر الجميع قد أديت واجبي الانساني كاملا نحوها ونحوك ايضا. لقد امرتني بأن اقتلها، والرسالة التي وجّهتها اليها تحرضني على التصرف حسبما تأمرني به سيدتي. فتباً لك ايتها الورقة الملعونة، السوداء كالحبر الذي يغطي صفحتك، ايتها الورقة العديمة الاحساس، هل يسعك ان تكوني شريكة في سلوك دنيء كهذا ولا تحافظي على نصوع بياضك الاصيل؟ ها هي سيدتي قادمة. (تدخل ايموجان) انا لا افهم شيئا من الاوامر المطلوب مني تنفيذها.

ايموجان: ما الخبر، يا بيزانيو؟

بيزانيو (يسلمها ورقة): سيدتي هذه رسالة لك من مولاي.

ايموجان: ممن؟ من مولاك؟ بل هي من مولاي انا، من عزيزي بستيموس. انه استاذ ضليع في علم الفلك ويعرف لغة النجوم كما اعرف انا خط

يده. وهو يتنبأ بالمستقبل كمن يقرأ في كتاب مفتوح. ايتها الآلهة ارضي عني واجعلي محتوى هذه الرسالة تطمئنني عن مولاي وحبيبي الذي ارجو ان يكون متمتعا بصحة جيدة وقانعا بنصيبه مما يعانيه بسبب فراقي من آلام، بعضها يقوّي أواصر الحب ويفضي الى الخلاص وهذه منها، وراضيا بكل ما قسم له، ما عدا هذا البعاد المرير. استأذنك ايها الختم الشمعي. (تفض الرسالة). مبارك انت ايها النحل صانع مادة هذا الختم العزيز. ان العشاق وموقعي عرائض الاحتجاج لا يتمنون لك هذا المصير، لانك ترسل المدينين الى السجون كما تكتم رسائل الغرام المغلقة. ارجو ايتها الآلهة ان تكون الاخبار سارة. (تقرأ): « ان عدالة ابيك وغضبته اذا فاجأتني في هذه الاحوال لا تخيفني حدتها ما دمت انت قادرة، يا أعز مخلوق لديّ، على احيائي بنظرة من عينيك. اعلمي اني مقيم في ملفورد هافن في ضواحي مدينة كمبري. فتصرفي بما يوحيه اليك حبك واخلاصك لي، وسعادتك تؤكد لك بأني سأظل امينا على عهدك وتعلقي بك يزداد باستمرار ».

بستيموس

يا له من مخلوق عظيم! هل تسمع يا بيزانيو؟ هو موجود في ميلفورد هافن. قل لي ما هي المسافة التي تفصلنا عنه؟ فاذا كان الانسان لاسباب تافهة يستطيع ان يقطعها متمهلا في مدة اسبوع، لماذا لا اجتازها انا وأطير الى هناك في يوم واحد؟ هيا يا بيزانيو الامين، انت تتوق مثلي الى مشاهدة سيدك. انت لا تبالغ في تقدير الامور نظيري. لكنك مشتاق بكل جوارحك الى ذلك، ولو أقل مني لان حماستي تتعدى كل الحدود. هيا اجب، تكلم بسرعة. على مستشار الحب ان يواصل حديثه بدون انقطاع حتى ترتوي الأذن من سماعه. ما هي المسافة الى ملفورد؟ ستخبرني اثناء الطريق، مَن أمَّن لبلاد غاليا مصيرا أسعد من هذا؟ ولكن كيف السبيل للرحيل من هنا؟ وبأية حجة أتذرع لتبرير غيابي ذهابا وايابا؟ قبل كل شيء كيف الخروج من هنا؟ وإلا ما نفع البحث واستنباط الحيل؟ سنتكلم عن ذلك فيما بعد. ارجوك ان تعلمني، كم من الاميال يمكننا ان نقطع على متن الحصان

من ساعة الى اخرى؟

بيزانيو: عشرين ميلا بين طلوع شمسين يا سيدتي، وهذا يكفينا، بل يزيد.

ايموجان: ماذا تقول يا بيزانيو؟ ان رجلا يسير الى اعدامه لا يمشي بمثل هذا البطء. لقد بلغني ان رحلات تمت على ظهر الخيل بموجب رهان، كانت اسرع من حبات الرمل المتدحرجة في بطن الساعة الرملية. هذا طبعا من قبيل المزاح. اذهب وقل لوصيفتي ان تتصنَّع المرض وتدّعي بأنها تريد العودة الى والدها، ثم استحصل لي على ثياب للسفر في زيّ خادم لدى وجيه قروي، ولا تساوم بالسعر.

بيزانيو: الافضل لك يا سيدتي، ان تفكري مليا في الامر قبل ان تقدمي عليه.

ايموجان: امامي الان ارى صديقي الوحيد، وما عداه يمينا ويسارا والى الوراء لا ابصر الا ضبابا كثيفا مضللا. فأرجوك ان تعجل في السعي للرحيل. نفِّذ ما آمرك به، اذ لا مجال لأي قول آخر. وليس من طريق سالك غير الذي يؤدي الى ميلفورد.

(يخرجان)

المشهد الثالث

منطقة جبلية في بلاد غاليا.

في صدر المسرح كهف لا يظهر منه سوى مدخله، وفي احدى الزوايا قبر.

(يأتي بيلاريوس وغيداريوس وأفيراكوس الى المسرح
الواحد تلو الآخر من مدخل الكهف)

بيلاريوس (وهو لا يزال في الكهف): هذا يوم رائع، يجمل بنا ان نقضيه خارج مسكن سقفه قليل الارتفاع كهذا. احنوا رؤوسكم يا اولادي، فهذا

الباب يعوّدكم السجود للسماء ويدعكم تجثون للصلاة كل صباح. فلأبواب الملوك قناطر عالية يستطيع العمالقة فقط اجتيازها وقامتهم منتصبة وقبعتهم على رأسهم بدون ان ينحنوا للسلام على الشمس المشرقة. (وقوفا خارج الكهف) نحييك ايتها السماء الصافية، نحن وان عشنا في قلب الصخر، نحترمك بإجلال اكثر ممن يحيون في المدينة.

غيداريوس: أحييك ايها الفلك العظيم المترامي الاطراف.

ارفيراكوس: أحييك ايها الفضاء الرحب رمز الانعتاق.

بيلاريوس: والآن الى ممارساتنا الجبلية، الى الاعالي يا اصحاب الارجل الفتية. اما انا فسأمشي في هذا السهل على مهل. لاحظوا جيدا، عندما ترونني من فوق صغيرا بحجم العصفور، ان المكان هو الذي يصغّر الانسان او يكبّره، حينئذ يمكنكم ان تفكروا بما رويته لكم من أخبار الامراء وانحرافاتهم ودسائسهم في البلاط، حيث الخدمة لم تعد واجبا مقدسا بل وهماً مموّهاً بمظاهر الحقيقة. وهذا الاقتناع يعلّمنا ان نستخلص العبرة من كل ما يقع نظرنا عليه. فغالبا ما، لارضاء غرورنا، نرى الخنفساء الحقيرة الهزيلة في مأمن من النسر القوي الجناح، بينما في عالمنا الباطن لا يزال النبل ارفع من توسل الوضاعة، وعلوّ الاخلاق أجدى من حياة الخنوع الذي يفرض استيفاء الاجر بدون أي عناء، والترفع عن الدنايا أجلّ من الاحتيال بلبس الحرير بدون دفع أدنى ثمن. كثيرون يحييهم من يخلع عليهم الجدارة بغير استحقاق فيظلون من اهل الحقارة الى الابد، وهذا أسلوب عيش مزيف بعيد عن بساطة حياتنا الوادعة الهنيئة.

غيداريوس: انت تتكلم عن خبرة. أما نحن المساكين الذين لا جناح لنا، فلا نطير الى اقصى من مجال عشنا، ولا ندري أية رياح تهبّ بعيدا عن مسكننا. ربما كانت هذه الحياة القانعة أسعد ما في الوجود، اذا اعتبرت العيش الهادىء فردوسا ارضيا بالنسبة اليك بعدما عانيت من الاهوال في فترة من مراحل عمرك، فلاءمت عمرك الآخذ في العتو. اما نحن فلا نجد فيها اكثر من زريبة يهيمن عليها الجهل، ورحلة لا تتجاوز حدود الطريق، بل سجنا لكل منا كأنه مدين لا يجسر على تخطي باب بيته خوفا من

الالتقاء بدائنه اللجوج.

ارفيراكوس: بماذا ترانا نستطيع ان نتحدث عندما تدركنا الشيخوخة مثلك؟ عندما نسمع المطر والريح ينقضّان علينا في معظم ايام فصل الشتاء ونكون محجوزين في كهفنا. فبماذا نتسلى طوال اوقات الجليد؟ نحن نكاد لا نبصر من دنيانا شيئا كأننا بهائم محجور علينا، نراوغ كالثعلب ليتسنى لنا ان ننتقل من مكان الى آخر، نقاتل كالذئب لنسد جوعنا، ونحصر دهاءنا في التقاط أنفاسنا لعلنا نوسِّع قفصنا الضيق وفي داخله عصفور سجين يتغنى بعبوديتنا ويوهمنا بأننا احرار.

بيلاريوس: ما هذا الكلام؟ ليتكم عرفتم ما في المدينة من مهالك، خبرتها انا بنفسي، وما في البلاط من دسائس ومؤامرات يحاول بواسطتها من يتسنَّم القمة ان يستمر في الاحتفاظ بمكانته، لان الصعود لا بد من ان يعقبه السقوط من العلو المشرف على الانحدار المدوّخ المرهق نظيره. ليتكم عرفتم هموم مهنة الحرب حيث يسعى الرجل الى الاخطار تحت ستار الشرف والمجد. وحيث ان مات وهو لا يزال جادًا وراء مبتغاه، غالبا ما يجازى باللوم بدل الشكر، وأحيانا يعاقب على ما اتاه من خير، والأنكى ان يضطر الى الخضوع للمراقبة المتواصلة. يا اولادي هذه القصة يستطيع العالم ان يطالعها في سيرتي. ان جسمي النحيل يحمل آثار طعنات سيوف الرومان. كانت سمعتي متألقة في ما مضى، وكان الملك سمبلين يحبني. وعندما يأتي على ذكر الجندي الباسل، لم يكن اسمي مستبعدا. كنت شجرة وارفة الظلال مثقلة بأشهى الثمار. لكن ذات ليلة هبَّت العواصف عليّ وانقضَّت الظلمات، سمُّوها ما شئتم، فسقطت عن كاهلي الى الارض جبتي المذهبة وأصبحت عريانا، وعرضة لعوادي الزمان.

غيداريوس: ما اقسى تقلبات الايام.

بيلاريوس: ذنبي الوحيد، كما قلت لكم مرارا، هو شهادة زور وتهمة باطلة ألصقها بي وغدان حقيران، سببت لي فقدان التقدير في عيني سمبلين الذي حجب عني ما أولاني من ثقة، اذ ادعيا امامه بأني حليف الرومان. فأبعدني، ومنذ عشرين عاما أضحت وحدتي بين هذه الصخور كل دنياي.

فعشت في ظلها حرا شريفا، ورفعت الى السماء صلوات تفوق كل ما قمت طوال حياتي الماضية. هيا بنا نرجع بسرعة الى جبلنا، لان حديثنا ليس خرافة صيادين، اول من يصيب منهم الطريدة يمسي سيد العيد ويدين له الاثنان الآخران بالولاء. وهكذا لن يخشى الاذى الذي لا يخلو منه مجتمع مهما سما. سألحق بكم الى الوديان.

(يذهب غيداريوس وأرفيراكوس)

بيلاريوس (وحده): كم يصعب على المرء ان يطفيء شعلة الطبيعة المضيئة. فهذان الولدان يجهلان انهما ابنا الملك، ووالدهما سمبلين لا يعلم انهما على قيد الحياة. هما يظنان انهما ولداي، وان ربيا على هذه الصورة المتواضعة في كهف ينحنيان عند بابه ليدخلاه. فان افكارهما تناطح سقوف القصور العالية، وهما يستوحيان الطبيعة في أبسط الامور وأكثرها تعقيدا، وهذا بالذات ما يدل على كرم محتدهما الملكي الذي يتعدى مظاهر غيرهما. ها هوذا بوليدور وريث العاهل سمبلين على عرش بريطانيا، وكان ابوه يدعوه غيداريوس. بحق السماء عندما أجلس على مقعدي وأروي وقائع حروبي ألاحظ كأن خياله يرفرف حول رأسي. واذا ذكرت ان عدوّي سقط هكذا مجندلا على الأرض واني وطئت عنقه بقدمي، يصعد حالا دمه النبيل الى وجنتيه، ويتصبب العرق من جبينه، وتتوتر أعصابه ويروح يتابع وصفي بانتباه وإباء. اما اخوه الاصغر كلدوال وكان يدعى سابقا ارفيراكوس، فهو ذو خلق مماثل، بل يفوق اخاه حيوية مقرونة بتفكير ثاقب وبعد نظر. اسمعوا لقد سقطت طريدة. ما أشبهه بك يا سمبلين! ان ضميري والسماء يشهدان بأنك ظلمتني اذ نفيتني. لذلك خطفت لك ابنيك في سن دون الثالثة من العمر بغية حرمانك من وريث لقاء اغتصابك مني أرزاقي. وأنتِ يا أرفيل كنت مرضعتهما فجعلاك في مقام والدتهما، وأثر وفاتك ذهبا كل يوم لتكريم ضريحك. وأنا بيلاريوس بالرغم من استبدالي اسمي بمورغن، يعتقدان بأني ابوهما. (يسمع صوت بوق بعيد) ها قد سقطت طريدة اخرى.

(يذهب).

المشهد الرابع
في ضواحي ميلفورد هافن

(يدخل بيزانيو وتتبعه ايموجان)

ايموجان: لقد قلت لي عندما ترجلنا عن ظهر الحصان ان المكان يتسع لاثنين. ولم تكن أمي تصبو الى مشاهدتي اول مرة كما كنت انا اتوق الى الوصول الى هنا. عزيزي بيزانيو، اين بستيموس؟ مالي اراك حائر النظرات؟ لماذا هذا التنهد المتصاعد من أعماق صدرك؟ ان مظهرك هذا يجسد ما يتلاطم في رأسك من قلق قاتل، يرتسم على ملامحك الكئيبة الوجلة قبل ان يستولي الضياع على ذهني المرهق. ماذا جرى؟ لماذا تقدم لي هذه الورقة وعيونك تائهة؟ ان كنت تبشرني بالخير فصرح لي به مبتسما، وان كنت تنذرني بالشر فما عليك الا ان تحتفظ بمحياك الحزين. (تفتح الورقة التي سلمها اياها بيزانيو) الكتابة بخط زوجي. فهل سلبته عقله ايطالية ساحرة لعينة وضيَّقت عليه حرج موقفه. تكلم يا صديقي. لان كلامك يخفف عني وطأة الضربة التي ربما جعلتها هذه الرسالة قاضية عليّ.

بيزانيو: تفضلي اقرإي، فتجدي فيّ، انا الخادم المسكين، رجلا أذله سوء الطالع.

ايموجان (تقرأ): ان سيدتك، يا بيزانيو، قد استسلمت الى سواي في سريري، ولديّ شهادات تدمي قلبي. انا لا أتكلم عن افتراضات وهمية بل عن وقائع واثباتات دامغة لا يتطرق الشك اليها نظير الانتقام الذي أتحيَّنه وأود تنفيذه في هذه المهمة. فعليك يا بيزانيو ان تقوم مقامي، اذا لم يخامرك نكس العهود. انتزع روحها من صدرها بيديك القويتين، وأنا مستعد لان أتيح لك الفرصة لذلك في ميلفورد هافن حيث تجتذبها رسالتي حتما. وهناك اذا لم تقضِ عليها، اذا لم تؤكد لي تحقيق أمنيتي هذه، تكون شريكها في العار وخائنا مثلها.

بيزانيو: ما حاجتي الى استخدام الحسام؟ فهذه الورقة ستسبب ذبحها من الوريد الى الوريد. كلا، ان ما يقتلها هو سم الاغتياب السريع المفعول والقاطع اكثر من حد السيف. واللسان الجارح افظع من جميع تماسيح النيل، وأعتى من الرياح التي تدهور الفارس وهو على صهوة جواده، لانه يرشق بالنذالة جميع من في العالم من ملوك ودول وملكات وعذارى وقوادات، حتى يدفن الاسرار في أعماق القبور حيث تتسلل أفعى النميمة الرقطاء. فما رأيك يا سيدتي؟

ايموجان: آأنا غير امينة لا أحافظ على طهارة سريره في حظيرة زواجنا المقدس؟ ما معنى الخيانة؟ هل هي التمدد ساهدة بدون ان يعرف النوم الى عيني سبيلا، وأنا أفكر فيه، وأن ابكي الساعات الطويلة حسرة على فراقه؟ او مهما قلّ رقادي بعد السهر المضطرب ان يتخلله حلم يهيمن فيه الخوف على مصيره البائس، وأن أستيقظ على صوتي المخنوق من شدة الرعب؟ هل هذا يعني خيانة ما عاهدته عليه من العفة؟ اجبني يا بيزانيو.

بيزانيو: وا أسفاه، يا سيدتي النبيلة!

ايموجان: آأنا خائنة؟ اني أحتكم الى ضميرك، يا ياشيمو. عندما اتهمتك بقلة الحياء، كنت في نظري نذلا حقيرا. اما الان وقد تبدل موقفك فتبدو لي شريفا. اذ لا بد من ان تكون هناك ايطالية متهتكة قد أغوته بتبرّجها وغنجها، لاني انا المسكينة التعيسة لست الان سوى ثوب عتيق عفا عليه الزمن، لا يساوي شروى نقير، ولا بد من رميه مع النفايات. ان تنكر الرجل لوعوده هو الذي يدفع المرأة الى الخيانة، وأكثر مظاهر الفضيلة بعد الخيانة، يا زوجي العزيز، ستتراءى خدّاعة كاذبة وغير طبيعية، لانها ترتدي ملابس الامانة لاصطياد المحبين.

بيزانيو: ارجوك ان تنصتي اليّ يا سيدتي الكريمة.

ايموجان: بعد خساسة بعض ضعاف النفوس اصبح معظم الرجال الصادقين حقا متهمين بالدناءة، وبكاء المراوغين قد حط من كرامة الدموع الطاهرة الوفية ومرّغ في الوحل أرق مشاعر الشفقة. كذلك انت يا بستيموس لوثت بانحطاطك أطهر الناس، وحسبت الامناء والشجعان كأنهم أنذال على غرارك،

لا يتورعون عن ارتكاب مثل جريرتك الفظيعة. هيا يا بيزانيو، لا تحد عن أمانتك ونفّذ ما أوصاك به سيدك. فعندما تراه تبدو على الأقل عادلا في اطاعتي والخضوع لمشيئتي. (تجرّد سيف بيزانيو من غمده وتناوله اياه). انظر، ها انا بيدي أمتشق حسامك، فتناوله واغمده في صدري مستودع حبي النقي. لا تخشَ لوما، فقلبي خال من أي احساس غير العذاب، وسيدك لم يعد ساكنا فيه، مع انه كان حقا كنزي الوحيد الغالي. افعل ما اطلبه منك: أطعني. لقد عهدتك دوما باسلا في كل المجالات، فما بالك الآن تبدو جبانا؟

بيزانيو (يرمي بالسيف الى الأرض): اليك عني ايها الحد الخبيث. لن تكن يوما سبب هلاكي.

ايموجان: ما هذا التردد؟ يتحتم عليّ ان اموت، وإن لم تنفذ انت هذا الحكم، تكون قد عصيت اوامر سيدك. ان الشريعة الالهية التي تحرّم الانتحار تشل يدي وتمنعني عن الاقدام عليه. هيا، هذا قلبي، فخلصني مما أحس بثقل خانق يجثم على صدري. (تفك أزرار صدر ثوبها وتسحب اوراقا) انتظر لحظة، انتظر. انا ارفض كل حماية، لأن طاعتي تعادل خضوعك. ماذا ارى؟ رسائل بستيموس المتستر بالامانة؟ لكن، كم وكم من الكتابات لا تحوي سوى الكفر والدجل. اليكِ عني يا مفسدة تصميمي. لن تكوني ابدا بعد الآن درعا يقي فؤادي. ربما خدع الانبياء الكذبة بعض المغفلين المساكين، لكن مهما عانى الانسان من ظلم الخيانة لا بد من ان يعاقب الخائن بعذاب أشد ايلاما. (تمزق الاوراق وتلقيها في الهواء). وأنت يا بستيموس، انت الذي حملتني على عصيان ابي الملك الذي كرّه اليَّ احترام الامراء أمثالك ستكتشف فيما بعد ان الامر لم يكن مناسبة مبتذلة بل تضحية نادرة. وأنا اتألم عندما أفكر بأن لهفتك قد بردت حيال من يعذب هواك مهجتها، وان ذكراي لا بد من ان تهيج يوما أشجانك. أستحلفك يا بيزانيو ان تعجل في انجاز مهمتك، فها انا كالحمل الذي يتوسل الى جلاده. اين سكينك؟ اراك تتباطأ في تتميم ما اوصاك به سيدك، لا سيما اني انا ايضا بت اتوق الى هذه النهاية المريحة.

بيزانيو: سيدتي الكريمة، منذ ان تلقيت امر تنفيذ هذه المهمة البشعة لم تعرف عيناي سبيلا الى الرقاد لحظة واحدة.

ايموجان: نفّذ واذهب الى النوم.

بيزانيو: لا بد للسهاد من ان يرهق عيني كي انام.

ايموجان: لماذا قبلت المهمة اذاً؟ لماذا ضللتني بحججك الفاسدة؟ ما الغاية من وجودنا هنا؟ لماذا تعبك وتعبي وتعب خيولنا في المجيء الى هذا المكان؟ ان الواجب يناديك والفرصة سانحة، وأنا قلقة جدا بسبب غيابي عن البلاط الذي لا انوي العودة اليه. لماذا أوصلتني الى هنا، اذا كنت مزمعا ان ترخي القوس المشدود المصوَّب اليّ انا الضحية الماثلة امامك باذعان؟

بيزانيو: اني أماطل لأربح بعض الوقت وأتملص من هذه الفعلة الشنيعة. لذلك اختلقت ذريعة منقذة، فاستمعي الي يا سيدتي العزيزة بصبر وحلم.

ايموجان: تكلم حتى يكلّ لسانك، لكن تكلم. لقد بلغني اني متهمة بالدعارة. واذ مزّق أذني هذا التزوير الدنيء لم اعد أبالي، لاني لا أعتقد بوجود جرح اعمق من هذه التهمة الباطلة، يستطيع بلسم على وجه الأرض ان يشفيه. تكلم اذاً.

بيزانيو: لقد افترضتُ يا سيدتي انك لن ترجعي بعد الان الى البلاط.

ايموجان: هذا في الظاهر، لا سيما انك جئت بي الى هنا لكي تقتلني.

بيزانيو: كلا، ثم كلا. لو كنت ذكيا بقدر ما انا شريف وأمين لتحتم عليّ ان أتمم مشروعي كما يرغب سيدي قرينك الذي انقاد الى الالسنة الشريرة. هناك شخص سافل بارع المكيدة قد دبَّر لكما معا هذه الورطة الجهنمية.

ايموجان: طبعا هناك عاهرة رومانية.

بيزانيو: لا، لا. بحياتي. صدقيني اني سأوهمه فقط بأنك متِّ، وسأرسل اليه دليلا مضرّجا بالدم حسب امره، وغيابك الطويل عن البلاط يثبت ادعائي.

ايموجان: لكن يا صديقي، ماذا اصنع انا في هذه الاثناء؟ اين أمكث؟ كيف اعيش؟ ومن يساعدني على تذليل مصاعب هذه الحياة الشاقة عندما

اكون قد متّ في نظر زوجي؟

بيزانيو: واذا عدتِ الى البلاط؟

ايموجان: لا لم يبقَ لي من بلاط، ولا من اب، ولا من كابوس جهنمي يفرضه عليّ وجود هذا النبيل الخبيث كلوتن الذي ضيَّق عليّ الخناق حتى كدت اجدني في حصار مزمن.

بيزانيو: اذا لم تعودي الى البلاط وجب عليك ان لا تبقي في بريطانيا.

ايموجان: الى اين أرحل؟ هل تشرق الشمس على بريطانيا فقط؟ أولا يتوالى النهار والليل الا في بريطانيا؟ ان بلادنا جزء من هذا العالم الواسع، ولست انا كل ما فيه، لا بل هي عش عصفور صغير مثلي وسط مستنقع فسيح. ثم لا تنسَ ان عددا لا يحصى من الاحياء، يعيش خارج بريطانيا.

بيزانيو: انا مسرور لانك تفكرين في العيش بعيدا عن هذا المكان. سيصل السفير الروماني لوسيوس غدا الى ملفورد هافن. فاذا ظلت هواجسك تضايقك بسبب حظك العاثر، اذا عرفت كيف تكتمين ما لا يمكن البوح به بدون اثارة الشكوك والمخاطر حولك، تشقين لنفسك طريقا سريا حافلا بالآمال المؤنسة، وربما وصلت الى جوار بستيموس او على الأقل الى اقرب نقطة من مكان وجوده. واذا لم تهتدي اليه فان صوتا امينا سيرشدك باستمرار للتعرف اليه على الوجه الانسب.

ايموجان: اسألك ان تبيِّن لي وسيلتك. فان لم تشكل على حياتي خطرا يؤدي الى هلاكي غامرت باتباعها.

بيزانيو: هنا تكمن الصعوبة. عليكِ ان تنسي انك امرأة، وأن تطرحي عنك عبء الحيرة وتلوذي بالاذعان وتتحاشي الوجوم الخجول الذي يستولي على النساء عامة او بالحري على لطافة المرأة، وأن تعتصمي بالشجاعة والاقدام. عليك ان تتأهبي دائما لردات الفعل كي تدفعي الضيم عنك وأن تتيقظي بدهاء كالثعلب حتى لا تتردّي في المغامرة بعفتك، وتتغلبي على قساوة التجربة، اذ ليس من السهل تحاشي السقوط امام جرأة القبلات، وتجنُّب الانسياق في سيل المغريات الطاغية التي تثير الغيرة والحسد.

ايموجان: هيا اختصر. انا أستشف قصدك، وأكاد اشعر بأني صرت رجلا.

بيزانيو: باشري في تلبُّس هذا الوضع الجديد. وبما اني توقعت منك القبول استحضرت لك في حقيبتي ملابس أرجوانية وقبعة وجزمة، أي هندام رجل بكامله. فارتديه ان شئت يا سيدتي، ثم قلّدي مظهر شاب في عمرك، واذهبي الى النبيل لوسيوس، واطلبي منه ان يقبلكِ في خدمته. عدّدي له مواهبك، فسرعان ما يقدرها، اذا كانت أذنه صاغية. وأنا واثق بأنه سيرحب بك مبتهجا لانه كريم فاضل. هل يعوزك مال؟ انا مستعد لان اعطيك كل ما املك وأتعهد بأن أؤمّن لك كل ما تحتاجين اليه حاضرا ومستقبلا.
ايموجان: انت السيد الوحيد الذي تركته لي السماء كي ينجدني في حياتي. ارجوك ان تذهب. فهناك لا تزال مسائل عديدة تنتظر الدرس. لكننا سنستفيد من الظروف على قدر الامكان. ولقد اعتدت هذه التجربة التي أواجهها بشجاعة نادرة. ارجوك ان تذهب حالا.
بيزانيو: حسنا يا سيدتي. لنختصر الوداع خشية ان يلاحظ غيابك، وان تحوم حولي الظنون بأنني ساعدتك على الهرب من البلاط. سيدتي النبيلة، هذا حنجور اعطتني اياه الملكة، وقالت لي ان محتواه دواء سريع المفعول. فاذا شعرت بدوار وأنت في البحر، وأحسست وأنت على الأرض بوجع في معدتك تكفيك نقطة واحدة منه لازالة آلامك. (يسلمها ثياب الرجل) ابحثي عن مخبأ وتزيِّي بهندام الرجال. اني ألتمس من الآلهة ان تسدد خطواتك في طريق النجاح.
ايموجان: آمين، ثم آمين. اشكرك جزيل الشكر.

(يفترقان)

المشهد الخامس
امام باب قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين ومعه الملكة ثم كلوتن ولوسيوس وبعض الوجهاء)

سمبلين: هنا، اقول لكم الوداع.

لوسيوس: اشكرك يا مولاي؛ لقد كتب لي امبراطوري يستدعيني، وعليّ ان أرحل. انما يؤسفني ان لا أعتبرك صديقا مخلصا.

سمبلين: ان مواطنيّ يا مولاي، يأبون حمل نير مليكك. وأنا ان لم أسايرهم رموني بالتقصير.

لوسيوس: وبناء على ذلك، اسألك يا مولاي ان تضع تحت تصرفي حراسا يرافقونني حتى ملفورد هافن. (للملكة) لتحلّ على جلالتكِ جميع البركات. (للملك) وعليك ايضا يا صاحب الجلالة.

سمبلين (للوجهاء): ارجوكم يا سادتي، ان تمشوا في الموكب وتقدموا للقائد ما يستحقه من الحفاوة ومراسم التشريفات. الوداع ايها النبيل لوسيوس.

لوسيوس (لكلوتن): هات يدك يا مولاي.

كلوتن: ها هي تمتد اليك كصديق. غير اني، في المستقبل، اخشى ان تمتد اليك كخصم.

لوسيوس: مولاي، لا بد للاحداث من ان تناصر الظافر. الوداع.

سمبلين: سادتي الكرام، لا تتركوا الوجيه لوسيوس وتعودوا قبل ان يجتاز مدينة « سافرن ». (للوسيوس): أتمنى لك التوفيق.

(يخرج لوسيوس والوجهاء).

الملكة (على حدة): هذا اللئيم يرحل من هنا، وشرف الضيافة يحتم علينا ان نساعده على الابتعاد عن ديارنا بأمان.

كلوتن: من حسن الحظ، هذا ما يطلبه البريطانيون الشجعان.

سمبلين: كتب لوسيوس الى الامبراطور وأخبره بما يجري عندنا. المهم ان تكون مركباتنا وفرساننا على أتم الأهبة في الوقت المناسب. فالقوات التي يهيئها العدو في غاليا سرعان ما تكون جاهزة للمعركة فتتحرك لمقاتلة البريطانيين.

الملكة: ليس هذا وقت الغفوة، بل السهر والعمل بسرعة ونشاط.

سمبلين: ان ثقتنا بصلاح ما جرى تدعم جرأتنا. لكن، يا مليكتي اللطيفة، اين ابنتي؟ لم تظهر في حضور الروماني، ولم تقدم لي اليوم واجباتها. وهل اصبحت فتاة مشاكسة اكثر منها خاضعة كما يظهر لي؟ أدعوها للمثول أمامي لان كيل صبري قد طفح.

(يخرج وجيه من الحاشية).

الملكة: مولاي الملك، منذ ابعاد بستيموس، لاحظنا انها تعيش في عزلة. ولن يشفيها سوى مرور الزمن. فألتمس من جلالتك ان تتحاشى توجيه الكلام القاسي اليها. فهي امرأة حساسة جدا لا تتحمل الملامة وتعتبر في هذه الظروف كل لفظة، وان لطيفة، كأنها اهانة، وكل اهانة كأنها الموت الزؤام.

(يعود الوجيه من مهمته).

الوجيه: لا تحنق يا مولاي. رأيت الشقق جميعها مغلقة، ومهما رفعت صوتي لا ألقى على ندائي من جواب.

الملكة: مولاي، في آخر مرة ذهبت لمشاهدتها، رجتني ان أعتذر اليك لانها وهي منزوية في جناحها بسبب انحراف صحتها، لا يسعها ان تؤدي ما عليها من فروض الاحترام نحو شخصك. هذا ما ألحت علي بأن انقله اليك، غير ان مهام البلاط الكثيرة الملقاة على عاتقي جعلتني اسهو عن ابلاغك اياه في حينه.

سمبلين: ان ابوابها مقفلة، ولم يبصرها احد منذ بعض الوقت. أتمنى ان لا تكون مخاوفي في محلها.

(يخرج بعجلة).

الملكة: اتبع الملك، يا بني.
كلوتن: منذ يومين لم أبصر خادمها القديم بيزانيو الذي تتكل عليه.
الملكة: اسرع اذاً. (يخرج كلوتن). أجل، ان بيزانيو يخلص الود لبستيموس. ولقد اعطيته مخدرا، فما العمل ان تغيَّب ليتناوله وهو يعرف مدى مفعوله. لكن ماذا حل بها هي؟ هل حطمها اليأس، ام اغتنمت الفرصة لترحل الى زوجها وحبيبها بستيموس، معرضة نفسها إما للموت او للذل والهوان، وفي كلا الحالين انا بالغة مرادي، اذ باختفائها أستولي على تاج بريطانيا الذي يؤول اليها. (يعود كلوتن) ماذا جرى يا بنيّ؟
كلوتن: بات هربها مؤكدا. فاذهبي وهدّئي روع الملك الذي يهذي، ولا يجرؤ احد على الدنو منه.
الملكة: هذا افضل. كم أتمنى ان لا يطلع عليه الصباح.

(تخرج).

كلوتن (وحده): انا احبها وأكرهها في آن واحد، لانها جميلة ونبيلة ومتمتعة بميزات رائعة قلّ ان تتصف بها سيدة اخرى. كل ما في سواها من حسنات لا يعادل ما تتحلى وتنفرد هي به من خصال حميدة. في الحقيقة هي وحدها تحتكر كل الفضائل وتفوق جميع بنات جنسها. لذلك انا احبها. لكنها تمقتني وتفضل عليّ بستيموس الذي تخصه بكل عواطفها. وهذا ما يشوب رصانتها وعذوبتها ويحفزني على حسم الموقف حتى بالانتقام منها، لاني لا اطيق ان اكون منبوذا. (يعود بيزانيو بغتة وبعجلة). مَن هنا؟ هل تتهيأ للرحيل، يا مغفل؟ اقترب مني. الان وقعت في قبضتي ايها الماكر الحقير. اين سيدتك؟ اجبني فورا، والا ارسلتك حالا الى الجحيم.
بيزانيو: ارجو حلمك، يا مولاي الكريم.
كلوتن (ويده على سيفه): اين سيدتك؟ أصدقني القول بحق الاله المشتري ولا تدعني أكرر سؤالي. تباً لك من شقي خبيث. انا مصمم على انتزاع سرّك من صدرك ان اقتضى الامر بحد سيفي. قل لي هل هي مع بستيموس السافل الدنيء الذي لا يساوي اكثر من درهم واحد في ايام الغلاء؟
بيزانيو: عجبا يا مولاي، كيف تكون معه وهو في روما؟ منذ متى اختفت؟

كلوتن: اين هي يا مخاتل؟ اقترب مني ولا تتردد في الجواب. اخبرني بكل ما تعرفه عنها. اين هي؟
بيزانيو: آه! يا سيدي الفاضل، ليتني اعلم.
كلوتن: ايها المحتال الدجّال، اخبرني على الفور اين سيدتك؟ كفاك مماطلة، تكلم، وإلا انقلب صمتك حكما عليك بالاعدام، ايها المخادع.

(يهدد بيزانيو بسيفه).

بيزانيو: هذه الورقة، يا سيدي، تحوي كل ما تريد ان تعرفه عن هربها.

(يقدم له الرسالة التي استلمها من بستيموس. يأخذها كلوتن)

كلوتن: سألاحقها حتى درجات عرش اغسطس.

(يقرأ الرسالة).

بيزانيو (على حدة): كان عليّ إما ان افعل هذا او ان اهلك. هي الان بعيدة جدا وفي مأمن من شره، وما يطّلع عليه من الرسالة قد يدفعه الى السعي اليها لتحقيق مأربه، لكنه لن يتمكن من إلحاق أي ضرر بها.
كلوتن: هه، ها.
بيزانيو (على حدة): سأكتب الى سيدي ان زوجته ماتت، بينما انا أتمنى لها، هي سيدتي ايموجان، ان تسافر بأمان وتعود بسلامة.
كلوتن: هل هذه الرسالة حقيقية، يا محتال؟
بيزانيو: أجل يا سيدي، على ما أعتقد.
كلوتن: لا شك في ان الكتابة بخط بستيموس، لاني أتذكر طريقته. فاذا اردت يا غبي ان تخدمني باخلاص، وأن تقوم كما يجب بكل ما اطلبه منك، أي ان تنفذ حالا وبأمانة ما آمرك به، سأحتفظ بك في خدمتي وأعاملك كرجل شريف، فتنعم بكل ما اجود به عليك من مال ورفعة.
بيزانيو: من كل قلبي، يا مولاي.
كلوتن: هل حقا تريد ان تخدمني بوفاء؟ فبما انك ثابرت بصبر على ارتباطك

بمصير المتسول الحقير بستيموس، طبعا عندما اغدق عليك الخيرات، ستبذل جهدك لتخدمني بأمانة. هل انت موافق؟

بيزانيو: بكل سرور، يا مولاي.

كلوتن: مد يدك اذاً وخذ هذا الكيس من المال. هل لديك ملابس تخص سيدك القديم؟

بيزانيو: نعم يا مولاي، اني أحتفظ في منزلي بالبزة التي كان يرتديها عندما ودّع سيدتي.

كلوتن: فأول خدمة اطلبها منك هي ان تذهب وتجيئني بهذه البزة بدون امهال.

بيزانيو: انا طوع امرك، يا مولاي.

(يخرج).

كلوتن (وحده): سأتبع بيزانيو الى ملفورد هافن. لكنني نسيت ان اطلب منه شيئا، سأسأله اياه بعد هنيهة. وهناك سأقتل بستيموس الصعلوك الحقير. أود الحصول اولا على هذه البزّة. لقد قالت لي ايموجان يوما، وأنا لا ازال أذكر حرفيا كلامها المرير، انها تهتم بأبسط ملابس زوجها بستيموس اكثر من شخصي النبيل، بالرغم مما أتحلى به من الصفات. اذاً سأغتصبها وأنا ارتدي ملابس بستيموس. سأبدأ بقتله تحت انظارها فتدرك اذ ذاك مدى عنفي وبطشي، وتنال عقاب ازدرائها بي. وهو متى اصبح مجندلا على الأرض، وبعد ان أصبّ على جثته النتنة جام غضبي وأكون قد تذوقت طعم انتقامي وأرويت غليلي منها وأنا اغيظها وأسحق كبرياءها بما افرضه عليها مرتديا ملابس زوجها وحبيبها، سأعود بها الى البلاط بعد ان أشبع جسمها ضربا وأدوس كرامتها. لقد ابتهجت هي باحتقاري وسأتلذذ انا بالانتقام منها. (يعود بيزانيو بملابس بستيموس) هل هذه هي الثياب؟

بيزانيو: أجل يا مولاي النبيل.

كلوتن: منذ متى رحلت الى ملفورد هافن؟

بيزانيو: هي الان على وشك الوصول اليها.

كلوتن: احمل هذه الملابس الى غرفتي، وهذا ثاني امر أصدره اليك. اما

الثالث فهو ان تكتم كل ما سمعت وشاهدت. ومهما كنت مخلصا في السابق عليك ان ترتفع الان الى مستوى المسؤولية التي أحمِّلك اياها. سيتم انتقامي في ملفورد، وكم أود ان يكون لي جناحان لأُطير بهما الى هناك في الحال. تعال وكن امينا.

(يخرج).

بيزانيو: انت تأمرني بتمريغ أمانتي في الوحل. اما اخلاصي لك فهو في نظري خساسة لا أريد ان أرتكبها بحق أوفى الرجال. اذهب انت اذاً الى ملفورد، ولكنك لن تجد من تطاردها. ألا حلِّي عليها ايتها البركات السماوية، وعرقلي ايتها العقبات طريق هذا المجنون كي يصل بعد فوات الاوان، ولا يلاقي سوى العناء والخيبة والحسرة.

(يخرج).

المشهد السادس

امام كهف بيلاريوس والشمس مائلة الى المغيب

(تصل ايموجان في زي فتى وهي تجر نفسها جرا من التعب)

ايموجان: تبدو لي حياة الرجال منهكة. فأنا خائرة القوى اذ مضى عليّ يومان وأنا أفترش الارض لأنام. ولولا عزمي وتصميمي، لما وصلت الى هنا. يا مدينة ملفورد، عندما اراني اياك بيزانيو من اعالي الجبل لحتِ لي كأنك قريبة مرتسمة على الافق. فبحق الاله المشتري، لماذا اجد مساكنك تهرب جميعها امام البؤساء امثالي عوضا عن ان تؤمّن لهم المبيت؟ لقد قال لي بعض المتسولين انني ضللت الطريق فهل كذب عليّ هؤلاء المساكين

التعساء؟ هل عرفوا ان في ذلك عقابا لي او تجربة قاسية؟ لماذا لا؟ فهذا لا يدهشني منهم، ما دام الاغنياء نادرا ما ينطقون بالحقيقة، والكذب على لسان الميسورين هو في نظري جريمة افظع من الغش الصادر عن المحتاجين المعدمين، والخداع في أحكام الملوك افدح مما يتلبس به الفقراء المتسوّلون. ما انبلك يا زوجي العزيز، لانك لست محتالا أفاكا. الان وأنا أفكّر بك نسيت اني جائعة، وكدت منذ برهة اتهالك من الاعياء. (تبصر مدخل الكهف). لكن ماذا ارى هنا؟ هذا درب يوصل الى داخل الكهف الذي يبدو كأنه ملجأ مهجور. هل أستغيث؟ كلا، انا لا اجسر على ذلك. لكن الجوع، قبل ان يفتك بالانسان يدفعه الى تحدّي الخوف. وكما ان الجبن ينجم عن الامان والاستقرار، كذلك الفقر يفجر البسالة والاقدام. ايه! هل من احد هنا؟ ايها المجهول ان كنت بشرا متحضرا كلمني. وان كنت متوحشا هاجمني واقتلني او تكرّم بابقائي على قيد الحياة. ما هذا السكون؟ أليس من مجيب؟ سأدخل اذاً، وأنا مستلّة سيفي، فلا بد من ان ترعب خصمي نصلة سلاحي ان لم أفزعه شخصيا، وهو يكاد يأبه لي مع اني مستعدة للقضاء على أي عدو يجرؤ على مفاجأتي. اعينيني ايتها السماء.

(تغيب في الكهف ويصل بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس).

بيلاريوس: هل تصرفت يا بوليدور حسب عهدي بك كأفضل صياد او كسيّد الغاب؟ انا وكلدوال سنقوم بالطبخ والخدمة كما اتفقنا، وهكذا ننجز الشغل بسرعة ونصل الى مبتغانا. هيا بنا، ان شهيتنا تجعل هذا الطعام البسيط من ألذ المأكولات. وكما ان من يقتله النعاس ينام حتى على الحجارة، كذلك يجد الكسول الملول وسادة الريش صلبة خشنة. (يتجه نحو الكهف) ها انا ادخل هذا المأوى الذي أتوسم فيه خيرا.

غيداريوس: اني خائر القوى.

ارفيراكوس: وأنا قد انهكني التعب، انما شهيتي مفتوحة.

غيداريوس: في الكهف لحم بارد سنتلهى بأكله ريثما يتم شواء الطريدة.

(يتقدمون نحو الكهف).

بيلاريوس (امام الكهف): قفا، لا تدخلا يخيل اليّ ان ساحرا يقبع هاهنا. ولا يستبعد ان يكون قد أكل زادنا.
غيداريوس: ما الامر، يا سيدي؟
بيلاريوس: بحق الاله المشتري، لا بد من ان يكون هذا ملاكا او أعجوبة سماوية. انظرا اليه كأني به إله في شرخ الشباب.

(تظهر ايموجان عند المدخل بزي فتى).

ايموجان: ايها السادة، ارجوكم ان لا تؤذوني. قبل ان ادخل الى هنا ناديت ولم ألقَ جوابا، وكنت مزمعا ان أتسوّل او ان اشتري ما تناولته من طعام. بشرفي لم اسرق شيئا، وما كنت سرقت حتى ان كانت الارض مكسوة ذهبا. ها هو ثمن ما اكلت، وكنت انوي ان اتركه لكم على المائدة حالما انتهي من الاكل لأنصرف وأنا ادعو بالخير لمضيفي.
غيداريوس: أتدفع لنا نقودا ايها الشاب؟
ارفيراكوس: أوليس من الأفضل ان يتحول ذهب الأرض وفضتها الى أوحال، لانها لا تساوي اكثر من الاصنام المصنوعة من الطين.
ايموجان: اراكم مستائين. ألا اعلموا، ان كنتم تريدون قتلي عقابا على ذنبي، اني كنت قضيت نحبي جوعا لو لم أبادر الى اقتراف هذا الذنب بتناول بعض طعامكم.
بيلاريوس: اين انت ذاهب يا صاح؟
ايموجان: الى ملفورد هافن.
بيلاريوس: ما اسمك؟
ايموجان: اسمي فيدوس يا سيدي. لي قريب راحل الى ايطاليا وسيركب البحر من ملفورد. وأنا كنت ماضيا اليه لأرافقه، عندما شعرت بالجوع يمزق أحشائي، فسمحت لنفسي بارتكاب هذه الهفوة وأكلت.
بيلاريوس: ارجوك ايها الشاب الوسيم ان لا تظننا عديمي الذوق، ولا تقيس نفوسنا الابيَّة بمظهر مأوانا الموحش. اننا نرحب بك، وقد هبط الليل. نسألك ان ترضى بتناول طعام افضل قبل رحيلك عنا ونكون لك من الشاكرين

على قبول ضيافتنا. تعالوا يا فتيان نبتهج بصحبته ونقدم له ما عندنا من طعام.

غيداريوس: لو كنتَ صبية ايها الشاب لغازلتك بحرارة وطلبت منك ان تكون خطيبتي. بشرفي، ما كنت ترددت لحظة في دفع اغلى ثمن لقاء تحقيق هذه الامنية.

ارفيراكوس: كونه رجلا شهما أرتاح اليه، يجعلني أحبه كأنه أخي.

(لايموجان) أجل، لقد لقيت مني ايها الفتى ما تستحقه من حسن الاستقبال بعد طول الغياب، فأهلا وسهلا. إطمئن وابتهج لانك وجدت فينا اصدقاء مخلصين.

ايموجان (على حدة): اصدقاء؟ ليتهم كانوا لي اخوة! لا تبخلي علي ايتها السماء بهذه النعمة. لكأنهم ابناء أبي وأمي. ليت مصيري أقل اهمية، وفي مستوى يعادل مستواك يا عزيزي بستيموس.

بيلاريوس: يخيل اليّ ان همًّا يجثم على صدره كالكابوس.

غيداريوس: كم أتمنى لو استطيع انقاذه منه.

ارفيراكوس: وأنا ايضا، بأية وسيلة وبأي ثمن، ومهما كانت المغامرة خطيرة العواقب.

بيلاريوس: كلمة واحدة، يا فتيان.

(يتحدث الى الشابين بصوت خافت).

ايموجان: ما أظلم الدهر! كبار النفوس ليس لهم من مسكن سوى هذا الكهف. يخدمون ذواتهم ويكتفون بما ترتاح اليه ضمائرهم، رافضين الجزية النافلة التي يفرضها المجتمع بغير وعي على نخبة الناس، وهي ليست بأنبل من هذين الاخوين. سامحيني ايتها الآلهة على هذا الكلام، كم أود ان أغير جنسي لأصبح رفيقهما ما دام بستيموس قد خدعني وتخلى عني.

بيلاريوس: اتفقنا، وسنعدّ ما اصطدناه لطعامنا (لايموجان) أدخل ايها الشاب الوسيم، فالحديث يُملّ ويرهق عندما تكون المعدة خاوية. وبعد العشاء نسألك بدون تطفّل ان تروي لنا قصتك او ما تشاء ان ترويه لنا منها.

غيداريوس (لايموجان): ارجوك ان تسير امامي.

ارفيراكوس: الليل للبوم، والصباح للعصفور ليسا آنس لنا من مجيئك الينا.
ايموجان: شكرا، يا سيدي.
ارفيراكوس: ارجوك ان تسير امامي.

(يغيبون في الكهف).

المشهد السابع

روما

(يدخل بعض شيوخ المجلس والقضاة)

الشيخ الأول: هذا هو رد الامبراطور: نظرا لانشغال عامة الشعب الان بمقاومة البانونيين والدلماسيين، وبسبب هزال الجيوش المرابطة في بلاد « غاليا » لمحاربة البريطانيين العصاة، يحضّ جلالته الوجهاء على القيام بهذه الحملة. فيعيِّن لوسيوس قنصلا، وعليكم انتم يا أفراد الشعب ان تعبئوا انفسكم حالا فيوليكم السلطة المطلقة. ولْيحيَ قيصر.
واحد من الشعب: هل لوسيوس هو القائد العام على جميع القوات؟
الشيخ الثاني: نعم.
واحد من الشعب: وهو الان في بلاد « غاليا »؟
الشيخ الأول: أجل، مع الجيوش التي كلمتك عنها والتي ستدعمها قواتكم المعبأة. ونصوص تكليفكم بالهمة تحدد عدد الرجال ومدة خدمتهم.
واحد من الشعب: سنقوم بواجبنا كاملا.

(يبتعدون).

الفَصل الرابع

المشهد الأول

في بلاد « غاليا » ـــ بجوار الكهف

(يصل كلوتن)

كلوتن: ها انا بقرب المكان الذي سيجتمعان فيه، اذا كان بيزانيو صادقا في افادته. كم تناسبني ملابس بستيموس! فلماذا لا تناسبني ايضا امرأته التي صنعها مَن صنع خيَّاطه؟ لا سيما كما يقال، أعذروني على هذا التعبير، ان الاهواء تغري جميع النساء. لا بد من ان أقدم على المحاولة. انا اكاد اجرؤ على الاعلان لنفسي، اذ ليس مغرورا من يتكلم وحده في غرفته امام المرآة، ان تقاسيم جسمي مكونة بتناسق كجسمه، وأنا أصغر منه سنا وأقوى بنية، لكني غير موهوب مثله، انما الظروف الحاضرة تساعدني. انا أرفع منه نسبا، ونظيره قادر على القيام بجميع الأعمال، وأبرع منه في المعارك الفردية. مع ذلك، هذه العنيدة تحبه وتكرهني. فما قيمة الحياة؟ بعد ساعة سأدحرج الى الارض رأسك المنتصب الان فوق كتفيك، يا بستيموس، وسأغتصب زوجتك. سأمزق ثيابك نتفا نتفا امام عينيها، وبعد بلوغ أربي سأقودها الى والدها الذي قد يستاء مني قليلا على هذه المعاملة

الخشنة لكن والدتي المتسلطة على مزاجه ستستغل الموقف وتحوّل لومه الى ثناء على همتي. ان حصاني مربوط جيدا. فابرز، يا سيفي، وهيا الى سفك الدماء. ضعهما يا حظي في متناول يدي. ها هو الموعد الذي ضربه لي بيزانيو قد حان، والغبي لا يسعه ان يخدعني.

(يبتعد).

المشهد الثاني
في الكهف

(يصل بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس، ثم تأتي
ايموجان الى المسرح عبر مدخل الكهف)

بيلاريوس (لايموجان): انت غير مرتاح، يا بنيّ. فابقَ في الكهف ونحن لن نتأخر في العودة اليك حالما ننتهي من الصيد.

ارفيراكوس: هيا ابقَ، يا عزيزي. أولسنا اخوة؟

ايموجان: الانسان شقيق الانسان. أما الاجر فيختلف عن مثيله في الجودة بالرغم من كونهما كلاهما من طين واحد. انا متوعك الصحة قليلا.

غيداريوس (لبيلاريوس وأرفيراكوس): اذهبا انتما الى الصيد، وأنا ابقى معه.

ايموجان: لست مريضا الى هذا الحد، ولا من الموسوسين الذي يظنون ان منيّتهم قد ادركتهم حين يمرضون. فأرجوكم ان تدعوني وتذهبوا كلكم الى مشاغلكم اليومية لان تغيير العادة معناه التنازل عن الكثير. انا منحرف الصحة فقط وملازمتكم اياي لا تساعدني على الشفاء لان المؤانسة لا تريح من لم يتعودها. انزعاجي غير خطير، ما دمت قادرا على تحمُّله.

ارجوكم ان تثقوا بي وتذهبوا. فأنا لا أقوى على اختلاس قشة. وان مت فالخسارة غير جسيمة.

غيداريوس: لقد قلت لك اني احبك كثيرا، كما احب والدي.

بيلاريوس (لغيداريوس): ماذا، تقول؟

ارفيراكوس (لبيلاريوس): ان كان كلامي هذا خطأً، يا سيدي، فاني أضمه الى خطأ اخي. لست ادري لماذا احب هذا الفتى؟ وقد سمعتك تقول ان الدافع الى الحب لا يحتاج الى مبرر. هيئوا نعشا على الباب، واسألوني من سيموت اولا فأرد: طبعا ليس هذا الفتى.

بيلاريوس (على حدة): ما انبل هذا الوداد! انه دليل على كبر النفس وعراقة الحسب. الجبناء وحدهم ينجبون الصعاليك، كما ان الاشرار لا يخلّفون سوى الانذال. فالطبيعة في كل مكان تزخر بالطحين والنخالة وبالاقذار والازهار. انا لست اباهما، لكني لا ادري كيف أحبا هذا الغريب اكثر مني؟ (بصوت عالٍ) الساعة الآن التاسعة صباحا.

ارفيراكوس (لايموجان): وداعا يا اخي.

ايموجان: أتمنى لكم صيدا موفقا.

ارفيراكوس: وأنا أتمنى لك الصحة والعافية. (لبيلاريوس): انا تحت تصرفك يا سيدي.

(بيلاريوس وأرفيراكوس وغيداريوس يتحادثون بصوت خافت)

ايموجان (على حدة): يا لهم من أوفياء كرماء! يا الهي، كم سمعت من الكذب قبل الان! لا سيما بين اهل البلاط الذين يدّعون ان خارج مجتمعهم كل البشر فاسدون. وها هو الاختبار يكذّب اقوالهم. ان امبراطورية البحار تعج بالمشعوذين الغادرين، بينما الانهار التي تصب فيها تحوي ألذ الاسماك التي تغذينا. آه! لا يزال صدري المنقبض يؤلمني. سأتناول من دوائك يا بيزانيو.

غيداريوس (لبيلاريوس): لم أتمكن من حمله على الكلام. فقد قال لي انه كريم الاصل لكنه تعيس، وبالرغم من بؤسه حافظ على استقامته.

ارفيراكوس: هذا ما اجابني به انا ايضا. وقد اضاف اني في المستقبل سأعرف عنه المزيد.
بيلاريوس: هيا الى البرية. (لايموجان): سنغادرك. فنم واسترح.
ارفيراكوس: ارجو ان لا يطول مرضك، لانك ستساعدنا على قضاء حاجاتنا المنزلية.
ايموجان: سواء أكنتُ معافى او منحرف الصحة، انا متمسك بمودتكم.
بيلاريوس: ارجو دوام الألفة والوئام. (تبتعد ايموجان وتعود الى الكهف) مهما كانت حالة هذا الفتى معدمة وشقية، يبدو حقا انه من بيت عالي النسب.
ارفيراكوس: ما ارخم صوته الملائكي!
غيداريوس: وما أطيب طبخه! يقطع خضارنا بمهارة، ويهيء حساءنا بذوق رفيع. وان مرض احدنا لا يتردد في مداراته.
ارفيراكوس: ويتحمل الاوجاع بنبل وابتسام، كأن الالم يغار لانه ليس ابتساما على شفتيه، وكأن الابتسام يندد بألم يهجر هيكلا مقدسا ليواجه الرياح العاتية التي يلعنها الملاحون.
غيداريوس: ألاحظ ان الالم والصبر اللذين تأصلا فيه قد اخذت جذورهما تتشابك في أعماقه.
ارفيراكوس: ان في الصبر لقوة وعظمة. فتحمُّل الاوجاع والبلايا يطهر النفس الأبية ويشدد الجذور المتراخية في الكرمة الاصيلة النامية.
بيلاريوس: ها قد ادركنا الضحى. فهيا نجدّ السير. من الآتي الى هنا؟

(يصل كلوتن).

كلوتن: لم أهتدِ الى هؤلاء المشرّدين. فالدجّال قد سخر مني. أكاد أسقط على الأرض من شدة الأعياء.
بيلاريوس: من هو هذا المتشرد؟ هل يعنينا امره؟ يخيل اليّ اني اعرفه. هو كلوتن ابن الملكة. وأنا اخشى ان يرمينا في ورطة. منذ أعوام مديدة لم يقع نظري عليه. ولكني واثق بأنه هو. ونظرا الى اننا خارجون على القانون فالأولى بنا ان نتوارى عن العيان.

غيداريوس (لبيلاريوس): هو وحيد. اذهبا انت وأخي، وابحثا عن حراس في هذا الجوار. الرجاء ان تسرعا وتتركاني وحدي معه.

(يبتعد بيلاريوس وأرفيراكوس).

كلوتن: مهلا. من انتما ايها الهاربان؟ هل انتما من لصوص الجبل الذي سمعت عنهم اخبارا مخجلة؟ (لغيداريوس): من انت ايها الشقي؟
غيداريوس: انا من يزعجه السكوت عن هذه الاهانة والجواب عليها بغير الضرب.
كلوتن: انت لص حقير تدوس القانون. استسلم ايها الجبان.
غيداريوس: لمن؟ لك؟ من انت؟ أوتظنني أقل قوة وجرأة منك؟ لا انكر ان صوتك أعلى، ما دمتُ لا أحمل بوقا في حنجرتي. قل لي من انت، كي أستسلم اليك؟
كلوتن: تباً لك ايها المغفل الحقير. أولم تعرفني من ملابسي؟
غيداريوس: كلا، يا مغرور. ولا اعرف الخياط الذي فصّل لك هذه البزة التي، على ما يظهر، خلعت عليك كل هذه الغطرسة.
كلوتن: ايها الأفّاك الدنيء، لم يصنعها لي خياطي.
غيداريوس: اغرب عن وجهي اذاً، وامضِ الى من تكرم بها عليك، واشكره لانك لست سوى متسوّل خسيس ارباً بأن أنازلك.
كلوتن: سحقاً لك من صعلوك وقح. ألا اعرف اسمي وارتجف.
غيداريوس: ما اسمك؟
كلوتن: كلوتن، يا غبي.
غيداريوس: وان كنت تدعى كلوتن، ايها المغرور الاحمق، فأنا لن يرفّ لي جفن، حتى ان كان اسمك ضفدع او افعى او عنكبوت لن يؤثر عليَّ مطلقا.
كلوتن: سأزيد من روعك، وأضع حدا لتهريجك، وأعلمك بأني ابن الملكة.
غيداريوس: انت تثير حفيظتي، لان سحنتك لا توحي بما تدّعيه من عراقة النسب.

كلوتن: أولست خائفا؟

غيداريوس: انا لا اخشى الا العاقل الذي أحترمه. اما المهووس مثلك فأهزأ به ولا احسب أي حساب لادعاءاته السخيفة.

كلوتن (وسيفه في يده): مت اذاً يا شقي. وبعد ان أزهق روحك بحد هذا السيف اتابع ملاحقة الشريدين اللذين هربا منذ هنيهة، وسأعلّق رؤوسكم جميعا على ابواب مدينة « لود ». استسلم ايها الجبلي البليد.

(يبتعدان وهما يتعاركان. يعود بيلاريوس وأرفيراكوس)

بيلاريوس: ليس من حراس في كل الجوار.

أرفيراكوس: ألم تبصر احدا؟ لقد غرّه مظهره بدون شك.

بيلاريوس: انا لست من رأيك. فمنذ زمن بعيد لم أشاهده. غير ان الوقت لم يغير شيئا من معالمه السابقة. فصوته الأجش لا يزال كما هو، وكلامه القاسي هو هو. انا واثق بأنه كلوتن.

ارفيراكوس: لقد تركناهما هنا. أتمنى ان يجهز اخي عليه. تقول ان منظره مزعج.

بيلاريوس: أقصد ان اقول انه قبل ان يصبح رجلا لم يكن يخشى أي خطر، لانه كان فاقد الشعور ولا يفقه الجزع. لكن انظر الى اخيك.

(يعود غيداريوس حاملا رأس كلوتن).

غيداريوس: كلوتن هذا، كان أخرق عديم الفهم ليس في رأسه درهم عقل. هرقل ذاته لم يكن ليقوى على سحق دماغه لانه محروم منه كليا. أوتصدّق أن هذا الصعلوك، لو لم أبادره بشجاعة، لكان حمل رأسي بدلا من ان احمل انا رأسه بيدي كم افعل الان؟

بيلاريوس: ماذا صنعت؟

غيداريوس: انا مدرك تماما ما فعلت. لقد قطعت رأس شخص اسمه كلوتن، يدّعي انه ابن الملكة، وكان يعتبرني مارقا وجبليا ابله، وكان يقسم بأنه وحده يستطيع ان يقبض علينا كلنا ويدحرج رؤوسنا عن أكتافنا ـــ لكن

شكرا للآلهة، هي لا تزال مكانها ــ ولم يتمكن من تعليقها على حيطان مدينة « لود ».

بيلاريوس: لقد هلكنا جميعنا.

غيداريوس: يا والدي الحبيب، ماذا كنا فقدنا كثيرا من حياتنا التي تقسم ان يسلبنا اياها. القانون لا يحمينا. فلماذا نتورع ونسمح مثل هذا الوغد المغرور يهدد وجودنا، وأن ينصِّب ذاته علينا قاضيا وجلادا، وحجته ان من أوجب واجباتنا احترام القانون. هل رأيت حراسا في جوارنا؟

بيلاريوس: لم أشاهد احدا بتاتا. لكن التفكير البعيد ينبئني بأن له رفاقا. ومع ان مزاجه كان في تقلُّب مستمر منتقلا بدون انقطاع من سيء الى اسوأ، فليس من هوس او جنون مطبق قاده الى هنا. ربما قيل في البلاط ان هذا الكهف يأوي مبعدين يعيشون على الصيد، قد يعيثون يوما في الأرض فسادا. واذ سمع ذلك استشاط غضبا، وهذا ليس غريبا عن طبعه، وأقسم بأن يأتي للقبض علينا. ولكن من المستبعد ان يغامر بالقدوم الى هذا المكان بمفرده او ان يسمح له ذووه بذلك، فعلينا اذاً ان لا نغفل عن ان يكون لهذا الجسم ذنَبا افظع من الرأس ينذرنا بأوخم العواقب.

أرفيراكوس: ارجو ان تكون الآخرة كما رسمتها الآلهة. ومهما حدث لا أشك في ان اخي أحسن صنعا.

بيلاريوس: انا لم أتوفق اليوم في الصيد، لان مرض الفتى فيدوس جعلني اشعر بأن الطريق طويل جدا.

غيداريوس: وبسيفه الذي كان يحزّ على عنقي، قد فصلت عن بدنه رأسه الذي سأرميه في السيل وراء صخرتنا كي ينجرف الى البحر ويروي للسمك انه رأس كلوتن ابن الملكة. فلا يبقى لي بعد ذلك من همّ.

(يبتعد).

بيلاريوس: انا اخشى الاقتصاص منا يا بوليدور، وكم وددت ان لا تكون انت بالذات اقدمت على هذا العمل، مهما برهن على بسالتك وبراعتك.

ارفيراكوس: كم يسرني ان اكون فعلت ذلك، حتى ينالني الانتقام وحدي.

يا بوليدور انا أحبك كأخ عزيز، لكني أحسدك على هذا الاقدام وقد حرمتني القيام بمثل مهمتك. كم أود ان تبرز بوادر الاخذ بالثأر التي تستطيع قوى البشر ان تجابهها، وتوافينا الى هنا وتحاول محاسبتنا بعدل على اعمالنا.

بيلاريوس: ها قد قضي الأمر، ولن نذهب اليوم الى الصيد. فلنتجنب البحث عن المخاطر النافلة. عودا، انت وفيدوس، الى الكهف لكي تطهوا لنا طعامنا. وأنا سأنتظر هاهنا رجوع بوليدور، الرشيق السير، فآتي بصحبته حالا لتناول الغداء.

ارفيراكوس: مسكين فيدوس، هو مريض. ويسرني ان أبادر الى رؤيته. ولكني أرد اليه لون محياه سأقصد بارتياح مجموعة من أمثال كلوتن معتبرا ذلك افضل احسان.

(يبتعد ويغيب داخل الكهف).

بيلاريوس: ايتها الطبيعة القديرة، كم تتجلى حكمتك في هذين الاميرين الصغيرين. هما رفيقان كالنسيم العليل الذي يسري تحت البنفسجة بدون ان يهز تاجها الفواح. مع ذلك حالما يغلي الدم الملكي في عروقهما تراهما أشد وأعنف من العاصفة الهوجاء التي تهبّ على رأس الصنوبرة في الجبل فتحنيه نحو الوادي. امر عجيب، ان تعلّمهما غريزة خفيّة هذا الجلال بدون أي درس وهذه العزة بدون تلقين، وهذه المدنية بدون مثال يقتديان به، وهذه القيم التي تختمر في أعماقهما بحنكة تلقائية تحصد ما قد زرعت. مع ذلك اتساءل باستمرار، ماذا يخبيء لنا حضور كلوتن الى هنا من مفاجآت، وماذا سيجرّ علينا موته من بلايا.

(يعود غيداريوس).

غيداريوس: اين اخي؟ لقد بعثت برأس كلوتن مع مياه السيل رسولا الى أمه، محتفظا بجسمه كرهينة الى حين عودته.

(تسمع موسيقى جهورية كئيبة كأنها آتية من الكهف)

بيلاريوس: ماذا أسمع؟ هذه هي الاشارة المتفق عليها. انصت يا بوليدور.

ولكن لأي سبب يطلقها كلدوال؟

غيداريوس: هل هو في البيت؟

بيلاريوس: لقد وصل الان.

غيداريوس: ماذا يريد ان يقول؟ منذ وفاة امي الحبيبة لم اسمع هذا الصوت، انما الاجراءات الهامة تتعلق بالحالات الهامة. فماذا جرى يا ترى؟ ان الفرح الذي ليس له من داع، كالنحيب الذي ليس له من موجب يشبه مرح القرد او حزن الولد. فهل جنّ كلدوال؟

(يسرع ارفيراكوس الى خارج المغارة حاملا ايموجان شبه ميتة).

بيلاريوس: انظر ما حل به. انه يحمل بين ذراعيه السبب الوجيه الذي كنا نلومه عليه .

ارفيراكوس: لقد مات الشخص العزيز الذي كنا نحبه بكل جوارحنا. فكم أود ان أقفز من ربيعي السادس عشر الى الستين من العمر، وأن أستبدل رشاقتي بعكازين بدلا من ان ارى هذا المشهد الذي يفتت الاكباد.

غيداريوس: ايها الزنبق النقي الذي يهيم بحبك اخي كنت اروع عند تهاديك فيما بيننا بقامتك الممشوقة.

بيلاريوس: ايتها الكآبة دليني على مغامر واحد يسبر غور الهاوية التي ترديت فيها. وعندما ينتشلك من الاعماق، يحملك الى الشاطىء حيث ترقد الجثث الهامدة؟ انا اعرف ايها الفتى المحبوب انك مت كمدا. (لأرفيراكوس) في اية حالة وجدته؟

ارفيراكوس: جامدا كما تراه، باسما هكذا، كأنه يحس اثناء رقاده بدغدغة فراشة خفيفة، لا بضربة الموت القاضية، وخده الايمن ملقى على وسادة.

غيداريوس: اين؟

ارفيراكوس: على الأرض، ويداه متشابكتان على صدره. لقد ظننته نائما فخلعت خاشعا نعلي المحدد الذي يطأ الصخر بخشونة تحت أقدامي.

غيداريوس: وفي الواقع كان نائما. فان غادرنا، فلكي يجد في ضريحه سريرا تزوره الجنيات مؤنسة، ولا تجسر الديدان على الدنو منه مهابة.

ارفيراكوس: سآتيك بالازهار طوال الصيف يا فيدوس، ما دمت حيا لأعطِّر قبرك الحزين. لن اتأخر عن تزويدك بأزهار نضيرة كوجهك المشرق وبنفسج لازوردي كعروقك الزرقاء وورق ورد بري اجده بدون مبالغة أقل اريجا من أنفاسك العطرة. في اثناء غيابي سينقل ابو الحن بمنقاره من الزهور ما يقصِّر في تقديمه ورثتك الاغنياء الذين يتركون فقيدهم مسجى بدون ضريح فخم. أجل سيجلب لك ما يتسنى له من ورود، وعندما لا يبقى من زهور سيكسو جثمانك بساطا من العشب الاخضر كوشاح يقيك برد الشتاء.

غيداريوس: كن كريما، ولا تقصِّر في هذه الواجبات كفتاة صغيرة مرتبكة عاجزة عن التصرف بلباقة. تعالوا ندفنه ولا نؤجل وفاء هذا الدَين نظرا الى ما عرفناه فيه من صفات حميدة. فالى القبر اذاً.

ارفيراكوس: اين سندفنه؟

غيداريوس: بجانب أمنا الصالحة أرفيل.

ارفيراكوس: نعم، علينا ان نفعل ذلك يا بوليدور، ومهما غدا لصوت صديقنا من نبرة اكثر رجولة، فلنرتل له حتى نوصله الى الحفرة، كما كانت تفعل والدتنا في الماضي. ولننشد ذات الكلمات بنفس النغم مستبدلين أرفيل باسم فيدوس.

غيداريوس: انا لا أريد ان أرتل يا كلدوال. سأكتفي بالنحيب عوضا عن الكلام.

ارفيراكوس: سنتلو فقط.

بيلاريوس: لا يغرب عن بالك ان الآلام الكبيرة تلهي عن الصغيرة. فقد نسينا كلوتن يا ولدي. وكان ابن ملكة. وان يكن قد جاءنا كعدو، لا تغفلا عن كونه دفع ثمن استهتاره باهظا. فالحقير والجليل كلاهما يموتان ويعودان الى التراب. انما الفرق بينهما هو ان الناس في هذا العالم فقط يميزون بين الصغير والكبير. لقد كان خصمنا اميرا فسلبتماه الحياة لانه عاملنا كأعدائه. اما الآن فعلينا ان ندفنه كأمير وقد تساوى بالموت وأوفى الاصدقاء.

غيداريوس: رجائي ان تذهب وتأتي به. فان الشرير يوازي الصالح عندما تخمد أنفاس كل منهما.

ارفيراكوس: وفيما انت ذاهب لتأتي بكلوتن نرتّل نحن النشيد (يبتعد بيلاريوس) إبدأ يا أخي.

غيداريوس: ليس الان يا كلدوال، يجب اولا ان ندير اتجاه رأس فيدوس نحو الشرق كما اوصانا والدنا.

ارفيراكوس: هذا صحيح.

غيداريوس: ساعدني على تغيير وضعه.

(غيداريوس وأرفيراكوس يضعان ايموجان في القبر، والليل يرخي سدوله).

ارفيراكوس: حسنا ابدأ.

نشيد

غيداريوس: لا تخشَ وهج الشمس
ولا العواصف على النفس
فقد قمت بدورك بين الأحياء
وعدت الى بيتك بعد العناء
فتيان وفتيات في الدنيا مهما استقروا
من العودة الى التراب أصلهم لن يفرّوا

ارفيراكوس: لا تخف غضبة الكبار
فقد تخلصت منها بلا خيار
ولم يعد لك همّ في مأكل وملبس
فالقصب والسنديان وعرق النرجس
مع التاج والنبوغ والعلم
مآلها الى التراب حتما، نعم.

غيداريوس: لا تفزع من لمع البروق.

ارفيراكوس: ولا من قصف الرعد المريع.

غيداريوس: لا تخشَ النميمة والاتهام الشنيع.

ارفيراكوس: لقد انتهى عهد الفرح والحزن بالنسبة اليك.
كلاهما معا: كل المحبين الشبان لا بد لهم من ان يلحقوا بك ويرقدوا مثلك تحت التراب.
غيداريوس: ارجو ان لا يعذبك مستحضر الارواح.
ارفيراكوس: وأن لا يسحرك المشعوذ الدجّال.
غيداريوس: وأن يحترمك كل صولجان مسرع الى الزوال.
ارفيراكوس: وأن لا يصيبك أي مكروه.
كلاهما معا: لتكن آخرتك هادئة، وليكن قبرك مكرّما.

(يعود بيلاريوس حاملا جثمان كلوتن، عند حلول الاصيل).

غيداريوس: لقد انتهينا من تشييع جثمان فيدوس. وبقي علينا ان ندفنه.

(يوضع جثمان كلوتن الى جانب ايموجان).

بيلاريوس: هذه بعض الزهور، وعند منتصف الليل نضع غيرها. فالورود التي يتساقط عليها الندى البارد ليلا هي أنسب لنثرها على الضريح.

(يلقي الثلاثة ما في ايديهم من زهور على الجثمان)

لقد كنتما زاهيين كهذه الازهار. وها قد ذبلتما كما تذوي الورود التي ننثرها الان عليكما. لننسحب الان جانبا ولنركع متضرعين فالارض التي جادت بهما قد استرجعتهما. وأفراحهما في هذا العالم ولّت نظير آلامهما.

(يمضي بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس).

ايموجان (تحلم): أجل يا سيدي، انا ذاهبة الى ملفورد هافن. فأين الطريق. أشكرك. انه بمحاذاة ذاك الغاب. ألا تزال المسافة بعيدة؟ رحماك، أمامي مسيرة ستة أميال. هل هذا ممكن؟ أنا في أول الليل. لعمري سأتمدد على الارض وأنام. (تلامس جثمان كلوتن). مهلا، لا أريد رفيقا في سريري. (تتفحّص الجثمان): هذه ملابس بستيموس. اني اعرف شكل فخذيه. ها

هي بطة ساقه وهذه يده وهذه قامته المديدة وعضلاته المفتولة. انما هيئته تشبه ابليس. فهل ترتكب جرائم القتل ايضا في السماء؟ ولكن اين رأسه؟ (تنتصب مخبولة). آه! يا بيزانيو، لتحل عليك جميع اللعنات فوق لعناتي، لانك تآمرت وكلوتن، هذا الشيطان المجرم الذي قطع رأس زوجي. من الان وصاعدا كل ما تقوله وتكتبه يعتبر خيانة. تباً لك من لئيم، يا بيزانيو. انك برسائلك المختلقة قد هدمت اقوى صارية في اعظم مركب جاب بحار العالم. لهفي عليك يا بستيموس، اين رأسك؟ اين هو؟ كان الأولى ببيزانيو، ان يطعنك في قلبك ويبقي لك رأسك. فمن الذي تصرف هكذا؟ أهو حقا بيزانيو؟ أجل هو وكلوتن. لقد تضافرت الاطماع والخساسات على اقتراف هذه الجريمة البربرية. هذا واضح. لان الدواء الذي اعطاني اياه بيزانيو، مدعيا انه يشفي، وجدته سما زعافا قضى على احساسي. وهذا ما يؤكد كل ظنوني، لانه من صنع بيزانيو وكلوتن. ألا دعني يا بستيموس أخضّب بدمك وجنتيَّ الشاحبتين لنبدو كلانا في غاية البشاعة لمن يتسنى له ان يرانا هكذا. آه! يا زوجي العزيز، اين انت الان؟

(تسقط مغمى عليها. يصل لوسيوس ومعه ضابط ثم ضباط آخرون ثم العرّاف).

الضابط: ان الجيش المرابط في بلاد غاليا قد اجتاز البحار حسب امرك. وهو ينتظرك في ملفورد هافن مع أسطولك، والجنود على أتم الأهبة للتدخل.

لوسيوس: ولكن ما هو طلب روما؟

الضابط: لقد حرّك مجلس الشيوخ الحلفاء وخيالة ايطاليا المتطوعين المتحمسين الذين يستعدون للمساعدة الفعالة، وهم بإمرة ياشيمو الشجاع شقيق امير سيانا.

لوسيوس: متى تنتظر وصولهم؟

الضابط: في اول فرصة.

لوسيوس: هذا الاندفاع يوطد آمالنا. اصدر الامر الى فرقنا المتأهبة لتتخذ مواقف القتال، وقل لسائر الضباط ان يسهروا. (للعرّاف): وأنت يا سيدي بماذا توقعت حديثا في موضوع نهاية هذه الحرب؟

العرّاف: لقد كشفت الآلهة الليلة البارحة لعينيَّ رؤيا مصيرية بعد ان صمت وصلّيت لأسترشد بأنوارها. وهاك ما وصلت اليه: شاهدت النسر الروماني يطير من جنوب المجرّة الى هذه الناحية من الغرب، وهناك يندمج بأشعة الشمس، الامر الذي يرجح فوز الجيش الروماني، الا اذا تسببت ذنوبي في تشويش توقعاتي. (يبصر جثمان كلوتن). مهلا. ما هذا الجسم المقطوع الرأس؟ ان هذا الركام يدل على ان البناء كان شاهقا (ثم يبصر ايموجان) من هو هذا الفتى؟ أهو ميت ام نائم على الآخر؟ لا بد من ان يكون ميتا لان الطبيعة تأبى على الجثمان مشاركة سرير الميت او النوم على جثة اخرى. هذا فظيع. فلنشاهد محيا الفتى.

الضابط: انه حي، يا مولاي.

لوسيوس: اذاً سيفسر لنا وجود هذه الجثة المشوهة الملقاة بجانبه. (لايموجان التي اخذت تنتصب واقفة) اخبرنا ايها الفتى بمغامرتك مفصلا لانها على ما ارى تسترعي الانتباه. من هو الذي جعلت منه وسادتك الدامية؟ او بالحري من شوّه هذه الصورة الجميلة التي رسمتها الطبيعة النبيلة؟ ما هو دورك في هذه الكارثة المحزنة؟ كيف حدثت؟ من هو؟ ومن انت؟

ايموجان: انا لا دور لي ولا علاقة بالقضية. اذ من الأفضل ان لا يتدخل المرء في مثل هذا الامر. كان هذا الرجل سيدي، وهو بريطاني شجاع وطيب القلب، فقتله بعض اهالي الجبل. وا أسفاه! لن اجد سيدا نظيره، وقد أجوب الشرق والغرب جادا في طلب عمل وأجرب الكثير والأفضل من الأعمال، ورغم استعدادي للخدمة بأمانة لن احظى بسيد مثله.

لوسيوس: مسكين انت ايها الشاب. شكواك تحرك الشفقة في قلبي كمنظر سيدك المضرّج بدمه. قل لي، يا صديقي، ما اسمه ؟

ايموجان: اسمه ريكاردوس الكرّام (على حدة) هذا كذب لا ينجم عنه ضرر، فآمل ان تغفره لي الآلهة. (بصوت عالٍ) ماذا تقول يا مولاي؟

لوسيوس: ما اسمك؟

ايموجان: فيدوس، يا مولاي.

لوسيوس: اسم يطابق المسمى، ويليق حقا باخلاصك. هل تريد ان تجرب

حظك معي؟ انا لا اقول لك: اني انا سيدك الجديد أساوي القديم. انما كن على يقين بأني سأحبك نظيره. واعلم ان رسائل التوصية، حتى ان كانت من قبل الامبراطور، لن تفيد في ترقيتك بقدر استحقاق عملك. تعال معي.

ايموجان: سأتبعك يا مولاي. لكن اسمح لي اولا بأن اضع سيدي في مأمن من لسعات الذباب، في حفرة عميقة بمقدار ما تتيحه لي هذه المعاول. (تبرز اظافرها) وبعد ان اغطي ضريحه بالاوراق والاعشاب البرية، أغادر خدمته وألتحق بك اذا كنت تقبلني كخادم لك.

لوصيوس: نعم ايها الفتى. وسأكون لك أبا اكثر من سيد. يا اصحابي لقد علّمني هذا الشاب واجباتي كرجل. فلنبحث عن المرج المزدان بأزهار الربيع ولنجهز للميت بما لدينا من معدّات، ضريحا لائقا. هيا، أنهضوه. (لايموجان) وأنت يا ولدي، بما انك اوصيتنا به خيرا سيكون له القبر الذي يتسنى للجنود اعداده. فتشجع وامسح دموعك. ان بعض الكبوات ليست الا حوافز ناجعة تساعد على الارتقاء.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث
في قصر ملوك بريطانيا

(يدخل سمبلين وبعض الوجهاء ثم بيزانيو)

سمبلين: ليذهب واحد منكم ويرجع بسرعة كي يقول لي كيف حال الملكة؟ فقد انتابتها الحمى من جراء غياب ولدها وسيطر عليها الهذيان الذي يهدد حياتها بالخطر. ايتها السماء، ما هذه المصائب الفادحة التي تنزل بي؟ ايموجان التي اعتبرها اكبر تعزية لي قد اختفت، والملكة على فراش النزاع، بينما

الحروب المدمرة تهددني من كل صوب، وابنها الذي لا أستغني عنه لا سيما في هذه الآونة الاخيرة، قد اختفى، وأيضا انا مرهق ينتابني اليأس. (لبيزانيو) اما انت يا رفيقي، فلا بد لك من ان تكون عالما بسر رحيل ابنتي وتتجاهل الامر تماما. سأعرف كيف اجبرك على الكلام بواسطة التعذيب الرهيب.

بيزانيو: مولاي الكريم، حياتي بين يديك وتحت رحمتك. اما سيدتي فاني حقا لا ادري اين هي، ولماذا ذهبت ومتى تعود. ألتمس من جلالتك ان تعتبرني من اخلص خدمك.

الوجيه الأول (لسمبلين): ايها الملك الجليل، يوم اختفائها كان هذا الرجل هنا. وأنا أقسم وأؤكد انه يقول الحقيقة وانه يتمم بأمانة، جميع واجباته كأحد رعاياك. أما ما يخص كلوتن فلا شك عندي في انه سيعود.

سمبلين (لبيزانيو): أمور كثيرة تشغل بالي، ولا اريد ان أحمِّلك همها حاليا مهما سببت لي شكوكي من الارهاق.

الوجيه الأول: اسمح لي، يا صاحب الجلالة، بأن اقول لك ان الجيوش الرومانية التي سحبت جميعها من بلاد غاليا قد انزلت من السفن الى شواطئكم مع عدد من وجهاء روما، ارسلهم مجلس الشيوخ.

سمبلين: انا الان بحاجة الى نصائح ابني والملكة. وأراني مضعضع الفكر حيال خطورة هذه الاحداث.

الوجيه الأول: ايها الملك المعظم، ان جيوشك قادرة على مقاومة القوات التي ذكرتها ولو انضم اليها غيرها لمساندتها، ستجد انت ايضا عونا جديدا. فما عليك الا ان تأمر الجموع الغفيرة التي تنتظر على أحر من الجمر كي تتحرك.

سمبلين: أشكرك. تعال ننسحب لنواجه الظروف الحاضرة. نحن لا نخشى تهديدات ايطاليا. انما ما يجري عندنا هو الذي يقضّ مضجعي. فالى الامام.

(يخرج الجميع ما عدا بيزانيو).

بيزانيو: لم أستلم شيئا من سيدي، منذ ان كتبت له وأوهمته بمقتل ايموجان.

والغريب اني لم أستلم أي نبأ من قبل سيدتي التي وعدتني بآن تزودني بأخبارها بتواتر. ولا ادري ماذا حل بكلوتن. فأنا حقا في منتهى الحيرة. على ما يظهر، لم تنته كوارثي بعد. فقد اصبح كذبي ملاذي الوحيد، وأنا مطمئن لان الكذب ليس من عادتي. والحرب الحاضرة ستحمل الملك نفسه على الاعتقاد بأني احب بلادي، ولا أتردد في ان اموت فداءها. لندع الزمان يجلو كل هذه الغوامض. فالحظ السعيد يقود الى المرفأ الامين اكثر من مركب بدون دفة، توجهه الامواج التي تتقاذفه وتتلاعب به.

(يخرج).

المشهد الرابع

يصل بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس

غيداريوس: الضجيج يحيط بنا من كل جانب.

بيلاريوس: لنبتعد عنه اذاً.

ارفيراكوس: أي جاذب يا سيدي، يشدنا الى هذه الحياة كي نتشبث بها ولا نعرّضها للمخاطر والضياع؟

غيداريوس: أجل، ما الفائدة من اختبائنا؟ اذا سلكنا هذا الطريق، فاما ان يقتلنا الرومان كبريطانيين، وإما ان يعتبرونا برابرة ثائرين فيبيدونا.

بيلاريوس: سنرحل اذاً الى اعالي الجبال يا ولديّ لنكون في مأمن، اذ يستحيل علينا ان ننضم الى أنصار الملك، لان موت كلوتن الحديث العهد يعرّضنا نحن الذين لا يعرفنا احد ولم نلتحق بصفوف المقاتلين، الى الاستجواب حول المكان الذي عشنا فيه حتى الان، وأجوبتنا ستجر علينا الوبال والموت المحتم بعد العذاب المبرّح.

غيداريوس: هذا الخوف لا يليق بك يا سيدي، في هذه اللحظة ولا يشرّفنا نحن الاثنين.

ارفيراكوس: هل يعقل، حين سماع صهيل خيل الرومان او مشاهدة أضواء مخيَّمهم حيث الانظار والاسماع منشغلة بأمور في غاية الاهمية، ان ينصرف البريطانيون الى اضاعة الوقت في تفحُّص أوضاعنا وتبيُّن اين كنا؟

بيلاريوس: انا معروف في اوساط الجيش. ولم أبصر كلوتن الا في حداثة سنه. ومع ذلك انتما تشهدان بأن الزمن لم يمحه من ذاكرتي. على كل حال، لم يستحق الملك لا خدماتي ولا حبكما. فجاء نفيي ليحرمكما من الثقافة وسط شظف العيش هذا، ويحجب عنكما الامتيازات التي تحق لكما بحكم نسبكما. فتعرضتما لحر الصيف المحرق ولصقيع الشتاء المضني.

غيداريوس: عدم وجودنا هو افضل من بقائنا على هذه الحالة. فلننضم الى الجيش يا سيدي. انا وأخي لسنا معروفين، وأنت البعيد عن أنظار الجميع، وقد غيَّرتك الايام، ستكون في مأمن من الاستجوابات.

ارفيراكوس: انا ذاهب تحت هذه الشمس الساطعة. ومن المستغرب ان لا اكون قد شاهدت في حياتي رجلا يموت. وأكاد اقول اني لم أبصر دما يسيل الا من الارانب الخائفة والماعز الحائضة والوحوش الضارية المقتولة. انا لم اركب سوى الحصان وطريقتي في امتطائه بدائية. اني أخجل، لدى رؤيتي الشمس الخيِّرة، من التمتع بأشعتها المفيدة، ومن البقاء هكذا طويلا نكرة مجهولة.

غيداريوس: بحق السماء، انا ايضا ذاهب (لبيلاريوس) اذا اردت ان تباركني، يا مولاي، وأن تمنحني حريتي سأدافع ببسالة عن بلادي، ولكن اذا لم تشأ، فستنهال عواقب هذا الرفض عليّ، اذ يذيقني الرومان كاسات المنون.

ارفيراكوس: انا أردد ما قاله. آمين.

بيلاريوس: بما انك غير متمسك بحياتك، فلا داعي لكي أهتم انا بتقدمي في السن. فأنا ذاهب معكما يا ولديّ. واذا قدّر لكما ان تموتا دفاعا عن وطنكما فمثواي الاخير سيكون الى جانبكما. هيا الى الامام (على حدة) الوقت يبدو لهما طويلا، وهما يجدان ذاتيهما مقصَّرين لان دمهما لم يهرق.

الفصَل الخامِس

المشهد الأول
خيمة في المعسكر الروماني

(يدخل بستيموس، وفي يده منديل ملوث بالدم)

بستيموس: أجل، ايها المنديل المخضب بالدم سأحتفظ بك. لاني انا الذي اردتك ان تكون داميا هكذا. ايها الازواج، اذا اتبعتم مثالي، كم منكم يغتالون نساء اكثر فضيلة من انفسكم لأقل انحراف يبدر منهن. يا خادمي الامين بيزانيو، لا تنفّذ جميع أوامري. عليك فقط ان تنفذ العادل منها. ايتها الآلهة، لو اخضعت كلا من اخطائي للعقاب، ما كنت عشت لأعاني هذه النهاية التعيسة، وهكذا كنت صنت حياة الاميرة ايموجان وأفسحت لها المجال لكي تندم، وكنت انزلت القصاص بي انا البائس المستحق انتقامك اكثر منها. وا أسفاه! هناك اناس تزهقين ارواحهم لأتفه الهفوات، وبتظاهرك بحبهم تضمنين تكرار سقوطهم، بينما انت تتيحين لسواهم شتى الفرص كي تتراكم ذنوبهم أكداسا وتشوهين القبيح ليصبح اقبح، وتدعين الجميع يرتجفون خوفا على مستقبل سعادتهم. لقد اخذتِ مني ايموجان، فلتكن مشيئتك، فقط امنحيني نعمة الصبر على فقدها. يكفيك، يا بريطانيا، ان

اكون قاتل ملكتك. هدِّئي روعك، لن أجرّ عليك خطبا جديدا. فاسمعي اذاً بصدر رحب ما صممت عليه، ايتها السماء السمحاء. سأتخلّص من هذه الملابس الايطالية وأرتدي ثياب فلاح بريطاني. وهكذا أحارب الفريق الذي اتيت بصحبته، وأنا عازم على تجرّع كأس الحمام في سبيلك يا ايموجان، اذ حوّلت كل نسمة في حياتي الى دخان خانق، ولاني نكرة لا أثير شفقة ولا اسفا، انوي ان ألقي بنفسي الى هوّة العدم. أريد ان يتعرف الناس من خلالي الى قيم أثمن من التي يدل عليها مظهري. ايتها الآلهة امنحيني قوة أسلافي، ونظرا الى انحطاط اساليب هذا العالم أود ان احصر الامتياز في جوهر الرجل لا في ظاهره.

(يخرج).

المشهد الثاني

في ساحة المعركة

(من جهة يمر لوسيوس وياشيمو والجيش الروماني، ومن جهة اخرى الجيش البريطاني يتبعه بستيموس ببزة جندي مسكين، ثم تنسحب الجيوش بعد اجتيازها المسرح. حينئذ تحدث مناوشة، فيعود ياشيمو وبستيموس وهما يتقاتلان. ينتصر بستيموس ويجرد ياشيمو من السلاح ويتركه أعزل).

ياشيمو: ان الجريمة التي تعذب ضميري تجردني من كل نشاط. لقد اتهمتُ بالخيانة امرأة هي اميرة هذه المقاطعة وزينة بنات جنسها. واذا بالهواء الذي يسري في الفضاء يضعف عزيمتي انتقاما. فهل تمكن هذا اللص، هذا الدجّال الحقير، من السيطرة عليّ في تنفيذ مهمتي الخاصة؟ ان ما أنعم به من الشرف والمجد والسؤدد ليس سوى مظاهر مضحكة. اذا لم يتغلب نبلكم يا أيها البريطانيون على خسة هذا اللئيم الذي يناوىء وجهاءنا ويضخم الفرق بيننا، فنحن نكاد نكون رجالا بينما انتم في مصاف الآلهة ترتعون.

(يبتعد ياشيمو وتستمر المعركة. يهرب البريطانيون ويقبض على سمبلين. حينئذ يأتي بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس ليخلصوه).

بيلاريوس: مكانكم! لقد استولينا على هذا الموقع وأمسى الممر تحت حراستنا، ولن يضعضع عزيمتنا سوى جبننا وتخاذلنا.
غيداريوس وأرفيراكوس: مكانكم! ولنواصل القتال.

(يصل بستيموس الذي يساعد البريطانيين، ويخلص سمبلين ويبتعد به. ثم يأتي لوسيوس وياشيمو وايموجان).

لوسيوس (لايموجان): انسحب من المعمعة وانصرف ايها الفتى. فالاصدقاء يقتلون اصدقاءهم، والفوضى منتشرة كأن الحرب معصوبة العينين لا تبصر.
ياشيمو: في كل هذا يعود الفضل الى فرقهم المرسلة حديثا.
لوسيوس: لقد تغير سير المعركة. فلنطلب النجدة او نهرب.

(يبتعدون).

المشهد الثالث

في مكان آخر من ساحة القتال

(يصل بستيموس ووجيه بريطاني)

الوجيه: هل انت قادم من معقل المقاومة؟
بستيموس: أجل. أما انت فيخيل الي انك آت من حيث يهرب المحاربون.
الوجيه: نعم.
بستيموس: انت لا تلام يا سيدي، ان حلّت بنا هذه الخسارة الجسيمة، لان السماء لم تساعدنا. فالملك ذاته قد فصل عن جناحي جيشه، والجنود تفرقوا، والبريطانيون لم نعد نرى سوى ظهورهم، وكلهم يهربون عبر ممر

ضيّق. والعدو المتحمس رغم تقطع أنفاسه يتابع مجزرته، وأمامه عمل اكثر مما تستوعبه مقدرته. فالبعض جروحه خطيرة والبعض الآخر اصابته طفيفة وقسم سقط من الفزع، فغصّ الممر بالاموات وجلّهم مطعونون في ظهورهم، لان الجبناء الذين لا يزالون أحياء يلاقون حتفهم ببطء، يخنقهم العار الذي لحق بهم.

الوجيه: اين يقع هذا الممر؟

بستيموس: قريبا من ساحة المعركة. هناك خندق عميق يحيط به المرج. فاستفاد منه جندي مسنّ، أؤكد لكم انه رجل شريف يستحق كل ثناء على ما قام به من عمل بطولي، بالرغم من شيخوخته ولحيته البيضاء. هو الان لا يزال وسط الممر بين شابين جبارين أحرى بهما ان يتباريا في المصارعة من ان يقوما بمجزرة، ومحياهما اكثر اشراقا من كثير من الوجوه الناعمة التي يغلب عليها الحياء. فدافع الرجل عن الممر بمساعدة البطلين، وهو يصيح بالهاربين: عبيد بريطانيا هم الذين يلوذون بالفرار ويموتون من الرعب، لا الرجال الاشداء. الى الجحيم كل من يتراجع. قفوا، او ننضم نحن الى الرومانيين، لنعاملكم كأننا في الصيد، اذا واصلتم هربكم كالبهائم. لا خلاص لكم الا بالمجابهة التي لا تعرف التراجع. قفوا، قفوا. واذا بهؤلاء الثلاثة يقاتلون كأنهم ثلاثة فيالق، لان ثلاثة محاربين يكوّنون جبهة قتال في موقع يمنع الآخرين من أي تحرّك. وبهذه الصيحة: قفوا، قفوا، التي جعلها الظرف والمكان أنسب ما يقال، رشق الرجال بسحر عجيب ونفخ فيهم روح البسالة التي قلبت المغزل في يدهم سهما وشعّت على وجوههم نورا مشجعا فحوّلت ترددهم الى حماسة لا تهاب المنايا وشدت عزائم من جبنوا تشبها بسواهم. وفي الحرب، اول المهزومين هم المتقهقرون مباشرة، والمتطلعون بدون مبالاة الى الأرض التي يخسرونها، واللاعنون جزافا كما يزأر الاسود بلا جدوى امام رماح الصيادين الماهرين. عندئذ يحين امام المهاجمين وقت الوقوف ثم الانسحاب بعد انتشار الفوضى الهدامة. ها هم يتراكضون كالدجاج الى حيث بدأ انقضاضهم كالنسور، ويتراجعون كالعبيد بعد الخطوات الجريئة التي تقدموا بها منتصرين. وسرعان

ما يصبح الرعاديد، وهم كفضلات المؤونة اثر مسيرة طويلة شاقة، كحاجة قصوى لتأخير الانكسار. واذ يجدون الفرصة ملائمة لتشتيت المصابين والعزّل من السلاح، تستفيق حماستهم فيضربون هنا القتلى وهناك المنازعين، وهنالك الاصدقاء الذين جرفتهم أولى موجات الهاربين. عشرة رجال طاردهم رجل واحد، هم الان قادرون، كل منهم على ذبح عشرين. ومن فاتهم الموت بدون مقاومة ينقلبون، كما تعلم، الى مصاصي دماء في ساحة المعركة.

الوجيه: هذه وقائع عجيبة عن هذا الممر الضيِّق وهذا العجوز وهذين الشابين.

بستيموس: لا تدهش هكذا. انت خلقت لتعجب بمآثر غيرك لا لتصنعها بنفسك. هل تريد ان تنظم القوافي وتبتدع قصيدة كهذه:

فتيات وعجوز في شرخ الشباب وطريق

انقذوا بريطانيا وشتتوا الروماني العريق.

الوجيه: ما رأيك؟ لا تحنق.

بستيموس: وما الفائدة؟ سأكون دوما رؤوفا بمن يهرب من عدوه، لانه يتصرف حسبما اعتاد، ولا بد له قريبا، من ان ينفر من صداقتي. لقد شجعتني على نظم القوافي.

الوجيه: ألا تزال غاضبا؟ الوداع.

(يبتعد).

بستيموس: هو لا يزال يهرب، مع انه من الوجهاء. تباً لهذا النبيل المنحطّ. هو قادم من ساحة الوغى، ويطلب مني أخبارا عن القتال. اسفي على رجال يضحُّون بشرفهم لانقاذ رؤوسهم، ولانهم أولوا ظهورهم هكذا للشجاعة، لبسهم العار وهلكوا. وأنا مع اني بقيت رهن شقائي لم ألاقِ حتفي، مع اني ابصرته وجها لوجه، ولم يحصدني منجل الموت وان صال وجال. غريب ان يختبيء هذا الوحش البغيض في الأسرّة الناعمة، ويكمن في الكلام المعسول، ولا يستعين بنا نحن المحاربين المجلّين في استعمال السلاح. مهما كلف الامر أريد ان أتحدى هذا الموت الذي يعفّ الان عن البريطانيين، وأنا لا ابتغي ان اكون واحدا منهم، بل ان أسترد مكانتي بين الرومان.

انا لا أقصد القتال، وسأستسلم لاول راشٍ يلمس كتفي لانحاز اليه. فظيعة هي المجزرة التي قام بها الرومان هنا، وأفظع منها هو انتقام البريطانيين. بالنسبة اليّ الفدية تعني الموت، وأنا قادم الى هنا لألتحق بأي فريق، تخلُّصا من حياة لم اعد ارغب في المحافظة عليها ولا التشبث بها. فلأخلِ المكان بأي ثمن لايموجان.

(يدخل ضابطان بريطانيان وبعض الجنود).

الضابط الأول: الحمد للاله المشتري. لقد ألقي القبض على لوسيوس. اما هذا العجوز وابناه فيغلب ظني انهما من الملائكة.

الضابط الثاني: كان بصحبتهم رابع بلباس الفلاحين، وقد هاجم معهم.

الضابط الأول: هذا ما بلغني. ولكن لم يُعثر على احد منهم. (يلمح بستيموس). قف. من انت؟

بستيموس: روماني لم يأتِ الى هنا لإضاعة الوقت، بل لمدّ يد العون.

الضابط الثاني: ألقوا القبض عليه. ها هوذا كلب آخر. لن يبقَ لهم من اثر، فليس من مجال ليعودوا الى روما، ويخبروا كيف اكلت لحمهم الغربان هنا. هو يشيد بخدماته كأنه رجل يعوَّل عليه. خذوه الى الملك.

(يصل سمبلين وموكبه ثم بيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس وبيزانيو. ثم أسرى رومان. يقدم الضابطان بستيموس لسمبلين الذي يسلمه الى السجّان. يبتعد الجميع).

المشهد الرابع
في السجن

السجان الأول: الان لن يختطفك منا احد، وأنت مسجون. فارع هنا على هواك ان وجدت المرعى خصيبا.

السجان الثاني: وكانت شهيتك مفتوحة.

(يخرج السجان).

بستيموس: أرحب بك ايها الاسير، لاني أعتقد بأنك على وشك الانعتاق. مهما يكن الامر، انا أسعد حالا من المريض بالنقرس الذي يفضل الأنين باستمرار على راحة الموت المحتَّم، هذا الطبيب الذي لا يخطىء العلاج، ويحتفظ بمفاتيح جميع الاقفال المستعصية. يا ضميري اراك مكبلا اكثر من يديَّ ورجليّ. ايتها الآلهة ألهميني الندامة لكي افتح لها كل مزالج قلبي وأحظى بالطمأنينة نهائيا. هل يكفي ان اشعر بالحسرة؟ فبالتوبة يهدّىء الاولاد روع ابيهم مؤقتا، وتبدو الآلهة أرحم في حكمها. لو قدِّر لي ان اتوب لما وسعني ان أفعل اكثر مما يتاح لي في هذا الاسر الطوعي وغير المفروض عليّ. ان كان الواجب يقضي بأن أسدد ما عليَّ لأغنم حريتي، أتوسل اليك ايتها الآلهة ان تكتفي باسترداد جسمي الفاني. انا اعلم انك اوسع حلما من الدائنين الجشعين المنتسبين الى زمرة الاشرار من البشر الذين يرتضون من مدينيهم المفلسين دفع الثلث او السدس او العشر من ديونهم ليتيحوا لاعمالهم ان تزدهر مجددا بتأجيل استرداد ما تبقى لهم في ذمتهم. انا لا اطلب هذا مقابل حياة العزيزة ايموجان. خذي حياتي وان كانت لا تساويها، فهي مع ذلك حياة مخلوقة على مثالك. وبين الرجال لا قياس لتمييز شتى العملات مهما كانت ممسوحة النقش عن المعدن، تراها مقبولة بسبب الصورة التي لا تزال تحمل آثارها، ولذلك ستقبلين بتضحيتي لاني مخلص صادق النية. ايتها القوى السماوية لا ترفضي لي هذه التوبة. خذي حياتي وسامحيني على اغلاطي الطفيفة. والآن أريد ان أناجيكِ بصمت ومهابة، يا حبيبتي ايموجان.

(ينام).

(تسمع موسيقى جهورية. يدخل سيسيليوس والد بستيموس، وهو عجوز بلباس محارب في رؤيا، يمسك بيد زوجته المسنة والدة بستيموس. تعزف الموسيقى ثانية. يصل عندئذ الأخوان الصغيران وهما شقيقا بستيموس، وقد ظهرت عليهما الجراح التي سببت موتهما في الحرب. والجميع يتحلقون حول بستيموس النائم).

سيسيليوس: يا سيدي العظيم، كف عن نفث غضبك على مجموعات البشر.

Bibliotheca Alexandrina
0463860

استشط غيظا على إله الحرب مارس وتشاجر مع جينون التي تحصي عليك متعتك ومجونك وتنتقم منك. وا ولداه ! ألم تفعل الخير دائما ؟ انا لم أره مطلقا. لقد مت انت وهو لا يزال في أحشاء أمه ينتظر سماح الطبيعة ليخرج الى هذا العالم. ليت للرجال حق القول انك كنت ابا اليتيم. كان عليك ان تتصرف كوالد وتحميه من ويلات هذه الدنيا.

الأم: ان لوسين بدلا من ان تساعدني، اغرقتني في الآلام، وبستيموس خُطف مني واقتيد باكيا الى الاعداء. لهفي عليه من طفل تعيس.

سيسيليوس: لقد حبته الطبيعة، نظير اجداده، مزايا حميدة اكسبته عطف الناس ومديحهم كوريث سيسيليوس عن جدارة واستحقاق.

الاخ الأول: حالما اصبح ناضجا في سن الرجولةِ، لم يوجد في كل أرجاء بريطانيا من استطاع موازاته واكتساب عطف ايموجان التي تعرف جيدا ان تميز بين الغث والثمين، بين الصعلوك والامير.

الأم: فلماذا طرد اذاً من رَبع ذويه بسبب هذا الزواج الغريب، وحرم من حبيبته ايموجان الحلوة؟

سيسيليوس: لماذا سمحت لواحد مثل ياشيمو وهو من حثالة الناس في ايطاليا ان يلطخ طهارة قلبها وروحها بفجوره وغطرسته؟ فأصبح ولدي المخدوع ألعوبة في يد هذا المخلوق الحقير؟

الاخ الثاني: لقد جئنا من عزلتنا الهادئة للاطلاع على احوال اهلنا. فكلانا افتدينا وطننا وسقطنا بشجاعة قتلى في ساحة المعركة أمناء على العهد مدافعين بشرف عن قومنا وأرضنا.

الأخ الأول: ولقد اظهر بستيموس عين البسالة في خدمة سمبلين، فلماذا أُخرت، ايها الإله المشتري، يا ملك الآلهة، منحه ما يستحق من مكافأة وحوّلت عيشه الرفيه الى بؤس وآلام.

سيسيليوس: افتح نافذتك البلُّورية، وكفَّ عن انزال مصائبك المفجعة بهذه الفئة من الشرفاء الشجعان.

الأم: ايها الإله المشتري، بما ان ولدي صالح، أبتهل اليك ان تضع حدا لشقائه.

سيسيليوس: انظر من اعالي مقامك الرفيع، وانجدنا، او نصرخ نحن الخيالات

الضعيفة امام مجمع عظماء المنوّرين منددين بألوهيتك.
الاخ الثاني: النجدة، ايها الإله المشتري، ونبتعد عن محكمتك مهرولين.

(ينزل الاله المشتري وسط الصواعق والبروق والرعود، فتخرّ الخيالات على ركبتيها جاثية).

الإله المشتري: ألا كفّي، يا أرواح العالم السفلي، عن تخديش أذني بنعيبك. اصمتي ايتها الاشباح. كيف تجسرين على اتهام الاله القدير الذي يهيمن من سمائه على كل المتمردين؟ الى الوراء ايتها الاطياف المسكينة. اذهبي وارتاحي على مروجك الخضراء، ولا تهتمي بما يحدث للبشر، لان ذلك لا يعنيك، كما تعلمين، بل يخصني انا وحدي، فأعاقب من اشاء، لكي تكون هباتي اجمل وقعا على مستحقيها. هدئي روعك فان ألوهتي ستُنهض ابنك المنحدر، وستحوّل ما أستحقه من احزان الى كنز لا ينضب من الافراح.. ان فتاي، انا الاله المشتري، قد اشرف على رؤية النور، وقد تزوج بموافقتي. فانهضي انت ايضا واغربي عن وجهي. سأجعله سيدا، وتكون ايموجان حليلته. وكلما ازداد عذابه ازدادت سعادته أضعافا مضاعفة. ضعي على صدره هذه اللوحات التي تحمل سجل مصيره، ثم اذهبي. وكفّي عن التعبير بهذه الضجة عن قلة صبرك خوفا من اثارة قلة صبري. هيا اصعد الان ايها النسر الى قصري البلّوري.

(يغيب).

سيسيليوس: لقد نزل وسط البروق والرعود، وكان نفَسه السماوي يعبق برائحة الكبريت. فحطّ النسر المقدس كأنه يريد ان يسحقنا. ثم حلّق يفوح منه أريج أعطر من حقولنا المزهرة السعيدة. فبسط الطائر الملكي اجنحته الخالدة وسنّ منقاره كما يفعل عندما يكون الإله مغتبطا.
الجميع: شكرا ايها الاله المشتري.
سيسيليوس: أغلق البلاط الرخامي، وعاد الإله الى مقامه المشعّ بالانوار الباهرة. فلنرحل، ولكي نعيش سعداء، يجب ان نتقيد حرفيا بأوامره العلية.

(تغيب خيالات الرؤيا).

بستيموس (يستيقظ): ايها النوم المريح، كنت لي أحنّ الجدود فأعطيتني أبا عطوفا وأماً حنونا وأخوين وفيين. ولكن، يا لسخرية القدر، لم يبقَ لي منهم احد، جميعهم غابوا حالما أتموا مهمتهم. ها انا قد استيقظت. والبؤساء المساكين الذين يعتمدون على افضال الكبار يحلمون نظيري، فيستفيقون ولا يجدون حولهم غير الفراغ وهوة العدم. انا لا ادرك ما اقول. كثيرون لا يفكرون بالسعادة التي لا يستحقونها، وهم مع ذلك مثقلون بهباتهم مثلي انا الذي رأيت هذا الحلم الذهبي بدون ان ادرك لا غايته ولا مغزاه. (يضع يده على صدره). اية جنّيات تسكن هذا المكان؟ ما هذه الرسالة؟ انها رائعة، شرط ان لا تكون بأسلوب هذه الدنيا التي يبدو ظاهرها اجمل من باطنها، نظير ما عهدناه في العديد من رجالاتنا الذين يجزلون الوعود ولا يفون. (يقرأ) عندما تهبّ على شبل يجهل ذاته نسمة هواء عليل تضايقه لانه لم يبحث عنها، وعندما تعود الاغصان المفصولة عن الارز العظيم الى الحياة مع جزعها الأصيل وتخضر من جديد بعد مرور أعوام على جفافها، حينئذ يزول شقاء بستيموس، وتسترد بريطانيا سعادتها وازدهارها في البحبوحة والسلام. هذا شبيه بالحلم او ببعض الأحاجي التي ينطق بها المجانين بدون أي ادراك. فاما ان تكون هذه الرسالة خالية من كل معنى او خارجة عن نطاق أفهامنا. وهذا ما يرمز الى وجودي وأود ان أحتفظ به لاني متشبث به.

(يدخل السجان).

السجان: هيا يا سيدي، هل انت مستعد للموت؟

بستيموس: لقد تعدّى استعدادي حدود المعقول. أنا جاهز منذ زمن طويل.

السجان: حبل المشنقة ينتظرك يا سيدي. ان كنت متأهبا حقا فهذا هو المرغوب.

بستيموس: ان كان مشهد القضاء عليّ يرضي المتفرجين، يكون ثمن الحبل قد استوفي.

السجان: حسابك عسير يا سيدي. ولكن عزاءك هو انك لم تعد مضطرا

للدفع. فلا تخشَ بعد اليوم مطالبتك بأُجر الكهف الذي ان وفَّر لك السرور، فلا شك في ان مغادرتك اياه مؤسفة. انت تدخل الى هنا خائر القوى لانك جائع، وستخرج منه مترنحا من كثرة الشرب، واذا ساءك الثمن الباهظ وضايقتك التخمة، فكن مطمئن البال ان الكيس والفكر فارغان. الفكر خفيف جدا لانه استخفَّ كثيرا، والكيس خفيف جدا لانه حُلَّ مرارا عديدة. قريبا ستكون في منأى عن هذه التناقضات. ما هذا الاحسان الذي لا يساوي الا ثمن حبل بفلسين؟ فلا تكاد تضيق العقدة حتى يتجمع عليك آلاف المستطلعين، وتتخلص بسرعة من الماضي والحاضر والمستقبل. لا تنسَ ان عنقك هو في آن واحد القلم والسجل ومنصة الحساب، فلن تنقضي برهة الا وتكون قد سددت جميع ما عليك في هذا العالم من ديون متراكمة.

بستيموس: انا مسرور بموتي اكثر مما تذوقته من بهجة طوال حياتي.

السجان: صحيح يا سيدي، ان النائم لا يحس بوجع الأسنان. انما الانسان المحكوم الذي يأخذ قسطه من الرقاد يتحتم على سجانه ان يضعه في السرير ويستبدل طوعا مكانه بمحل المشرف على تدبير مثواه الاخير، لانه لا يعرف الطريق الذي عليه ان يسلكه.

بستيموس: اذا كنت تعنيني، يا صديقي، فأنا اعرف سبيلي.

السجان: فاذاً لموتك عينان مبصرتان، انا لم ألاحظهما ابدا. فلا بد لمن يقودك من ان يدّعي المعرفة او ان تدَّعي انت العلم بما تجهله حتما، او ان تغامر ايضا باستكشاف مسؤوليتك متحملا كل عواقبها. اما مدى نجاحك في سفرك الاخير فاعلم بأنك لن تعود لتخبر احدا به.

بستيموس: انا ادري، يا صديقي، بأن لكل امرء عينين توجهانه في الطريق الذي يسلكه ما عدا من يغمضهما عمدا ولا يريد ان يبصر.

السجان: ما هذه المهزلة السخيفة؟ هل يتسنى للانسان ان يستخدم ناظريه لرؤية دربه ويتعامى عنه، في هذه الحالة، انا على يقين بأن الشنق هو طريق من يتجاهل ويغفل بصره.

الرسول (للسجان): فك قيود سجينك وخذه الى الملك.

بستيموس: تبدو اخبارك مطمئنة، يا صاح. فهل انا مطلوب للافراج عني؟

السجان: ان كان الامر كذلك، فأنا أوافق على شنق نفسي.
بستيموس: ستكون اذاً حرا اكثر من السجان، لان الميت لا يحتاج الى مزلاج لحجزه.

(يخرج مع السجان).

السجان: ان لم يكن هناك رجل يرضى بأن يتزوج المشنقة لينجب مشانق صغيرة، فأنا لم أشاهد في حياتي محكوما عليه بالاعدام مستعجلا نظيرك. أجل، لعمري، الا ذاك الروماني المغفل المستعبد الذي يبتغي ان يعيش. هناك اشخاص يموتون مرغمين، وسأحذو حذوهم، ان كنت منهم. اما انا فأود ان لا يكون لي سوى نفس واحدة صالحة، فلا يبقى من حاجة الى الجلادين والمشانق. انا أتكلم بما يناقض مصلحتي الحالية، انما لما اتوق اليه حتما حسنات لا تحصى.

(يخرج).

المشهد الخامس
في خيمة الملك

(يدخل سمبلين وبيلاريوس وغيداريوس وأرفيراكوس وبيزانيو والوجهاء والضباط ورجال الحاشية).

سمبلين: ابقوا الى جانبي، انتم الذين ارسلتكم الآلهة لانقاذ عرشي. كم يحزّ في قلبي ان لا يكون احد قد عثر على ذاك الجندي النشيط الذي قاتل كالابطال، وكانت اسماله تخزي الدروع المذهّبة، وصدره العاري يتحدى التروس الصلبة. هنيئا لمن يجده، لاني مصمم على غمره بالسعاد والرخاء.
بيلاريوس: لم اجد في حياتي تصرفا أنبل مما ابداه هذا المخلوق البسيط،

ولا مأثرة اروع من التي اتاها هذا الرجل الذي لم ينتظر احد منه سوى البؤس والمسكنة.

سمبلين: أليس من خبر عما حل به؟

بيزانيو: لقد بحثنا عنه بين الأحياء والأموات فلم نعثر له على أثر.

سمبلين: هذا مؤسف للغاية. لاني اصبحت اسير معروفه، ومكافأته اضحت من اوجب واجباتي. (يلتفت الى بيلاريوس وأرفيراكوس). أريد ان اضم فضله الى فضلكم، لانكم انتم الذراع والقلب والدماغ في انقاذ بريطانيا التي يجب ألا تحيا الا بكم، ها قد حان الاوان لأسألكم من اين انتم؟ بربكم أعلموني.

بيلاريوس: نحن يا مولاي، مولودون في كمبري وكنا من الوجهاء. وادعاؤنا غير هذا لن يكون حقيقيا ولا عادلا ولا متواضعا، الا اذا اضفت عليه اننا رجال شرفاء.

سمبلين: أسألكم ان تركعوا. (يجثو الثلاثة على ركبهم. يستلّ الملك سيفه ويضع نصلته برفق على كتف كل منهم بالتوالي). انهضوا الآن يا فرساني. اني أضمكم الى حاشيتي، وأمنحكم ما يلائم مرتبتكم. (يدخل كرنيليوس والسيدات المرافقات للملكة). ارى الاضطراب يعلو وجوهكنّ، فلماذا تحيُّون انتصارنا بمثل هذا الحزن، كأنكم من الرومان لا من بلاط ملك بريطانيا؟

كرنيليوس: أحيِّيك ايها الملك العظيم. وان كنت احمل اليك نبأ ينغص عيشك، عليّ ان أبلغك ان الملكة وافاها الأجل.

سمبلين: من يسوؤه هذا الخبر اكثر من الطبيب؟ ان فقدها يحزنني. لكن مهما أطال العلم عمرها سيقضي الموت حتى على الطبيب الذي عالجها. كيف ماتت؟

كرنيليوس: ميتة فظيعة جهنمية كحياتها يا مولاي، ما دامت قد التزمت قساوتها نحو الجميع، حتى انها لم تحجم عن ظلم نفسها. أكرر عليكم انها أقرّت بأغلاطها، وها هن نساؤها يشهدن على صحة قولي. ولا غروى، ان لم اكن مخطئا، ان يؤكد ذلك ايضا صاحب الخدّين الموردّين، الذي

كان ساهرا بجانبها اثناء لفظها أنفاسها الاخيرة.
سمبلين: ارجوك ان تتكلم.
كرنيليوس: اولا، اعترفت بأنها لم تحبك قط، لانها لم تكن متعلقة بصفاتك وشخصيتك بل بما توفره لها مكانتك من عز وجاه ونفوذ، فرضيت بأن تُزف اليك لتنعم بلقبك الملكي، واقترنت بمقامك الرفيع وهي لا تميل الى شخصك الكريم.
سمبلين: لقد حرصت على اخفاء الامر طوال حياتنا المشتركة، ولو لم تؤكد لي انت انها صرحت به وهي على فراش النزاع، ما كنت صدّقت هذا الكلام ابدا.
كرنيليوس: اما ابنتك التي كانت تتظاهر بأنها تحبها كثيرا، فكانت في نظرها كالعقرب، كما أقرت هي بذلك. ولو لم ينقذها منها هربها، لكانت قضت عليها بالسم.
سمبلين: تباً لها من افعى ناعمة الملمس! من يستطيع ان يدرك مكر النساء؟! هل هذا كل ما في الامر؟
كرنيليوس: لا، فالاسوأ لم يأت ذكره بعد. لقد اعترفت ايضا بأنها كانت تعدّ لك سماً ناقعا، متى تناولته أطفأ شعلة حياتك شيئا فشيئا حتى تقضي نحبك ببطء، لا سمح الله. وفي هذه الاثناء، كانت تنوي ان تسيطر عليك بمكائدها، تدعمها السهرات والدموع والمداعبات والقبلات، ريثما تكون قد مهدت لذهنك، طبعا بالحيل، قبولك تبنّي ولدها وجعله ولي عهدك. غير ان اختفاءه فوّت عليها الفرصة فاستسلمت الى هياج وقح لئيم، واختلّ تفكيرها وباحت بمشاريعها الهدامة هذه نكاية بالسماء والناس، وهي تأسف للمصائب الطارئة التي لم تستطع تحاشيها، حتى يئست من النجاح وماتت قهرا.
سمبلين: هل تدرين بكل هذا يا مرافقاتها؟
احدى الوصيفات: أجل يا مولاي، فلا يقلق لك بال.
سمبلين: انا لا ألوم عيني التي أبصرت جمالها، ولا أذني التي سمعت تزلفها، ولا قلبي الذي صدّق ما كانت تتظاهر به، لان من العيب كان اخذ الحذر

منها. مع ذلك يمكنك ان تعذريني، يا ابنتي، لاني كنت مهووسا في مساندة من أشقاكِ. ارجو ان تعوض لك السماء عما فات.

(يصل تحت الحراسة لوسيوس وياشيمو والعرّاف وسواهم من الاسرى الرومان، ويأتي وراءهم بستيموس وايموجان وهي لا تزال في زي فتى).

أوتأتي، يا لوسيوس، لتطالبنا بالجزية، والبريطانيون قد ألغوها بعد ان ضحوا في هذا السبيل بعدد كبير من الشجعان؟ ان اهل القتلى قد طالبوا، لتهدئة الخواطر عن المفقودين، بانزال العقوبة القصوى بكم جميعا ايها الاسرى. وأنا وعدتهم بذلك. فتأهبوا للموت.

لوسيوس: فكّر، يا مولاي، في تقلبات الحرب، فانكم لم تحرزوا النصر الا عرضا. فلو رجحت الكفة لصالحنا، أما كنا هددنا نظيركم اسرانا بحد السيف؟ ولكن بما ان الآلهة شاءت ان تكون أرواحنا فداءكم، فلا اعتراض لدينا. يكفي الروماني ان يكون ذا قلب كبير ليعرف كيف يتحمل الآلام. ان أغسطس لا يزال حيا وهو سيتدبر الامر. هذا كل ما عندي فيما يخصني، ولا أريد ان ألتمس منك، يا صاحب الجلالة، الا منّة واحدة (يشير الى ايموجان). ان مرافقي هذا بريطاني الاصل، فأرجوك ان تعفو عنه. لم أرَ في حياتي خادما أوفى وألطف وأنشط وآمن وأذكى منه. فلتشفع صفاته به لتلبية التماسي هذا. وأنا أسمح لنفسي بالقول، يا صاحب الجلالة، ان كرمك يأبى رفض رجائي. لأن هذا الفتى لم يؤذ أي بريطاني مع انه كان يخدم احد الرومان. أكرر التماسي لانقاذ حياته يا مولاي، بدون ان توفر حياة الآخرين.

سمبلين: انا واثق بأني رأيته قبلا. فملامحه ليست غريبة عني. لقد كسبت عطفي من اول نظرة ايها الفتى، فأنا أضمك الى حاشيتي. ولست ادري لماذا ولأية غاية أريد لك البقاء، يا ولدي. لا لزوم لشكري بصفتي سيدك الجديد. فعش واطلب مني، انا ملكك سمبلين، ما تشاء من النعم، بشرط ان اكون قادرا على منحك اياها، وأن تكون لصالحك، ولن أتردد لحظة في تلبيتها، أجل حتى ان كان طلبك العفو عن اعظم الاسرى.

ايموجان: بكل تواضع، اشكر جلالتك.

لوسيوس (لايموجان): انا لا ألتمس منك ان تتوسل لانقاذ حياتي يا ولدي العزيز، لاني واثق بأنك ستفعل ذلك من تلقاء نفسك.

ايموجان (وعيناها تحدّقان بياشيمو): لا، لا. وا أسفاه! لديَّ غير هذا المطلب. فأنا ارى ما هو أصعب من الموت، لان حياتك وحدها، يا سيدي الكريم، تستحق الخلاص من هذه الورطة.

لوسيوس: هذا الشاب المتهوّر يقصد ان يهجرني ويبعدني عنه الى الابد، مع العلم ان النعم الممنوحة بناء على رغبات الفتيان والفتيات قلَّ ان تدوم. فلماذا هو قلق على مصيري الى هذا الحد؟

سمبلين: ماذا تريد ان أهبك ايها الفتى؟ ان حبي لك آخذ في الازدياد. فأرجوك ان تفكر اكثر فأكثر في ما يجمل بك ان تنال. هل تعرف من تطيل النظر اليه ؟ تكلم. هل تريده ان يحيا؟ هل هو نسيبك او صديقك؟

ايموجان: انه روماني، وليس قريبي. ثم، ما دمت انتسب الى جلالتك بصفتي احد رعاياك فأنا أخصك.

سمبلين: لماذا تعتبره هكذا؟

ايموجان: مولاي، سأشرح لك الامر على حدة، اذا تنازلت الى سماعي.

سمبلين: أجل، من كل قلبي، وسأعيرك كل انتباهي واهتمامي. ما اسمك؟

ايموجان: اسمي فيدوس، يا مولاي.

سمبلين: انت، يا ولدي العزيز، احد مرافقيّ، ويسرني ان اكون سيدك، وأن اصغي اليك. تعال معي وكلمني بحرية.

(سمبلين وايموجان يتنحيان جانبا ويتحدثان بصوت خافت).

بيلاريوس: هل قام هذا الفتى من بين الاموات؟

ارفيراكوس: انه يشبه كل الشبه فتى آخر لطيفا انيسا عرفناه منذ عهد قريب، اسمه فيدوس. (لغيداريوس) ما رأيك فيه ؟

غيداريوس: ها هوذا الميت قد عاد الى الحياة.

بيلاريوس: اصمتوا، اصمتوا، لنرَ البقية. هو لا يتطلع الينا. انظروا ما اكبر

الشبه بين المخلوقات! فلو كان هو حقيقة، انا واثق بأنه كان كلمنا.

غيداريوس: انه هو الذي رأيناه يموت.

بيلاريوس: اسكتوا كي نرى التالي.

بيزانيو (على حدة): هذه هي سيدتي. وبما انها لا تزال على قيد الحياة، فليكن ما تشاؤه الاقدار.

(يعود سمبلين ومعه ايموجان).

سمبلين: تعال، قف الى جانبي، وافصح لي عن طلبك بصوت عالٍ. (لياشيمو): تقدم، يا سيدي، وأجب على سؤال هذا الفتى بكل صراحة. وإلا، أقسم بتاجي وصولجاني اللذين يرمزان الى سلطتي، بأن عقاب كذبك سيكون عذابا أليما. (لايموجان): هيا كلّمه.

ايموجان (تشير الى خاتم في اصبع ياشيمو): ان ما اطلبه بإلحاح هو ان يقول لي هذا الوجيه كيف وصل اليه هذا الخاتم؟

بستيموس (على حدة): ماذا يهمه هذا الامر؟

سمبلين: قل لي كيف حصلت على هذا الخاتم المرصَّع بالماس؟

ياشيمو: ستأمر بمعاقبتي اذا لم ابح لك بسرّي. انما تصريحي سيسبب لك العذاب.

سمبلين: لماذا؟

ياشيمو: يؤسفني ان أضطر الى اعلان ما آلمني كتمانه. لان حصولي على هذا الخاتم كان عن طريق الخيانة. فان المجوهرة كانت تخص بستيموس الذي نفيته، بستيموس الشهم النبيل الذي، ولا بد هنا من الاقرار بالواقع، لم يوجد له مثيل على وجه الأرض. فهل تريد ان تعرف المزيد يا مولاي؟

سمبلين: نعم كل الحقيقة في هذا الموضوع.

ياشيمو: ان ابنتك التي يتجسم فيها الكمال، والتي يدمي ذكرها قلبي وترتجف له يدي الجانية... أعذرني. ان قواي تخور.

(يتمايد).

سمبلين: ماذا تقول عن ابنتي؟ استجمع قواك. سأدعك تعيش بقدر ما تهبك

الطبيعة من العمر، ولن تموت قبل ان تعلمني بكل ما جرى. حاول، ايها الرجل، ان تتكلم.

ياشيمو: منذ مدة، ملعونة هي الساعة التي تم فيها ذلك، كنت في روما. سحقاً لذلك البيت حيث كنا على المائدة، وكنا نخشى ان تكون مآكلنا مسمومة، على الأقل ما كنت اتناوله انا منها. وكان بستيموس الكريم، ماذا اقول؟ كان صالحا وسط مجتمع فاسد، وهو من نخبة اهل الخير، كان بستيموس جالسا بوقار فيما بيننا، ونحن نتبجّح بسرد مغامراتنا في أحضان غواني ايطاليا. واذا صدقنا انفسنا كان جمالهن عقيما بالنسبة الى مديح أفصح الواصفين، بقوله ان ملامحهن تطغى على جمال فينوس وقامة مينرفا الهيفاء، هذه النماذج التي تفوق مواهب الطبيعة الهزيلة كأن في شخصهن تجتمع كل الصفات التي تحبب المرأة الى الرجل دون نسيان اغرائهن الذي لا يقاوَم، وبريق لحظهن الذي يبهر الانظار ويسلب الالباب.

سمبلين: لقد عيل صبري. هيا ادخل في صلب الموضوع.

ياشيمو: سأصل اليه قبل الأوان، الا اذا شئت ان تستعجل في ايلام نفسك. ان لبستيموس، كما يليق بكل نبيل مثله، حبيبة من الاميرات. وإذا أزعجته التلميحات، وبدون ان يقلل من قيمة من أثنينا على جمالهن، رسم لنا بهدوء وصراحة صورة حسنائه، وبالنظر الى اقواله اللبقة، بدا مديحنا كأنه لغو، وصفنا به بنات الهوى، فكسفتنا اشادته وجعلتنا كالحمقى القاصرين عن الحديث الطلي.

سمبلين: هيا، أورد النقاط الهامة.

ياشيمو: أما ابنتك العفيفة، وذكرها من صلب الموضوع، فتكلم عنها بستيموس كأنها رمز الطهارة والفضيلة اذا قارناها بديانا المستهترة. على الاثر، انا الاحمق، اعترضت على الثناء مشككا وراهنا على مبلغ من النقود الذهبية مقابل هذا الخاتم الذي كان في اصبعه الشريف، بأني سآخذ مكانه في سريره الزوجي بدون مقاومة، وأني سأربح خاتمهُ لقاء خيانة قرينته باستسلامها اليّ. واذا به كفارس شهم باسل، لشدة ايمانه بحصانتها حسب اختباره الطويل، لم يتردد في قبول التحدي. فخسر خاتمه، لاني سارعت الى بريطانيا

لتحقيق خطتي. قد تتذكر، يا مولاي، انك شاهدتني في بلاطك منذ مدة. اذ ذاك لمست في ابنتك الوفية، الفرق الشاسع بين الحب الطاهر والدعارة. وهكذا تحطم املي لا شوقي، واصطدم دماغي الايطالي الماجن بتحفظكم البريطاني. فرحت احوك المؤامرة الدنيئة التي اوصلتني الى مرامي. بالاختصار، نجحت في بلوغ وطري، اذ سرعان ما عدت الى روما بدلائل دامغة افقدت النبيل بستيموس صوابه. فهدمت ثقته بشهادات مختلفة، منها وصف ستائر ولوحات حجرة نومها ولا سيما اسوارها. وقد استقيت معلوماتي بطريقة جنهمية. اخيرا كشفت له عن بعض اسرار تمتّ الى شخصها، حملته على تصديق ادعائي بأني انتزعت منها كرامة أمانتها الزوجية، وجعلتني أربح رهاني الذي قَبِل ان أتحداه به. وعلى هذا الاساس يخيل اليّ اني لا ازال اراه منهار الآمال والاحلام.

بستيموس (يتقدم): أجل، كما ترى ايها الشيطان الايطالي، سيكون حسابك معي عسيرا لاني صدقتك، ايها المنافق الخبيث، ايها اللص المحتال والمجرم السافل. أجل سيكون حسابك عسيرا على كل قبائحك الماضية والحاضرة والمستقبلة. اعطوني حبلا وسكينا وسمًّا، وهاتوا بعض القضاة الصارمين. وأنت ايها الملك العادل، ارسل في طلب الجلادين القساة الماهرين، لأُصلح كل فاسد في هذه الدنيا وأقوِّم كل معوجّ، لانني اقوى منها جميعا، انا بستيموس الذي يعزى اليَّ قتل ابنتك. كلا، هذا ليس صحيحا. تباً لي من شقي، لاني كلفت مجرما أقل رفقا مني بأن يقتلها هي التي كانت مثال الطهارة والامانة. ماذا اقول؟ بل كانت العفة بعينها. ابصقوا عليّ، ارجموني بالحجارة، مرِّغوني في الاوحال، وحرّضوا كلاب الحي عليّ، ولْيُدْعَ كل مجرم بستيموس، فتكون جريرته دائما أخف من جرمي. آه! يا ايموجان، يا ملاكي، يا حياتي، يا زوجتي الغالية ايموجان، ايموجان، ايموجان.

ايموجان (تندفع اليه): هدىء روعك، يا سيدي. اسمع، اسمع.

بستيموس: هل أدع حيلة كهذه تنطلي عليّ؟ مكانك ايها الخادم الوقح.

(يضربها، فتسقط مغميا عليها).

بيزانيو (يسرع نحو ايموجان): النجدة، يا سادتي، اسعفوا سيدتي وسيدتكم ايضا. آه! يا مولاي بستيموس انت لم تقتل قط ايموجان الا في هذه اللحظة. النجدة، النجدة. مولاتي المبجَّلة.

سمبلين: هل الدنيا تدور بي؟

بستيموس: من اين لي هذا الدوار؟

بيزانيو: عودي الى وعيك، يا سيدتي.

سمبلين: ان كان ما تقع عليه عيناي حقيقة، فان الآلهة تبغي ان تميتني فرحا.

بيزانيو: كيف حال مولاتي؟

ايموجان (تفتح عينيها): اغرب عن وجهي يا مكّار، فأنت الذي جرّعتني السم. ابتعد عني ايها المجرم الخطر. لا تأت ابدا الى هنا حيث يقيم الامراء الشرفاء.

سمبلين: هذا صوت ايموجان، ابنتي ايموجان!

بيزانيو: ليت الآلهة رجمتني بصواعقها، يا سيدتي، لو لم أعتقد، وأنا أناولك هذا الخنجور بكل اخلاص، بأن محتواه دواء نافع، قد اعطتني اياه الملكة.

سمبلين: ها هوذا سر آخر ينكشف.

ايموجان: هذا سمَّمني.

كرنيليوس: سامحتني الآلهة، لقد نسيت امرا باحت به الملكة، ويبرّىء ساحة هذا الرجل، اذ قالت لي: اذا ناول بيزانيو سيدته السم الذي سلمته اياه كدواء منعش، يكون قد عالجها كما اقضي انا على الجرذان.

سمبلين: ما معنى هذا يا كرنيليوس؟

كرنيليوس: مولاي، كانت الملكة تستعجلني كي أحضِّر لها سموما بحجة انها تقوم بتجارب للتخلص من بعض الحيوانات الضارة بقتلها، نظير القطط والكلاب البغيضة. وخشية ان تكون مشاريعها أخطر مما تصرح به، ركَّبت لها بعض مواد، عند تناولها يتوقف موقتا نشاط الحياة في الجسم، ولكن جميع وظائف البدن لا تلبث ان تعود بعد قليل من الوقت الى سيرها الطبيعي. (لايموجان) هل تناولت من هذه المادة، يا سيدتي؟

ايموجان: أعتقد بأني فعلت. وعلى الاثر غبت عن الوعي.

بيلاريوس: ها هو تفسير غلطتنا.
غيداريوس: بالطبع. وهذا اذاً هو فيدوس بشحمه ولحمه.
ايموجان (لبستيموس): لماذا أقصيت عنك زوجتك؟ ارجوك ان تتصور نفسك الان واقفا على صخرة عالية، وأن تتمسك بي بكل قواك.

(تضمه بين ذراعيها).

بستيموس: ابقي هكذا يا عزيزتي، كالثمرة العالقة بشجرتها حتى تذبل وتموت.
سمبلين: ما هذا يا بنيّتي الحبيبة؟ هل تعتبرينني في هذا المشهد كأني زينة كمالية، ولا توجهين اليّ كلمة واحدة؟
ايموجان: باركني، يا مولاي.
بيلاريوس (يلفت انتباه ارفيراكوس وغيداريوس اليها): لقد احببتما هذا الشاب الوسيم، ولا ألومكما لان حجتكما واضحة كالشمس الساطعة.
سمبلين (لايموجان): لتنهمر دموعي وتنسكب عليك ماء مقدسا. هل علمت بأن زوجتي قضت نحبها، يا ايموجان؟
ايموجان: فقدها آلمني جدا، يا مولاي.
سمبلين: لكنها كانت مجرمة، وحقدها سبب كل ما نزل بنا من مصائب. كذلك اختفى ابنها، ولا ندري كيف، ولا اين هو اليوم.
بيزانيو: يا مولاي، الان وقد زال عني الخوف، سأبوح لك بالحقيقة كاملة. ان السيد كلوتن، بعد هرب سيدتي، جاءني وسيفه مستلّ، والزبد يرغي حول فمه، وأقسم بأن يقتلني اذا لم أدله على الطريق الذي سلكته. وشاءت الصدفة ان احمل حينذاك في جيبي رسالة سيدي، فحسبت انها تساعد على انقاذ سيدتي، لكنها جعلت كلوتن يصمم على اللحاق بالاميرة الى الجبال التي تجاور ملفورد. واذا بالجنون يستولي عليه وهو في ملابس سيدي، وقد اخذها مني عنوة، وهرول ينوي اغتصاب شرف سيدتي. ولم أدرِ ما حل به.
غيداريوس: انا أكمل هذه الرواية. لقد قتلته.
سمبلين: رحماك ايتها الآلهة. انا لا أريد ان تلفظ شفتاي، لقاء خدمتك،

حكما جائراً عليك. ارجوك ايها الفتى الباسل ان تسحب كلامك.
غيداريوس: أجل قتلته، كما قلت.
سمبلين: كان اميرا.
غيداريوس: لكنه امير مزيَّف، والاهانات التي وجَّهها اليّ لم تكن ابدا لتصدر عن امير أصيل. فتحداني بلهجة كادت تحملني على ضرب ماء البحر بالسوط لو زمجر مثله. لقد قطعت رأسه، وأنا الان مرتاح لعدم وجوده بيننا، كي لا يردد ما قلته عنه.
سمبلين: انا مستاء لما حدث. انك تدين نفسك بتصريحك، وعليك ان تخضع لشرائعنا. ستموت لا محالة، اذ لا يجوز ان يبقى القاتل بدون عقاب.
ايموجان: ظننت هذا الجثمان المقطوع الرأس هو جسم زوجي.
سمبلين: قيدوا المجرم بالسلاسل، وابعدوه عني.

(يحيط الحرس بغيداريوس).

بيلاريوس: مهلا يا مولاي الملك. هذا الرجل اعظم بما لا يقاس من القتيل. فهو من نسب رفيع مثل حسبك. ولقد أدى لك خدمات أجلّ مما تأتيه مجموعة من أمثال كلوتن في الدفاع عن شخصك وعرشك. (للحرس الذين يزمعون ان يقيدوا غيداريوس): ارفعوا ايديكم عن معصميه اللذين لم يصنعا ليكبَّلا بالقيود.
سمبلين: ما هذا ايها الجندي الشيخ؟ هل تريد ان تتنصّل مما تستحقه باثارتك غضبي؟ كيف تقول انه من نسب رفيع كحسبي؟
ارفيراكوس: لقد ابتعد جدا عن الموضوع.
سمبلين (لغيداريوس): لن يكون عقابك الا الموت.
بيلاريوس: سنموت نحن الثلاثة لا محالة. لكني سأثبت لك اولا ان اثنين منا أصلهما كما اعلنت لك. يجب عليّ الان ان ابوح بسر خطير، سينقلب وبالا عليَّ انا، انما عاقبته سعيدة بالنسبة اليكما.
ارفيراكوس: الخطر الذي يتهددك يتهددنا ايضا.
غيداريوس: كذلك سعادتك هي سعادتنا جميعا.

بيلاريوس: بما اني نلت السماح، سأتكلم، يا صاحب الجلالة. كان في خدمتك قديما واحد من رعاياك يدعى بيلاريوس.

سمبلين: أجل، انه خائن منفي.

بيلاريوس: هو الرجل الذي رسمت الاعوام على جبهته التجاعيد، والذي يكلمك الان. لقد أبعِدتُ بالفعل، غير اني لست خائنا، ولا ادري كيف ألصقت بي هذه التهمة الباطلة.

سمبلين: اقصوه عني. ان العالم برمته لن يقوى على تخفيف جريمته وانقاذه من الموت.

بيلاريوس: لا تغضب هكذا يا مولاي. اولا، ادفع لي ثمن إطعامي ولديك، ثم صادر ما اقبضه منك.

سمبلين: اطعامك ولديّ؟

بيلاريوس (جاثيا على ركبتيه): ربما تكلمت انا بخشونة وجسارة. فها انا اجثو امامك بخضوع. لكني، قبل ان أنهض، أود ان أميط اللثام عن حقيقة ابنيّ، وبعد ذلك لا توفر حياة والدهما العجوز. مولاي الكريم، هذان الفتيان اللذان يناديانني أباهما، وهما يعتقدان انهما ولداي، لا ينتسبان اليّ بتاتا، لانهما من صلبك يا صاحب الجلالة، وهما منبثقان من لحمك ودمك.

سمبلين: تقول انهما من لحمي ودمي؟

بيلاريوس: هذا كبد الحقيقة، تماما كما انك ابن ابيك. انا العجوز مورغن لست سوى بيلاريوس الذي نفيته في قديم الزمان. فكانت رغبتك هذه جرمي الوحيد، وكان ابعادي عقابي على خيانتي المزعومة، وكان وفائي كل ما جنت يداي من شر وهمي. أما هذان الاميران النبيلان، لان هذا هو لقبهما وحقهما بالوراثة، فأنا قد ربيتهما منذ عشرين عاما. وهما يلمّان بجميع الفنون التي علمتهما اياها، وقيمة تربيتي تقدرها انت بنفسك، يا صاحب الجلالة. ان مرضعتهما أرفيل التي تزوجتها، هي التي اختطفتهما اثر نفيي بناء على طلبي، لاني تلقيت سلفا عقاب ما اقدمت عليه فيما بعد. وقصاصي على أمانتي هو الذي حدا بي الى ارتكاب هذه الفعلة، لاني ايقنت بأن الحيف الجسيم الذي لحق بي لا يوازيه الا حرمانك من

ولديك. وها هما ابناك ايها الملك الكريم. وبردهما اليك أفقد انا صديقين ممتازين لا مثيل لهما في العالم أجمع. لتحلّ بركات السماء التي تغمرنا الان، عليهما كقطر الندى لانهما جديران بأن يضافا كوكبين لامعين الى سماء مملكتك.

(يمسح دمعة).

سمبلين: أتبكي وأنت تخاطبني؟ ان الخدمة التي أديتموها لي انتم الثلاثة هي أرفع بكثير مما تظن. لقد فقدت ابنيّ، فان كانا هما ذاتهما اللذين اراهما امامي فلا يسعني تمنّي ان أرزق ابنان أنبل منهما.

بيلاريوس: تمهّل قليلا. ان هذا الامير الذي ادعوه بوليدور هو ابنك البكر غيداريوس. وهذا الآخر الذي ادعوه كلدوال هو ابنك الاصغر ارفيراكوس الذي كان لا يزال في الاقمطة يا مولاي ملفوفا بوشاح زركشته أيدي والدته الملكة الجليلة، ولكي اقنعك بصحة كلامي انا مستعد ان اريك هذا الوشاح.

سمبلين: غيداريوس كان في عنقه علامة فارقة هي نجمة غريبة الشكل بلون الدم القاني.

بيلاريوس: ها هي لا تزال الى الان في مكانها كختم طبيعي. لان الاقدار الحكيمة شاءت عندما وسمته بها ان تعرّفه اليوم بواسطتها وترده اليك.

سمبلين: اليوم رزقت ثلاثة اولاد دفعة واحدة. وليس من اب في الكون اسعد مني. لتحلّ بركة السماء عليك يا من، بعد هذا النفي الغريب الطويل عن ديارك، تعود الينا لتسترد مكانتك وعرشك. ها قد ضاعت منك مملكتك، يا ايموجان.

ايموجان: بل هكذا ربحت مملكتين يا مولاي. سقيا لكما يا أخويّ. لقد عدنا والتقينا معا. لا تنكرا بعد اليوم اني احق الناس بتسميتي اختكما. لقد دعوتماني اخاكما وأنا اختكما، بدون ان اعلم انا ولا تعلما انتما بأني شقيقتكما. بينما الان ادعوكما أخويّ لانكما حقيقة شقيقاي.

سمبلين: هل رأى احدكما الآخر قبل اليوم؟

ارفيراكوس: نعم يا مولاي الكريم.
غيداريوس: وتحابينا منذ النظرة الأولى. وظللنا على هذا الحال حتى عندما ظننا انها ماتت.
كرنيليوس: حين تجرّعت إكسير الملكة.
سمبلين: ما هذا الاحساس المرهف! متى أسمع الحكاية بكاملها؟ ان هذا الموجز السريع ينطوي على تفاصيل جمة تتطلب سردا دقيقا. (لايموجان) اين وكيف عشتِ مدة غيابك؟ متى التحقت بخدمة هذا الروماني اسيري؟ كيف افترقت عن أخويكِ، وكيف عدت والتقيت بهما؟ لماذا هربت من البلاط، والى اين؟ اجيبيني على هذه الاسئلة بصراحتك المعهودة. (يلتفت نحو بيلاريوس والاميرين) وأنتم الثلاثة، عليكم ان تعلموني بما دعاكم الى خوض المعركة، وبمجمل ما جرى لكم، كل حادث في حينه بالتوالي. انما لا الزمان ولا المكان يتسعان الان لمثل هذا الشرح الطويل. انظروا الى بستيموس كيف يتشبث بايموجان، وكيف تتأمل هي زوجها، وتتأمل أخويها وتتأملني. ان نظراتها تشبه أشعة الامل التي تسطع ببهجة وتنير كل الوجود. هيا بنا نغادر هذا المكان ونذهب الى المعبد لنعطر أرجاءه بما نقدمه من بخور شكرا على هذه المفاجآت السارة (لبيلاريوس) انت اخي وسنظل كلانا ملازمين احدنا الآخر ما حيينا.
ايموجان (لبيلاريوس): بل انت بمثابة ابي ايضا. اذ بفضل رعايتك ونجدتك وصلت الى هذه السعادة الدائمة.
سمبلين: كلنا غمرتنا الغبطة ما عدا هؤلاء الاسرى. فليفرحوا معنا، لاني أريد ان يشاركونا سرورنا.
ايموجان (للوسيوس): سيدي الكريم، أود ان أسدي اليك خدمة.
لوسيوس: دامت افراحك، يا مولاتي.
سمبلين: هذا الجندي المفقود الذي حارب بنبل، كم كان ابتهج بصحبتنا، وكم كنت انا ايضا سعدت بابداء عرفان الجميل الذي أدين به له في انتصارنا!
بستيموس: مولاي انا الجندي الذي تود معرفته، وقد رافقت جلالتك متخفيا بثياب فقير، لان هذا الهندام كان الانسب لتحقيق المشروع الذي بذلت

في سبيله كل الجهد. أجل انا الجندي المجهول الذي تسأل عنه. أليس كذلك يا ياشيمو؟ لقد كنت انت متمددا على الأرض وكان بامكاني الاجهاز عليك.

ياشيمو (راكعا): ها اناذا بين يديك. وخز ضميري هو الذي يحملني الان على الركوع امامك لا سلطتك. فأستحلفك بأن تتصرف بحياتي التي أدين بها لك مرارا عديدة. لكن، استرد اولا خاتمك واسوار أوفى اميرة عرفتها طوال عمري.

بستيموس: لا تركع امامي. ان الحكم الذي افرضه عليك هو انقاذك، فانتقامي منك يتحقق بالعفو عنك. عش اذاً وعامل الناس بأحسن مما فعلته انا الان بك.

سمبلين: ما أنبل حكمك! ان صهري يعلّمني حسن التصرف، فكلمة السر الان في عرف الجميع هي العفو عند المقدرة.

ارفيراكوس (لبستيموس): لقد ساعدتنا في الماضي يا مولاي كما لو كنت تعتقد فعلا بأنك في مقام شقيقنا، ونحن سعداء بأن تكون كذلك حقا.

بستيموس: انا خادمك، ايها الامير. (للوسيوس): يا مولاي الروماني أرجوك ان تنادي عرّافك. فأثناء نومي، خيل الي ان الاله المشتري المعتلي متن نسره كان يظهر لي بصحبة أشباح من أسرتي. وعندما استيقظت وجدت على صدري هذا الوشم الذي حيّرني برمزه الغامض الذي لا اجد له معنى. فاطلب منه ان يظهر معرفته بتفسيره لنا.

لوسيوس: يا فيلارمونوس.

العرّاف: ها اناذا، يا مولاي الكريم.

لوسيوس: إقرأ هذا وفسر لنا معناه.

العراف (يقرأ): عندما تهبّ على الشبل الذي يجهل ذاته نسمة هواء عليل تضايقه لانه لا يبحث عنها، وعندما تعود الاغصان المفصولة عن الارز العظيم الى الحياة على جذعها الاصيل وتخضرّ من جديد، بعد مرور أعوام على جفافها، حينئذ يزول شقاء بستيموس وتسترد بريطانيا سعادتها وازدهارها في البحبوحة والسلام. (لسمبلين): ان النسيم العليل هو ابنتك الفاضلة (يلتفت الى بستيموس) توقعت منذ هنيهة ان هذه المرأة الامينة على عهدها

هي زوجتك، وكنت أطالع نبؤات الآلهة وبدون ان تعرف ولا ان تشاء، تعانقك بلهفة وحنو.

سمبلين: كل هذا ممكن جدا.

العرّاف: الارز العظيم، يا مولاي سمبلين، يتجسد في شخصك المبجَّل، وأغصانه المفصولة هما ولداك اللذان اختطفهما بيلاريوس وكانا في حكم الميتين منذ سنين طويلة، وها هما قد عادا الى الحياة في كنفك، لينضما ثانية الى الارز الجليل الذي يؤمِّن ابناؤه لبريطانيا الخصب والوئام.

سمبلين: لنبدأ بالوئام، يا لوسيوس. اننا وان كنا منتصرين، نقدم خضوعنا لقيصر وللامبراطورية الرومانية، واعدين بدفع الجزية المترتبة علينا كالعادة، لاننا لم نرفضها الا بتحريض ملكة جانية انزلت السماء العادلة بها وبذريتها أعدل العقاب.

العرّاف: لتبارك القوات العلية بأناملها القادرة انسجام هذا السلام، لان الرؤيا التي أطلعت عليها لوسيوس قبل اول صدام في هذه المعركة، ما كادت تغيب عن ناظري حتى تحققت بحذافيرها. لقد شاهدت النسر الروماني يتوارى طي أشعة الشمس، وهذا تفسيره ان الطائر العظيم أي الامبراطور قيصر سيدعم تحالفه والشهم سمبلين الذي يلمع نجمه هنا في الغرب.

سمبلين: لنشكر الآلهة. وليصعد دخان بخورنا الفواح من هياكلنا المباركة الى مقاماتها العالية، ولنبشر بهذا الوئام جميع رعايانا، ولنتقدم بثبات واستمرار، ولتظل الاعلام الرومانية والبريطانية خفاقة ومتحدة في ظل صداقة مخلصة وطيدة على الدوام. وهكذا نجتاز مدينة « لود » ونذهب الى معبد المشتري العظيم، لضمان سلامنا وتثبيته بما نقيمه من اعياد وأفراح. هيا بدون امهال، فما انتهت حرب بمثل هذا السلام قبل ان نغسل ايدينا المخضبة بالدماء.

(يخرج الجميع).

(تمت)

Bibliotheca Alexandrina
0463864